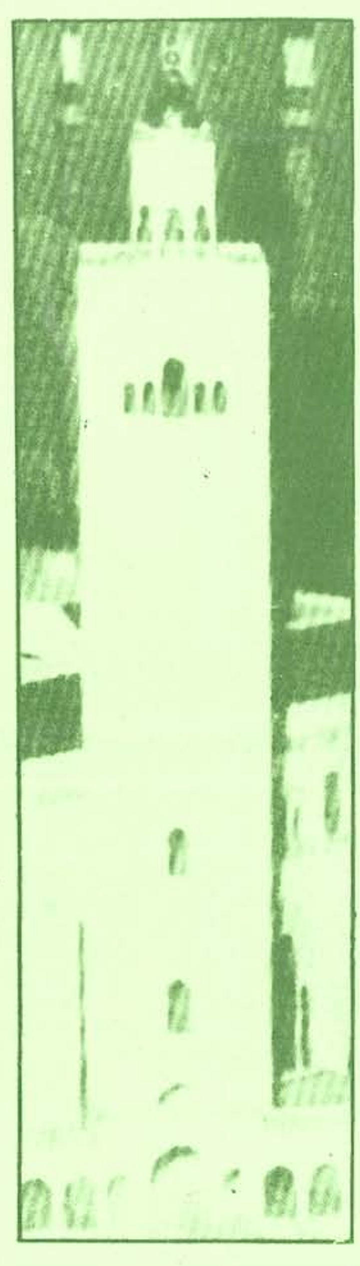
تاريخ
العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية
بالمغرب الأقصى



الجزء الخامس

عصر الأشراف السعديين والعلويين

تأليف

دكتور عثمان عثمان إسماعيل

أستاذ الآثار والفنون

رئيس مشرف على الأبحاث بالتعليم العالي بالمملكة المغربية



مطبعة المعارف الجديدة
38/15/09/08-947 الرباط



الهلال العربية للطباعة والنشر

ARABIAN AL HILAL Impression et Edition

الرباط، 21 زنقة ديكارت حي الليمون تلفون : 99-60-70 فاكس : 707751

ردمك × - 0 - 9507 - 9981 (المجموعة)

ردمك 0 - 5 - 9507 - 9981 (الجزء الخامس)

والسعد متصلا من غير منفصل والعيش في رغد والعمر في جدل

سلسلة حضارة الغرب الإسلامي

تاريخ

العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى

الجزء الخامس

عصر الأشراف السعديين والعلويين

تأليف

دكتور عثمان عثمان اسماعيل

أستاذ رئيس مشرف على الأبحاث التاريخية والآثرية
بالتعليم العالي للمملكة المغربية
أستاذ الحضارة والفن الإسلامي بجامعة وهران
وخبير بإدارة الفنون الجميلة والآثار بالرباط سابقا
وعضو اتحاد المؤرخين العرب

الطبعة الأولى

1993

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ النمل آية 75

صدق الله العظيم

الغرب الإسلامي

الغرب أحسن أرض	ولى دليـل عليـــه
البدر يرقب منــه	والشمس تسعى إليه

تصميم الغلاف من وضع المؤلف

الإهداء

إلى جيل الانبعاث

جيل النهضة العربية و الصحوة الإسلامية

غابت شمس العرب عن الأندلس فظل يعيش على الضوء المستعار من نور الإسلام، بينما هبت شعوب المغرب الكبير تواجه التحدي الحضاري بروافد الموقع و المواهب البشرية، وتعزز قدراتها بارتباطها الوثيق بالإسلام و الأرومة العربية.

وعلى هذا الأساس نشأت بالمغرب الأقصى حضارات متعاقبة عبر القرون... واستقامت بمواطن الأشراف السعديين و العلويين طرز وأساليب العمارة والفنون... وارتفعت منارات الإسلام عند منتصف المعمور تشع الحضارة والهداية والنور... وتذكر بمنجزات الماضي المجيد لتصبح أساساً لتاريخ المستقبل السعيد... فإلى جيل التحرير والوحدة والبناء... أهدي هذا العمل للتآسي والإقتداء

دكتور عثمان عثمان اسماعيل

تقريظ بقلم

معالي الأستاذ الرئيس الوزير محمد الفاسي

أول وزير للتعليم ورئيس أول جامعة عصرية
وزير الدولة في الثقافة
عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة
والمجامع العربية
ورئيس إدارة التنسيق بين اللجان العربية لليونسكو

يسعدني أن أقدم اليوم إلى الباحثين المتخصصين وجمهور المثقفين من قراء العربية والمتحمسين لاستعادة الوعي بالذات... عملا كبيرا يعتبر حصيلة سخية لاجتهاد وتمرس ومثابرة عكف عليها المؤرخ الأثري الدكتور عثمان عثمان إسماعيل سنوات طويلة.

إن موسوعة تارخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية التي اشتملت على خمسة مجلدات كبيرة كانت نتيجة مرجوة من باحث له تكوين علمي متخصص يقوم بدراسات جادة في نطاق الفكر العربي المتحرر من ضغوط المدرسة القديمة ومن ضغوط علماء الإستشراق الذين صحبوا حركة الزحف الإستعماري على العالمين العربي والإسلامي وقد استقر معظمها في أذهان الكثير من علماء العروبة والإسلام أنفسهم.

وأن الدكتور عثمان الذي تبنيت جميع أبحاثه العلمية التاريخية وكشوفه الأثرية منذ أكثر من ثلث قرن مضى لم يخيب الرجاء فيه وها هو بعد أن زود المكتبة العربية والفكر الإسلامي بموسوعته التاريخية والأثرية والفنية حول حضارة شالة الإسلامية التي جاءت نتيجة أبحاث تاريخية معمقة وكشوف أثرية موفقة صححت كثيرا من الأخطاء والمفاهيم السابقة عليها، وها هو اليوم يسد نقصا جوهريا في المؤلفات المتعلقة بالدراسات العربية والإسلامية العربية منها والأجنبية بتقديم موسوعة جديدة تتناول تاريخ العمارة الإسلامية بأنواعها الدينية والمدنية والحربية مع تخصص دقيق في جميع أنواع الصناعات الإسلامية والفنون الثابت منها والمنقول على مختلف المواد من حجر وجص ورخام ومعادن وعملة وخشب وخزف وفخار وغيرها بالإضافة إلى فنون الكتاب الإسلامي مما يجعل من هذه الموسوعة دائرة معارف شاملة وقاموسا جامعا لشوارد العمارة والفنون وواردها.

لقد سبق لي أن أوضحت بالبحث المسهب الذي صدرت به موسوعته العلمية عن حضارة شالة الإسلامية منهجية المؤلف التي تقوم أساسا على البحث الميداني والعمل التطبيقي والدراسة المقارنة بعد استيعاب آراء القدامى والمحدثين شرقا وغربا عرباً وأجانب، وتقصي الأصول والمصادر في مظانها المبعثرة وآثارها المندثرة الأمر الذي أوصله إلى نتائج جديدة أصبحت تفرض نفسها في مجال الكشف عن الذات بالنسبة للمجالات الحيوية للعبقرية المغربية في إطار الفكر العربي الإسلامي الشمولي لجناحي الإسلام في المشرق والمغرب.

وسوف يلمس الباحثون من خلال هذا العمل الكبير مبدأ المؤلف المعتمد على النظرة الموضوعية والبحث الميداني والتحليل المقارن في نطاق الوعي بالذات للوصول إلى الحقيقة بعد تقصي الأصول ومتابعة الفروع لرد الفرع إلى الأصل وجمع النظير إلى النظير وتبويب الإنتاج وتحديد المعالم واستخلاص المميزات وتمييز الطرز وتحديد الأساليب.

لقد وفق المؤلف في الدفاع بموضوعية علمية منصفة عن معالم الحضارة المعمارية والفنية التي خلدتها عبقريات المبدعين من بنائي وفناني المغرب الأقصى مع التأكيد على ربط الصلات الحضارية بين مراكز الحضارة العمرانية بالمغرب الإسلامي ووحدتها مع مؤثرات وتأثيرات الحضارة الإسلامية المشرقية نتيجة الوحدة التاريخية الحتمية لحضارة الإسلام شرقا وغربا المدعمة ببحث الأصول والمصادر للعناصر المعمارية والفنية ومتابعة مسيرة العنصر الواحد من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه أو العكس واستجابة العوامل النفسية والإجتماعية والاقتصادية في ربوع الوطن العربي لانسجام واحد طوال أربعة عشر قرناً.

كما لا يعفينا الإيجاز هنا من الإشارة إلى نجاح المؤلف في الوصول إلى وضع فهرسة تاريخية وتبويب علمي للطرز والأساليب لم يُسبَق إليه فأقر لأول مرة تسلسلا حضاريا لتاريخ العمارة والفن كان البحث العلمي يفتقر إليه إذ جعل من ميراث العمارة والفنون المغربية قبيل الإسلام طرازا أسماه الطراز المغربي العربي القديم مؤكدا بذلك المصطلح العلمي عروبة المغرب القديم في دورة حضارية سابقة على حضارة الإسلام كان المستشرقون من مروجي سياسة الإستعمار الحديث يخفونها بكل افتراءاتهم المعروفة.

كما يبتكر المؤلف مصطلح الفن المغربي الإسلامي المبكر لفنون عصر الأشراف الأدارسة والزناتيين ثم يصحح مفهوم الطراز الاسلامي الذي ظهر بالعدوتين المغرب والأندلس ابتداء من ضم المرابطين للأندلس وإنقاذ الرجل المريض، فيما وراء البوغاز بفعل ملوك الطوائف إلى نهاية عصر المرينيين، وأبان عن دور المغرب الحضاري بالنسبة للأندلس سياسيا وحربيا وعمرانياً. لقد أطلق المؤلف اصطلاح الفن المغربي الأندلسي بدل اصطلاح الفن الأندلسي المغربي الذي يتمسك به المستشرقون مجافاة للحقيقة، وقد أيدتُ فكرة الدكتور عثمان ببراهين

أخرى جديدة أشرتُ إليها في تصديري لموسوعته حضارة شالة الإسلامية.

ويكمل المؤلف تبويبه للطرز الفنية بعد الفن المغربي الأندلسي بطراز الأشراف السعديين والعلويين بعد أن ظهر طراز جديد متميز بذاته في إطار التطور السياسي والحربي الذي أصاب المغرب والعالم المحيط به وما استجد من آلات عصرية ومنتجات آلية ومواد حديثة صناعية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤلف لم يترك مشكلة تاريخية معمارية أو فنية دون تشخيصها وفحصها والوصول إلى رأي (ما وسعه الجهد) بفكر متخصص ونظرة موضوعية مما جعل من هذه الموسوعة دليلا تاريخيا لحضارة المغرب العربي المسلم وتطور مراحلها الذاتية اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا في إطار الوحدة الجهوية والعلاقات العرقية والفكرية للعالمين العربي والإسلامي شرقا وغربا.

الجمعة 5 رجب 1404
6 أبريل 1984

محمد الفاسي

تقريظ بقلم

الأستاذ الهاشمي الفلالي أمين
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

ليس بخاف ما لتاريخ الأمم والشعوب من أثر بالغ الأهمية في زرع روح التفوق والنبوغ والاستمرار الذاتي في الأفراد والجماعات والشعوب. وكلما علا شأن هذا التاريخ وعظم حظه من المجد والسؤدد وسما بمآثره وصفحاته الخالدة كلما كان ذلك أدعى إلى الاعتبار والاتعاظ وأقوى مفعولا في التربية القومية والتكوين العام وأشد إثارة للهمم والارادات.

ولقد كان من دأب السياسة الاستعمارية في العالم العربي والاسلامي خاصة والسياسة الفرنسية في أفريقيا والمغرب بصفة أخص العمل على محو تاريخ الأمم الاسلامية والعربية بطرق متطورة وأساليب متنوعة وأفانين من الخداع والتضليل والمغالطة ليس أقلها إحياء تاريخها الجاهلي والبدائي والوثني أو صرف العناية والاهتمام للتاريخ الأوربي بمختلف الأساليب المغريه المثيرة للإعجاب.

ولعل في مقدمة ما ساعد الاستعمار الأوربي على هذا المنهج أن معظم التاريخ الاسلامي والعربي تاريخ حكام وحكومات وحروب وانتصارات أو انهزامات، من غير إعطاء الاهتمام بالجوانب الحضارية من تاريخ الشعوب، أو أقل عناية بالنواحي الأخلاقية والاجتماعية، والتطورات الفكرية والأدبية ومظاهر الحضارة العمرانية. وعدم الاهتمام بهذه الجوانب كتاريخ للشعوب وحضارتها متسلسل المعالم مما جعل عامة المتعلمين والطلبة وجمهور الدارسين من غير الباحثين والمتخصصين ينصرفون عن التاريخ انصرافا كليا أو يعتبرونه أقرب إلى الحكايات منه إلى العلم.

ولعله من نافلة القول إن هذه العوامل بالذات هي التي جعلت الطلائع الأولى من رجالات الوطنية في المغرب تنصرف لهذا المجال الحيوي الهام. حفاظا على هوية المغرب العربي المسلم ودفاعا عن حضارته وذاتيته ومحاربة لعمليات الاندماج والاستلاب الفرنسي الذي كان الاستعمار يمهد له بالمدرسة والكتاب والصحيفة والقوانين الوضعية. ومن ذلك منع دراسة تاريخ المغرب في المدرسة الاسلامية الأمر الذي دفعنا نحن الثلة الأولى علال الفاسي وعبد العزيز ابن ادريس رحمهما الله وكاتب هذه السطور لأن نشتغل بإحياء، تاريخ المغرب عن طريق

تحقيق وتحرير وطبع ونشر أمهات الكتب التاريخية كابن خلدون والقرطاس، في أول محاولة منذ ما يقرب من خمسين سنة لمقاومة المخطط الفرنسي الصليبي الاستعماري في هذا المجال. وهذا ما دفعني شخصيا، وبصفة أخص لأن أألف للمدرسة الاسلامية (دروس تاريخ المغرب) متحديا بذلك قرار الاقامة العامة بمنع تدريس هذه المادة على نحو يشكل أزهى وأنصع صفحات الجهاد الوطني الذي خضناه على مدى نصف القرن الأخير.

ولهذه الأسباب جميعها، واعتبارا للمعطيات السالفة الذكر، كان سروري عظيما وتقديري كبيرا لفضيلة الأستاذ الباحث المحقق الدكتور عثمان عثمان إسماعيل الذي طلب مني أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب الجامع والسفر القيم الذي يحوي فصولا شيقة عن العمارة المغربية والإبداع الحضاري الذي ساهم به شعبنا العربي المسلم في الفنون المعمارية الشاهدة على مدى الزمن على تفوقنا ونبوغنا وعلو كعبنا في الحضارة والذوق والفن والعلم.

وأود أن أغتنم هذه المناسبة لأشيد بجهود المؤلف العالم المتمكن الذي وفق إلى أبعد الحدود في إبراز دور المغاربة في تطوير أعرق الفنون الحضارية لدى أمتنا العربية الاسلامية والمحافظة عليها عبر الأحقاب والأزمان.

ومن الحق أن نقول، وقد وقفت على محتويات الكتاب، وأحطت بمدلولاته وأبعاده والأهداف الفكرية والتاريخية والحضارية التي يخدمها، إن عمل المؤلف في هذا المجال يعتبر خدمة للعالم العربي والاسلامي باعتبار أن حضارة المغرب المعمارية والعمرانية حضارة إسلامية عربية إستطاع المؤلف أن يبرزها في أشكال رسومها وصورها وكل مظاهر الجمال فيها المرتبطة بالحرف العربي والآية القرآنية والحكمة البيانية.

ولا شك عندي، أن هذا العمل الجليل خير ما ينير السبيل لأجيالنا الناشئة ويربط حاضرها بماضيها المجيد ويرسم لها طريق المستقبل الذي يحفظ على هذه الأمة دينها وحضارتها ومميزاتها وقيمها ومقوماتها وهذا ما يجعل المؤلف الفاضل الدكتور عثمان عثمان إسماعيل حقيقا بكل تقدير وجديرا بكل تنويه.

وفق الله العاملين لازدهار حضارة العروبة والاسلام، وكل في حقل عمله، والله المسؤول أن يجزي كل من أحسن عملا.

الرباط 27 جمادى الثانية 1403
موافق 11 أبريل 1983

الهاشمي الفلالي أمين
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

تقريظ بقلم

معالي الأستاذ محمد العربي الخطابي

وزير الاعلام الأسبق الباحث والمفكر والأديب
مدير الخزانة الملكية وعضو أكاديمية المملكة
المغربية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لايصبح تاريخ الدول والرجال ذا معنى إلا حينما يكشف عن معالم الحضارة ويبرز مقومات الفكر والثقافة، وهو بدون ذلك يبقى تاريخا جافا خاليا من الروح مجردا من الدلالات الإنسانية التي تتجلى في المعتقدات والعلوم والآداب والفنون والصنائع.

وقد دأب الأستاذ المؤرخ الدكتور عثمان عثمان إسماعيل على البحث والتنقيب عن معالم حضارة الغرب الإسلامي مستهينا بالصعاب التي يلقاها الدارس عادة في هذا الميدان لأسباب عدة منها تبعثر المعلومات في بطون المؤلفات القديمة، وضرورة غربلة ما هو موجود في المراجع الأجنبية المتخصصة التي قد لا تخلو من لمزات أو أخطاء في الفهم والحكم، فضلاً عن المشاق التي يتطلبها التنقيب الفعلي عن تلك المعالم ودراستها في عين المكان ومقارنتها بغيرها والكشف عن خصائصها ومميزاتها بكيفية تحترم منهج البحث العلمي وتفسح للنظر الفاحص والاستنتاج القويم مجالاً واسعاً. وكلُّ هذا لا يتاح لغير الباحث المتخصِّص الذي تجتمع لديه المعرفة والمراس والقدرة على الملاحظة والمقارنة والاستنباط، فضلاً عن الولع بمادة البحث والانسجام معها جملةً وتفصيلاً.

لذلك فإنني قدرت المجهود الذي بذله الدكتور عثمان عثمان إسماعيل في تأليف كتابه الجديد «تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى»، فهو لم يقف عند حدِّ جمع مادة الكتاب وترتيب أجزائها ولمّ أطرافها ـــ وهذا في حد ذاته عمل شاق محاط بالصعاب ـــ بل إنه استخدم فكره، فحصاً وتحليلاً واستنتاجاً ـــ مستعيناً بما وهبه الله من علم في مسائل الآثار والتاريخ، وما منحه من عزيمة في سبيل الإبانة عن إسهام المغرب في بناء الحضارة الإسلامية الشامخة.

ولقد أحاط الدكتور عثمان بالموضوع إحاطة شاملة فتوسع في إبراز خصائص العمارة والصنائع الفنية المتصلة بها، وأفرد للخطّ والمسكوكات والصناعات المعدنية والرخامية والخشبية مكاناً رحيباً، وربط الفروع بالأصول، وفحص الأشباه والنظائر، وميَّز بين الأساليب والمدارس، ومهَّد لكل ذلك بمدخل ومقدمات لا بدّ منها، وحَلَّى كتابه بالصور والخرائط وما إليها، وأفرغ هذا الجهد كلَّه في قالب قوامه النظرة الإسلامية الشاملة التي تفسح لأجيال الإسلام وشعوبه مجالاً رحيباً للنبوغ والمهارة والإبداع، على اختلاف الناس والأزمنة والأمكنة.

ولا شكّ أن هذا الكتاب الحفيل سيملأ فراغاً كبيرا في الخزائن الإسلامية العربية، وسيجد فيه الطلاب والأساتذة وعموم القراء الفائدة المرجوّة والمتاع الفكري الذي تتيحه مطالعة الكتب الجادة.

والله تعالى يوفّق كلَّ من يخدم أمة الإسلام بالعلم والعمل وابتغاء مرضاة الله في السرِّ والعلن.

الرباط 8 ربيع الأول 1402
4 يناير 1982

محمد العربي الخطابي

تصدير العلامة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور

مؤرخ المملكة المغربية وعضو الأكاديمية الملكية
بكتابنا حفائر شالة الإسلامية

بقيت دراسة الآثار المغربية — إسلامية وغير إسلامية — قاصرة على العلماء الأوربيين والأمريكيين إلى سنوات متأخرة والكتابة عنها مما تنفرد به لغاتهم، فكان الباحثون عن ماضي المغرب والدارسون له من العرب يحسون بنقص كبير، بل ويشعرون بخجل عظيم، لأن دراسة الآثار واستنطاقها واستنتاجات الأركيولوجيين مصدر قيّم من مصادر المؤرخ، لا غنى له عن الاستعانة به للوصول إلى حقائق ملموسة كانت لولاها مجرد طلاسم وألغاز تحوم حولها الأفكار وتتضارب بشأنها الآراء لسكوت الصحف المكتوبة عنها وإغفال المؤرخين إياها.

وقد بدت بعض البوادر التي تبعث على التفاؤل بعد نهاية الحرب العالمية الأولى بما ألف بعض علماء المغرب من مؤلفات تاريخية ضمنوها أوصافاً لما تحتوي عليه مدن المغرب وقراه من مساجد ومدارس وقصور وحصون وحمايات وبروج، أو بما نقلوه إلى العربية بما كتبه عنها العلماء الغربيون، ولكن دراسة موضوعية متخصصة للآثار المغربية باللغة العربية لم تظهر لأول مرة إلا على يد الأستاذ الجليل العالم المقتدر الدكتور عثمان عثمان إسماعيل الذي ملكت آثارنا لبه وسلبت عقله فعاش إلى جانبها ومعها يوليها من عمله مثل الذي أولاها من حبه. ويرفع عنها الغبار ويجلو منها الصدأ لتبدو كالمرآة صقيلة تحدث رائيها وهي صامتة بأفصح لسان عما تقلبت فيه بلادنا المغربية من حضارة وعرفته طوال تاريخها من عمران.

عرفت الأستاذ عثمان عثمان إسماعيل منذ اختيار المغرب وطناً ثانياً له، ووصل بهجرته إليه وإقامته فيه ما لم ينقطع من هجرة العرب والمسلمين إليه وإقامتهم فيه على الرحب والسعة، فعرفت فيه الرجل المتواضع والعالم المقتدر، والمحب الصادق الذي أقام على حبه للمغرب وإخلاصه لملكه ألف دليل معرضاً نفسه أحياناً في سبيل الحب لأخطار الأنظمة الديكتاتورية المتربصة المتآمرة قريبها والبعيد، وأعجبت به وهو يقود الطلبة إلى خرائب شالة يكشف لهم

عن أسرارها ويشرح لهم ما يعمر به باطنها وظاهرها مثلما أعجبت به وهو يسير جندياً مجهولاً وسط مئات آلاف المتطوعين في المسيرة الخضراء، وطالعت بعض مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة فراعتني دقته في البحث وبداهته في الاستنتاج وإحاطته بالموضوع من جميع جوانبه وإلمامه بكل ما كتب عنه مثلما راعني أسلوبه الإنشائي وطريقته في الحجاج والمناقشة التي تدل على حيوية وروح نقادة وإذا كنت أراه يحمل التاريخ أحياناً مالا يتحمل ويفترض فروضاً تقوم قرائن كثيرة على ضعفها فما أراه إلا متأثراً بفكر العالم الأركيولوجي وطبيعته : يرى أثرًا قائماً ينطق بأنه راجع إلى عصر من العصور فيتشكك ويقول لابد من سبر للأغوار وبحث في الأعماق لعلنا نكتشف أنه قائم على أنقاض آثار أخرى ترجع إلى عصور سبقته، وعلى أي حال فإن فضيلة الرجل أن بصره وقاد وعقله نقاد، لا يسلم القول تسليماً لمجرد أنه صادر عن فلان أو وارد في كتاب.

نرجو أن يواصل الدكتور عثمان عثمان إسماعيل دراساته وأبحاثه عن الآثار المغربية، فكم في المغرب غير شالة من مدائن خربت، وربط درست، وقلاع طمست، وقصور ومدارس دثرت، انه ان فعل ذلك سيملأ فراغاً يحس به الباحثون والدارسون بمنتهى المرارة، ويفجر ينبوعاً غزيراً يرتوي منه كل متعطش لمعرفة ماضي المغرب الأقصى قريبه والبعيد.

وبما أن الخالق البارىء زاده بسطة في العلم والجسم فما أظنه إلا سيفعل اعترافاً بنعمه وشكراً لآلائه.

الرباط في يوم الأربعاء 21 شوال 1397
5 أكتوبر 1977

عبد الوهاب بن منصور

مؤرخ المملكة

المملكة المغربية
القصر الملكي

ضريح محمد الخامس

رقم 35

الرباط في 3 ربيع الثاني 1402
موافق 1982/1/29

من محافظ ضريح محمد الخامس
إلى جناب الدكتور عثمان عثمان اسماعيل
الرباط

الموضوع : كتاب عن ضريح محمد الخامس

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد، فإن مديرية ضريح الملك المرحوم محمد الخامس ترغب تأليف كتاب عن ضريح محمد الخامس يبين بكيفية علمية فنونه وروائعه ويشرح طرافته وبدائعه.

ولما هو معروف في جنابكم من كفاية واقتدار وفهم واسع للفنون الاسلامية والمغربية ارتأت ان تقترح على جنابكم تأليف هذا الكتاب.

فالمرجو إذا صادف منكم هذا الاقتراح استجابة ان تتصلوا بمحافظة الضريح لدراسة طرق انجاز هذا الكتاب والسلام.

توقيع محافظ الضريح

عبد الوهاب بنمنصور

تقريظ بقلم

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

مدير التعليم العالي ومدير مكتب تنسيق التعريب بالوطن العربي أستاذ الحضارة بالجامعات المغربية وعضو الأكاديمية الملكية بالرباط

يثري الدكتور عثمان عثمان المكتبة العربية وخاصة المغربية بفيض من الدراسات الميدانية في موضوع يكاد يكون بكرا هو (العمارة الإسلامية) وقد سبق للأستاذ أن أصدر الجزء الثالث من كتابه (حضارة شالة الإسلامية) ضمن سلسلة (حضارة المغرب العربي والأندلسي)، وهو يحتوي على سبعة فصول تنطوي على قسمين أولهما حول (الفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى) والثاني بخصوص (النقوش العربية).

وهذا الجزء امتداد لجزئين سابقين (تاريخ شالة الإسلامية وحفائر شالة الإسلامية) قدم الدكتور خلالهما دراسة مقارنة رصينة كمحاولة لتأصيل جانب هام من معطيات الحضارة المغربية وإبراز الدور الطلائعي الذي قامت به مدينة شالة الإسلامية كمدينة رائدة في فترة حسبها الكثير من المؤرخين حقبة جمود وخمود.

ويصدر الأستاذ الفاضل اليوم سلسلة جديد في خمسة أجزاء من بحوثه الشيقة استكمالا للمسار العام لهذا المقوم الحضاري الحيوي مبرزا إسهام المغرب في بلورة كيان الأمة العربية من خلال الأضواء الملقاة على مظهر خلاب من مظاهر أصالتها وهو (العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية).

وقد وفق الأستاذ فيما أدلى به من حجج تاريخية وأثرية حيث استخلص مظاهر الروعة في بادرات الأدارسة والزناتيين في الفترة التي سماها Gautier بالعصور الغامضة في تاريخ المغرب وقد تجلت هذه البادرات خاصة في مجالات أخاذة من المعمار العربي متبلورة في فنون الزخرفة والنقش التي يستشف الباحث من دقة تعاريجها ورقة مقرنصاتها وعمق خطوطها وتناسق أجزائها مشاعر الفنان المغربي الذي أشرف على إبداعها.

كما وفق الأستاذ عندما قسم «طرز هذه العمارة» إلى أربعة مظاهر مبرزا معالم هذا الطراز خلال أربع فترات وهي عهود الطراز المغربي العربي القديم (طراز البربر) والطراز المغربي

الاسلامي المبكر (من نشأة الاسلام إلى بداية عصر المرابطين) وهو ما سماه كوتيي بالعصور الغامضة ثم الطراز الأندلسي المغربي الممتد من عهد المرابطين إلى آخر الوطاسيين (أفرد له ثلاثة أجزاء) وأخيرا طراز الأشراف السعديين والعلويين الذي ضمنه الجزء الخامس والأخير من بحثه الشيق.

وهو يعرف (الطراز الأندلسي) بأنه هو الفن الذي أنتجه المسلمون بالأندلس منذ بداية فتح الأندلس عام 93 هـ حتى تاريخ (وقعة الزلاقة) وهو فن عربي إسلامي جمع بين المؤثرات القوطية المحلية الضعيفة والتقاليد البربرية منذ الفتح ثم التقاليد الشرقية الأموية بعد نجاح الإمارة ثم الخلافة الأموية مع الطابع الاسلامي للفن الاسلامي المشترك (ج 2).

تلك سمات بادرة خلاقة تستهدف الأصالة والتجديد في حيوية مبدعة تتجلى في ثناياها تطلعات الفنان نحو التطور الموصول لتجلية أفضل وتحلية أمثل. وهو تطور استجلاه الأستاذ الدكتور من هيكل التخطيط المعماري في المساجد والمدارس ومختلف مجالات العمران منذ عهد الأدارسة للكشف عن خصائصها ومميزاتها وأبعادها الفكرية والدينية والاجتماعية مع التركيز على مواد بعينها مثل الفخار والخزف والزليج بمختلف أنواعه في صور ناصعة لمختلف تركيباتها الزخرفية.

وقد حاول الأستاذ الدكتور تحقيق تاريخ بناء مدينة الرباط بالجزء الثالث فلاحظ ورود اسم (مدينة رباط الفتح) في فترة حكم الخليفة عبد المؤمن بن علي سبع مرات في نصوص من كتاب (المن بالامامة) لابن صاحب الصلاة تغطي فترة تبتدىء من عام 553 هـ إلى 558 هـ وهو تاريخ وفاة الخليفة في حين لم يستعمل ابن صاحب الصلاة هذا الاسم قبل ذلك أثناء عرضه لأحداث المنطقة وقد أورد أمر عبد المومن ببناء الدور والأسواق بموقع رباط الفتح حول قضية المهدية منذ 545 هـ مع تكرار اسم (رباط الفتح).

وقد فرضت استنتاجات الدكتور عثمان الرصينة نفسها حيث برزت حقائق تاريخية جديدة قومت أود ما تداوله بعض المؤرخين من أخطاء.

وقد وضع الدكتور بيبلوغرافية عن شتى فروع الحضارة الاسلامية حول العمارة والنقوش والعملة فاكتمل بذلك نسق هذه الدراسة الشيقة التي أسهمت في بلورة حقائق كان بعضها مجهولا في سلم ومقاييس الحضارة المغربية.

فهنيئا للأستاذ الدكتور بهذا التوفيق الذي نرجو أن يعقبه بحث جديد للكشف عن جوانب أخرى من حضارتنا المغربية.

وحرر بالرباط

عبد العزيز بن عبد الله

المملكة المغربية

الديوان الملكي

مستشار صاحب الجلالة

1-1018

الحمد لله وحده — والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

20 ذوالقعدة 1413

12 مايو 1993

ب.هـ/م

من مستشار صاحب الجلالة

إلى

الأستاذ الدكتور عثمان عثمان اسماعيل

- الرباط -

الموضوع : الاعلام بوصول كتابكم "تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقيه بالمغرب الأقصى".

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

، بعد ، تسلمت بيد الشكر والعرفان نسخة من كتابكم القيم " العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى - الجزء الثاني - عصر دولة المرابطين " الذي أرسلتموه هدية طيبة من فضيلتكم .

وأود بهذه المناسبة أن أعرب لكم عن عميق شكري وامتناني لهذه الالتفاتة الكريمة ، وأشيد بموسوعتكم التاريخية والأثرية والفنية ، التى أبرزت بكيفية جلية اسهام المعمار المغربي وتأثيراته على الفنون العربية والاسلامية ، وبالأخص الأندلس .

ولا شك أن هذا الانجاز العلمي الرفيع سيروي ظمأ أجيالنا المتعطشة لمعرفة جذور فنونها الضاربة بعمق فى تاريخ الحضارة الانسانية .

فجزاكم الله عن هذا العمل خير الجزاء ، وانا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يمدكم بالمزيد من الصحة والعافية والتوفيق ، لمواصلة أبحاثكم ودراساتكم الهادفة لخدمة التاريخ المعماري والفني لوطننا .

وتقبلوا فضيلكم فائق مودتي وأزكى تحياتي

مستشار صاحب الجلالة

القصر الملكي — الديوان الملكي

إمضاء : أحمد ابن سودة

لأستاذنا العالم المجاهد سيدي أحمد بن سودة خالص الود والتقدير على رعايته للباحثين في حقول الحضارة العربية الإسلامية.

دلائل الكتاب

الصفحة

دليل الموضوعات 19
دليل الصور والأشكال 26
دليل الخرائط الملحقة 35
دليل الأسر والدول الحاكمة 44
دليل للمراجع الرئيسية 443
معالم وتطور العمارة الإسلامية بإمارات ودول المغرب العربي وإسباني المسلمة .. 449
دليل مقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي 450
تعريف بالمؤلف وإنتاجه العلمي 461

دليل الموضوعات

الصفحة

الإهداء 3
تقريـظ 5
دلائل الكتاب 18
دليل الموضوعات 19
الفصل الأول : طراز الأشراف السعديين والعلوين طراز جديد : 43
- توطئة تاريخية لعصر الاشراف السعديين : 45
  - أصل الاشراف السعديين ونسبهم 45
  - ظروف نشأة الدولة 45
  - أهمية الدولة وإسهامها الحضاري 46
  - شجرة ملوك الاشراف السعديين 48
- الظروف التاريخية للطرز الفنية السابقة 49
- القرن التاسع مرحلة حاسمة في تاريخ الفن 50
- مؤثرات واتجاهات الفن الاسلامي على عصر الاشراف 53
- شخصية طراز الاشراف وحدوده 54

الفصل الثاني : العمارة الحربية في عصر الأشراف السعديين : 55
- سياسة السعديين الحربية ودوافعها 57
- انتشار أساليب العمارة السعدية في قلب افريقيا 57
- التحصينات والحصون : 58
- الابراج والبستيونات خلف أسوار فاس الجديد 58
  - برج تازا 58
  - برجا الشمال والجنوب بفاس 60

الفصل الثالث : العمارة الدينية في عصر الأشراف السعديين : 61
تطور المؤسسات الدينية والزوايا 63

زاوية سيدي سليمان الجزولي بمراكش مجموعة معمارية : 65
• تاريخ المسجد والزاوية 65
• تخطيط وعمارة المسجد 66
جامع المواسين بمراكش : 68
• تاريخ بناء المسجد 68
• تخطيط وعمارة المسجد 68
جامع باب دكالة بمراكش : 70
• تاريخ بناء المسجد 70
• تخطيط وعمارة المسجد 73
عمارة السعديين بصحن جامع القرويين 75
قبور الاشراف السعديين بمراكش : 80
• الشهرة والموقع والتاريخ 80
• الدراسة المقارنة وأبحاثنا الميدانية في هيئة العمارة والفنون 83
الفصل الرابع : العمارة المدنية في عصر الاشراف السعديين : 87
عمارة المدن : 89
• عمارة مدينة آسفي 89
• اختطاط مرسى اجادير 90
• سقاية المواسين والمارستان 90
• تشييد تارودانت 90
مسيرة المدارس والزوايا في العصر السعدي : 95
• مدرسة ابن يوسف بمراكش 97
• خزانة السعديين بجامع القرويين 102
• مراسم السكر 102
الفصل الخامس : الفنون التطبيقية في عصر الاشراف السعديين : 107
1 – قصر البديع الاثر الفني النموذجي لعصر السعديين : 109
• مكانة المنصور في مجالات الحضارة المعمارية والفنون 110
• تاريخ قصر البديع 111
• التخطيط والمبتكرات العلمية 113
• مختلف أنواع العمائر الاسلامية بقصر البديع 118
• الزخارف المعمارية والفنون بقصر البديع : 121

– المرمر والرخام والأعمدة والتيجان 121
– المقربص ومواده وفنون الزخرفة 123
– النحت والتماثيل 125
– الزليج والخزف 125
– الخشب 126
– الزخرفة والخط والكتابة 127
2 – نماذج أخرى من فنون السعديين : 129
• الرخام والجص والخشب بصحن القرويين 129
• العملة 138
• صناعة الساعات 134
• الاسطرلاب 134
• النسيج 145
• النقوش العربية 146
• فنون الكتاب 154
• العمارة الاسلامية والفنون في الشعر العربي ....
الفصل السادس : الدور الحضاري لدولة الاشراف العلويين : 171
• أولية دولة الاشراف العلويين 175
• مسؤولياتها التاريخية والظروف الداخلية والدولية 176
• الدور الحضاري لدولة الاشراف العلويين 177
• منجزات العلويين الحضارية في مجالات العمارة الاسلامية والفنون : 178
– المولى الرشيد 178
– المولى اسماعيل بَنَّاء العلويين 179
– المولى عبد الله بن اسماعيل 179
– سيدي محمد بن عبد الله 179
– المولى يزيد 1980
– المولى سليمان 180
– مولاي عبد الرحمن 181
– سيدي محمد بن عبد الرحمن 181
– مولاي الحسن الأول 181
– الطفرة المحمدية الحسنية 182

استجابة الانجاز المعماري والفني لتقنيات العصر الحديثة 183
الفصل السابع : العمارة الحربية في عصر الاشراف العلويين : 185
• تحصينات مدينة تطوان 187
• أسوار مكناس المحصنة وباب المنصور : 188
– الأســوار 188
– باب المنصور : 188
تخطيط الباب وعناصره المعمارية والزخرفية 188
تحليل العناصر المعمارية والزخرفية وأصولها التاريخية 189
القصبات العلويــة : 192
• سلسلة قصبات المولى اسماعيل 192
• قصبة بولعوان 194
• قصبة أحميدوش 194
القصبة الجديدة بأبي الجنود وقصبة الخميس : 195
• عمارة باب الجديد بالمهدية 196
• بناء حصن الصويرة 200
الفصل الثامن : العمارة الدينية في عصر الاشراف العلويين : 205
• عمارة مولاي اسماعيل بالضريح الادريسي بزرهون 207
• أعمال المولى اسماعيل بضريح مولاي ادريس الأزهر (الثاني) بفاس 208
• مسجد للاعودة بمكناس 211
• مسجد مولاي عبد الله بفاس الجديد 211
• جامع السنة برباط الفتح 211
• مسجد أهل فاس بالمشور الملكي بالرباط 213
• مسجد الروا بمكناس 215
• مسجد باب جيسة بفاس 215
• تأسيس المسجد الأعظم بالرصيف بفاس 215
• عمارة العلويين بجامع القرويين بفاس 218
• رسم القبلة داخل محراب القرويين 219
• مسجد ملينة والدراسة المقارنة مع مساجد الرباط العلوية 220
• مسجد باريس 243
• تجديد ضريح المعتمد بن عباد 244

● مجموعة ضريح محمد الخامس برباط الفتح : 245
– تحفة معمارية تدخل في عداد الآثار المسجلة ....
– عناصر المجموعة المعمارية ....
– مسجد محمد الخامس 245
– قبة الضريـح 252
– الاثر الفني النموذجي لطفرة الانبعاث بعد الاستقلال ....
● مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء 255
● مميزات المساجد العلوية :
1 – عودة تخطيط المساجد العلوية إلى الطراز المبكر........ 265
2 – أهم مميزات المساجد العلوية وخصائصها 267
3 – الغاء مسجد محمد الخامس لفكرة المجاز القاطع : 270
مصدر الفكرة ونقدها 372
تخطيط مسجد محمد الخامس يلغي فكرة المجاز 273
الفصل التاسع : العمارة المدنية في عصر الاشراف العلويين : 277
أولا : المدن المحصنة 279
ثانيا : المدارس العلوية والمتاحف : 280
● مدرسة الشراطين 280
● المدرسة العبدلاوية بفاس الجديد 282
● المدرسة المحمدية بفاس 282
● المتحف الوطني والمتحف التذكاري بضريح محمد الخامس 282
ثالثا : القصور العلوية 284
● قصور مدينة مكناس الاثر الفني النموذجي لعصر المولى اسماعيل : 286
– موجز تاريخ مكناس إلى بداية عصر العلويين 286
– عمارة مكناسة وقصورها العمل الفني النموذجي لعصر
المولى اسماعيل........................ 287
● قصر عبد الله بن اسماعيل المعروف بدار دبيبغ بفاس 294
● دار المخزن بمراكش 294
● قصور فاس الجديدة ....
● قصر الباهية بمراكش 295
● مشور الدكاكين وقصور الحسن بن محمد بن عبد الرحمن........ 295

• قصر البطحاء بفاس 298
• قصور دار السلام بالرباط الاثر الفني النموذجي لعصر الملك محمد الخامس 299
• قبيبات ودويرات علوية 299
رابعا : المساكن والدور المغربية في العصر العلوي 302
خامسا : السقايات والاقواس والقناطر 308
سادسا : البساتين والحدائق والرياض : 311
• بستان السلطان عبد الله بن اسماعيل بدار دبيبغ 311
• اجدال مراكش 311
• بستان آمنة المرينية 312
• اجدال الرباط 312
سابعا : مجموعة السدود الحسنية 314
ثامنا : المنشآت المعمارية الحديثة لاستغلال الفوسفات 317
الفصل العاشر : الفنون التطبيقية في عصر الاشراف العلويين : 319
أولا : الخشـب 321
ثانيا : الحجـر 345
ثالثا : الجـص 350
رابعا : الزليج والخزف والرخام 354
خامسا : الزخرفة المعمارية بضريح محمد الخامس 367
سادسا : المعـادن 372
• العملـة 372
• السـلاح 384
• الساعات والاسطرلاب 387
• الثريـات 388
• الحلـي 389
• فن الترصيع 392
• آلات النحاس وتوفر الفضة 392
سابعا : الصاع والامداد النبوية العلوية 393
ثامنا : النسيج 410

تاسعا : السجـاد 418
عاشرا : فن الكتابة والنقوش العربية 426
● العمارة الاسلامية والفنون في الشعر العربي 437

دليل الصور والأشكال

رقم الشكل	البيان	الصفحة

1 باب الشمس بطليطلة من فن المدجنين، بني منذ 1085م لتقدم حركة الردة إلى طليطلة قبل غيرها 51

2 عمارة المدجنين الدينية بسانتا ماريا لابلانكا بطليطلة 51

3 قاعة السفراء بالقصر باشبيلية من فن المدجنين الذي ساهم فنانون مسلمون في بنائه وزخرفته 52

4 برج الشمال بمدينة فاس، من منشآت الاشراف السعديين 59

5 برج الشمال بمدينة فاس، التخطيط الأرضي 59

6 تخطيط زاوية سيدي سليمان الجزولي بمراكش 66

7 زاوية سيدي سليمان الجزولي بمراكش، الداخل، الصحن والنبح 67

8 تخطيط جامع المواسين بمراكش 76

9 تخطيط جامع باب دكالة بمراكش 76

10 صحن جامع القرويين، قبة الخصة السعدية 77

11 قبة الخصة السعدية بصحن جامع القرويين، تفصيل العمارة والزخرفة 78

12 قبة الخصة الغربية بصحن جامع القرويين، تفصيل الزخارف والنقوش 79

13 جامع القرويين بفاس، داخل بيت الصلاة 79

14 تخطيط أضرحة الأشراف السعديين بمراكش كما وضعته مصلحة المباني الأثرية ونقله عنها جورج مارسيه قبل تصحيحنا للتخطيط. 82

15 قبور الأشراف بمراكش كما وضعته مصلحة المباني الأثرية ونقله عنها جورج مارسيه قبل تصحيحنا للتخطيط 82

16 قبور الاشراف السعديين بمراكش، العمارة والزخرفة 85

17 أضرحة السعديين بمراكش، تفصيل التغطية المعمارية وزخرفة الأسقف والعقود والجدران 85

18 عمارة وزخرفة أسقف الجامع الكبير بتارودانت 91

19 أ قصر البديع بمراكش، التخطيط العام 93
19 ب قصر البديع بمراكش، منظر عام للبقايا والآثار 93
20 مدرسة ابن يوسف بمراكش، زخارف الجص والزليج بالصحن 98
21 مدرسة ابن يوسف بمراكش، نقوش كتابية في الخشب والجص والمرمر 98
22 مدرسة ابن يوسف بمراكش، نقوش كتابية في الخشب والجص 98
23 مدرسة ابن يوسف بمراكش، التخطيط 99
24 مدرسة ابن يوسف، بمراكش واجهة بيت الصلاة 99
25 مدرسة ابن يوسف، بمراكش واجهة بيت الصلاة 101
26 مدرسة ابن يوسف، بمراكش واجهة بيت الصلاة 101
27 مصادر قصب السكر بالمغرب (عن برتبيه) 103
28 تخطيط الشبكات المائية 103
29 تخطيط التصميمات الصناعية لصناعة السكر بالصويرة القديمة بعد حفائر 1959م (عن برتبيه) 104
30 مصانع السكر باولاد مسعود، منظر عام 104
31 تفصيل عمارة مصانع السكر بعد سلسلة الحفائر التي اختتمتها دراسة برتبيه 105
32 مصانع السكر بعد الحفائر والدراسات الأخيرة، تفصيل آخر من العمارة 105
33 منظر عام للقناة الرئيسية وخزان التجميع بمصنع تازمورت 106
34 عدة نماذج من قوالب السكر القديمة 106
35 قصر البديع بمراكش، منظر عام لتخطيط بعض الصهاريج 116
36 قصر البديع بمراكش، آثار الدروج ببعض الجنبات 116
37 قصر البديع بمراكش، بعض النماذح من تيجان الأعمدة السعدية 122
38 قصر البديع بمراكش، نماذج أخرى من لتيجان الأعمدة السعدية 122
39 قصر البديع بمراكش، نماذج من الأعمدة السعدية 122
40 جامع القرويين بفاس، خشب منقوش بظلة الخصة الشرقية بالصحن من العصر السعدي 996هـ 130
41 صحن جامع القرويين، نقش في الخشب بقبة الخصة الشرقية التي شيدها المنصور السعدي سنة 996 هـ محل الخصة الحسناء 130
42 صحن جامع القرويين، لوحة منقوشة بعقد قبة الخصة الغربية من عصر المنصور السعدي 996 هـ 132
43 تاج عمود قديم أعيد استعماله في ضريح الأشراف السعديين بمراكش 133

44 نماذج من تيجان الأعمدة السعدية 133
45 التأثيرات المشرقية تتضح في زخرفة السعديين في عدة أمثلة : (A - B) زاوية للامسعودة بمراكش، (F) دار ابن عزوز بمكناس (C - D - E - G - H) ضريح السعديين بمراكش 136
46 ثريا السعديين بجامع الأندلسيين بفاس تعكس تبادل التأثيرات المشرقية والتركية مع فنون السعديين 136
47 تقصيل بعد الترميم والإصلاح 137
48 نماذج أخرى من عملة الإشراف السعديين 139
49 نماذج من عملة الأشراف السعديين 140
50 نماذج من عملة الأشراف السعديين 141
51 نماذج من عملة الأشراف السعديين 142
52 نماذج من عملة الأشراف السعديين 143
53 نقش شاهد قبر سيدي حرازم قرب مدينة فاس (1554م) 147
54 جامع القرويين، خشب منقوش بالخط الكوفي بخلوة الأسبوع العليا من عصر السعديين (970هـ) 148
55 جامع القرويين، خشب منقوش بخلوة الاسبوع العليا من عصر السعديين (970هـ) نقرأ فيه بقية من بيت الشعر (اختم بخير عملي قبل حلول الأجل) . 148
56 بدار السلاح بفاس، نفط الغالب بالله السعدي، منظر عام، فتحة النفط تجاه القارىء 151
57 بدار السلاح بفاس، نفط الغالب بالله السعدي، منظر عام، فتحة النفط تجاه القارىء 151
58 بدار السلاح بفاس، نفط الغالب بالله السعدي، تفصيل النقش الكتابي أسفله إسم الصانع المغربي (الحاج أحمد الغمق) 152
59 صفحة من مخطوط ابن ميمون الغماري المتوفى (917هـ) من رسالته (رسالة الأخوان من أهل الفقه وحملة القرآن) 156
60 صورة حوالة بعدة زمامات وعقود إيجار مؤرخة 6 محرم 990هـ 157
61 صفحتان من المصحف الأكبر الذي حبسه المنصور السعدي على الخزانة الكبرى بجامع القرويين (1011هـ) 159
62 حوالة حبسية من عصر السلطان محمد البرتغالي لصالح الأسرى المجاهدين ثم لجامع القرويين إذا لم يكن ثمة أسرى 160

63 قصبة تادلا (ق 11 أو 12هـ) عن بروسبير ريكار 195
64 عمارة باب الجديد بالمهدية بعد الإصلاح الأخير 198
65 حالة باب الجديد بالمهدية كما كان قبل الإصلاح سنة (1942م) 198
66 باب الجديد بالمهدية، تفصيل العمارة وعناصر الباب 199
67 باب الجديد بالمهدية، تفصيل العمارة وعناصر الباب 199
68 باب الجديد بالمهدية، تخطيط الباب بعد عبور المدخل 201
69 باب الجديد بالمهدية، الأسوار الدفاعية.......... 201
70 مدخل قصر القائد بالمهدية 202
71 مسجد قصبة المهدية 202
72 مدينة زرهون، منظر عام يتوسطه ضريح مولاي إدريس الأكبر 209
73 قبة ضريح مولاي إدريس الأكبر بزرهون بعد الإصلاح العلوي 210
74 صحن ضريح مولاي إدريس بعد التجديد 210
75 ضريح مولاي إدريس الأكبر بزرهون، بيت الصلاة 212
76 داخل قبة مولاي إدريس الأكبر كما أصبحت في العصر العلوي 212
77 تخطيط مسجد للاعودة بمكناس 214
78 تخطيط جامع مولاي عبد الله بفاس 214
79 باب عجيسة (جيسة) بفاس 216
80 تخطيط جامع عجيسة بفاس 216
81 جامع الشرابليين بفاس، الواجهة الجنوبية الشرقية للصومعة 217
82 جامع الشرابليين بفاس، تخطيط المسجد 217
83 تخطيط جامع ملينة برباط الفتح 224
84 جامع ملينة، الواجهة الرئيسية والمدخل البارز والصومعة 224
85 جامع ملينة، الصحنن وبيوت الطلبة على يمين الداخل 225
86 جامع ملينة، بيت الصلاة دون أسقف قبل التغطية والإصلاح الأخير 1409 هـ 1988م 226
87 جامع ملينة برباط الفتح، هندسة الأكتاف والعقود داخل بيت الصلاة 226
88 جامع ملينة، تفصيل العقود ومواد البناء والإطار المحيط بالعقد وصومعة المسجد 227
89 جامع ملينة، تفصيل هندسة وعمارة العقود 227
90 جامع ملينة برباط الفتح، مقطع طولي يبين عمارة وهندسة الصومعة 229

91 جامع ملينة، حلبة الصومعة المستمدة من هندسة عقود الفتحات بالواجهة .. 229
92 جامع ملينة، نصف برميل متقاطع للتغطية بدروج الصومعة 230
93 جامع ملينة برباط الفتح، تصميم التغطية بقبة الصومعة 230
94 تخطيط جامع ملينة برباط الفتح 232
95 تخطيط مسجد مولاي سليمان برباط الفتح 236
96 تخطيط مسجد سيدي فاتح برباط الفتح 236
97 تخطيط جامع نخلة برباط الفتح 237
98 تخطيط جامع الجزارين برباط الفتح 237
99 تخطيط الزاوية الناصرية برباط الفتح.................................... 238
100 تخطيط جامع عطية برباط الفتح 238
101 أ مجموعة مباني ضريح محمد الخامس التي شيدها الحسن الثاني فوق جزء
من أرض جامع حسان الموحدي برباط الفتح 246
101 ب موقع مجموعة الضريح من تصميم مسجد حسان 247
102 مسجد محمد الخامس، تخطيط الأساكيب والبلاطات داخل بيت الصلاة .. 249
103 مسجد محمد الخامس، تخطيط الاساكيب والبلاطات داخل بيت الصلاة .. 250
104 مسجد محمد الخامس، تفصيل هندسة السواري وتصميم العقود والزخرفة
المعمارية داخل بيت الصلاة 250
105 مسجد محمد الخامس، بيت الصلاة، الأساكيب والعقود جهة الغرب 251
106 مسجد محمد الخامس، بيت الصلاة، الأساكيب والعقود، جهة الشرق 251
107 ضريح محمد الخامس، القاعة الوسطى، حيث تلاوة القرآن وكسوة القبر .. 253
108 ضريح محمد الخامس، القاعة الوسطى، تفصيل زخرفة الجدران 253
109 ضريح محمد الخامس، القبة العليا من الخارج 254
110 مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، شهادة الإكتتاب لتمويل المشروع 257
111 مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، مجسم للوحدات الرئيسية بالمشروع ... 260
112 المسجد الجامع بدمشق، التخطيط 271
113 تخطيط البازيليكا 271
114 المسجد الجامع بدمشق، الواجهة الجنوبية حيث تظهر القبة وشكل النسر
المزعوم 274
115 المسجد الجامع بالقيروان، قبة الأغالبة المشيدة أمام المحراب 275
116 المسجد الجامع بالقيروان، التخطيط بعد أه هدم الأغالبة صف الأعمدة
المتوسط بيت الصلاة لخلق مساحة مربعة أمام المحراب 275

117 المسجد الجامع بالقيروان، قبة البهو على نهاية بلاط المحراب جهة الصحن .. 276
118 مسجد محمد الخامس، أسكوب المحراب أقل سعة من بقية الأساكيب 276
119 المدن المحصنة، قلعة أكادير 279
120 باب بوجلود، مدخل المدينة بفاس 280
121 دار المخزن بمكناس بعد الإصلاح والترميم (ق. 13هـ) 285
122 أسوار مدينة مكناس العلوية، باب منصور العلج أكبر وأوسع أبواب
لمغرب باب منصور العلج، تفصيل العمارة والزخرفة 289
123 باب منصور العلج، تفصيل 290
124 باب البرادعيين بمكناس 292
125 مكناس، ملحقات مدنية، الأسطبل العظيم بعمارته واتساعه من تشييد
المولى إسماعيل العلوي 293
126 قصر الباهية بمراكش، (ق 19م) التخطيط 296
127 قصر الباهية بمراكش، منظر عام لصهريج وقباب وأجدال القصر 296
128 قصر الباهية، تفصيل الزخارف المعمارية 297
129 قصر البطحاء بمدينة فاس 300
130 أ منزل علوي معاصر 305
130 ب منزب عربي معاصر بمدينة فاس 306
131 تخطيط منزل مغربي بمدينة فاس (ق 12 هـ) 306
132 فندق النجارين بمدينة فاس (ق 12 هـ) 307
133 سقاية النجارين بمدينة فاس، أشغال الزليج والجص والخشب المنقوش
والقرمود الأخضر 307
134 حي مولاي عبد الله (والنافورة) بفاس 313
135 أ سد مشروع قلبلة 315
135 ب سد بين الويدان 316
136 تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في العصر العلوي بمدينة مكناس،
دراسة باروكان 323
137 تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في العصر العلوي بمدينة مكناس،
دراسة باروكان 323
138 تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في العصر العلوي بمدينة مكناس،
دراسة باروكان 323

139 تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في العصر العلوي بمدينة مكناس، دراسة باروكان 324
140 تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في العصر العلوي بمدينة مكناس، دراسة باروكان 324
141 الأسقف الخشبية بمسجد محمد الخامس بالرباط 327
142 القباب الخشبية بمسجد محمد الخامس بالرباط 327
143 خشب مقصورة النساء بمسجد محمد الخامس بالرباط 328
144 منبر مسجد محمد الخامس بالرباط، العمارة و الهيئة العامة 334
145 منبر مسجد محمد الخامس، المدخل 334
146 منبر مسجد محمد الخامس بالرباط، تفاصيل العمارة والزخرفة 335
147 منبر مسجد محمد الخامس بالرباط، تفاصيل العمارة والزخرفة 335
148 منبر مسجد محمد الخامس بالرباط، تفاصيل العمارة والزخرفة 337
149 منبر مسجد محمد الخامس بالرباط، تفاصيل العمارة والزخرفة 337
150 عنزة مسجد محمد الخامس بالرباط، منظر عام للعمارة والزخرفة جهة الصحن 339
151 عنزة مسجد محمد الخامس بالرباط، بفصيل الزخرفة والنقش 339
152 عنزة مسجد محمد الخامس بالرباط، بفصيل الزخرفة والنقش 341
153 عنزة مسجد محمد الخامس بالرباط، بفصيل الزخرفة والنقش 342
154 عنزة مسجد محمد الخامس بالرباط، بفصيل الزخرفة والنقش 342
155 اشغال النقش في الحجر بمسجد محمد الخامس بالرباط 347
156 اشغال النقش في الحجر بمسجد محمد الخامس 347
157 أشغال النقش في الحجر بمسجد محمد الخامس 347
158 جامع الأندلسيين بفاس، زخارف الأسقف وأفاريز الجص، العصر العلوي (ق 11 هـ) 351
159 أشغال الجص بحائط القبلة بمسجد محمد الخامس بالرباط 352
160 أ خزف أزرق اللون من مميزات إنتاج مدينة فاس 355
160 ب نماذج من (الفخارين) بفاس بطبقة زجاجية زرقاء 355
161 أ زليج بجوفة وجاني المحراب بمسجد محمد الخامس 357
161 ب زليج الجدارن الداخلي والسواري داخل بيت الصلاة مسجد محمد الخامس .. 358
162 أ رخام علوي (قالة) من عصر مولاي سليمان 1234 هـ 361

162 ب رخام أعمدة محراب مسجد محمد الخامس والدراسة الميدانية للمؤلف .. 362
163 مجموعات من عملة الأشراف العلويين 373
164 مجموعات من عملة الأشراف العلويين 374
165 مجموعات من عملة الأشراف العلويين 376
166 مجموعات من عملة الأشراف العلويين 377
167 مجموعات من عملة الأشراف العلويين 378
168 مجموعات من عملة الأشراف العلويين 379
169 نماذج من عملة الأشراف العلويين المضروبة في بلنسبة 380
170 نماذج من عملة الأشراف العلويين المضروبة في باريس ولندن وبرلبن 381
171 نماذج من عملة الأشراف العلويين المضروبة في مصنع باريس 382
172 أسلحة معدنية علوية محفوظة بمتحف البطحاء بفاس 390
173 أسلحة معدنية علوية محفوظة بمتحف البطحاء بفاس 391
174 فن الترصيع في الخشب برف علوي من القرن (12 هـ) 391
175 بيان النماذج التي درسها بول باسكون 395
176 لوحة توضح توزيع النص على بدن المد أو الصاع 396
177 أ صاع صنع بمكناسة الزيتون بأمر مولاي إسماعيل العلوي سنة 1050هـ . 398
177 ب النص التأسيسي التاريخي على بدن صاع مولاي إسماعيل 1050هـ 398
178 النص التأسيسي التاريخي على مد نبوي من النحاس صنع سنة 1067هـ . 400
179 أ صورة مد نحاس أصفر صنع سنة 1100 هـ 401
179 ب النص التأسيسي التاريخي الموزع على بدن المد المصنوع 1100هـ 401
180 النص العربي بالإسناد المحفور في معدن المد النبوي المؤرخ 1130هـ 402
181 أ صورة المد النبوي المؤرخ 1167هـ 403
181 ب النص العربي بالإسناد المحفور على بدن المد المؤرخ 1167هـ 404
182 أ صورة المد المؤرخ 1177هـ 405
182 ب النص التاريخي المحفور على بدن المد المؤرخ 1177هـ 406
183 أ وب نص النقش التأسيسي التاريخي على بدن المد المؤرخ 1209هـ 407
184 أ صورة الصاع المؤرخ 1124هـ 408
184 ب النص التاريخي المحفور على الصاع المؤرخ 1124هـ 409
185 نسيج الحائطي والفراش التقليدي العلوي المعروض بمتحف البطحاء بفاس
منذ 1934م 412

186 لباس ونسيج المراسيم السلطانية الدينية لأمير المؤمنين الحسن الثاني المعاصر . 413
187 أمير المؤمنين الحسن الثاني ورجال الدولة باللباس الوطني من النسيج
المغربي وأنواع غطاء الرأس 414
188 أ نسيج راية مغربية من الموبر مدبجة بخيوط الذهب والحرير وآيات القرآن
الكريم موجهة إلى الحرب المقدسة بالجولان 1973 م 414
188 ب إعلام الجهاد المشاركة في المسيرة الخضراء 415
189 طرز تطوان، من شيشاون 416
190 طرز علوي من فاس (ق 18م) 416
191 طرز مدينة فاس بعقد صغيرة 417
192 طرز مدينة مكناس 417
193 طرز مدينة سلا بعقد مجدولة وعقد مصلبة 417
194 أساليب وصناعة فن السجاد بمصانع الرباط 420
195 أساليت وصناعة فن السجاد بزيان الأطلس المتوسط 420
196 مثال من سجاد زمور بالأطلس المتوسط 421
197 مثال من سجاد مرموشة بالأطلس المتوسط 421
198 مثال آخر من سجاد مرموشة 423
199 مثال من سجاد آيت أوزكيت بالأطلس الكبير 423
200 مثال آخر من سجاد آيت أوزكيت بالأطلس الكبير جنوب مراكش 424
201 حنبل جلاوة من الأطلس الكبير جنوب مراكش 424
202 التصميم والزخرفة التقليدية الشهيرة لزرابي الرباط 425
203 زربية مديونة بأحواز الدار البيضاء ذات صبغة مدنية كزربية الرباط 425
204 مصحف الأمير مولاي علي ابن سيدي محمد بن عبد الله كتب سنة
1182 هـ (1768 م) ومحفوظ بدار الكتب المصرية 430
205 مصحف الأمير مولاي علي المكتوب 1182 هـ ونقرأ بآخره :
إلى أعلا : (سعد الزمان) ثم (ودنا المنا) 430
وإلى أسفل (وساعد الاقبال) ثم (واجابت الأمال) ....
206 الطوابع الكبرى والصغرى التي استعملها مولاي يوسف ثم السلطان سيدي
محمد بن يوسف 435

دليل الخرائط الملحقة

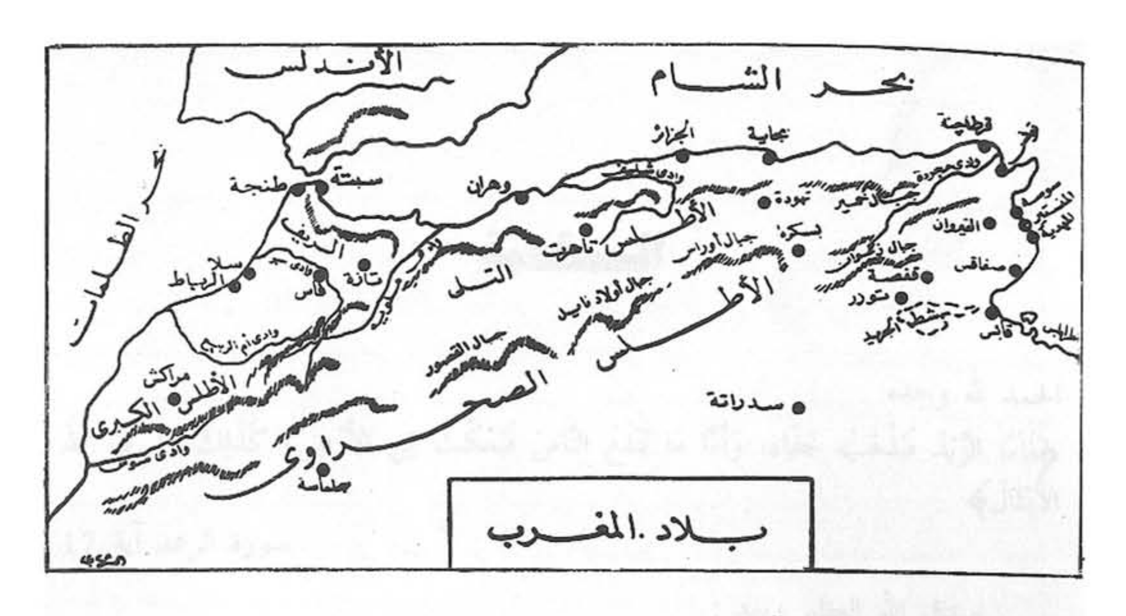
1 - بيان أفقي ورأسي لدول وإمارات الغرب الإسلامي
2 - خريطة الغرب الإسلامي الإفريقي
3 - خريطة الغرب الإسلامي الأندلسي

مصر	(إفريقية) تونس	المغرب الأوسط الشرقي	المغرب الأوسط الغربي	المغرب الأقصى	إسبانيا المسلمة
الدولة الأموية (40 - 132 هـ)					
الدولة العباسية من 132 هـ					الأمويون بقرطبة والدولة العامرية (422/138)
الدولة الطولونية (292/254)	الأغالبة (184 - 296)	الدولة الرستمية (292/144)	بنو مدرار 140 - 354	الأشراف الأدارسة (343/172)	
الأخشيدية 358/323	الدولة الفاطمية	بنو زيري 361 - 405	بنو حماد 405 - 547	الزناتيون 462/313	ملوك الطوائف بنو هود بنو عباد.. (484/422)
العبيديون (296 - 567)				المرابطون (539/462)	
الأيوبيون (648/564)	امبراطورية الموحدية (674/527)				
دولة المماليك (648 - 923)	الحفصيون	بنو عبد الواد ملوك تلمسان		المرينيون والوطاسيون (668 - 961)	بنو نصر بغرناطة سقطت 898
	العثمانيون من 923: بايات تونس	دايات قسنطينة	البيلربكوات ثم الباشوات فالدايات	الأشراف السعديون 956/916 1069	ملوك النصارى
				الأشراف العلويون من 1069	
دولة محمد علي من 1805 م	استعمار فرنسي			حماية فرنسية	
جمهورية من 1952 م	استقلال تام				

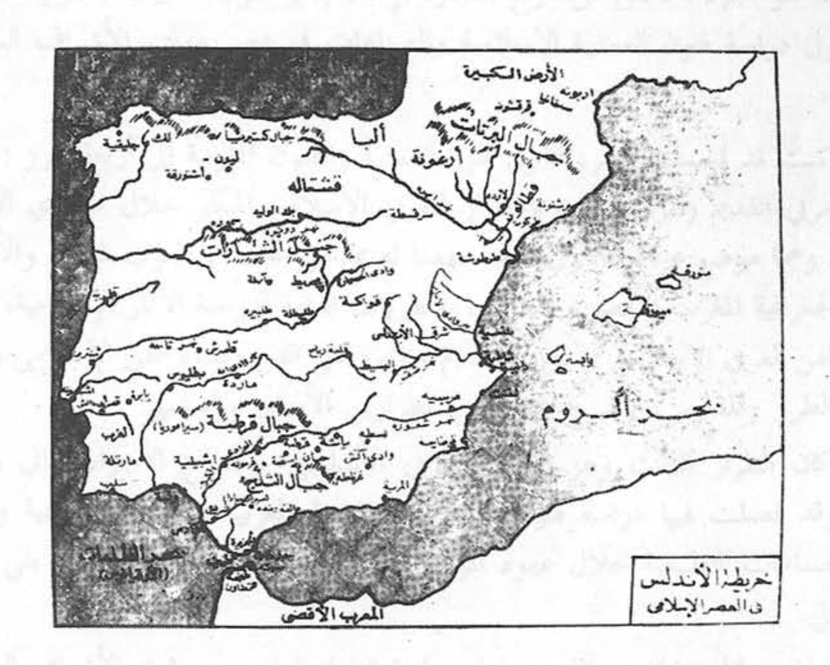
بيان أفقي ورأسي لدول وإمارات الغرب الإسلامي(*)

(*) – البيان بدون مقياس رسم، والدول لا تنشأ وتسقط في يوم وليلة وهو سبب تداخل تواريخ بداية ونهاية الدول.

– قصر المستشرقون اصطلاح شمال إفريقيا على تونس والجزائر ومراكش لعزلها عن مصر (وهي دولة شمال إفريقية جغرافياً) مركز ومحور اتصال المغرب العربي مع حضارة المشرق مهبط الوحي والموطن الأول للجنس العربي.



خريطة الغرب الاسلامي الافريقي



خريطة الغرب الاسلامي الأندلسي

المقدمة

الحمد لله وحده

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾

سورة الرعد آية 17

صدق الله العظيم وبعد :

هذا هو الجزء الخامس من تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، وهو يتناول دراسة فنون العمارة الإسلامية والصناعات في عصر دولتي الأشراف السعديين والعلويين.

وكنت قد قسمت بالجزء الأول طرز العمارة والفنون المغربية إلى أربعة طرز : الطراز المغربي العربي القديم (طراز البربر) والطراز المغربي الإسلامي المبكر خلال عصري الأدارسة والزناتيين وهما موضوع الجزءالأول، وقد مهدنا له بمدخل لحضارة المغرب العربي والأندلس، ومقدمة لجغرافية المغرب الأقصى، وتعريف بالنظريات العامة لدراسة الآثار الإسلامية، وينابيع وروافد الفن العربي الإسلامي ثم دور الإسلام وتأثيره على الفن ونشأة الفن الإسلامي وتطوره وظهور الطرز والمدارس، وشرح خصائص الطرازين الأموي والعباسي.

وكان الطراز الثالث وهز الطراز المغربي الأندلسي موضوع الأجزاء الثاني والثالث والرابع وقد فصلت فيها دراسة فنون العمارة الإسلامية المغربية : الحربية والدينية والمدنية، وفنون الصناعات التطبيقية خلال عهود المرابطين والموحدين وبني مرين وتابعيهم بني وطاس على التوالي.

وهذا هو الجزء الخامس الذي يتناول دراسة الطراز الرابع وهو طراز الأشراف السعديين والعلويين أصحاب الطبقة[1] الثانية.

---

(1) أما الطبقة الأولى للأشراف بالمغرب فيمثلها الأشراف الأدارسة.

كان الطراز الأندلسي بإسبانيا قد انتهى في أعقاب عصر ملوك الطوائف بضم المرابطين الأندلس إلى حظيرة المغرب وخضوع العدوتين لتأثيرات حضارية وفنية جديدة مشتركة أثناء عهود المرابطين والموحدين وبني مرين، تلك العهود التي ساد فيها الطراز المغربي الأندلسي بكل من القطرين، وبذلك تغير وجه الفنون الإسلامية التي عرفناها في الطراز المغربي الإسلامي المبكر نتيجة الحدث السياسي والحضاري إبتداء من عصر المرابطين إلى نهاية دولة المرينيين.

وإذا كانت شعلة الحضارة في الأندلس ظلت مضيئة بعد سقوط غرناطة بما تستعيره من فنون الطراز المغربي الأندلسي وعلومه وثقافته بفضل هؤلاء العرب المدجنين الذين دجنتهم ظروف متعددة عن اللحاق بموضع الهجرة الرئيسي بالمغرب، فإن الأم الحضارية الكبرى ونعني بها أرض المغرب الأقصى استبانت بوعيها الذاتي حتمية المؤثرات والاتجاهات السياسية والعسكرية الجديدة، فالتفتت إلى ذاتها واستدارت نحو إفريقيا واستجابت لظروف موقعها التاريخي سياسيا وعسكريا على ضوء حركة المد الصليبي الذي قصد المغرب بصفته واجهة الإسلام التقليدية مع ما أصاب وسائل الحرب من تطور وما استلزمه ذلك من تجديد وسائل العمران الدفاعية، إن تحول المغرب إلى واجهة عسكرية شمالية وغربية متطورة للدفاع عن شواطئه، قد أوقف إلى حين مده الحضاري شمالا، فاتجه نحو إفريقا يفرغ فيها عبقريته إلى أن وصلت حضارة الإسلام إلى عمق لم تعرفه من قبل.

لقد كانت تلك الظروف كافية لخلق شخصية جديدة وطراز جديد للفنون المغربية ابتداء من عصر الأشراف السعديين الذين توفرت لديهم ثروات هائلة داخلية وإفريقية لإنجاز مشاريع حضارية يجل وصفها تحدثنا بها آثار قصر البديع بمراكش.

وإذا كانت دولة الأشراف العلويين ورثت تلك الظروف عن السعدين، كما أنها عاصرت تطورا أكثر سرعة في وسائل الحرب والتقنية الحديثة وتكالب الاستعمار بأساليب لم تكن معروفة من قبل، فإنها تعلقت بأهداب الثقافة المغربية الأصيلة وما تنتجه في مجالات الفكر والعمل لتأكيد شخصيتها الذاتية التي واجهت بها الغزو السياسي والفكري والميكانيكي المتطور المتلاحق دون ضوابط وحدود.

وجد المغرب في ثقافته الوطنية وقدراته الموروثة خير دعم للشخصية المغربية وسط أهوال الأطماع المتلاحقة فعض بالنواجذ على تقاليده الأصيلة ثقافةً وبناءً وصناعةً، مع التطور الذي يواكب العصر، إلى أن أفلت ذلك التراث من يد الطامعين ليظل شاهدا على عظمة الإسلام ودور العروبة المجيد في المغرب الأقصى.

وهكذا وجدنا طرازا جديدا في عصر الأشراف السعديين والعلويين لاينفصل عن طرز الفنون السابقة دون أن يتجمد فيقف عند الحد الذي وصلت إليه.

ولعله مما يدعو إلى النفور من زيف المحاولات الاستعمارية إصرار بعض علماء الاستشراق وتأكيدهم على جمود الفن الإسلامي المغربي منذ أيام السعديين متغافلين عما حققه السعديون من مبتكرات علمية وأساليب فنية وتقنية في قصر البديع الذي يكفي وحده بما شمل عليه من مفاخر العمارة والفنون الجميلة ليجب كل ادعاء من هذا القبيل.

فإذا كانت الفنون الإسلامية قد تجمدت في المغرب حسب زعمهم منذ أيام السعديين، فمن الذي أنجز مجموعة قصور ومنشآت المولى إسماعيل بعاصمته الجديدة مكناسة، ثم من أنجز مجموعة ضريح محمد الخامس برباط الفتح وروائع الهندسة وتقنيات العمارة بمسجد الحسن الثاني بأندار البيضاء ؟

إن المغرب لم يستورد صناعاً وفنانين لإنجاز روائع العمارة والفن في ضريح محمد الخامس، بل أنجزها معلمون تعرفت عليهم واستمعت إليهم ووقفت منهم بنفسي على سر رعاية الدولة وحفاظها على نمو وتطور الأساليب الفنية في خطها التاريخي.

إن المغرب لا زال يصدر إلى عديد من دول إفريقيا وآسيا وأوروبا كبار البنائين ومشاهير المعلمين الفنانين في صناعات الحجر والجص والرخام والخشب والزليج وزملائهم من المزوقين والمزخرفين لتنفيذ الأعمال الفنية الكبرى على النمط المغربي التقليدي الذي لازال يدهش الآخرين باعتباره ممثلا لروعة الفنون الإسلامية في صورتها التاريخية.

ولهذا خصصت الفصل الأول من هذا الكتاب لتحديد شخصية طراز الأشراف السعديين والعلويين، ثم ثلاثة فصول لعمارة السعديين الحربية والدينية والمدنية، والفصل الخامس للفنون التطبيقية في عصر الأشراف السعديين.

وقد رأيت من الضروري أن أبدأ دراسة عصر الأشراف العلويين بالفصل السادس الذي بينت فيه الدور الحضاري لهذه الدولة على مسرح الحضارة المغربية ومدى استجابتها لتقنيات العصر الحديثة عمارةً وفناً، ثم اتبعت ذلك بأربعة فصول تتناول عمارة العلويين الحربية والدينية والمدنية ثم الفنون التطبيقية على نحو النمط والخطة التي إلتزمتها في بحثي لآثار العصور السابقة.

وهكذا نكون استعرضنا في الأجزاء الخمسة تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب السعيد منذ ما قبل الإسلام إلى اليوم، والله تبارك وتعالى خير مسئول أن يكتب لجهدي المتواضع النجح المأمول.

هذا، وإن كانت شخصيات مغربية علمية سامية ومسئولة قد تفضلت فنوهت بجهدي الفردي المتواضع لجمع حبات العقد الفريد، فلست أدعي لنفسي كشف السر (فإنه يعلم السر وأخفي) ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وهو سبحانه أعلم بما تحتضنه هذه

البلاد من أسرار العظمة وأسباب السمو منذ أن أشرقت الأرض بنور ربها وعترة آل البيت من الأشراف الأدارسة إلى الأشراف العلويين الذين ساروا بالحضارة على النهج القويم والصراط المستقيم وقالو (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد وصدق الله العظيم

دكتور عثمان عثمان إسماعيل

المملكة المغربية

رباط الفتح

الفصل الأول

طراز الأشراف السعديين والعلويين طراز جديد

أبحاث هذا الفصل :

توطئة تاريخية لعصر الأشراف السعديين :

- أصل الأشراف السعديين ونسبهم
- ظروف نشأة الدولة
- أهمية الدولة وإسهامها الحضاري
- شجرة ملوك الأشراف السعديين

طراز الأشراف السعديين والعلويين :

- الظروف التاريخية للطرز الفنية السابقة
- القرن التاسع مرحلة حاسمة في تاريخ الفن
- مؤثرات واتجاهات الفن الإسلامي على عصر الإشراف
- شخصية طراز الأشراف وحدوده

دليل الأسر والدول الحاكمة

1 – دولة الأشراف السعديين
2 – دولة الأشراف العلويين

الفصل الأول

توطئة تاريخية لعصر الأشراف السعديين

(915 - 1069 هـ ، 1510 - 1658 م)

أصل الأشراف السعديين ونسبهم :

يرتفع نسب أسرتهم الشريفة إلى محمد النفس الزكية من أبناء الحسين بن علي، فهم أحفاد الإمام عليه وسيدتنا فاطمة الزهراء وأسباط الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم بذلك أبناء عمومة الأشراف العلويين حاملي لواء الجهاد من بعدهم. وقد كان شرف الأسرة المنتسبة إلى أهل بيت رسول الله من أهم عوامل قيادتها للأمة المغربية وارتقاء كرسي الإمامة والخلافة منذ تأسست دولة الأشراف الأدارسة بالمغرب في القرن الثاني للهجرة[1].

وقد استقدمهم من ينبوع النخل بالحجاز أهل درعة بالجنوب المغربي تبركاً بهم، وكان أولهم وصولاً إلى المغرب المولى زيدان بن أحمد. ويقال أن تسميتهم بالسعديين كانت بسبب انتسابهم إلى بني سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليمة السعدية ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، أو لأن الناس سعدوا بهم، فالمهم أنه صار علما عند العامة والخاصة.

ظروف نشأة الدولة :

بالنظر إلى أحوال أوروبا والعالم العربي أيام بيعة أول ملوكهم الأمير (أبو محمد القائم) سنة 915هـ، يلاحظ تطور بأوروبا حيث اتجهت فرنسا إلى إصلاح جهازها العسكري والإداري كما ازدهرت الحياة الأدبية، وتم طرد المسلمين من إسبانيا، وانفصلت البرتغال عن المملكة الإسبانية[3]، وظهرت القوة العسكرية والحربية لخصوم شمال إفريقيا التاريخيين. وكما كان مجيء العثمانيين إلى شمال إفريقيا نتيجة الاعتداءات الأوروبية، كذلك كانت بيعة الأشراف

(1) دكتور صلاح العقاد : المغرب العربي ص 53، والإستقصا للسلاوي نشر الدار البيضاء 1955م ج 5 ص 3 إلى 6 ففيها جميع أقوال المؤرخين

(2) الاستقصا ج 5 وج 6

(3) دكتور إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ج 2 ص 271

السعديين جنوب المغرب نتيجة فشل الوطاسيين نهاية القرن الخامس عشر الميلادي في حماية البلاد وصد خطر الأطماع العسكرية والسياسية حتى آلت جميع موانئ المغرب تقريبا لأيدي البرتغال والأسبان، ولهذا استُقدم الأشراف السعديون لرفع لواء الجهاد الديني والسياسي وصد الغزو الأجنبي منذ نشأة الدولة إلى تاريخ آخر ملوكها العباس بن محمد الشيخ الأصغر 1069 هجرية.

أهمية الدولة وإسهامها الحضاري :

كان من المتوقع حدوث تضامن بين القوى العثمانية (على حدود المغرب الشرقية) والدولة السعدية بالمغرب الأقصى نظرا لوحدة هدفهما السياسي، غير أن فكرة السلطان سليم العثماني في تبعية السعديين للدولة العثمانية لم ترق محمد المهدي الذي تلقب بأمير المؤمنين وحرص على إستقلال المغرب السياسي فكان ذلك مبدأ النزاع بين الدولتين.

ومع أن ذلك النزاع قد أثر على اتجاه سياسة السعديين، غير أنهم بذلوا جهودا كبيرة في صد الغزو المسيحي والهجوم الأجنبي وكانت قمة نجاحهم في انتصار موقعة وادي المخازن (فرع من نهر اللكوس الذي يصب قرب مدينة العرائش بشمال المغرب) سنة 986 هجرية (1578م).

ومعركة وادي المخازن من المعارك الفاصلة في تاريخ شمال إفريقيا وشبه الجزيرة الإيبيرية على السواء حيث هزمت جيوش البرتغال في معركة الملوك الثلاثة التي حملت شهرتها التاريخية لمقتل ثلاثة ملوك بها وهم سباستيان والمتوكل الذي استعان به وعبد الملك السعدي. وبارتقاء أحمد المنصور الذهبي الملك بعد أخيه عبد الملك بدأ عصر النهضة والعظمة في تاريخ الدولة السعدية.

لقد كتب المنصور بالفتح إلى الخليفة العثماني وهنأته وفود القسطنطينية ومصر والجزائر وتونس وفرنسا وإسبانيا واستعاد المغرب وحدته الوطنية وهيبته السياسية وحققت الدولة أعمالا عمرانية جليلة ونشاطا اقتصاديا زاهرا وانتعش الإسلام وتوقف زحف التنصير الذي كاد يخترق المغرب إلى الجزائر فتغيرت نظرة المسيحيين إلى المغرب وتوقفت الأطماع الإستعمارية أمداً طويلاً.

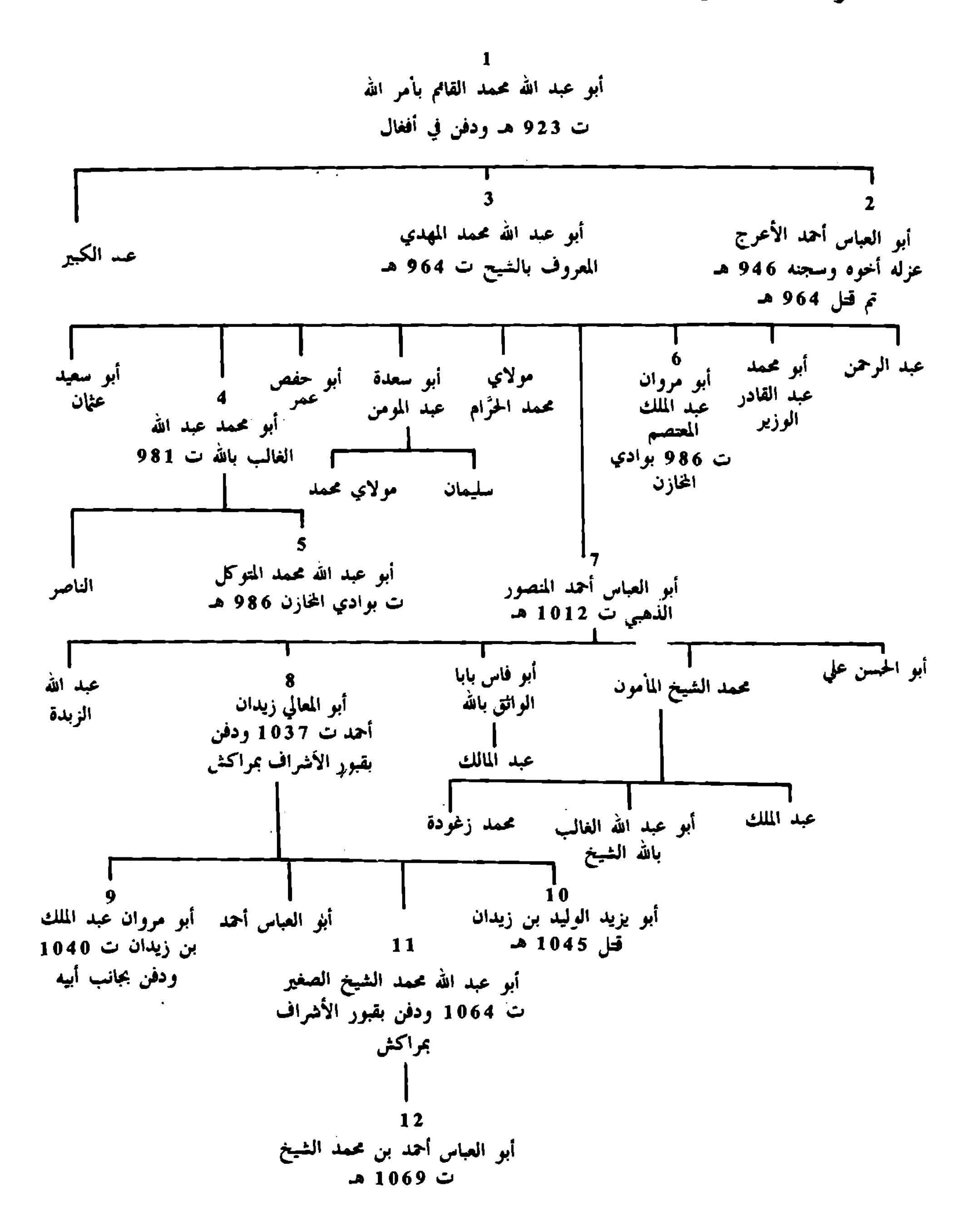
وكان لحكم المنصور أهمية كبرى في تاريخ المغرب الأقصى بتنظيم الإدارة الداخلية ونشر الإسلام قدما إلى حوض السينغال ودخول الدولة مضمار المحالفات والمنافسات التي ميزت العلاقات الأوروبية في ذلك التاريخ. كما حققت تجارة المغرب مع بلاد السودان التي فتحها

المنصور أرباحا طائلة باستبدال تراب الذهب بمنتجات المغرب مما ساعد على سد نفقات جيوش المغرب لنشر الإسلام وسط القارة وأعان على تنفيذ المشروعات العمرانية الكبرى[1].

وقد كان من مميزات ملوك السعديين تفتحهم على تطور الأساليب العسكرية وتجهيز الجيوش بأجهزة عصرية وإزدهار الدبلوماسية المغربية بعدد من الأساليب العسكرية وتجهيز الجيوش بأجهزة عصرية وإزدهار الدبلوماسية المغربية بعدد من الإتفاقيات والمعاهدات التجارية واكتساب الهيبة السياسية بالتقدم شرقا نحو الجزائر وترميم الحدود والنجاح في صد قدر كبير من الخطر المسيحي والأوربي والتقدم بالإسلام وسط القارة الإفريقية... وهكذا ازدهرت التجارة وتطورت الصناعة وعم الرخاء وتشيدت المباني والمؤسسات الحضارية بما فيها من منجزات وحيل هندسية وابتكارات معمارية وفنون وصناعات تطبيقية تركت آثارها في قصر البديع وقبور السعديين وغيرها من المآثر بما فيها من نقش وحفر وزخرفة وفرش وصنائع وبدائع حفظت تراث المغرب الحضاري المعماري والفني وسلمته رائقاً رائعا لأبناء عمومتهم الأشراف العلويين.

(1) مقالنا : دفاعا عن الإسلام والمغرب والمنصور، مجلة دعوة الحق الرباط أبريل 1977م

الأشراف السعديون



طراز الأشراف السعديين والعلويين

يبدأ بعصر الأشراف السعديين والعلويين طراز جديد في تاريخ العمارة والفنون المغربية. ونقصد بالطراز الجديد أو المدرسة الجديدة تلك المآثر المعمارية والفنية التي تتميز بمميزات خاصة منبثقة من وضعية متميزة عن وضعية الفنون السابقة وإن كانت غير منفصلة عنها.

الظروف التاريخية للطرز الفنية السابقة :

كان الطراز البربري وقد أسميته بالطراز المغربي العربي القديم[1] يقوم على أسس وطنية وعربية سابقة على الإسلام، مع تأثيرات اكتسبها من احتكاكه بالدول التي شهدتها أجزاء من أراضيه في التاريخ القديم الواحدة تلو الأخرى. ثم وجدنا الطراز المغربي الذي ابتدأ منذ صدر الإسلام وعصر الأدارسة إلى بداية عصر المرابطين يقوم على أسس جديدة إسلامية عربية خالصة عملا وإنتاجا وقد أسميته بالطراز المغربي الإسلامي المبكر[2]، حتى جاء الطراز الثالث وهو الطراز المغربي الأندلسي[3] مبتدئا بمحاولات المرابطين في الامتداد نحو الشرق بالمغرب العربي وكذلك شمالا بالأندلس الأمر الذي ما بدأ في تطعيم الفن المغربي بمؤثمرات أخرى واردة من الشرق عن طريق إفريقية الأغلبية والمغرب الأوسط، ومن الشرق مرة أخرى عن طريق فنون الأمويين بالأندلس، ثم جاء دور الموحدين فدفعوا بالفتوح المغربية شرقا إلى ليبيا وشمالا بالأندلس مؤكدين وضعية الاستمرار المغربي هناك مما زاد في ورود التأثيرات المشرقية والأندلسية مؤكدين وضعية الاستمرار المغربي هناك مما زاد في ورود التأثيرات المشرقية والأندلسية وتأثير المغرب الواضح على فنون الإسلام بالأندلس الأمر الذي استمر كذلك طيلة عصر المرينيين بالمغرب وبني نصر بغرناطة.

---

(1) كتابنا تاريخ العمارة بالمغرب الأقصى جزء أول

(2) نفس المصدر به التفاصيل التاريخية والمبررات الفنية.

(3) سميته المغربي الأندلسي بعد أن أطلق عليه المستشرقون ومن نما نحوهم (الأندلسي المغربي) L'arc Hispano Mauresque، التفاصيل بكتابنا المذكور الجزء الثاني والثالث

القرن التاسع مرحلة حاسمة في تاريخ الفن

ولكن القرن التاسع الهجري ينتهي تقريبا بسقوط المرينيين بالمغرب ونهاية دول الإسلام بالأندلس. وقد تبع المرينيين بالمغرب الوطاسيون الذين يعتبر عصرهم كامتداد لدولة بني مرين. ولكن الطراز المغربي الأندلس الذي مر بنا عرضه قد تغيرت وجهته بالأندلس عندما سقط بنو نصر وبدأ عصر جديد في الفنون الأندلسية وهو طراز المدجنين بأسبانيا.

فن المدجنين بأسبانيا :

والمدجنون هم المسلمون الذين ظلوا بالأندلس بعد زوال دول الأسلام منها وسقوط مملكة غرناطة. ومع هذا فقد استمر الفن الإسلامي أكثر من قرن في تقديم خدمات جليلة تحت إسم فن المدجنين[1] وهم المسلمون الذين عاقتهم ظروف إقتصادية أو مصالح خاصة عن الهجرة إلى المغرب بدينهم، فآثروا البقاء بالأندلس حرصا على مصالحهم. وقد كانت جذور الحضارة الإسلامية قد تأصلت في شبه الجزيرة إلى درجة يصعب تغييرها. ومن هنا فإن العناصر الإسلامية الفنية في المباني والمنتجات الزخرفية قد ظلت مستخدمة في بناء الكنائس المسيحية وتزيين العمائر الدينية والمدنية، الأمر الذي لازال خالداً أثره في باب الشمس[2] بطليطلة (المبنى سنة 1085م بسبب تقدم حركة الردة النصرانية إلى طليطلة قبل غيرها)، وعمارة المدجنين المدنية بسانتا ماريا لابلانكا بنفس[3] المدنية وقاعة السفراء بالقصر (ALCAZAR) باشبيلية الذي ساهم فنانون مسلمون في بنائه وزخرفته (أشكال 1، 2، 3). لقد امتزجت تلك العناصر المغربية مع العناصر المجلوبة من غالة التي قامت هي نفسها على أسس فن النهضة الإيطالية.

ومما لاشك فيه أن الفن المغربي الأندلسي احتل الصدارة وتميز باقبال اسبانيا المسيحية على تقليد فن المدجنين تلقائيا فترة طويلة، مما يؤكد دوام نبوغ الفن المغربي في الأندلس.

---

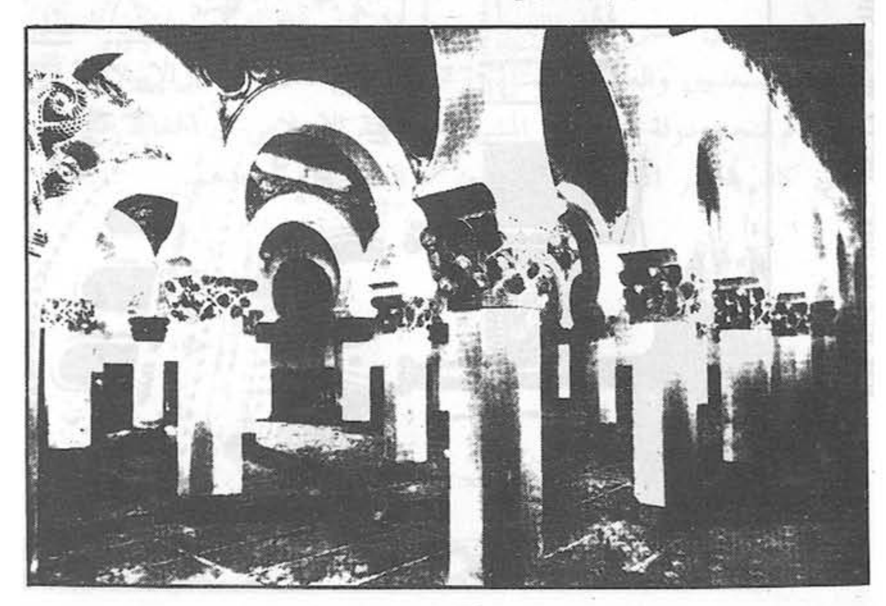
(1) عن المدجنين وفنونهم راجع : جورج مارسيه في العمارة الإسلامية، وكونل في الفن الإسلامي، وجوميث مورينو في الفن الإسلامي في اسبانيا

(2) نفس المصدر ص 863 الدراسة والرسم

(3) نفس المصدر ص 366 الدراسة والرسم



شكل 1
باب الشمس بطليطلة من فن المدجنين



شكل 2
عمارة المدجنين الدينية بسانتا ماريا لابلانكا بطليطلة

شكل 3

قاعة السفراء بالقصر باشبيلية من فن المدجنين الذي ساهم فنانون مسلمون في بنائه وزخرفته

مؤثرات واتجاهات الفن الإسلامي على عصر الأشراف

ومن ناحية أخرى فإن الأوضاع السياسية والعسكرية في المغرب منذ أوائل عصر الأشراف السعديين ابتداء من القرن العاشر الهجري قد تغيرت معالمها واتجاهاتها. فبعد أن كانت فيما مضى تتجه نحو الشرق العربي والأندلس الإسلامي أصبحت تتجه في المقام الأول إلى رد الغزاة الطامعين من البرتغال والأسبان في عصر دولة الأشراف السعديين وإلى التوغل في قلب إفريقيا. بينما نجدها على عصر الأشراف العلويين تهتم في الدرجة الأولى بالذود عن حدود البلاد، واسترجاع أراضيها المغتصبة من البرتغال والأسبان والفرنسيين.

ونحن إذا ألقينا نظرة على حالة المشرق العربي والعالم الإسلامي في فترة ظهور الأشراف السعديين والعلويين لوجدنا حالة من الخضوع والتفكك والإنحلال والإضمحال في شتى مجالات العلم والفن والأدب بل والشعر والموسيقى، فضلا عن العمارة والفنون. ولعل هذا كان دافعا المغرب إلى المحاولة الكبرى في الحفاظ على تراثه الحضاري معماريا وفنيا وسد حدوده عليه بحكمة واقتدار لصيانة ذلك التراث مما أدى بالبعض إلى الزعم بأن فنون المغرب معماريا وزخرفيا قد تجمدت في عصر الأشراف وحرمت الإبتكار والتطور علما بأن الفضل الأكبر لعصر الأشراف السعديين والعلويين يتمثل في الحفاظ على ذلك التراث الإسلامي في العمارة والفنون الذي لم تنجح دولة أخرى في المشرق أو العالم الإسلامي في الحفاظ عليه إبان عصر الركود الذي كان يعاصر الأشراف السعديين ثم العلويين من بعدهم.

شخصية طراز الأشراف وحدوده الجغرافية والتاريخية

ولعل هذه الفكرة قد تلقي لنا الآن ضوءا كافيا على شخصية الفنون المغربية في عصر الأشراف السعديين والعلويين التي استمدت أصولها الحقيقية من عناصر الطراز المغربي الأندلسي في الخصائص الوطنية وزيادة الإحتكاك مع إفريقيا والسودان.

وهكذا يبدأ طراز العمارة والفنون المغربية على عصر (الأشراف السعديين والعلويين) ابتداء من أوائل القرن العاشر حوالي عام **916** هجرية إلى نهاية عصر دولة الأشراف السعديين في أواخر الربع الثالث من القرن الحادي عشر وبالذات عام **1069** هجرية عندما تبدأ دولة الأشراف العلويين ابتداء من ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا من القرن الخامس عشر الهجري. ومن الطبيعي أن مجال ذلك الطراز كان المملكة المغربية بحدودها المعروفة في ظروف تلك الدولتين السياسية والحربية بما يشتمل ذلك عليه من حدود إفريقية في جنوب المملكة المغربية.

الفصل الثاني

عصر الأشراف السعديين
العمارة الحربية في عصر الأشراف السعديين

أبحاث هذا الفصل :

- سياسة السعديين الحربية ودوافعها
- انتشار أساليب العمارة السعدية في قلب إفريقيا
- التحصينات والحصون :
- الأبراج والبستيونات خلف اسوار فاس الجديد
- برج تازا
- برجا الشمال والجنوب بفاس

الفصل الثاني

العمارة الحربية في عصر الأشراف السعديين

سياسة السعديين الحربية ودوافعها :

ولابأس من الإشارة أولا قبل ذكر أشهر المعالم الحربية في العمارة التاريخية لعصر السعديين، إلى الغزوة الكبرى لوادي المخازن على مقربة من قصر كتامة الذي انتصر فيها السلطان أبو مروان المعتصم بالله السعدي على الطاغية سبستيان البرتغالي في شهر جمادى الأولى سنة 986هـ. وهي المعركة التي قادها أحد ملوك الأشراف بالمغرب محمولا على محفته، حتى مات متأثرا بمرضه، وقد أخفي نبؤ وفاته حتى تم للمسلمين الإنتصار وقُتل الطاغية سبستيان عظيم البرتغال غريقا في الوادي. وقد غنم المسلمون غنائم لم يحدث مثلها قط بالمغرب إذ لم يتقدم للنصارى خروج على هذه الصورة. وقد كتب ملك المغرب إلى صاحب القسطنطينية العظمى السلطان مراد بن سليم العثماني وإلى سائر ممالك الإسلام فجاءته وفود المهنئين من سائر الأقطار حتى من قِبَل طاغية البرتغال نفسه بعد سبستيان. كما وردت وفود طاغية الإسبانيول صاحب قشتالة بهدية عظيمة منها اليواقيت الكبار التي انتزعها من تاج آبائه وصُندوق مملوءٌ بفاخر الدر والزمرد وكان من بينها هدايا السلطان العثماني سيف محلى لم ير مثله مضاء وصفاء متن كما قدمت هدايا طاغية فرنسا وتوافدت الوفود من كافة الأنحاء والممالك إلى المنصور خشية بأسة ومضاء عزيمته وقوة جيشه وبلاء رجاله. كما دانت إليه القرى والمداشر سنة 990 للهجرة ودخل في طاعته صاحب مملكة (برنو) من ملوك السودان سنة 990 وعمد المنصور إلى منازلة أمير السودان صاحب (كاغو) سعيا وراء جمع كلمة المسلمين.

انتشار أساليب العمارة السعدية في قلب إفريقيا :

وقد اختط المنصور بذلك سياسة الأشراف عبر الصحراء المغربية إلى قلب السودان إيمانا منه بأن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الأندلس ومقاتلة الافرنج، وأن الموحدين اقتفوا سبيلهم في ذلك المضمار وزادوا عليه بحرب ابن غانية، أما المرينيون فكانت غالب وقائعهم مع بني عبد الواد بتلمسان. بينما يشهد عصر الأشراف انسداد باب الأندلس باستيلاء العدو الكافر عليه وانقضاء حروب تلمسان باستيلاء الترك على تلك النواحي. ولعل هذه السياسة تفسر لنا خطة العمائر والفنون المغربية في الأنتشار والرواج والتأثير عبر الصحراء المغربية إلى قلب للقارة السمراء.

التحصينات والحصون :

ويفسر لنا ذلك من ناحية أخرى عناية الأشراف بالتحصينات والحصون والأسوار، فقد بنى المنصور المعقلين الكبيرين اللذين انشئا بفاس، أحدهما خارج (باب عجيسة) والآخر قبالة باب الفتوح ويعرف هذان المعقلان عند العامة بالباستيون وهما من الإتقان بحيث لا يعرف قدرهما إلا من وقف عليهما. وكان الشروع في البناء في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة 990. وكان من ذلك أيضا حصنان بناهما المنصور بثغر العرائش أحدهما يعرف بحصن الفتوح في نهاية الوثاقة والحسن[1].

الأبراج والبستيونات خلف أسوار فاس الجديد :

يرى الباحث المحقق المغربي الأستاذ محمد المنوني[2] أنها ليست من عصر الدولة المرينية بانية فاس الجديد، وإنما ترجع إلى عصر السعديين يدل لهذا شكلها المطبوع بطابع سعدي، وبدليل ما ذكره صاحب مناهل الصفا أن المنصور السعدي أدار بهذا البلد أبراجاً ضخمة لصق سوره.

برج تازا (المعروف بالبستيون) :

وكان من عمارة السعديين الحربية كذلك برج تازا المعروف أيضا بالباستيون وهو عبارة عن بناء مربع الشكل طول ضلعه ستة وعشرون مترا ويرتفع بمقدار عشرين مترا من الناحية الخارجية للمدينة يشتمل على عدة مستودعات للماء والزاد والأدوات والمعدات الحربية. ويؤدى المدخل بالواجهة الغربية إلى ممر يبلغ طوله خمسة أمتار يصل إلى ساحة مربعة تقريبا (30 . 13 × 30 . 11م)\ وقد بلطت تلك الساحة بالآجر ورفعت فوق مستودع للماء تنصب فيه مياه الأمطار. ويتصل المستودع المذكور بمستودع أعظم منه يدعى برج الماء تتجمع فيه مياه الجبال الشاهقة المحيطة بتازا. وقد بني البرج بالتابية (pisé) بينما وضع الآجر بالأركان ثم الآجر مع الحجر في الفتحات.

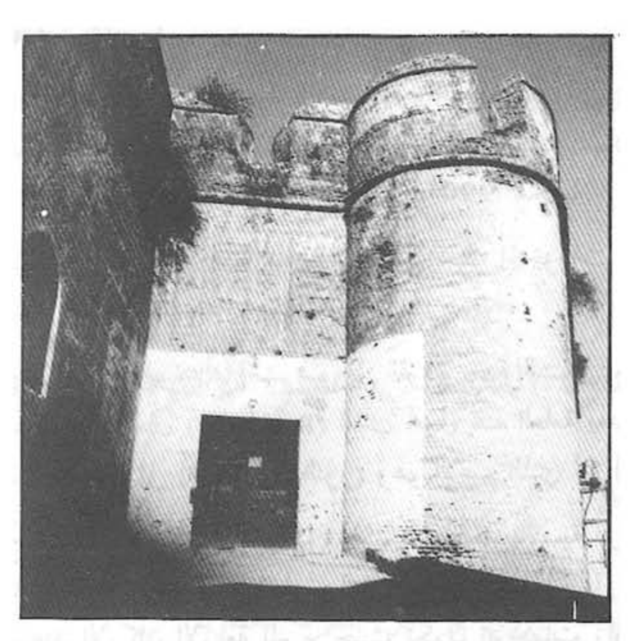
وقد ذكر مارسيه أنه لا يوجد نص تاريخي ثابت لتأريخ ذلك البرج غير أننا يمكن ارجاعه إلى النصف الثاني من القرن العاشر الهجري على أساس دراسة كامباردو وتيراس. أما آثار النقوش المحفورة بالملاط التي تمثل شكل سفن أوروبية مرسومة فوق جدران البرج فإنها ترجع إلى عصر متأخر بينما العمارة ذاتها ترجع منطقيا إلى عصر المنصور السعدي كموقع دفاعي لمملكته أيام عدوان الأتراك المحتمل بالجزائر بدليل تأسيس البرج في الركن الجنوبي الشرقي للمدينة التي كانت تمثل طريق الوصول إلى المغرب.[3].

(1) الاستقصا 190/5

(2) محمد المنوني : ورقات ص 25

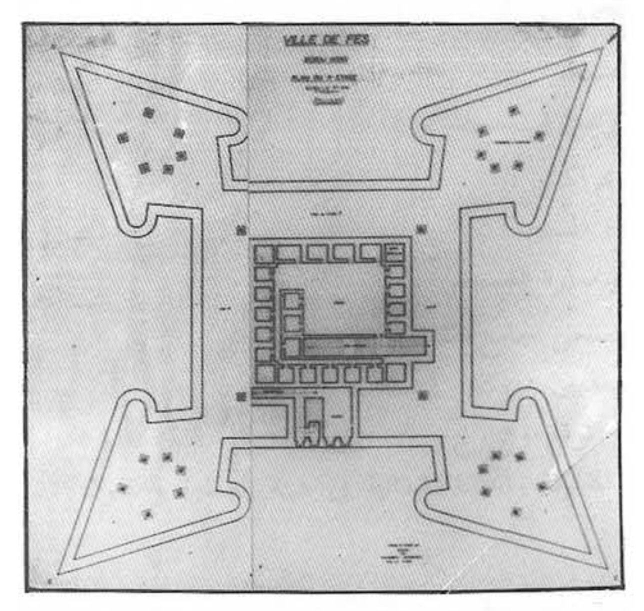
(3) G.Marçois : L'archit. Mus. P. 405 - 406

Campardou et H. Terrasse : Le Bastion de Taza, archive Berbères 1918, P. 109



شكل 4

برج الشمال بمدينة فاس، من منشآت الاشراف السعديين



شكل 5

برج الشمال بمدينة فاس، التخطيط الأرضي

برجا الشمال والجنوب بفاس :

ويعرف كل من البرجين كذلك باسم (باستيون) ولعله إسم أوروبي إيطالي الأصل وقد أسس البرجين المنصور السعدي سنة 1582م وقد سبق لنا عرض نص السلاوي في الإستقصا بالشروع في البناء الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة 990 هجرية.

ويهدف تأسيس البرجين إلى حماية مدينة فاس من خطر الهجومات الخارجية ولإضفاء المهابة والجلال كذلك على المدينة التاريخية[1].

ويرتفع البرجان فوق الربوة التي تشرف على الموقع جهة الشمال وناحية الجنوب مما أكسب أحدهما إسم برج الشمال (Borj Nord) الذي تحول عنه العامة بعد تكرار استخدامه بالنطق الفرنسي وقت الحماية إلى إسم (برج النور) وهو الإسم الذي لازال شائعاً إلى اليوم.

ويتكون برج الجنوب من بروز مستطيل معقد التخطيط بالنسبة لبرج تازا بينما خضع برج الشمال لعمليات تحويل عديدة على طول التاريخ، وهو يشتمل على نواة مربعة يغلب أنها أصلية ومدعمة عند الأركان الأربعة للبرج حيث تكون الوجهات زاوايا حادة (أشكال 4 – 5)

(1) جورج مارسيه : نفس المصدر ص 406

الفصل الثالث

عصر الأشراف السعديين
العمارة الدينية في عصر الأشراف السعديين

أبحاث هذا الفصل :

تطور المؤسسات الدينية والزوايا

زاوية سيدي سليمان الجزولي بمراكش مجموعة معمارية :

- تاريخ المسجد والزاوية
- تخطيط وعمارة المسجد

جامع المواسين بمراكش :

- تاريخ المسجد
- تخطيط وعمارة المسجد

جامع باب دكالة بمراكش :

- تاريخ بناء المسجد
- تخطيط وعمارة المسجد

عمارة السعديين بصحن جامع القرويين

قبور الأشراف السعديين بمراكش :

- الشهرة والموقع والتاريخ
- الدراسة المقارنة وأبحاثنا الميدانية في هيئة العمارة والفنون

الفصل الثالث

العمارة الدينية في عصر الأشراف السعديين
تطور المؤسسات الدينية والزوايا في العصر السعدي

طرح الدكتور محمد حجي في بحث قدمه لمؤتمر المستشرقين الألمان في برلين[1] عدة آراء ذات قيمة عند دراسة المؤسسات الدينية في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد. ومن البداية لاحظ أن نفوذ الأشراف السعديين في العقود الأولى من القرن السادس عشر للميلاد (ق. 10هـ) كان مقتصرا على الجنوب بالإضافة إلى أن ريحهم قد ذهبت قبل نهاية القرن السابع عشر (ق. 11هـ) بنحو ثلاثين سنة مما يتضح أثره فيما بعد.

والواقع أن المؤسسات الدينية من مساجد وزوايا ومدارس لم تلق العناية بها ولم تمتد إليها يد الإصلاح والترميم وتمويل نفقات التسيير طوال عصر الوطاسيين اتباع بني مرين الذين عجزوا عن إقرار الأمن ومواصلة مشاريع الإنماء الإقتصادي فنقصت مداخيل الأحباس وظهر العجز المالي للدولة، وقد سجل ذلك الحسن الوزاني بكتابه وصف إفريقيا بمشاهداته المباشرة في مراكش وفاس وغيرها.

لكن الوضع يتغير بالنسبة لأسرة الأشراف السعديين التي تتحمل بالنسب الشريف مسئولية الجهاد الديني للتحرير السياسي والإصلاح الإقتصادي والاجتماعي، وقوام ذلك كله اشعال الحماس الديني وانقاذ المؤسسات الدينية وبعث الروح فيها من جديد.

وهكذا بدأت العناية بإصلاح وتوسعة وتجديد مآثر معمارية دينية تاريخية عديدة كما تأسست منشآت أخرى لدعم المد الروحي اللازم للجهاد الحربي، وهكذا استعاد جامع الكتبية نضارته وحيويته ونشاطه، واسترجع جامع القرويين مكانته وزادت مرافقه وملحقاته، وانتشرت مساجد البادية بسوس كجامع تيلكات بجبل آيت حامد على أحد روافد نهر ماسة.

وتطورت الزوايا على عصر السعديين لتصبح تجمعا بشريا يتطور على هيئة قرية أو مدينة، وقد اندثرت زاويتا الدلاء القديمة والحديثة المدينتين بالجبل والسهل، وبقيت زاوية تمكروت

(1) د. محمد حجي : المؤسسات الدينية بالمغرب، مؤتمر المتشرقين الألمان، برلين شهر مارس 1980م

الناصرية بدرعة والزاوية العياشية بالأطلس الكبير وزاوية سيدي رحال بضاحية مراكش وزاوية زرهون ناحية مكناس، وكان لبعضها فضلاً عن مهمة العبادة والتعليم آثار كبيرة في نشر العلم وازدهاره على مستوى المغرب.

وكانت الزوايا الحضرية هي الآخرى كثيرة الأتباع متعددة الأنشطة كزاوية الشيخ أبي المحاسن الفاسي بحي المخفية وزاوية حي القلقيين أسسها الشيخ العارف عبد الرحمن الفاسي بفاس وزاوية حي العيون بتطوان التي عرفت نشاطا علميا بدروس محمد العربي الفاسي

وقد تطور وضع بعض الزوايا أواخر حكم السعديين إلى شبه إمارات بتجهيزاتها العسكرية وسلطات شيوخها الدينية والمدنية حتى عرفت الفترة الأخيرة من حكم السعديين بفترة أمراء الزوايا الذين ضربوا السكة وخطب بأسمائهم على المنابر

الزاوية المغربية في العصر السعدي :

درس الأستاذ عبد الجواد السقاط في مقالين بمجلة دعوة الحق[1] الزاوية السعدية من الناحية التاريخية والدينية ثم من الوجهة العلمية والأدبية فدرس الزاوايا : الفاسية والدلائية والعياشية والناصرية المتكروتية و الفجبجية والهبطية والأغصاوية، والزوايا الياصلوتية والخياطية والوزانية، وتكمن بذلك من إبراز الإسهامات الفكرية والثقافية لعلماء تلك الزوايا وأهميتها خلال عصر الاشراف السعديين وما يترتب على ذلك من تقييم لأهمية المؤسسات المدنية بعمارتها وتجهيزها المناسب للقيام بذلك الدور النشيط.

---

(1) عبد الجواد السقاط : الزاوية المغربية في العصر السعدي، دعوة الحق الرباط أبريل 1989 ص 78 وما بعدها

مسجد زاوية سيدي بن سليمان الجزولي بمراكش

تاريخ المسجد والزاوية :

في مدينة مراكش غير بعيد عن ضريح الأشراف السعدين توجد مجموعة معماري تشتمل على مسجد وضريح ومَسْيِّد (كُتَّاب) وسبيل ومضيفة وحمام تعرف جميعها بزاوية سيدي بن سليمان الجزولي. (أشكال 6 – 7)

لقد درس جورج مارسيه هذه المجموعة المعمارية وقال أنها منسوبة إلى سيدي الجزولي صاحب الطريقة الجزولية الذي نقل جثمانه إلى مراكش بأمر السلطان الأعرج السعدي حوالي سنة 1554م[1] وهي تقابل سنة 962 للهجرة.

ولعلنا من الوهلة الأولى نستطيع أن نلاحظ عدم صحة التاريخ المذكور وهو سنة 962 للهجرة إلى جانب إسم السلطان الأعرج السعدي ذلك أن السلطان محمد المهدي المعروف بالشيخ الذي كان يستوزره أخوه الأكبر أبو العباس الأعرج انتفض عليه وغلبه واستولى على ما بيده وأصبح ملكا مستقلا سنة ست وأربعين وتسعمائة[2] وقد قبض على أخيه المخلوع وأولاده وأدعهم السجن ثمان عشرة سنة إلى أن قتل السلطان المخلوع أبو العباس الأعرج يوم مقتل أخيه محمد المهدي المعروف بالشيخ سنة أربع وستين وتسعمائة[3]

وهكذا فان عام 962 للهجرة الذي اورده جورج مارسيه كتاريخ لنقل السلطان الأعرج لجثمان الجزولي إلى مراكش غير مقبول حيث أوضحنا أن السلطان الأعرج قد نحي عن السلطة وأودع السجن ابتداءً من عام 946. وتبدأ القصة بوفاة السلطان القائم بالله بآفغال من بلاد حاحا سنة 923 هجرية ودفنه هناك بازاء ضريح الشيخ أبي عبد الله بن سليمان الجزولي الذي كان موضع الاعتقاد حيا وميتا[4]. ثم أن السلطان أبو العباس الأعرج بن القائم بالله الذي كان قد دفن والده أولا بازاء ضريح الشيخ المذكور بآفغال فإنه بمجرد أن ملك مراكش واستقر له الأمر فيها بادر بنقل الشيخ الجزولي إلى مراكش ونقل أباه معه فدفنه بقربه أيضا (وكان ذلك في حدود الثلاثين وتسعمائة[5].

(1) جورج مارسيه : العمارة الإسلامية ص 386 شكل 239.
(2) الاستقصا ج 5 ص 18.
(3) نفس المصدر ص 34.
(4) ورد في أخبار عمرو السياف من أصحاب الشيخ الجزولي أنه لما توفي الشيخ المذكور جعل جثمانه في تابوت وصار يستنصر به مدة عشرين سنة إلى إن دفن بآفغال. انظر الإستقصا ج 5 ص15.
(5) الاستقصا ج 5 ص 15

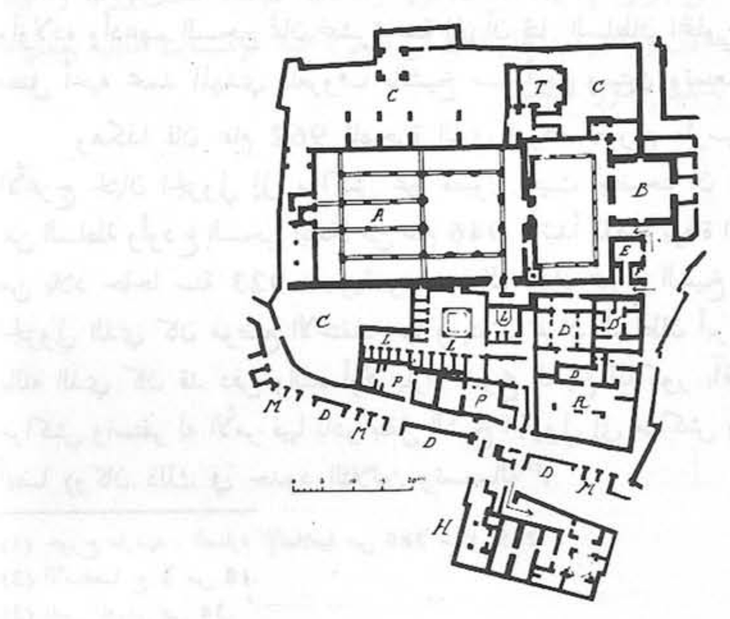
وهكذا يمكن القول بأن السلطان أبو العباس الأعرج السعدي قام بمجرد استيلائه على مراكش بتأسيس ضريح الشيخ الجزولي في حدود عام 930 هجرية.

تخطيط وعمارة المسجد :

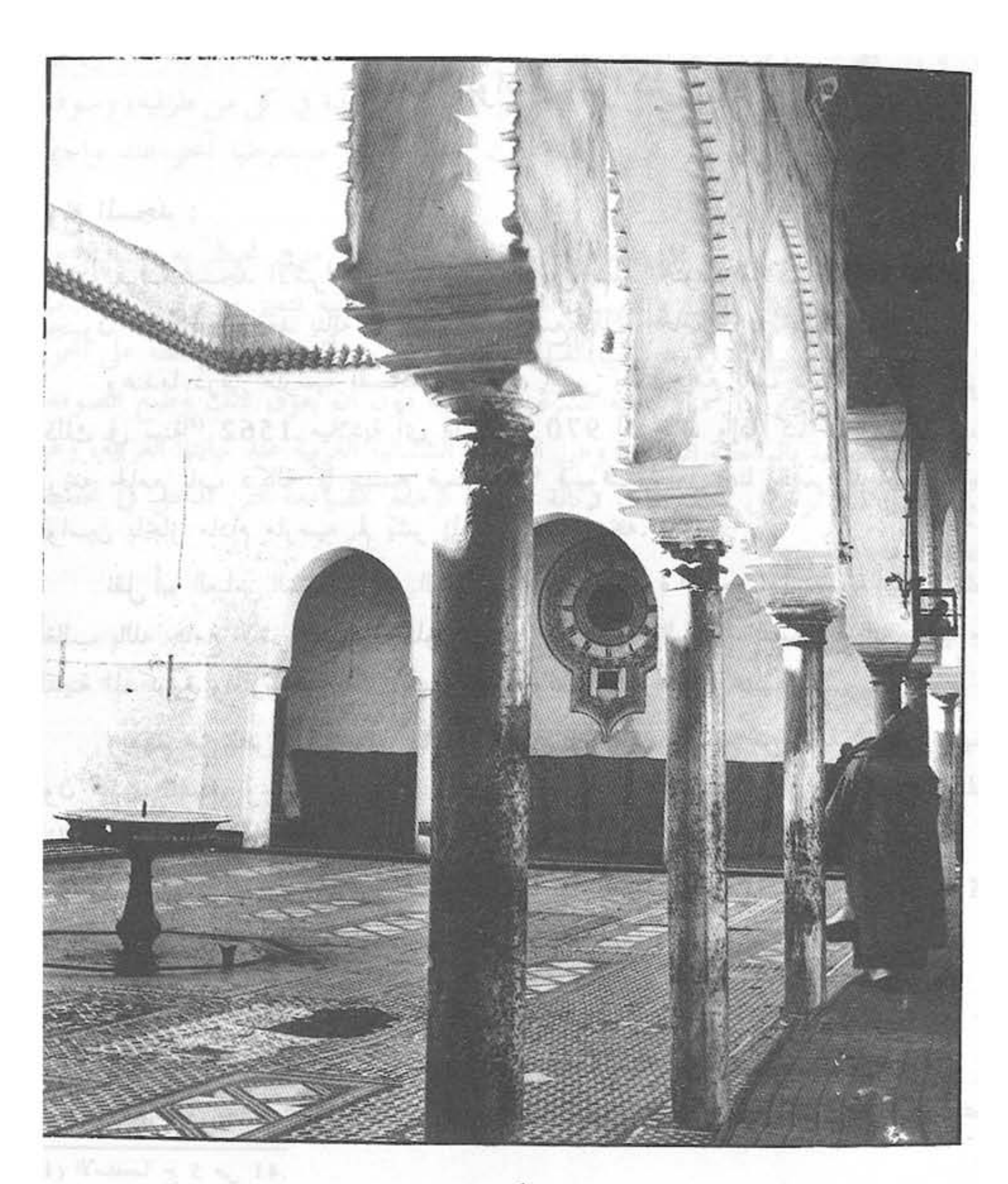
أما مسجد زاوية سيدي سليمان الجزولي فإنه يتميز ببعض الخصائص في التخطيط والعمارة على نحو ما نراه فيما بعد في مسجدَيْ المواسين وباب دكالة حيث تسير عقود بلاطاته عمودية على اتجاه القبلة مع وجود أسكوب مستعرض أمام حائط المحراب.

والمسجد عبارة عن بيت للصلاة من خمسة بلاطات تقف عقودها العمودية عند ابتداء أسكوب المحراب المستعرض. وبالإضافة إلى أسكوب المحراب يتسع بيت الصلاة لثلاثة أساكيب أخرى.

وصحن المسجد مربع المساحة تحيط به مجنبات من رواق واحد شرقا وغربا وشمالا على أن المجنبة الشمالية لاتفتح بباب رئيسي على محور المحراب كما هي العادة وإنما تتصل مباشرة بصحن آخر مستطيل أقل عمقا من الصحن الأول به مجنبات من الشرق والغرب كما تحيط به من الشمال أيضا حيث تتصل تلك المجنبة الأخيرة بضريح سيدي سليمان الجزولي حيث قاعة الدفن الرئيسية.



شكل 6
تخطيط زاوية سيدي سليمان الجزولي بمراكش



شكل 7

زاوية سيدي سليمان الجزولي بمراكش، الداخل، الصحن والنبح

جامع المواسين بمراكش

تاريخ المسجد :

يعرف بمسجد الأشراف بحي المواسين في عاصمة الجنوب مراكش وكان أهل الورع يتجنبون الصلاة فيه بعد بنائه لما يقال أن موضع ذلك الجامع كان مقبرة لليهود[1].

وعندما درس مارسيه المسجد قال بأنه أسس بعد جامع باب دكالة بخمس سنوات وذلك في سنة[2] 1562 ميلادية أي ما يقابل 970 للهجرة. وإذا كنا قد اختلفنا معه في تأريخه لجامع باب دكالة كما يتضح فيما بعد[3] فسوف نحاول هنا حصر تاريخ بناء جامع المواسين بايجاز مادام مارسيه لم يشر إلى مصادر تأريخه.

نقل أبو العباس السلاوي عن اليفرني قوله (وفي عشرة السبعين وتسعمائة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الأشراف بحومة المواسين من مراكش، والسقاية المتصلة به التي عليها مدار المدينة المذكورة والمارستان الذي ظهر نفعه ووقف عليه أوقافا عظيمة)[4].

ويفهم من نص اليفرني أن بناء الجامع تم في العقد السابع من المائة العاشرة للهجرة دون تحديد للسنة. وحيث أنه ذكر في صراحة أن جامع المواسين كان من انشاء السلطان الغالب بالله، فاننا انطلاقا من تلك الحقيقة وانطلاقا من ثبوت تاريخ مبايعة أهل فاس ثم أهل مراكش للسلطان الغالب بالله بن محمد الشيخ سنة خمس وستين وتسعمائة [5]، فإننا يمكن أن نعتمد تاريخ بناء المسجد فيما بين عامي 965 و970[6] للهجرة.

تخطيط وعمارة المسجد

يُذَكِّر التصميم العام لجامع المواسين بتخطيط المساجد المرينية حيث يزيد عمق بيت الصلاة عن طول جدار القبلة كما تتجه عقود المسجد عمودية على جدار المحراب. وبيت الصلاة

(1) الاستقصا ج 5 ص 41.

(2) جورج مارسيه : العمارة الإسلامية ص 385 - 386 وشكل 238.

(3) أنظر تأريخنا التالي للمسجد الجامع بباب دكالة بمراكش.

(4) الاستقصاء ج 5 ص 39، وانظر دراسة صديقنا المستشرق الفرنسي Dr Deverdem : Marrakech, 1,P.376

(5) نفس المصدر ص 38آ

(6) وذلك لأن ولاية الغالب بالله امتدت من 965هـ إلى 981 هجرية وهو تاريخ وفاته.

في المسجد يتكون من سبعة بلاطات عمودية على اتجاه القبلة كما يشتمل على أربعة أساكيب بالإضافة إلى أسكوب المحراب وهو أسكوب مستعرض كما يشتمل على أربعة أساكيب بالإضافة إلى أسكوب المحراب وهو أسكوب مستعرض يستوقف العقود العمودية للبلاطات. ويتميز هذا الأسكوب باشتماله على ثلاثة قباب واحدة أمام المحراب وواحدة في كل من طرفيه، وسوف يتضاعف ذلك النظام في جامع باب دكالة حيث نجد أسكوبا مستعرضا آخر عند واجهة بيت الصلاة على الصحن (شكل 8).

وصحن المسجد مربع المساحة[1] (27.50 × 27.50 متر) تحيط به مجنبات من رواق واحد من الشرق والغرب والشمال، غير أن المجنبة الشمالية تتميز بوجود ثلاث قباب عليها على النحو الذي رأيناه في أسكوب القبلة المستعرض حيث أقيمت قبة بوسطه على المحور العام للبناء وقبة أخرى بكل من نهايتيه الشرقية والغربية دون أن يعوق ذلك وضع الصومعة التي شيدت ملتصقة بالواجهة الرئيسية وهي الواجهة الشمالية الغربية عند نهايتها الغربية، وهو وضع يختلف عما نراه في جامع باب دكالة بالنسبة لوضع الصومعة التي تدخل في تخطيط المستطيل العام للمسجد.

---

(1) جورج مارسيه : العمار الإسلامية ص 386 وشكل 238.
وانظر/دراستنا (من تاريخ العمارة الدينية في عصر الأشراف السعديين)، دعوة الحق الرباط مايو 78 ص 72/71.

المسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراكش

تاريخ بناء المسجد :

ذكر جورج مارسيه أن السيدة مسعودة بنت أحمد والدة السلطان أحمد المنصور السعدي أسسته عام 965هـ (557م)[1]. لكن الشيخ أبا العباس أحمد السلاوي يعطينا في الإستقصا تفاصيل إسم ونسب المؤسسة وهي الحرة مسعودة أم المنصور بنت الشيخ الأجل أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورززاتي الصالحة الحريصة على اقتناء المفاخر الراغبة في فعل الخير، ثم يضيف السلاوي نقلاً عن صاحب المنتقى أنها أنشأت المسجد الجامع بحومة باب دكالة داخل مدينة مراكش ووقفت عليه أوقافا عظيمة وكان ذلك سنة خمس وتسعين وتسعمائة[2].

ويعرض السلاوي قصة تزعمها العامة في سبب بنائها المسجد المذكور خلاصتها أنها دخلت يوماً بستاناً من بساتين قصورها وهي في حالة الوحم فرأت به خوخاً ورماناً فتناولتهما وأكلت منهما في نهار رمضان ثم ندمت وفعلت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز لله عنها، ومنها الجامع المذكور[3].

وهكذا نجد أنفسنا أمام تاريخين مختلفين تفصل بينهما مدة ثلاثين عام كاملة حيث أرجع مارسيه تاريخ البناء إلى عام 965 هـ بينما يذكر نص ابن القاضي (في المنتقى) الذي أورده السلاوي تاريخ 995 هـ.

ومن المعلوم أن الحرة للامسعودة الوزكيتية أنجبت ولدها أبا العباس الملقب فيما بعد بالمنصور من زوجها السلطان أبي عبد الله الشيخ بفاس سنة 956 هـ،[4] وقد ولي

---

(1) جورج مارسيه نفس المصدر ص 385.
(2) الاستقصا ج 5 ص 117.
(3) نفس المصدر ص 118، ويضيف أن النساء والصبيان يسجعون القصة الآن فيقولون (عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان) ولفظ عودة مخفف من مسعودة على طريقة البربر.
(4) نفس المصدر ص 89.

المنصور السعدي الخلافة بعد واقعة المخازن سنة 986هـ[1] وتوفي سنة 1012هـ[2] كما توفيت والدته الحرة للامسعودة فاتح سنة ألف للهجرة[3].

فإذا نظرنا الآن إلى تاريخ ولادة المنصور السعدي سنة 956هـ باعتباره أحد سنوات الحمل بالنسبة للسيدة للامسعودة، فإنه يبدو من ظاهر الأمر أن التاريخ الذي أورده مارسيه لتأسيس المسجد سنة 965هـ يكاد يكون مقبولاً على ضوء قصة الحمل والوحم ورغبة الحرة للامسعودة في التكفير عن ذلك بعمل الخير وبناء المسجد الجامع.

ومع هذا، فإننا لانقبل الأخذ بتاريخ مارسيه ونفضل التاريخ الذي نقله صاحب الاستقصا لعدة أسباب.

وأول هذه الأسباب التي تجعلنا نستبعد سنة 965هـ باعتبارها غير ملائمة لتأسيس مثل ذلك المسجد الجامع، ما رواه المؤرخون من أنه (في سنة خمس وستين وتسعمائة كان بالمغرب وباء عظيم كسا سهلة وجبالة وأفنى كماته وأبطاله واتصل أمره إلى سنة ست وستين بعدها)[4]. ولا شك أن حالة الوباء وفناء الرجال الذي عم المغرب يجعلنا نستبعد سنتي 965هـ و966هـ حسبما أشار النص المذكور الذي يفيد عدم رواج الفلاحة ورواج الاقتصاد وتوفر الصناع المهرة.

كما يمكن أن نلاحظ ان زوج للامسعودة ووالد ابي العباس أحمد وهو السلطان أبو عبد الله الشيخ قد مات مقتولا سنة 964هـ وتولى بعده الغالب بالله الذي تقع سنة 965هـ في مدة حكمه، ويقول المؤرخون أنه (في سنة خمس وستين وتسعمائة في جمادى الأولى منها، غزاه حسن بن خير الدين باشا التركي صاحب تلمسان في جيش كثيف ...).

ومن جهة أخرى فقد وجب علينا النظر في ظروف وأحوال الحرة للامسعودة الاجتماعية والاقتصادية التي تساعدها على مواجهة نفقات بناء مسجد جامع بالإضافة إلى النظر في ظروف وأحوال ملوك الأشراف السعديين فيما بين سنتي 965هـ و995هـ.

لقد كان من بين أبناء السلطان أبي عبد الله الشيخ ثلاثة ارتقوا أمر الخلافة من بعده وهم أبو محمد عبد الله الغالب بالله وأبو مروان عبد الملك وأبو العباس أحمد المنصور. وقد تولي أبو محمد عبد الله الغالب بالله السلطة بعد مقتل أبيه وتمت له البيعة سنة 965 هـ وتوفي

(1) نفس المصدر ابتداء من ص 69 وخاصة ص 84.

(2) نفس المصدر ص 186

(3) نفس المصدر ص 126.

(4) نفس المصدر ص 88.

سنة 981هـ وبويع بعده ولد المتوكل الذي انتظم له الملك إلى سنة 983هـ عندما هاجمه عمه عبد الملك بن الشيخ بجيش الترك وبدد ملكه لما كان قد أضمره المتوكل من الفتك بعمَّيْه عبد الملك وأحمد اللذيْن فرا منه إلى ناحية الترك.

وقد كان عبد الملك بن الشيخ وأخوه أبو العباس أحمد مقيمين بسجلماسة سائر أيام أبيهما فلما توفي وولى أبنه الغالب بالله فرا إلى تلمسان ومنها إلى الجزائر ثم القسطنطينية حيث أسعفهما السلطان سليم العثماني بالجند وكان معهما حسب رواية المؤرخين السيدة سحابة الرحمانية والدة عبد الملك أو للامسعودة الوزكيتية أم أبي العباس أحمد تبعا لاختلاف الروايات[1].

وقد لجأ السلطان المخلوع أبو عبد الله محمد بن عبد الله السعدي إلى سبستيان البرتغالي لإعانته على استرجاع ملكه وكانت تلك الأحداث مقدمات الغزوة الكبرى الشهيرة بوادي المخازن سنة 986هـ التي هلك فيها غرقاً بوادي المخازن محمد بن عبد الله المخلوع والطاغية سبستيان بعد هزيمتهما كما توفي متأثرا بمرضه بأرض المعركة عبد الملك بن الشيخ، الأمر الذي أدى إلى بيعة أخيه وشريكه في الكفاح أبي العباس أحمد الذي لقب بالمنصور وتدفقت عليه الأموال الطائلة من فداء الأسارى وتلاحقت ببابه الوفود بالهدايا من سائر الأقطار من الجزائر والبرتغال والأسبان وسلطان العثمانيين تقديرا لقوته كما فتح الله عليه السودان وتضاعفت مداخيل السكر بصورة خيالية مما أمكن المنصور من تشييد مآثر ضخمة إحياءً لذكرى آل البيت بقصر البديع والقرويين وأضرحة السعديين وغيرها.

إن تلك الظروف التاريخية ابتداءً من عام 965هـ (الذي استبعدناه كتاريخ لبناء المسجد) إلى عام 986هـ، توضح لنا أن الحرة للامسعودة الوزكيتية لم يكن لها من الاستقرار بمراكش ولا المال والإمكانيات اللازمة لبناء مسجد جامع على هذا النحو قبل أن يستقر القرار لولدها المنصور السعدي على كرسي الملك سنة 986هـ وتدفق النفائس والأموال عليه.

ولكنها عاشت قرابة أربعة عشر عاما بمدينة مراكش إلى تاريخ وفاتها فاتح سنة ألف للهجرة في ظل صيت ولدها المنصور وفي رحاب عظمة الدولة السعدية في الفترة التي عرفت أزهى نهضة حضارية عسكريا واقتصاديا وعمرانيا.

ولعل تلك الظروف التي حللناها تساعدنا على قبول رواية ابن القاضي التي نقلها صاحب الاستقصا بكونها شيدت المسجد الجامع المذكور سنة 995 للهجرة، خاصة وأن

(1) نفس المصدر ص 61 – 62.

جورج مارسيه لم يشر إلى المصادر التي رجع إليها أو الدراسة التي اعتمد عليها، ولعله استعان بمترجم كعادة المستشرقين فكتب له عام خمس وستين وتسعمائة بدل خمس وتسعين وتسعمائة.

وقد وقفت أخيراً على نص التجبيس الوارد بكتاب روضة الآس للمقرى الذي ذكر أوقاف المسجد وكراسيه العلمية وصلى فيه الجمعة مراراً وبآخره (... وإكمال بنائه، قالت ذلك وأشهدت به على نفسها حسبما وضعت به خاتمها المتضمن إسمها أواسط شهر الله المحرم من عام خمسة وتسعين وتسعمئة...)[1].

أما قصة الوحم وإفطار رمضان بتفاح ورمان فليس من الضروري أن كانت القصة قد وقعت، أن تكون قد حدثت مباشرة قبل تاريخ بناء المسجد الجامع. وإذا كنا لا نرى ضرورة لإنكار القصة، فالأرجح أن تكون قد وقعت لها في صباها ثم قامت بأعمال البر وبناء المسجد الجامع عندما نضجت شخصيتها وتوفرت لها الإمكانيات المادية والظروف القارة على النحو الذي أسلفنا.

تخطيط وعمارة المسجد[2] :

هذا والمسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراكش عبارة عن بيت للصلاة يشتمل على سبعة بلاطات تتجه عقودها عمودية بعمق المسجد نحو جدار القبلة، كما يشتمل على أربعة أساكيب يتقدمها أسكوب القبلة ويحدها شمالا أسكوب آخر يطل على الصحن وهما أسكوبان متميزان عن بقية الأساكيب بوجود ثلاث قباب بأسكوب القبلة واحدة أمام المحراب وقبة بكل من نهايتيه شرقا وغربا. كما توجد قبة بوسط الأسكوب المطلة على الصحن عند التقائه ببلاط المحراب وقبة أخرى بكل من نهايتي ذلك الأسكوب شرقا وغربا (شكل 9).

وصحن المسجد يكاد يكون مربعا (29 × 30 مترا) تحيط به المجنبات من نواحيه الثلاث ولا تشتمل كل مجنبة منها على غير رواق واحد.

على أن المجنبة الشمالية تختلف عن المجنبتين الشرقية والغربية وتطابق عمارة أسكوب بيت الصلاة المطلة على الصحن حيث يتوسطها قبة بالإضافة إلى قبة أخرى بالركن الشمالي الغربي مع إلغاء القبة المقابلة لها بالركن الشمالي الشرقي لإفساح مكان للصومعة.

ويفتح باب بكل من واجهات المسجد الثلاث شرقا وغربا وشمالا حيث نجد بكل من الواجهتين الشرقية والغربية بابا على محور الأسكوب المطل على الصحن، أما المدخل الرئيسي

(1) المقري : روضة الآس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ط. ثانية 1983 ص 66/63 وانظر امضاء الشهود وأمير المؤمنين على التحبيس ص 67/66

(2) دراستنا: تاريخ العمارة الدينية، دعوة الحق مايو 1978 ص 72 والتخطيط ص 75

فيفتح بالواجهة الشمالية الغربية وهي الواجهة الرئيسية على محور المحراب. وقد تنوعت العقود داخل المسجد[1] حيث نرى عقودا على هيئة حدوة الفرس (FER à CHEVAL) بالبلاطات، وعقود ذات مقرنصات (à STALACTITE) تحمل قبة المحراب، ونوعا من العقود المفصصة (LOBÉ) تحمل بقية القباب.

---

(1) G. Maeçais : l'Architecture Musulmane d'Occident P. 385 - 386 et Fig : 237

عمارة السعديين بصحن القرويين بفاس

استبدل السلطان أحمد المنصور السعدي خصة[1] الصحن الشرقية التي وضعها الموحدون وتعرف بالحسناء وبنى فوقها قبة رائعة سنة 996هـ شاهدها المقري بعد تمامها (وقد رأيت هذه القبة وقد أكملت صنعتها إلى الغاية وجعل على خارجها وفي داخلها الذهب الأحمر فهي عبرة لمن اعتبر) وكان ذلك سنة 996هـ ويصف ابن القاضي في جذوة الاقتباس محاسن القبة الداخية وصناعاتها وألوانها ونقوشها وما قاله الشعراء فيها :

كهف الملوك أبو العباس أنشأني ... بحر المكارم من معد بن عدنان[2]
حُزت المفاخر بالمنصور أجمعها ... من علال سنام المجد أرساني

كما نقش خارج القبة من شعر أبي العباس الغرديس :

ابن بني الهدى المنصور ابدعني ... من فيض نعماه ما بين الورى انتشرا
فعال بره لا يُحصَى تعدده ... وَمُخْبِر آثاره يصدق الخبرا

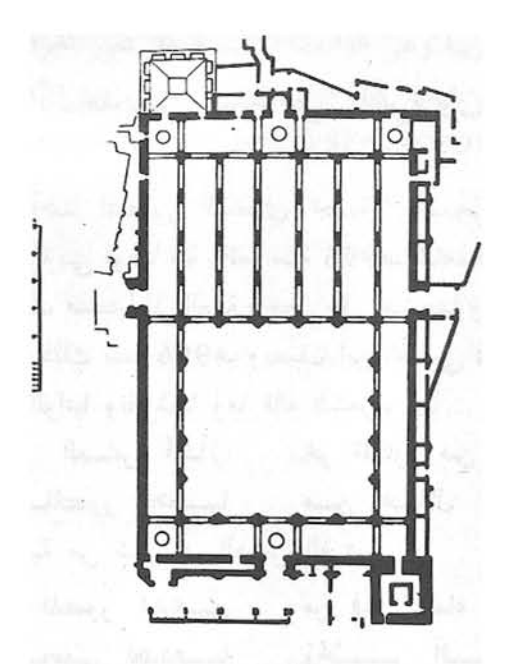
ثم أضاف عبد الله بن الشيخ حفيد المنصور خصة فوقها قبة بالجانب الغربي للصحن سنة 1018هـ لتتجميله بخصة وقبة تفوقان، من حيث العمارة والفن، ما عمله جده المنصور بالجانب الشرقي. وقد طرزت القبة بباقات من الشعر ونقشت على أقدامها العبارات الدينية، ومما نقش على جوانب القبة الخارجية منها :

بدائعي نسخت لما تلت سورا ... من الجمال الذي أبدى به صورا
ولي فخار عليها بانتسابي إلى ... عبد الإلآه الذي كل الورى بصرا
ابن الإمام الرضى المأمون قد عظمت ... به قريش وسادت بالعلا معزا
في عام (زهو) بعيد الألف أبعدني ... هجرة من دنا من ربه وسرى

وبهذا قامت القبتان في وسط الجانبين الضيقين للصحن. وتتكون كل قبة من ثلاثة أوجه بكل منها ثلاثة عقود أوسطها أكثر سعة، وتغطي القبتين قراميد خضراء تذكر بقبتي بهو السباع بقصر الحمراء بغرناطة، ولكنها تقوم على قواعد من الدعائم بدل الأعمدة الرقيقة التي يعرفها بهو السباع وسوف نعود لدراستها مفصلا بنهاية الفصل عند استعراض الفنون التطبيقية (أشكال 10، 11، 12، 13).

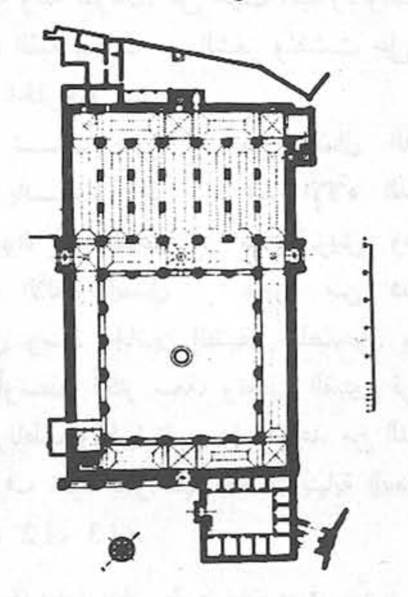
(1) يكتبها مؤرخ المملكة المغربية (خسة) ويقول (الخس بالسين نبات مورق يشبِّه به المغاربة النافورة ذات الصحن التي يتفجر الماء من صنبورها ويصب وسط الصهريج)، مع وفد المملكة المغربية في الكويت 1987 ص 60 ويكتبها المقري في روضة الآس ص 21 خصة، وصف القبة ولأشعار داخلها وخارجها ص 22/21

(2) زهرة الآس للمقرء تحقيق عبد الوهاب بن منصور طبعة 1983 ص 21



شكل 8

تخطيط جامع المواسين بمراكش

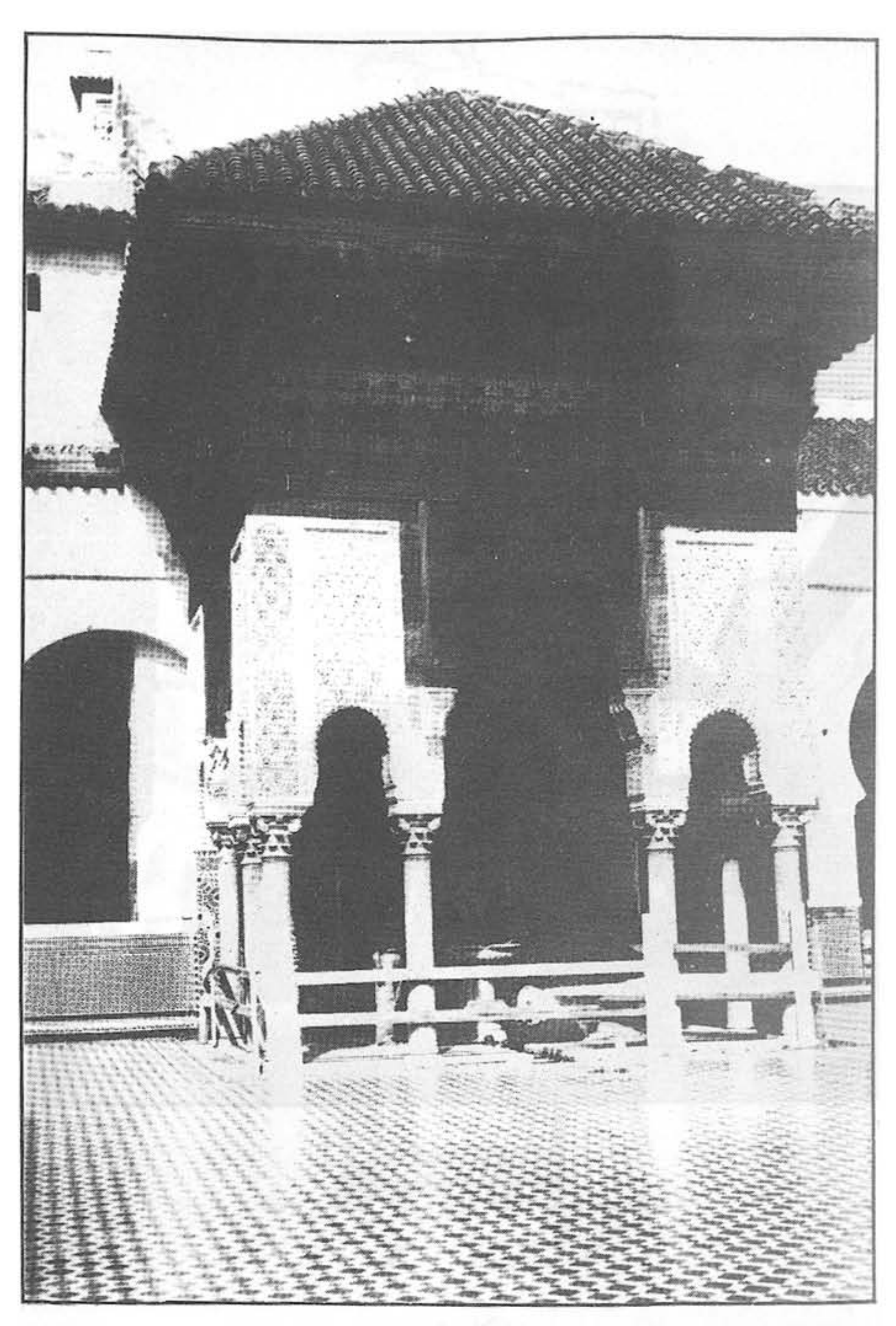


شكل 9

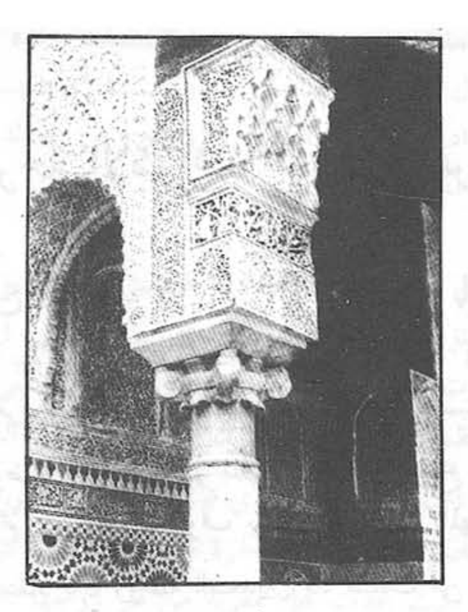
تخطيط جامع باب دكالة بمراكش



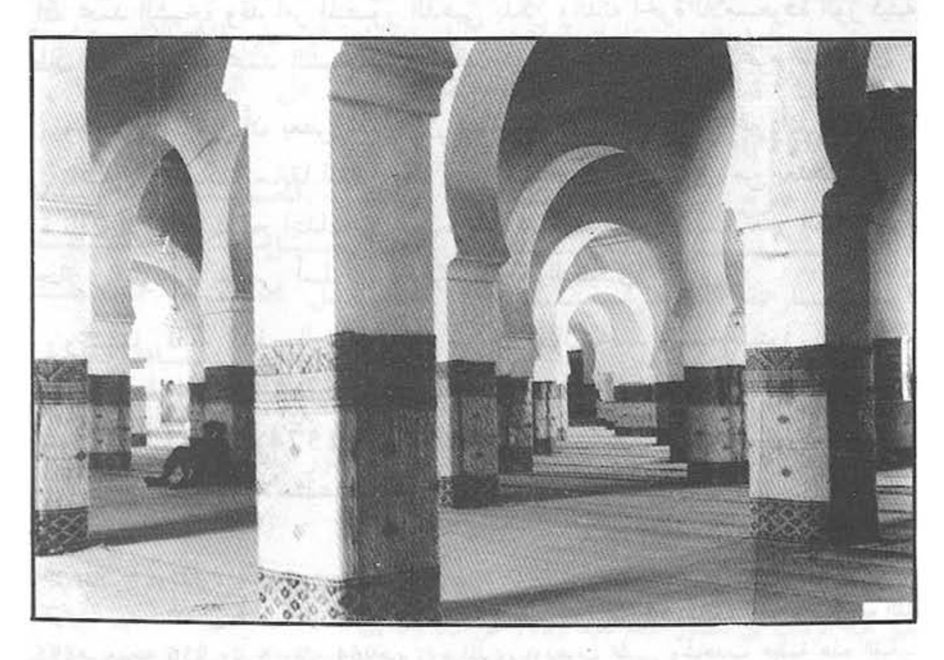
شكل 10
صحن جامع القرويين، قبة الخصة السعدية



شكل 11
قبة الخصة السعدية بصحن جامع القرويين، تفصيل العمارة والزخرفة



شكل 12
قبة الخصة الغربية بصحن جامع القرويين، تفصيل الزخارف والنقوش



شكل 13
جامع القرويين بفاس، داخل بيت الصلاة

أضرحة الأشراف السعديين بمراكش

الشهرة والموقع والتاريخ :

وتعرف كذلك بروضة السعديين ذات الشهرة الواسعة في فنون العمارة والزخرفة والنقوش والكتابات العربية، وتقع قبلي جامع المنصور من القصبة بمراكش.

وتضم تلك الروضة عددا من قبور الملوك العظام في تاريخ الأشراف السعديين وأولهم أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله المعروف بالشيخ والملقب بالمهدي (986 – 964هـ).

ويغلب على الإعتقاد بأن روضة السعديين قد شيدت من أجله على يد إبنه وخليفته أبي محمد عبد الله الغالب بالله (رمضان 933 – رمضان 981هـ). وممن دفن بها كذلك السلطان أبو العباس أحمد المنصور أخ أبو محمد عبد الله مؤسس الروضة (المقبرة) وابن أبي عبد الله محمد الشيخ، وقد أمر المنصور الذهبي بدفن والدته الحرة للامسعودة الوزكيتية زوجة السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ بروضة السعديين بعد وفاتها 27 محرم سنة ألف هجرية.

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يسمونها قبور الأشراف، غير أن بعض الإشارات توحي بأنها كانت مكانا سابقا للدفن منذ عصر الموحدين ثم المرينيين من بعدهم. إلا أن تاريخ عمارة تلك الروضة يتضح ابتداء من عصر الأشراف السعديين بحيث تعتبر القبة الشرقية أقدم أثر جنائزي تاريخي يعكس أسلوب المقابر المغربية التقليدي[1].

وتشتمل قاعة الدفن الرئيسية على قبر السلطان محمد الشيخ المتوفى في العشرين من ذي الحجة سنة 964هـ[2] (1557م) بحيث يمكن تأريخ بنائها من عصر ابنه مولاي عبد الله المتوفى سنة 981هـ (1574م)، وقد نقشت على رخامة قبر السلطان محمد الشيخ أبيات شعرية ذكرها صاحب الاستقصا ومنها :

---

(1) G. Marcais. Larchitecture Mus. P.393 et fg.241p.394

(2) المقري : روضة الاسس تحقيق عبد الوهاب بن منصور طبعة 1983 ص 153/152 نقش الضريح به ألقابه ومولده 896هـ وبيعته 956 وتاريخ وفاته 964هـ، زاره المقري (ودعوت الله... وشاهدب عظمة هذه القبة...) (وإزاء ضريح أمير المؤمنين المهدي بالله ضريح ولده أمير المؤمنين الغالب بالله ونص ما كتب بالمرمر وبالذهب من انشاء وزير القلم أبي فارس الفشتالي ... هذا قبر السلطان ...) ص 154/153 ونقش للامسعودة ص 156/155.

حـــي ضريحا تغمدتـــه رحمات وظلـــلت لحده منها غمامـــات
يامهجة غالها غـول الردى قـنصا واثبـتت سهمهـا فيها المنيـــات
دكت لموتك أطواد العـلا صعقــا وارتج من بعدك السبع السمـوات

كما نقشت على رخامة قبر السلطان أبي محمد عبد الله أبيات ذكرها السلاوي في نهاية سيرته نذكر منها :

أيا زائري هب لي الدعـاء تـرحما فإننـــي إلى فضل الدعــاء فــقير
وقـد كان أمير المؤمـنين وملكهـم إلى وصيتـــي في البـــلاد شهير
فها أنا قـد صرت ملقي بحفـرة ولم يغـــن عنـــي قائـــد ووزيـــر
تـزودت حسن الظـن بـالله راجمي وزادى بحسن الــظ فيـــه كـــثير

وفي عصر السلطان أحمد المنصور السعدي تم توسيع البناء الذي أحيط من جوانبه الثلاثة بقاعة داخلية وممرين للدخول بمناسبة دفن الحرة للامسعودة الوزكيبية المتوفاة[1] فاتح سنة ألف هجرية (1590 م) حيث أقبرت على مقربة من قبر زوجها محمد الشيخ بأمر والدها أحمد المنصور، ولهذا تعرف تلك القبة إلى اليوم بقبة للامسعودة.

أما المنصور السعدي، فقد قام على غرار سلاطين المماليك بمصر ببناء مقبرة لنفسه في حياته تشتمل على البناء الغربي بقاعاته الثلاث وخاصة القاعة الوسطى ذات الإثنى عشر عمودا حيث يتوسطها قبر المنصور بعد أن نقله ولده على أثر وفاته بفاس سنة 1012هـ[2](1603م)، ومما نقش على رخامة قبره :

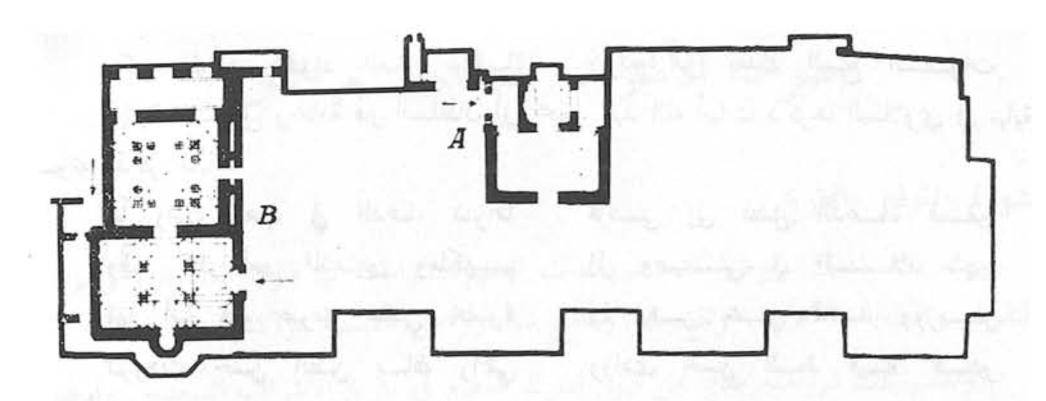
هـــذا ضريح مـــن غـــدت بـــــه المعـــــالي تفتخـــــر
أحمد مـــــنصور اللــــــوا لكـــــــل مجد مبتكـــــــر
يـــــارحمة الله أسرعـــــــي بكـــــل نعمـــــى تستمـــــر

ثم دفن ابنه مولاي زيدان إلى جانبه وتبع ذلك دفن بعض الشخصيات العلمية داخل تلك القباب أو في نطاق التخطيط العام للروضة حيث يمكن اليوم ملاحظة ما يزيد عن خمسين شاهد قبر منشوري الشكل من الرخام وعددا كبيرا من قبور ذات غطاء خزفي (كسوة من الزليج).

---

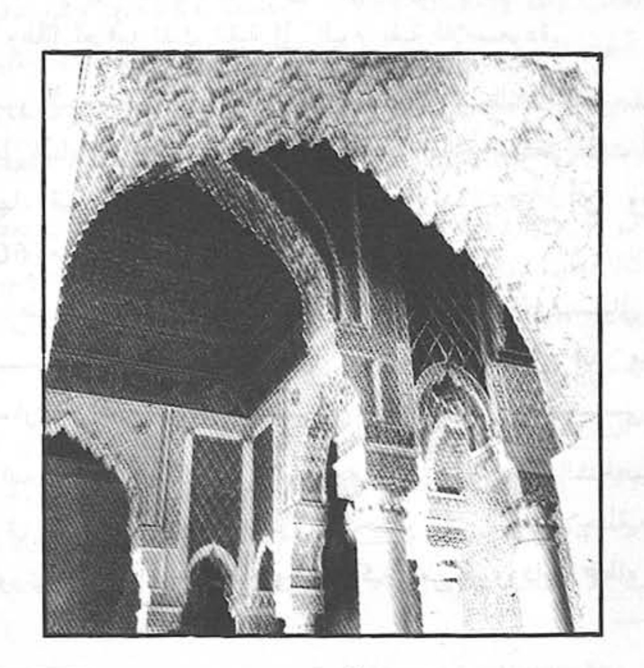
(1) راجع أصلها ونسبها وأعمالها الصالحة كبناء مسجد باب دكالة وغيره بالاستقصا ج 5 ص 126، وروضة الآس للمقري تحقيق عبد الوهاب بن منصور طبعة ثانية 1983 ص 63 وما يليها

(2) مرض المنصور بمحتله خارج فاس الجديد ودخل إلى داره بالمدينة البيضاء (فاس الجديد) فتوفي هناك ودفن بازاء مقصورة الجامع الأعظم ثم نقل إلى مراكش حيث دفن بقبور الأشراف قبلي جامع المنصور من القصبة، أنظر تفاصيل ذلك بالأستقصا ج 5 ص 186 - 187.



شكل 14

تخطيط أضرحة الأشراف السعديين بمراكش كما وضعته مصلحة المباني الأثرية ونقله عنها جورج مارسيه قبل تصحيحنا للتخطيط



شكل 15

قبور الأشراف بمراكش كما وضعته مصلحة المباني الأثرية ونقله عنها جورج مارسيه قبل تصحيحنا للتخطيط

الدراسة المقارنة وأبحاتنا الميدانية لهيئة العمارة والفنون :

وهكذا تبرز داخل أسوار قبور السعديين مجموعتان للبناء أصغرهما بناء جانبي (قبة للامسعودة) يعتقد جورج مارسيه أنه سبق البناء الرئيسي بنحو ثلاثين أو أربعين عاما. وهو بناء صغير يشتمل على قاعة صغيرة جنوبا وقاعة أخرى شمالا أقل سعة تعتبر النواة الأصلية للبناء.(شكل 14)

وقد ارتأيت بعد مقارنة التخطيطات المحفوظة بمصلحة الآثار بالرباط التي نقل عنها جورج مارسيه وبعد دراستي المباشرة لقبور السعديين بمراكش وتصحيح الأخطاء الواردة في تلك التخطيطات أن أقدم وصفا موجزا لهيئة العمارة والفنون التطبيقية المتصلة بها.

ففيما يتعلق بقبة للامسعودة الواقعة غرب قبة المنصور نجد أن النواة الأصلية للبناء وهي القاعة المربعة الشمالية تنحصر بين رواقين شرقا وغربا بينما تتصل جنوبا بالقاعة الأكبر مساحة. ويتفق كل من الرواقين المذكورين مع الآخر تمام الإتفاق من حيث التخطيط والمساحة والعناصر المعمارية والفنون الزخرفية.

ويتقدم كل رواق مدخل من فتحة كبيرة الإرتفاع يحف بها من كل جانب عمود رخامي فوقه تاج ثم كتف مستطيل إلى أعلى تغطيه النقوش الجصية ثم عقد مستقيم من الخشب المنقوش بزخارف متنوعة تبرز وسطها النصوص الدينية (أعوذ بالله ...) ويعتبر هذا المدخل كأهم عنصر معماري وزخرفي بكل واجهة.

غير أنه يتضح من التخطيط الذي نشره جورج مارسيه نقلا عن مصلحة الآثار بالرباط وجود باب واحد هو الباب الشرقي وغياب الباب الغربي الذي وضع حائط بدله يسد الرواق الغربي وهو خطأ يتعارض مع واقع الآثار حيث يوجد بابان شرقا وغربا يتقدم كل منهما رواق على المحور الأفقي للقاعة الصغرى الشمالية.

وتتميز زخارف الرواق خلف كل من البابين بحزام من الخط النسخي المقشر في الزليج الأسود يدور حول جدران الرواق ويستمر في القاعة الشمالية الصغرى ما يدور حول جدران القاعة الكبرى الجنوبية مع خلاف واحد وهو أن حزام الخط النسخي المقشر في الزليج يعلوه شريط آخر من الخط الكوفي المحفور في الجص بكل من الرواقين، بينما يوجد إطار آخر من الخط النسخي الأندلسي في الجص يعلو شريط الكتابة النسخية المقشرة بالقاعتين الشمالية والجنوبية.

وبعد الولوج من الباب الغربي وعبور الرواق نصل إلى فتحة في الجدار الغربي للقاعة المربعة الشمالية ويواجهنا على محور الباب دخلة في الحائط معقودة بقوس مقرنص حوله شريط

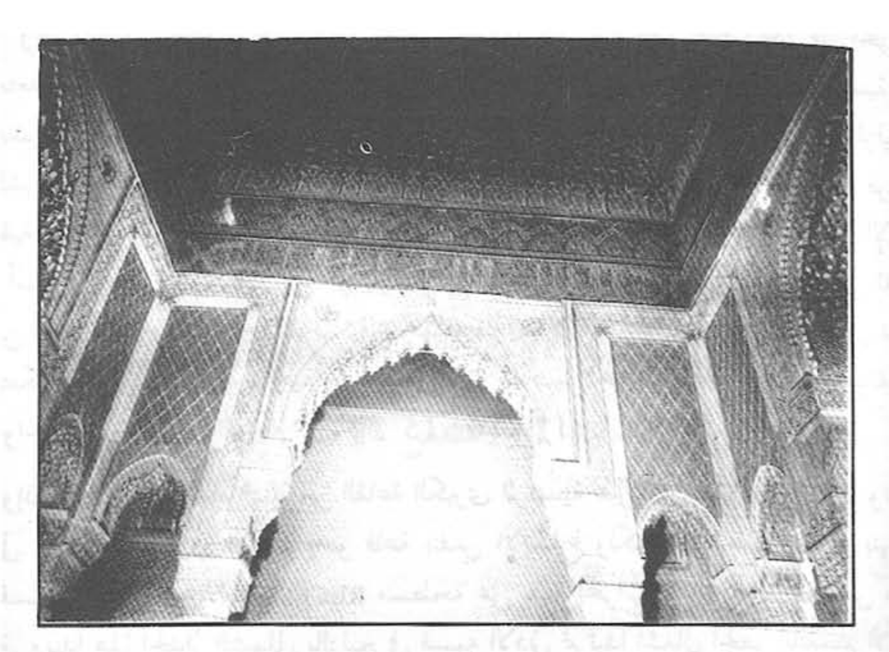
كتابي بينما يتوسط الجدار الشمالي دخلة أكثر عمقا على هيئة المحراب تغطيها قبة مقرنصة يقابلها جنوبا فتحة أخرى تصل هذه القاعة بالقاعة الأخرى الجنوبية الأكثر منها مساحة، وتغطي القاعة الصغرى الشمالية المشتملة على عدد من شواهد القبور الرخامية المنشورية قبة مقرنصة.

وإذا ما تقدمنا إلى القاعة الكبرى نجد فتحة أخرى على المحور الطولي للفتحة الواقعة بين القاعتين كما نجد فتحة في كل جانب بالحائط الشمالي للقاعة الكبرى إحداها تتصل بالرواق الغربي والأخرى تتخصل بالرواق الشرقي. وتشتمل هذه القاعة على عدد أكبر من شواهد القبور الرخامية منشورية الشكل ويغطيها سقف قوامه برشلة من أربعة جوانب. ويستمد البناء في القبتين والرواقين روعته الزخرفية ورقته الجمالية من انعكاس الأضواء على الزوايا والسطوح المتعددة لتظهر ثراء النقوش السعدية في الزليج والجص باتساع مساحة الأسقف والجدران.

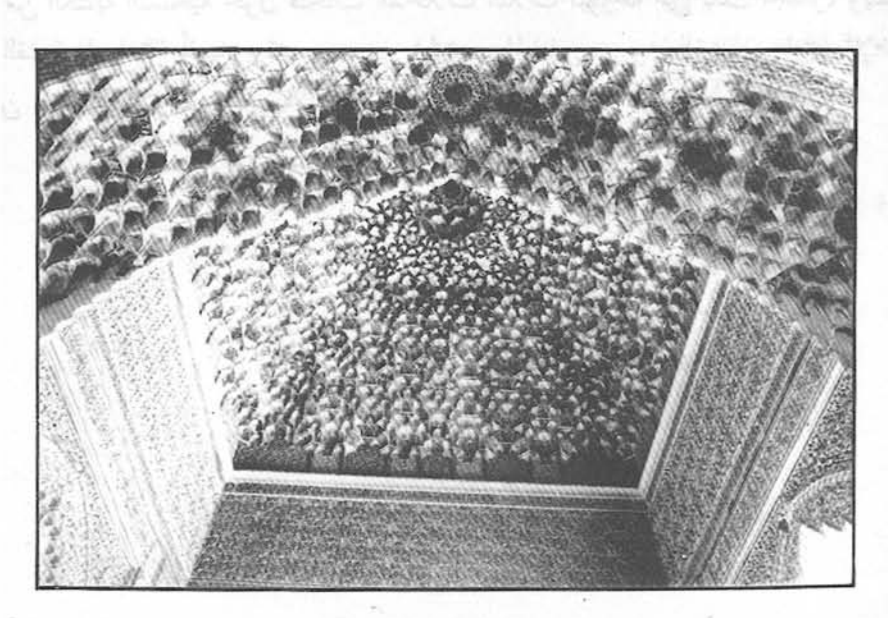
وبالنسبة لبناء العمارة الرئيسية في أضرحة الأشراف السعديين حيث دفن المنصور السعدي، فإننا عن طريق ممر متعرج يدور حول محراب المسجد نصل إلى الداخل حيث الصحن الفسيح والقباب القائمة لصق حائط مسجد القصبة. وهذه المجموعة المعمارية تتكون من ثلاثة عناصر رئيسية تتوسطها العمارة المركزية الممثلة لقاعة الدفن الكبرى. وهذا العنصر المركزي يتصل جهة الجنوب بالعنصر الثاني وهو بيت للصلاة كما يتصل من جهة الشمال بالعنصر الأخير وهو عبارة عن قاعة قليلة العمق ولكن بنفس اتساع القاعة الرئيسية للدفن.

فإذا بدانا ببيت الصلاة جنوبا وهو أقل الأقسام احتفالا بالزخرفة في مجموع البناء نجد مساحة مستطيلة يزيد اتساع قبلتها عن العمق. ويتصدر هذه المصلى مجراب مضلع الجوانب محفوف بكل من جانبيه بمجموعة من الأعمدة الرقيقة الملونة تغطيه قبة ذات مقرنصات ويفتح على أسكوب القبلة بعقد منكسر على هيئة حدوة الفرس يرتكز على الأعمدةالنصفية. وتخطيط هذه المصلى ينقسم إلى ثلاثة أساكيب وثلاثة بلاطات عن طريق أربعة أعمدة وضعت على صفين تحمل عقودا متقاطعة من النوع المتجاوز المنكسر.

وعن طريق باب على محور المحراب يتصل هذا البناء شمالا بالقبة الرئيسية المشتملة على قبر المنصور والتي تتصل بالممر الرئيسي عن طريق بابين مستقلين. وهي ذات تخطيط مربع وقائمة الوسط على اثني عشر عمودا متجمعة في مجموعات من ثلاثة أعمدة. وتفتح مجموعة من العقود بكل جانب من الجوانب الأربعة المحيطة بالساحة الوسطى المحصورة بين الأعمدة. وتتكون كل مجموعة من ثلاثة عقود أوسطها أكثر اتساعا وارتفاعا وكلها عقود متجاوزة منكسرة BRISÉ وذات مقرنصات وتذكر بنظام عقود الخصة الشرقية لصحن جامع القرويين. أما الساحة الوسطى بنفس القاعة فقد غطيت بقبة مقرنصة ذات زخارف هندسية ينساب أسفلها إقريز من المقرنصات وشبكات المعينات المحفورة في الجص والكتابات النسخية



شكل 16
قبور الاشراف السعديين بمراكش، العمارة والزخرفة



شكل 17
أضرحة السعديين بمراكش، تفصيل التغطية المعمارية وزخرفة الأسقف والعقود والجدران

الكبيرة. وقد اكتست جدران هذه القبة البالغ ارتفاعها 11.50 مترا حلة رائعة من الخزف الملون متعدد الأشكال يستمد روعته من التكوينات الهندسية. وتختم التكوينات الهندسية في الزليج بشريط كتابي يدور حول القاعة بالخطر بالخط النسخي المملوكي المقشر في الزليج. وأعلى الشريط الكتابي المذكور تبدأ الخطوط النسخية المملوكية في الجص وأعلاها كسوة فريدة تغطي بقية جدران القاعة كغلالة من الدانتل ذات عناصر دائرية مذهبة متصلة ترتفع إلى الإزار الخشبي أسفل الأسقف. وبأعلى كل من الجدارين الشرقي والغربي نلاحظ مجموعة من ثلاثة نوافذ من الجص المخرم والزجاج الملون مما يمنحها منظرا خلابا عندما تسلط الأضواء على تلك المواد فتعكس ألوانها الذهبية الزاهية إلى اليوم وتبرز تفاصيل عناصرها الزخرفية المنحوتة في الجص والخشب والزليج والرخام (أشكال 15، 16، 17)

وإذا ما واصلنا الإتجاه شمالا من القاعة الكبرى الرئيسية عبر بابين مقرنصين شرقا وغربا نصل إلى العنصر المعماري الثالث وهو قاعة بنفس الإتساع ولكنها أقل عمقا لنقابل بنهايتها حائطا قسم إلى ثلاث دخلات RECESS مسطحة على هيئة المحراب وذات عقد مقرنص وقبة مقرنصة. ويبدأ هذا الجدار الشمالي بالزليج في قسمه الأدنى ثم تبدأ أشغال الجص بالقسم الأعلى حيث التقسيمات الهندسية والنجمية وشبكات المعينات باتساع مساحة الجدار العليا كما تدور أشرطة من الكتابة النسخية حول فتحات الدخلات الثلاث الموزعة على ذلك الجدار، وينقسم سقف القاعة إلى ثلاثة أقسام وقد صنع من الخشب المضفر مع وجود منور علوي للإضاءة بكل من ناحيتيه الشرقية والغربية[1].

---

(1) Gabrile Rousseau : La Mausolée des Princes Saadiens à Marrakech; 2 Vol. Paris 1925
يفيد في تفاصيل دراسة العمارة والنقوش العربية بالمقبريات وهو جزء خاص باللوحات.

الفصل الرابع

عصر الأشراف السعديين

العمارة المدنية في عصر الأشراف السعديين

أبحاث هذا الفصل :

عمارة المدن :

- عمارة مدينة آسفي
- اختطاط مرسى أجادير
- تشييد تارودانت
- سقاية المواسين والمارستان
- قصر البديع

مسيرة المدارس والزوايا في العصر السعدي :

- مدرسة ابن يوسف بمراكش
- مراسم السكر
- خزانة السعديين بجامع القرويين

الفصل الرابع

العمـــارة المدنيـــة

تميزت عمارة الأشراف السعديين بالمحافظة على معظم تقاليد الفن المغربي الموروث من عهد المرينيين مع ازدهار (ظاهرة الهرب من الفراغ وبعض التأثيرات التركية البيزنطية في تصميم القباب كما هو الحال في القبة الرئيسية لضريح المنصور متأثرا بزيارته للقسطنطينية قبل ولايته للعرش)[1].

ولعلنا نشاطر الدكتور إبراهيم حركات الرأي في رفض إدعاء هنري تبراس بتحجر الفن المعماري وقلة الذوق في بعض مظاهره أيام السعديين فمما يضعف ذلك الزعم اندثار معظم آثار السعديين فيما عدا أضرحة الأشراف السعديين بمراكش وقبتي الخصة بصحن جامع القرويين ونتف التخطيطات المعمارية المتبقية بخرائب موقع قصر البديع بمراكش، إن ندرة الآثار القائمة بحالة سليمة لا تسمح باستقرائها ودراستها دراسة مقارنة وتعوق الوصول إلى حكم مطلق على مدى جيوية فنون الأشراف السعديين.

عمـارة المـدن

من الملاحظ بادىء ذي بدء حسن اختيار السعديين لموقع المدن الجديدة التي يحققون من روائها أهدافا دفاعية وسياسية واقتصادية بالقرب من تجمعات أنصارهم ومؤيديهم ومعظمها بالسوس وما جاوره من الأقاليم المغربية[2].

عمارة مدينة آسفي :

عندما انسحب البرتغال من آسفي وخربوها وأفسدوا فيها وأوقدوا فيها النيران حسب روايات المؤرخين وتم اخلاؤها نهائيا بدخول السعديين حصن فونتى عنوة، أمر السلطان أبو العباس الأعرج بحراسة آسفي وتحصينها وإصلاحها بعد التخريب الذي قام به البرتغال وكان ذلك الترميم والاصلاح والتحصين سنة 948 هجرية[3].

(1) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ 435/2 والمصادر المشار إليها

(2) نفس المصدر

(3) الاستقصا 16/5 و17

اختطاط مرسى أكادير :

نقل السلاوي عن الشيخ أبي العباس بن القاضي أن السلطان أبي عبد الله الشيخ كان أول من اختط مرسى أكادير بالسوس الأقصى سنة 947 هـ لما جلى النصارى عن الموقع المعروف بفنتي على مقربة من أكادير المذكورة، وقد كان له في اختطاطه إياها رأى مصبب وفراسة تامة[1] أكدها دوره التجاري والحربي طوال عهد السعديين وظلت القصبة مأهولة بالسكان إلى أن خربها زلزال أكادير في عهد السلطان محمد الخامس العلوي سنة 1960م الذي بدأ هو وولى عهده الأمير مولاي الحسن في إعادة بنائها على نمط عصري بتقنيات حديثة.

تشييد تارودانت :

وهي أصلا من مدن المغرب القديمة بناها بربر هشتوكة قبل الإسلام ثم ازدهر نشاطها في العصر الإسلامي إلى أن فقدت أهميتها في عصر بني مرين وتابعيهم الوطاسيين لارتباط نشاطها بمراكش التي تحول عنها المرينيون إلى مدينة فاس[2].

وقد عَرَّف الفشتالي مؤرخ دولة الأشراف السعديين في معرض حديثه عن قصر البديع[3] بمدينة تارودانت المسماة انذاك بالمحمدية[4] وذكر فضلها على فاس ومراكش فقال : (فالمحمدية التي من مشيدات مولانا الإمام المهدي رضي الله عنه – يقصد المنصور السعدي – قاعدة بلاد سوس وأم القرى والأمصار وملاك باب السودان ذات القصور المشيدة والأواوين الموطدة والرياض المفوفة والأنهار المطردة والمساجد المزخرفة (شكل 18) والمآذن المقرطة بلالىء النجوم المشنفة، إلى معاصر السكر الجاثمة حواليها جثوم أهرام مصر، يتقاصر عن تشييدها أولوا القوة من عاد وثمود... ما شئت من توطيد وتشييد وبرك مستبحرة وجفان كالجوابى وقدور راسيات وحركات هندسية ولوالب فلسفية ومقاييس حسبية وأنهار تتسنم لإجراء راحيتها العظيمة الأخشاب ذرى الأسوار الممتدة الأعراف إلى عنان السماء بتدبير وفلسفة تحار فيها حكماء يونان وجنان سليمان، لا يطير تحت جناحها البلد الجديد من فاس الذي هو عند بني مرين مشيد به آية خارقة، ولا قصبة مراكش التي هي عند الموحدين من قبيل الأعجاب، بل إذا ذكرت المحمدية لف كل منها رأسه استحياء، وحسبي شهادة العيان)

سقاية المواسين والمارستان :

كما كان من مآثر السلطان أبي عبد الله الشيخ في نهاية النصف الأول من القرن العاشر

---

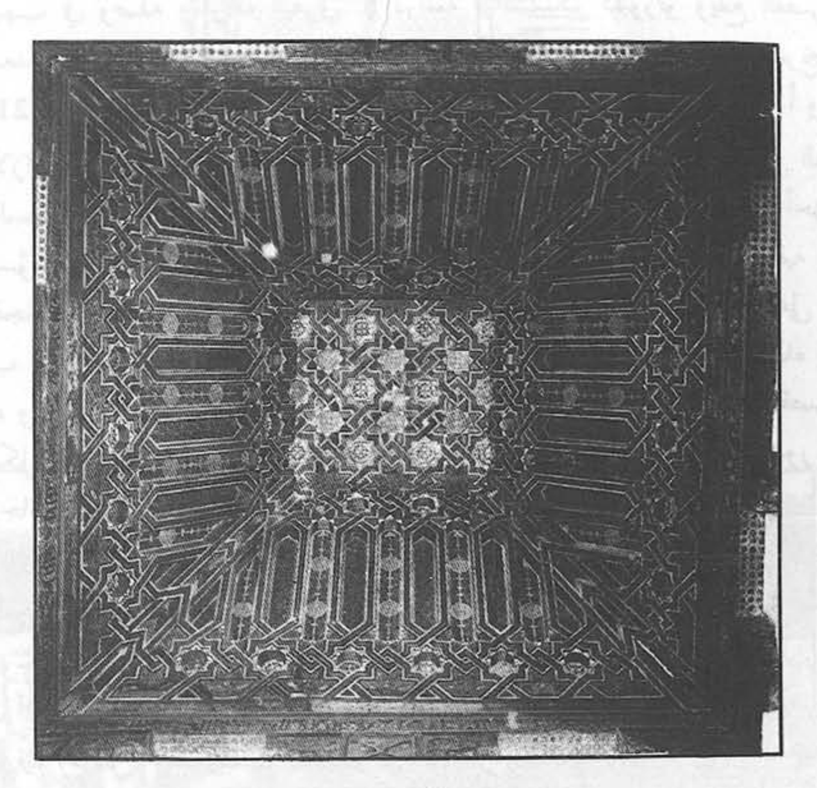
(1) نفس المصدر 20/5

(2) د. إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ 436/2

(3) نص وصف الفشتالي في مناهل الصفا عن قصر البديع الذي نشره الدكتور عبد الهادي التازي بكتابه : قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا ص 66/65

(4) نفس المصدر ص 65

الهجري بناء جسر وادي سبو وجسر وادي أم الربيع[1]، فعندما أنشأ السلطان الغالب بالله السعدي حوالي عام 970 هجرية جامع الأشراف بحومة المواسين من مراكش بنى أيضا السقاية المتصلة به التي عليها مدار المدينة المذكورة والمارستان الذي ظهر نفعه ووقف عليه أوقافا عظيمة وهذا المارستان هو المعروف بحومة الطالعة.



شكل 18

عمارة وزخرفة أسقف الجامع الكبير بتارودانت

(1) الاستقصا للسلاوي 30/5

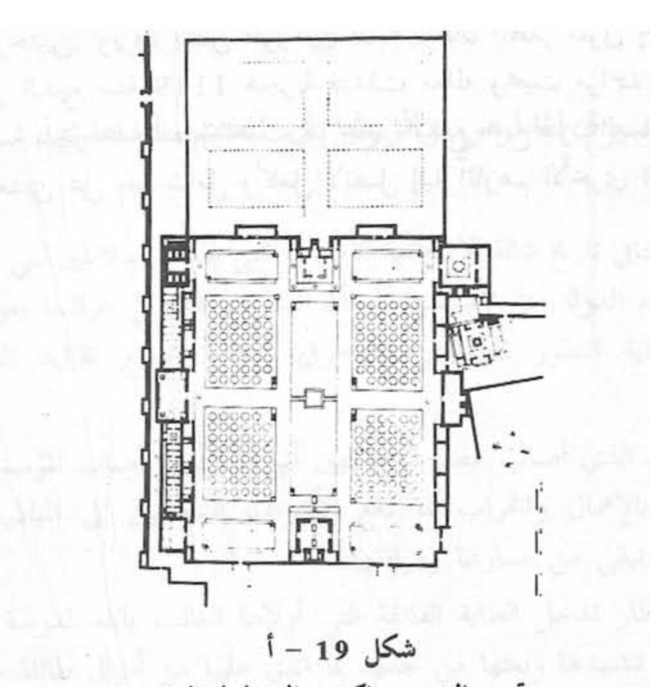
قـصـــر البـــديـــع

أسهب في وصفه وتأريخه البفرني كما دراسة فرانسسكو دلبورتو ويقع الفصر داخل قصبة السعديين بمراكش ويتوسطه فناء فسيح مستطيل (135 × 110م) به صهريج أوسط (90 × 21م) بالإضافة إلى أربعة صهاريج أقل مساحة بأركان الفناء (أشكال 19أ و19ب).

ولازال من أشهر المآثر المغربية في ذلك العصر قصر البديع بحضرة مراكش الذي بناه المنصور السعدي رغبة منه في أن تكون لأهل البيت مأثرة عظيمة باعتبارهم من أحق الناس بالمجد والسؤدد الأثيل، وشرع في تأسيسه في شعبان سنة 986 واتصل العمل فيه إلى سنة 1002 فجلب له الرخام من بلاد الروم وكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن على ما قيل، وقد جلب له الجص والجير وباقي الأنقاض من جميع الجهات. وكان يجزل العطاء للعارفين بفن البناء ويوسع عليهم ويقوم بمؤن أولادهم حتى لا تتشعب أفكارهم. وكان قصر البديع مربع الشكل في كل جهة منه قبة رائقة الهيئة، وقد حفت به القباب والقصور والدور العظيمة من كل جانب حتى قارنوه بالزهراء والزاهرة وقباب الشام وأهرام القاهرة.

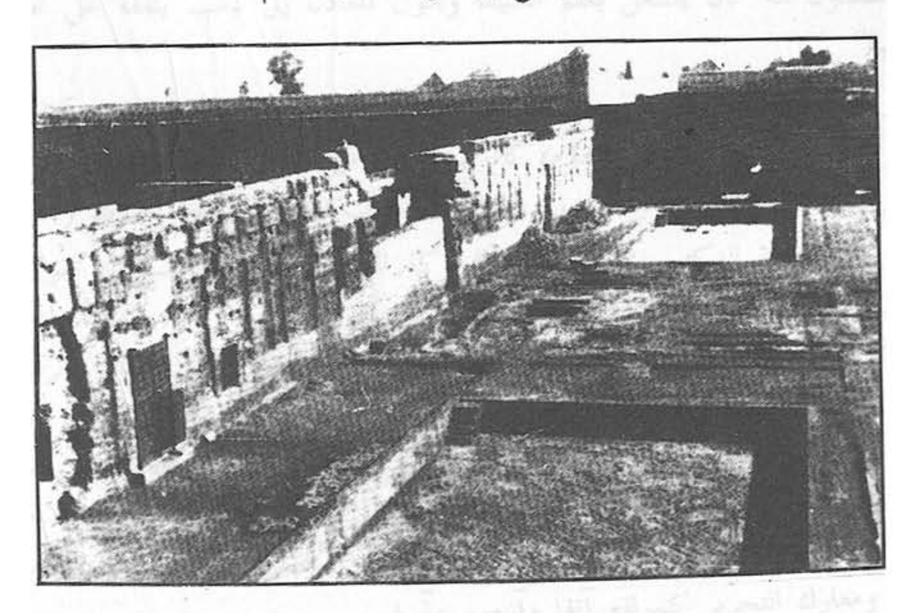
وكان فيه من الرخام المجزع والمرمر الأبيض والأسود ما يدهش النظر وكل رخامة طلي رأسها بالذهب الذائب ومموه بالنضار الصافي وفرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافي البشرة، وجعل في أضعاف ذلك الزليج المتنوع التلوين، حتى كأنه خمائل الزهر. ويحدث المؤرخون أن سقوفه وجدرانه قد طليت بالذهب مع النقش البديع الرائق الرقم بخالص الجص، فتكاملت فيه المحاسن. وقد رقمت الأشعار في الأستار ونقشت الأبيات على الخشب والزليج والجص، فقد نقشت قصيدة طويلة من انشاد الكاتب البليغ أبي فارس عبد العزيز الفشتالي نقشت خارج القبة الخمسينية لأن فيها خمسين ذراعا بالعمل. وقد خلف الوزير الأديب أبو الحسن على بن منصور الشنظلي أشعارا عديدة كتبت على مباح قبة الزجاج وعلى عدة أبواب من قصر البديع منها باب الرخام. وذكر صاحب نفح الطيب أن المنصور قد اخترع من المصانع ثلاثة أشياء فجاءت غريبة الشكل بديعة الحسن. وهي البديع والمسرة والمشتشهي. ولعل المنصور كان قد جدد معالم المسرة بعد اندراسها، وكان أول من أنشأها عبد المؤمن بن علي

(1) عن قصر البديع راجع الاستقصا للسلاوي ج 5 ص 134 والقصائد الواردة ص 143/136، وانظر الأصل في نفح الطيب للمقري، وانظر نزهة الحادي لليفرنسي وبروضة الآس للمقري بتحقيق عبد الوهاب بن منصور وأشعار القبة الخمسينية ص 135؛ أشعار البهو ص 136 وخارج القبة ص 138



شكل 19 – أ

قصر البديع بمراكش، التخطيط العام



شكل 19 – ب

قصر البديع بمراكش، منظر عام للبقايا والآثار

كبير دولة الموحدين. ويردد بعض المؤرخين أن السلطان المظفر المولى إسماعيل بن الشريف أمر بهدم قصر البديع سنة 1119 هجرية فتبدلت معالمه ومحيت مراسمه ولكننا سوف نفرد له دراسة خاصة بآخر هذا الفصل حيث يمثل قصر البديع جميع فنون العمارة والزخرفة المغربية في عصر السعدين على نحو شامل وكامل لاتصل إليه آثارهم الأخرى التي تخلفت بعدهم.

مسيرة المدارس والزوايا في العصر السعدي

أوضحت بكتابي تاريخ شالة الإسلامية الأسباب التي جعلت سلاطين بني مريم يتخذون نشر العلم مبدأ لقيام الدولة منذ تأسيسها إلى أن انتشرت المدارس عرائسا بعواصم المغرب الكبرى وبلغت غاية التطور المعماري والزخرفي محتفظة بجميع تقاليد الطراز المغربي الأندلسي[1].

لكن الضعف الذي أصاب عصر الوطاسيين أتباع المرينيين أصاب المؤسسات والمرافق الاجتماعية والدينية بالإهمال والخراب مما دفع الأشراف السعديين إلى المبادرة بإصلاحها وترميمها وانقاذ ما تبقى من عمارتها ومرافقها.

وفي هذا الإطار تدخل العناية الفائقة التي أولاها الغالب بالله لمدرسة ابن يوسف بمراكش حيث أعاد تشييدها وبعثها من جديد بما انفق عليها من أموال طائلة جعلت بعض العامة يعتقدون أنه كان يشتغل بعلم السيما ويحول المعادن إلى ذهب ينفقه على عمارتها وزخرفتها[2]

ويلاحظ الدكتور محمد حجي أن تأخر انتعاش مدارس الشمال بفاس ومكناس إلى النصف الثاني من القرن العاشر (16م) كان بسبب تأخر انتشار نفوذ السعديين شمال نهر أم الربيع إلى أن كانت أيام أحمد المنصور وخلفائه فاستعادت تلك المؤسسات جيويتها ونشاطها.

وأثناء دراسة الدكتور محمد جحي للحركة الفكرية بالمغرب اتضح له تفوق بناء السعديين للمدارس بالبادية على الحاضرة بالنسبة لما نراه في المساجد والزوايا، ذلك أن المدارس القروية المنشأة أو المجددة في عهد السعديين تعد بالمئات وتنتشر من أقصى شمال المغرب إلى جنوبه ويؤكد رأيه هذا بما ذكره العلامة مختار السوسي بكتابه (سوس العالمة من أن خمسين مدرسة من مدارس إقليم سوس ترجع إلى العصر السعدي ويجمل الدكتور محمد حجي أسباب تلك الظاهرة في تقلص الحياة الحضرية بصفة عامة على عهد السعديين بسبب الاحتلال المسيحي للحواضر العلمية الشمالية كسبتة وطنجة وتخريب حواضر الشواطىء الغربية بالغارات البرتغالية ومعارك التحرير كمواقع آنفا وآزمور وآسفي.

---

(1) كتابنا تاريخ شالة الإسلامية وكتابنا تاريخ العمارة والفنون جزء 4

(2) د. محمد حجي : المؤسسات الدينية بالمغرب، مجلة المنهل الرباط عدد 18 يوليوز 1980 ص 122

يقابل ذلك الوضع اقبال زوايا البادية على تشييد المدارس لإيواء الطلبة بعد أن اتخذت صبغة علمية، كما اهتم السعديون بانشاء مدارس خارج الزوايا تنافسها وتحد من خطورة النفوذ المتزايد لشيوخ التصوف، بالإضافة إلى اعتماد السعديين على خريجي مدارس البادية وخاصة مدارس الجنوب في المناصب السياسية والمهام الدينية وجباية الخراج وقيادة الجيوش[1].

(1) نفس المصدر ص 123.

مدرسة ابن يوسف بمراكش

نشر الأستاذ محمد خصيف دراسة حديثة عن المدرسة[1] تناولت تاريخها ونقوشها التأسيسية ووصفاً لعمارة المدرسة وزخارفها من المفيد الإلمام بخلاصتها.

تاريخ المدرسة : أورد الأستاذ محمد خصيف آراء الأستاذين مارسيه وتيراس اللذين يؤيدان الافرانى مؤرخ الدولة السعدية أن المدرسة أعيد بناؤها على انقاض مدرسة مرينية، واتبع ذلك برأي كل من دفردان وسنيفال اللذين اعتمدا على كتابات مرمول وليون الإفريقي أن المدرسة المرينية كانت آثارها بجانب القصبة القديمة، اذن فهي ليست المدرسة المجاورة للجامع.

النقوش التأسيسية :

1 – نقش في الخشب بلوحة على عتبة الباب الرئيسي نصه (أقامني للعلوم وللصلاة أمير المؤمنين وسبط خاتم الرسل اسمى الخلائق عبد الله...)

2 – نقش في الزليج بالصحن نقرأ فيه (كان عصر بني مرين عصر العلم والتقدم والحضارة وأن ما خلفه بنو مرين من الآثار لأعظم دليل على ذلك من بعد تسع مئين طلقت في عام اثنين مع سبعين قد سلفت تبارك الله هذا منزل سبقت له الكرامة...)

3 – نقش على تيجان أعمدة بيت الصلاة (النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أمير المؤمنين أبا محمد عبد الله بن مولانا أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى ايد الله أمره بمنه) (أشكال 20، 21، 22)

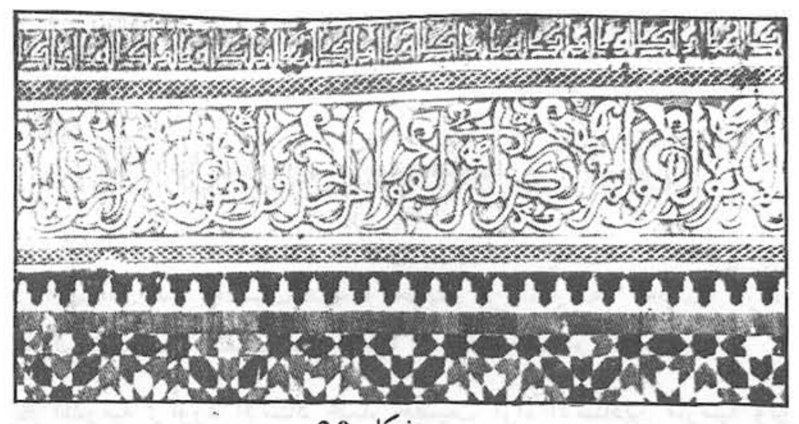
ومن النقش التأسيسي الوارد بعام (972هـ) ينضح تأريخه من عضر السلطان عبد الله الغالب فمولده 933هـ وبيعته 965هـ ووفاته 981هـ كما هو وارد بالاستقصا[2]

العمارة والزخرفة :

تقع المدرسة داخل أسوار مدينة مراكش وسط المدينة القديمة جانب جامع ابن يوسف

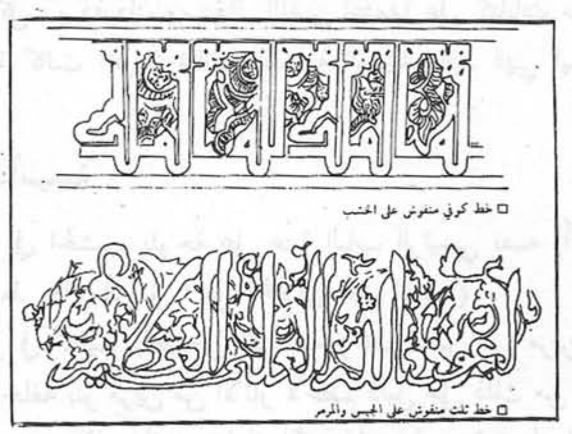
---

(1) محمد خطيف : مدرسة ابن يوسف، مجلة المتحف العربي مارس 1988م ص 52 مع 10 لوحات وتخطيطات
(2) الاستقصا للسلاوي 38/5 و52



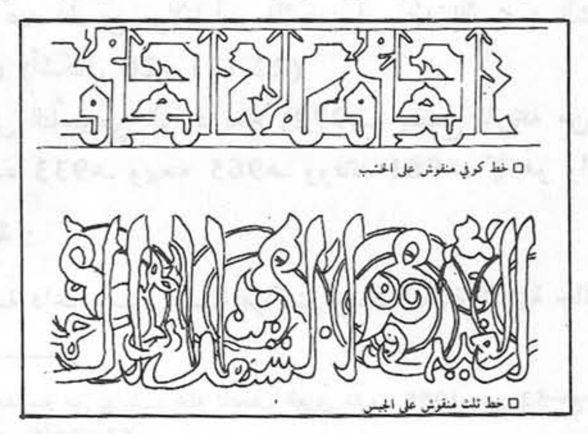
شكل 20

مدرسة ابن يوسف بمراكش، زخارف الجص والزليج بالصحن



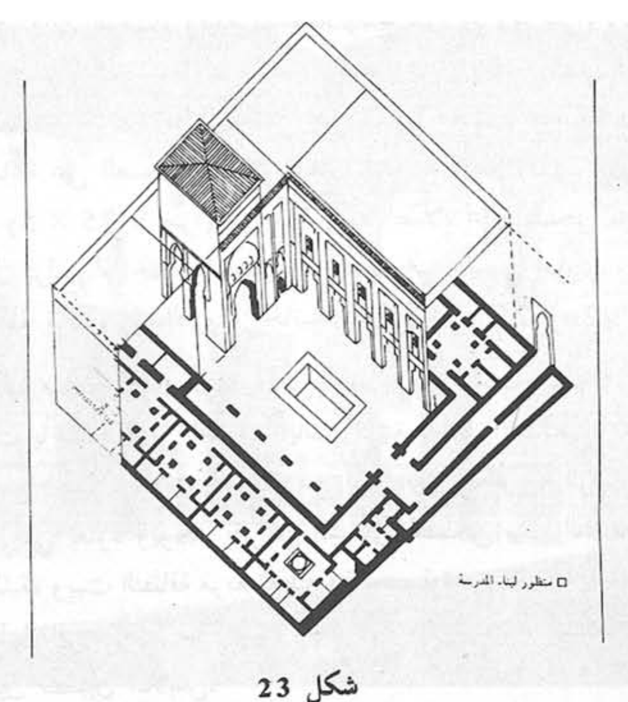
شكل 21

مدرسة ابن يوسف بمراكش، نقوش كتابية في الخشب والجص والمرمر



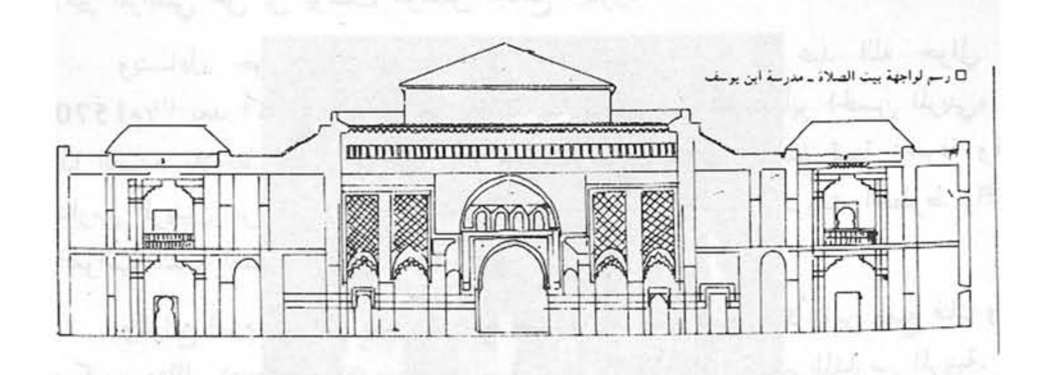
شكل 22

مدرسة ابن يوسف بمراكش، نقوش كتابية في الخشب والجص



شكل 23

مدرسة ابن يوسف بمراكش، التخطيط



شكل 24

مدرسة ابن يوسف، بمراكش واجهة بيت الصلاة

أكبر مساجدها في ذلك الوقت، وتبلغ المساحة (44 مترا × 41 مترا) وسورها سميك (من 60 إلى 140 سنتمترا) تتخلله نوافذ صغيرة (شكل 23) ويفتح الباب الرئيسي على ممشى طويل يؤدي إلى مساحة مربعة تغطيها برشلة وهي قبة من الخشب هرمية الشكل، ويفتح الباب المزدوج لهذه القاعة على الصحن الرئيسي الذي تبلغ مساحته (20 × 16 متراً) ويتوسطه صهريج مساحته (5 × 8.75 مترا) وواجهة بيت الصلاة على الصحن حفيلة بالزخرفة تبدأ من أسفل بأشغال الزليج ثم الجص فالخشب يتوسطها باب رئيسي محوري وينتهي طرفاها بباب صغير في كل جهة يؤدي إلى الأروقة الجانبية (شكل 24، 25 و26).

عقد المحراب متجاوز فوق عمودين من الرخام بكل جانب وبواجهته آيات قرآنية بالخط الكوفي كما نقشت بأعمدة قوس المحراب آيات كريمة بالخط الأندلسي، أما الآيات المنقوشة بجوفة المحراب فمن الجص. وبيت الصلاة من أسكوبين وتكثر به الزخارف النباتية بداخل المحراب والنوافذ التي تعلوه ويوجد بالركن الشمالي للصحن بيت النظافة، وبالطابق السفلي أبواب بيوت الطلبة، وبيت النظافة مربع تغطيه قبة جصية تشبه نظيرتها بالباب الخارجي هندسة وزخرفة وتتوسطها نافورة تحبط بها أعمدة رخامية، وهي تتوفر على تسعة بيوت صغيرة للماء والطهارة وغرفتين لتصبين الملابس.

والخلاصة أن هذه المدرسة السعدية تعتبر أكبر مدارس المغرب ولا زالت تحتفظ باسم الأمير المرابطي علي بن يوسف مؤسس الجامع المجاور.

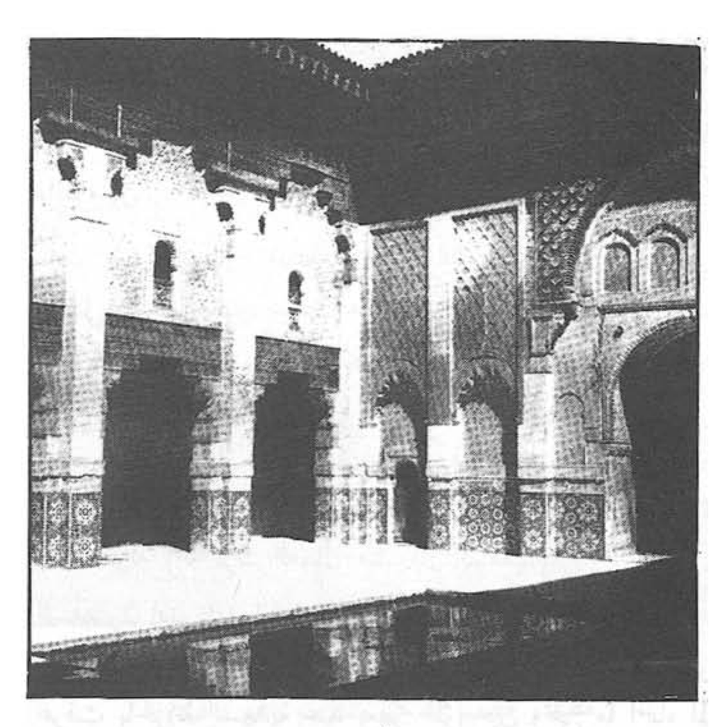
ويتساءل جورج مارسيه إلى أي حد استطاع مولاي عبد الله حوالي عام (1570م)[1] بعد أكثر من قرنين مراعاة تقاليد البناء الذي أبدعه أبو الحسن المريني، وفي هذا الصدد يلاحظ هنري تيراس[2] أن مدرسة ابن يوسف لا تبلغ قيمة زخرفة وفنون مدارس المرينيين من القرن الرابع عشر للميلاد غير أنها توحي بذكريات الخطوط والنماذج والقوالب الفنية لعصر المرينيين.

والواقع اليوم أن الأثر يبدو كوحدة متميزة منسجمة تظهر وكأنهامن صنع فنان واحد بتركيب متماثل (Symetrique) ودقة هندسة تعيد إلى الأذهان تصميم المدارس المرينية.

ويصرح هنري تيراس بأن فنون المرينيين تستوحي مرة أخرى في مدرسة ابن يوسف وخاصة بصحنها وأقواسها المنتظمة فيما عدا الزخارف التي تساير مدارس القرن الرابع عشر للميلاد.

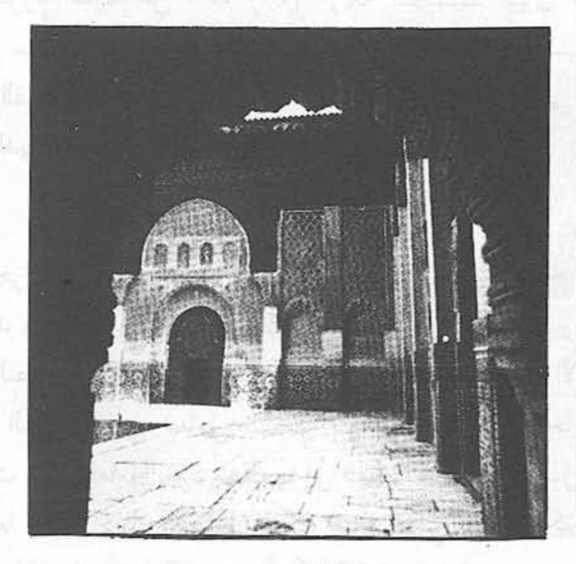
G. Marçais. L'archit. Mus. P.392 (1)

H. Terrasse et Jaen Hainaut : Les arts decoratifs au Maroc. Paris 1925 P.84 (2)



شكل 25

مدرسة ابن يوسف، بمراكش واجهة بيت الصلاة



شكل 26

مدرسة ابن يوسف، بمراكش واحهة بيت الصلاة

وعلى الرغم من ذلك فإن أشغال الزليج أسفل الجدران والدعائم ثم زخارف الجص التي تعلوها المنحوتات الخشبية بالأسلوب المعروف في مدارس المرينيين لازال يربط مسيرة الفن وعلى الخصوص مميزات الطراز المغربي الأندلسي بعمارة وزخرفة هذه المدرسة.

خزانة السعديين بالقرويين :

وكان من أهم معالم العمارة المدنية بناء خزانة السعديين العلمية بجامع القرويين (1010هـ) وفي مستهل القرن الحادي عشر وهي المعروفة بالخزانة العليا التي اختلفت الآراء في تاريخها قبل إشارة الدكتور عبد الهادي التازي إلى نص ورد في (تاريخ الدولة السعدية التاكادرتية) يشير إلى أن السلطان مولاي أحمد خرج من مراكش نحو فاس وأمر بكراء رباع جامع القرويين وأصلح (من هذا المال القبة الجديدة التي فيها الكتب التي تلي المقصورة). واتبع الدكتور التازي ذلك بإشارة المقري قبل مغادرته فاس إلى تلمسان في ذي القعدة 1010 هجرية إلى تلك القبة بقوله (أنه ترك العمال مشتغلين بسقفها).

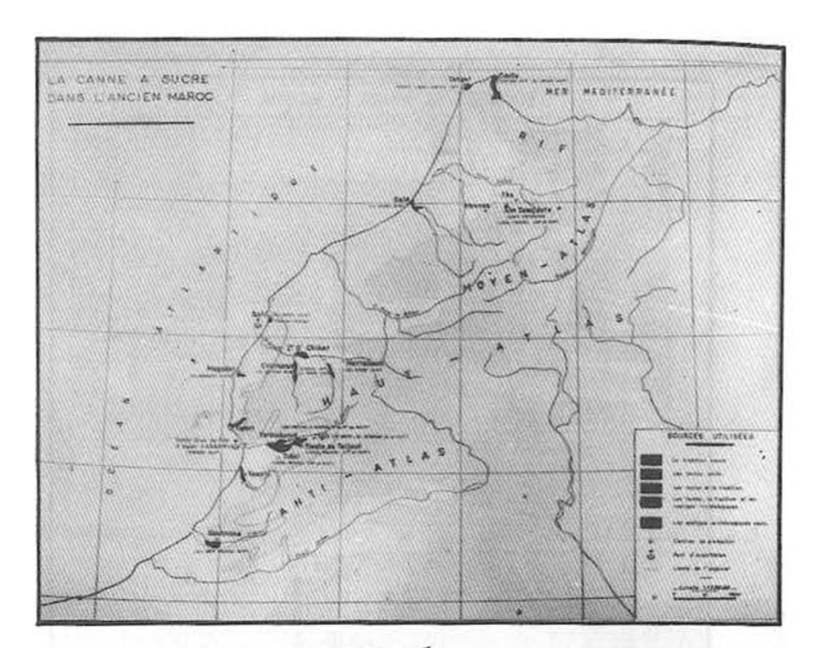
لقد أسس السعديون إذن تلك الخزانة العلمية في جهة القبلة عن يسار خزانة المصاحف العنانية وقد عرفت خزانة السعديين في الحوالة الإسماعيلية بالخزانة الأحمدية الشريفة نسبة إلى أحمد المنصور كما عرفت بالخزانة السعدية عند بعض المؤرخين وهي ما أسماه المقري بالخزانة العليا.

والخزانة المذكورة عبارة عن قاعة (قبة) مربعة التخطيط طول ضلعها خمسة أمتار ونصف متر بارتفاع سبعة أمتار يغطيها هيكل هرمي (برشلة) من الخشب غطى خارجه كما هي العادة بالقرمود (الفخار المزجج) بينما زخرت في الداخل بأشغال الجص المزخرف والخشب المنحوت والنقوش الدينية الدعائية.

مراسم السكر :

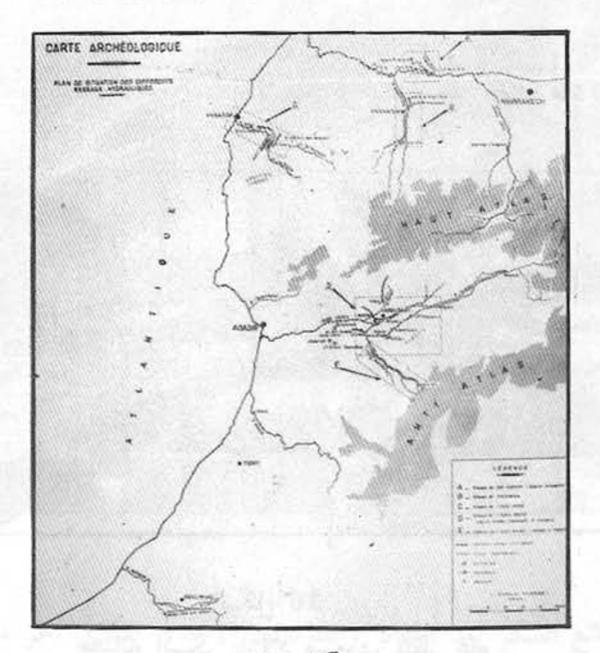
وكان من منجزات المنصور المدنية كذلك مراسم السكر التي أحدثها بمراكش وبلاد حاحة وشيشاوة، فقد وفرت تلك المادة في المغرب على عصره وفرة كبيرة أدت إلى أنه كان يشتري الرخام من النصارى بالسكر وزنا بوزن. وقد أدت التنقيبات الأثرية الحديثة داخل المملكة المغربية عن الكشف عن معامل السكر بنواحي الصويرة وحاحة[1] بالإضافة إلى ناحية السوس، وكانت تلك المعامل يعود معظمها إلى العصر السعدي ويصل إنتاجها من السكر إلى مختلف دول أوروبا حيث كانت القصور الملكية هناك تباهي بتقديمه لكبار ضيوفها وزوارها كدليل على الإتقان والجودة وبعد الصيت (أشكال 27 – 34).

(1) انظر أبحاث ودراسات زميلنا الأستاذ برتييه : P. BERTHIER : Les inciennes sucreries du Maroc, Rabat 1966



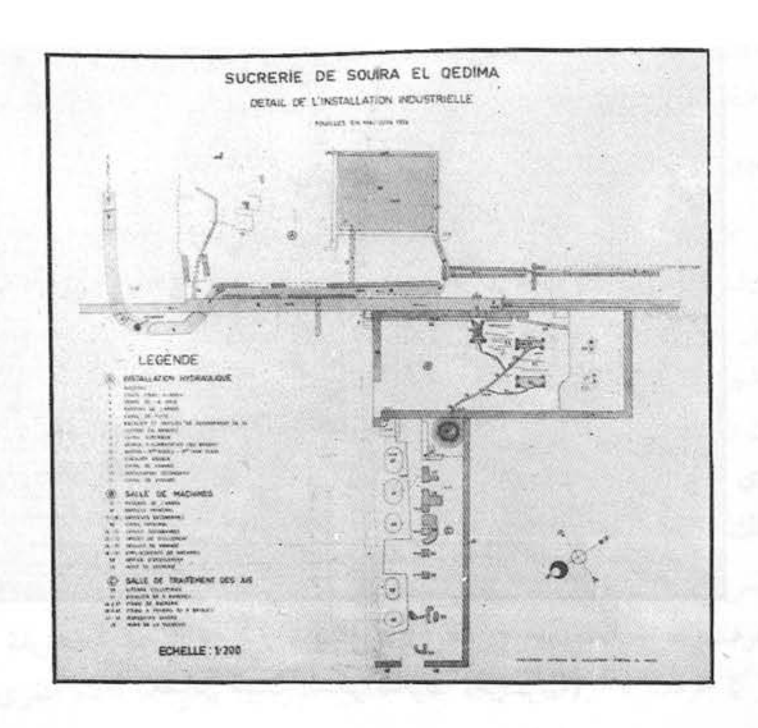
شكل 27

مصادر قصب السكر بالمغرب (عن برتبيه)



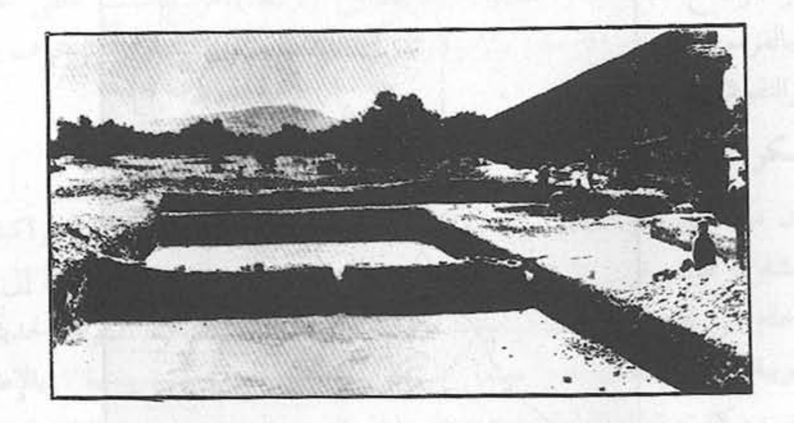
شكل 28

تخطيط الشبكات المائية



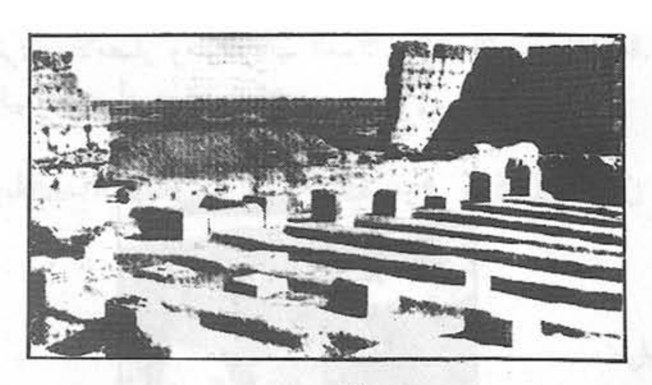
شكل 29

تخطيط التصميمات الصناعية لصناعة السكر بالصويرة القديمة بعد حفائر 1959م (عن برتبيه)

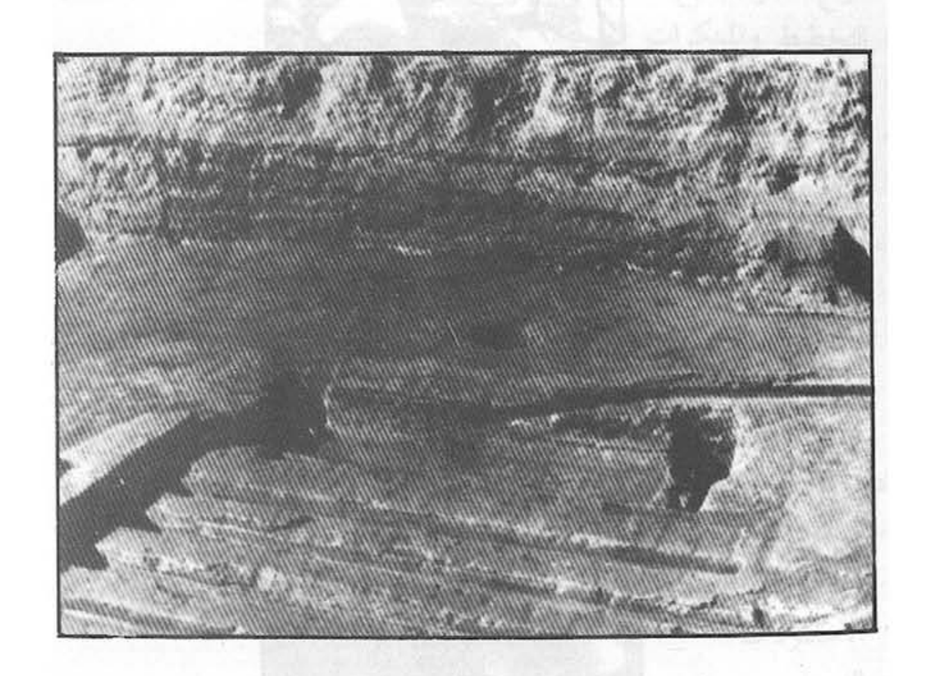


شكل 30

مصانع السكر باولاد مسعود، منظر عام



شكل 31
تفصيل عمارة مصانع السكر بعد سلسلة الحفائر التي اختتمتها دراسة برتبيه



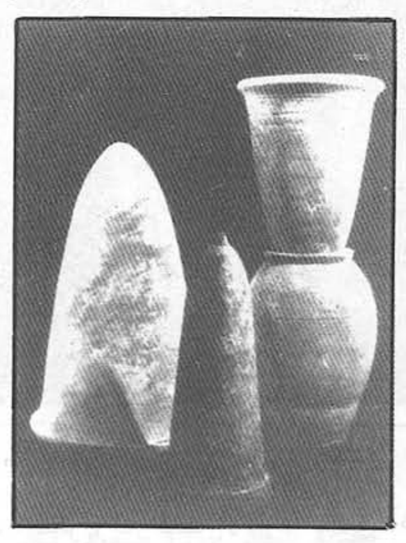
شكل 32
مصانع السكر بعد الحفائر والدراسات الأخيرة، تفصيل آخر من العمارة

وقد أشاد الفشتالي في مناهل الصفا بمصانع السكر التي أقامها المنصور السعدي في مدينة تارودانت التي كانت تسمى بالمحمدية (فالمحمدية التي من مشيدات مولانا الإمام... قاعدة بلاد سوس وأم القرى والأمصار وملوك باب السودان ذات القصور المشيدة... إلى معاصر السكر الجاثمة حواليها جثوم أهرم مصر...)



شكل 33

منظر عام للقناة الرئيسية وخزان التجميع بمصنع تازمورت



شكل 34

عدة نماذج من قوالب السكر القديمة

الفصل الخامس

عصر الأشراف السعديين
الفنون التطبيقية في عصر الأشراف السعديين

أبحاث هذا الفصل :

1 – قصر البديع الأثر الفني لعصر السعديين :
– مكانة المنصور في مجالات الحضارة المعمارية والفنون
– تاريخ قصر البديع
– التخطيط والمبتكرات العلمية
– مختلف أنواع العمائر الإسلامية بقصر البديع
– الزخارف المعمارية والفنون بقصر البديع :
* المرمر والرخام والأعمدة والتيجان
* المقربص ومواد وفنون الزخرفة
* النحت والتماثيل
* الزليج والخزف
* الخشب
* الزخرفة والخط والكتابة

2 – نماذج أخرى من فنون السعديين :
– الرخام والجص والخشب بصحن القرويين
– صناعة الساعات والمعادن والثريا السعدية بجامع الأندلسيين
– الاسطرلاب
– النسيج
– النقوش العربية
– فنون الكتاب
– العمارة الإسلامية والفنون في الشعر العربي

الفصل الخامس

الفنـون والصناعـات التطبيقيـة

سوف نبدأ هذا البحث بدراسة علمية جديدة حول مفخرة الفنون المعمارية والتطبيقية لعصر الأشراف السعديين بما فيها من عمارة وهندسة الماء وفنون النحت في الرخام والمرمر والجص والزليج والخزف والخشب والمنسوجات وأنواع الخطوط والروائع التي نفذت بمختلف المواد، ثم تتبع ذلك العرض ببعض الصناعات والفنون الأخرى لإكمال الصورة الواقعية لحقيقة التقدم المعماري والفني في عصر السعديين.

قصر البديع الأثر الفني النموذجي لعصر السعديين

على الرغم من اندثار قصر البديع الذي كان مدينة ملكية كاملة المنشآت والمرافق والملحقات، فإنه يعتبر الأثر الفني النموذجي لعصر السعديين، فعلى الرغم من بقاء بعض معالم عمارة الأشراف السعديين مثل أضرحة السعديين بمراكش وبعض المساجد والحصون وغيرها، إلا أن أثرا من تلك الآثار لايسمو لاحتلال مكانة الأثر الفني النموذجي لعصور هذه الدولة التي صَعَّدَت في السياسة وَجَلَّت في الحرب وسمت في الإقتصاد.

ذللك أن قصر البديع يعتبر بحق مجمعا لفنون العمارة الإسلامية التي عرفها المغرب في هذه الفترة واستقاها من مصادر الفنون المغربية السابقة وعلى رأسها الفن المغربي الأندلسي. لقد كان قصر البديع ولازال أكبر إنجاز معماري حضاري في عالم الإسلام يفوق الزهراء والزاهرة، وما اشتهرت به دمشق وبغداد وقصور الفاطميين بالقاهرة. والحقيقة التي نقرها هنا ليست من قبيل العبارات المرددة فإن الكاتب الشاعر المؤرخ الفشتالي الذي عاصر ظروف البناء والتشييد قد صرح بعجز فنون البيان عن وصف ما أتت به الخوارق الفنية في تشييد هذا الأثر.

(... ولابد عند الإستفتاح بذكر هذا المصنع العظيم الشريف من مقدمة تكون هي النتيجة في إقامة المعذرة لي عما يستشعر من القصور من يقف على عين هذا الأثر الشريف الجليل المنيف فيرى ما... أجل وأعظم وأفخر وأبهر وأخطر وأرحب وأوسع وآنق وأرفع مما سمع، فأقول أن الله تعالى لا يواخذ العبد إلا بما يكون من العمل في وسعه وطاقته، والإحاطة بأوصاف هذا الأثر العظيم والآية الخارقة لاجرم من قبيل المحال والتكليف بما لا يطاق، ولكنني أصف من الفلك بعضه وأتقلد من العمل فرضه وأتجنب البحر وخوضته...)

مكانة المنصور السعدي في مجالات الحضارة المعمارية والفنون الإسلامية :

وإذا لم تستطع سحب المعارك التي خاضها المنصور حجب شهرته العسكرية وتفوقه السياسي، فلقد كاد النسيان يلف شهرته الفنية لولا ما وصل إلينا من معلومات عن نبوغه الفكري في مجالات الحضارة في كتاب مناهل الصفا الذي سجل فيه صاحبه الفشتالي ملاحظات دقيقة – تكشف عن سر عظمة المنصور الحضارية – أثناء تأريخه ووصفه لقصر البديع.

ونستطيع أن نعتبر كتابة الفشتالي كوثيقة تاريخية من الطراز الأول كرجل دولة معاصر ومقرب شهد بنفسه مراحل العمل العظيم فلنستمع إليه يقول.

(... فمن شرف آثاره الجليلة الضخمة التي اخمل بها ايده الله تعالى – يقصد المنصور السعدي إمام عصره – ذكرى مصانع... بنى عباس ببغداد وآثار بني عبيد التي منها القاهرة... قصر الشريف العظيم الخطر العد يم الفد والمثل الضخم العمل الذي هو المثل المضروب في الأرض عظمة وضخامة وجلالة واحتفالا وتقناً وتأنقاً...)

كما يقول (... فماذا أقول وقد رأيت الأمر جليلاً وماذا أصف وقد حملني العجز عن الوصف عبئاً ثقيلاً...) فقد كان الفشتالي معاصراً للمنصور السعدي مقربا إلى جانبه مطلعا عى أسراره وهو يقول (... سمعت منه أيده الله مرارا إذا جرى ذكر التعجب من عظيم آثاره المنيفة...) فهذا رجل ثقة نعرف منه الآن مكانة المنصور الحضارية.

يقول الفشتالي (وهذا المصنع العظيم ينبغي أن أنبه على ما لمولانا أمير المؤمنين أيده الله من النية الصالحة في تشييده، وهو أن موالينا الخلفاء من سلفه ... وإن كانوا قد خطوا المدن ووطدوا القصور وشيدوا الأواوين... فما صنع مولانا... لطموح همته الشريفة بالغلبة التي وقفت عندها همه... سمعت منه ايده الله مرارا إذا جرى ذكر التعجب من عظيم آثاره... يقول : ما بعثني على ذلك إلا أني إذا نظرت إلى آثار سلفنا الكريم أجد آثار الموحدين مازالت تنازعها فضل .... وضخامة واحتفال أربى عليها، وآثار بنى مرين تجاذبها رداء التأنق .... في تنميق الحلة وبديع الطراز، فأبيت لأهل بيت النبوءة أن يكون الفضل والشفوف لآثار من دونهم من الدول على آثارهم من قلم أرض إلا بما يعفي على آثار الدولتين....) فسليل بيت النبوءة المنصور السعدي يوجز في عبارتين أهم مميزات عمارة الموحدين ثم منشآت بني مرين كأحسن ما يكون تعاريف العالم بالآثار وبهذا أراد أن يجمع في بناء البديع بين فخامة وعظمة وجلال مباني الموحدين ورقة ودقة وأناقة وشفوف آثار المرينيين.

لقد كان المنصور مهندس ومصمم مشروعه العظيم (... وإذا بلغت الدار التي يفضي إليها من البديع من على يمين الخضراء... رأيت المحاسن وأنموذج الكمال... نتيجة همة صيغت

من نور النبوة... لما نظر مولانا أمير المؤمنين صورها الخيالية في ظنه الشريف وحدثه الكريم الذي يخترع الأشياء في أحسن تقويم أحضر عرفاء المباني فاقترحها عليهم وأخذ أيده الله... الوصف إلى أشكالها التي تصورها فلم يكونوا ليهتدوا حتى تولى لهم رسمها ببنانه الكريم في قرطاس فلمسوه بأيديهم وحينئذن اهتموا... فبهتوا ثم اجتهدوا في تشييدها وفق الاقتراح الكريم...)

تاريخ قصر البديع

وبادىء ذي بدء يفسر لنا صاحب مناهل الصفا اختيار الإسم فيقول (ويختص هذا القصر الشريف على جميل الألقاب بالبديع، لاجرم طابق الإسم المسمى لاحتوائه على كل نوع من أنواع البدائع وغرائب العجائب).

وكان البديع يطلق أصلا تبعا لما يعتقده الدكتور عبد الهادي التازي على المبنى الخاص لسكنى السلطان المنصور في الجانب الشرقي[1] من المدينة لملكية ثم صار علما على سائر القصور والقاعات والمرافق والملحقات التي تتكون من مجموعها تلك العمارة الأثرية. ولكننا نعتقد أن الدار الكبرى هي التي كانت محل سكنى أمير المؤمنين المنصور السعدي اعتمادا على رواية الفشتالي نفسه في مناهل الصفا إذ يقول (... ويختص هذا لقصر الشريف من جميل الألقاب بالبديع لاحتوائه على كل نوع أنواع البدائع وغرائب العجائب، يُشرع إليه من الإيوان في مدخل عظيم... وإذا أفضيت منه – أي البديع – إلى الدار الكبرى مثوى الإمام نفسه ومطلع شمسه والفلك الذي تبدو منه طوالع سعده فهناك يخرس اللسان... وهذه الدار أم العجائب وديوان الغرائب...) وكان مبدأ الشروع في تأسيسة في شوال خامس الأشهر من خلافته من عام ستة وثمانين وتسعمائة واتصل العمل إلى عام اثنين وعشر مائة لم تتخللها فترة (وحشد به الصناع وأرباب الحكمة من كل أرض حتى من بلاد الافرنجة... وجهابذة البناء وأولى المعرفة والكفاية في التنسيق والتشييد ومن سائر الفعلة وأساري الدولة الكبرى خلق عظيم.

ويقول الدكتور عبد الهادي التازي أنه نظرا لفخامة المشروع السعدي فإن أعمال البناء الكبرى تستمر طيلة ستة عشر سنة كاملة بل أن بعض الأعمال التكميلية استمرت إلى ما قبيل وفاة المنصور سنة 1012 (1603م) حسبما تفيد رسالة صادرة عنه من فاس يوحي فيها بتركيب سواري الرخام عند تسقيف بعض الجهات.

ويجمع الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه عن قصر البديع الأسباب الحقيقية التاريخية التي أدت إلى تهديم القصر وهي أسباب منطقية مقبولة. ويقول خلافا لما كتبه المغرضون

(1) عبد الهادي التازي : قصر البديع ص 9.

الأجانب[1] الذين ادعوا بأن دولة العلويين خربت قصر[2] البديع بدافع الغيرة فإن السلطان المولى رشيد العلوي قد أقام فترة بنفس القصر عندما دخل مراكش سنة 1079 (1668م) بل أنه استشهد وهو بروض المسرة منه سنة 1082 (1671م) كما استقبل المولى إسماعيل بَنَّاء العلويين العظيم عدة بعثات دبلوماسية في قصر البديع.

لقد بدأت المأساة بتمرد الأمير ابن محرز في مراكش على المولى إسماعيل ووقوع اشتباكات مسلحة عنيفة داخل القصر وحوله باعتباره رمزا للسلطة ومركزا للقيادة ثم يعود ابن محرز مرة أخرى إلى مراكش سنة 1085 (1674م) وتمتد المعارك بينه وبين المولى إسماعيل داخل منشآت القصر (الذي تحول إلى ساحة قتال وتحولت مصاريع قبابها إلى مجنات وتروس وغرفها إلى ثكنات وأروقتها إلى خنادق ورياضها إلى مقابر وصهاريجها إلى مستنقعات للبعوض والناموس)

ولعل خير دليل على ذلك ما صرح به السلطان المولى إسماعيل بمرارة وأسف لسفير البرتغال (سنة 1088م) الذي إلتمس زيارة القصوز الملكية زائعة الصيت (سنرضي مطالبك ولو أنك لا تجد في هذا القصر ما كنت تسمع عنه، سترى كثيرا من الدمار لأن رصاص المعارك المحتدمة كان يلعلع في هذه الساحة ولأجل ذلك فإنك ستشعر بالخيبة وأنت ترى أثر التشتت والتمزق[3].

لقد خرجت هذه المعارك عن نطاق المغرب لأن أتراك الجزائر كانوا يقدمون العون لابن محرز ويتبادلون معه المراسلات وعقدوا معه حلفا تمون تركيا بمقتضاه عملاءها بالسلاح والجند، كما استهدفت مراكش وقصر البديع مطامع جديدة سنة 1014 من الأمير الملقب بالعالم ابن السلطان إسماعيل حيث عاشت المدينة طوال سنين في محنة قضت على البقية الباقية من قصر البديع الذي أصبح أطلالا متداعية ومنطقة موبوءة بالحمى حتى اشتهرت بذلك فقرر المولى إسماعيل هدم بقاياه سنة 1119هـ (1707م)[4] وبدأ بذلك اللصوص ومن بينهم قناصل دول أجنبية في نقل مواد القصر وتهريبها. وليس من المعقول أن أكبر بَنَّاء في دولة

---

(1) وكذلك جمهرة كثيرة من المؤرخين العرب والمغاربة، فإنهم يرددون قصة تخريب القصر على يد مولاي إسماعيل العلوي.

(2) القصر ومعناها : جاء في تفسير القرطبي، كتاب الشعب عدد 52 القاهرة ص 4722 في تفسير سورة الفرقان كانت قريش ترى البيت من حجارة قصرا كائنا ما كان، والقصر في اللغة الحبس. وسمي القصر قصراً لأنه مقصور عن أن يوصل إليه. وقيل، العرب تسمي بيوت الطين القصر، وما يتخذ من الصوف والشعر البيت.

(3) عبد الهادي التازي : قصر البديع ص 57 والمرجع المشار إليه :

une ambassade Portgaise à la cour de Marrakech, France Maroc dec. 1924 N°97

(4) عبد الهادي التازي : نفس المصدر ص 59 – 60.

العلويين يعمد إلى البديع لنقل موارده إلى عاصمته الجديدة مكناس فقد كانت منشآته بها قد تم تشييدها قبل ذلك بربع قرن[1]

يقول الدكتور عبد الهادي التازي وإذا كنا نستبعد أمر المولى إسماعيل بنقل بعض السواري من مراكش إلى مكناس أثناء حلوله بالبديع ومعاينته للتلف الذي حل بالقصر فإننا نرفض أن يكون بِنَاء قصوره بمكناس كان يتوقف على تصفية قصر البديع.

ومع أننا نشاطر صديقنا الدكتور عبد الهادي التازي رأيه الأخير غير أننا نرفض كذلك مبدئياً فكرة نقل بعض السواري من البديع إلى قصور مكناس فقد وردت نصوص صريحة تتعلق على العموم بفكرة تخريب آثار السلف ثم بمصير السواري الرخام التي أقامها المولى إسماعيل بقصور مكناس وهاهو الفشتالي يقول في مناهل الصفا : (ويفوت هذا القصر القصور الأولى من مباني الدار... بالمرمر الكثير العدد.... تتبارى التجار من أهل الحرف في نقله وجلبه طوع اقتراع مولانا أمير المؤمنين... من قاصية بلاد البنادقة... وكان بنو عبد المؤمن خلفاء الموحدين... قصاري ما انتهت إليه هممهم جلب المرمر من المرية والأندلس، ثم جاءت دولة بني مرين فأخذوا فاس دار ملكهم.... فكانوا ينقلون المرمر من قصور الموحدين بمراكش، ثم جاء الله بالدعوة الكريمة النبوية... فأنفت الهمم الكريمة الإمامية الأحمدية المنصورية... من تخريب مدينة قواعد ممالكه الشريفة بتجديد اخرى[2] كما فعل بنو مرين... وتخطى المربة التي هي قصاري الموحدين إلى تخوم البنادقة اغراباً بمعدنها الفضي الأديم... فاشتملت قصوره من ذلك أيده الله ومصانعه الشريفة على ما تقاصرت عنه قدرة الخلفاء الأعاظم... فلقد دارت فوراء الدار الكبرى... على خمسمائة عمود مرمرية...).

التخطيط والمبتكرات العلمية والحيل الهندسية في قصر البديع :

لقد أورد الدكتور عبد الهادي التازي تاريخ المحاولات التي وضعت لرسم تخطيط قصر البديع بمراكش بادئاً بذكر تصميم برتغالي مخطوط في الأسكوريال وتصميم البعثة الهولندية التي استقبلت من لدن السلطان زيدان بقصر البديع سنة 1032 وورد في كتاب ويندُس (WINDUS) عن السفارة الأنجليزية لدى بلاط المولى إسماعيل بمكناس ومحاولات الرحالة والرسامين[3] المتتابعة، إلى التصميم الذي نشره صديقنا الأستاد دفردان الذي خص أطروحته بتاريخ مراكش ونقوشها العربية. على أن ذلك كله لا يبلغ الدقة العلمية التي وردت في مناهل الصفا في القسم الذي خصصه المؤرخ المعاصر الفشتالي لوصف قصر البديع.

(1) نفس المصدر ص 61.

(2) نفس أخبار الفشتالي عن قصر البديع المنشور ملحقا بكتاب الدكتور عبد الهادي التازي عن قصر البديع، انظر النص ص 74 – 75

(3) عبد الهادي التازي : قصر البديع ص 8 – 9.

لقد دارت قوراؤها عاى خمسمائة عمود من المرمر بينما قامت القباب والبراطيل على مائة منها، وتوسطها فناء فسيح الأرجاء 135م × 110م حيث تمتد البركة العظيمة 90 × 20م وسطها خصة من المرمر ذات حوضين أحدهما فوق الآخر. ويمتد على ضفتي البركة على مستوى منخفض سماطان حافلان غرسها بالزهور والأشجار وفرش بالزليج الملون. وكان في زوايا تلك الساحة الكبرى أربع برك أخرى ينزل إليها بدرج مزلجة. وقد ارتفعت على الطرفين الطويلين للبركة الوسطى قبتان عظيمتان الغربية منها وهي الخمسينية امتازت بسقفها المرتفع عظيم الاتساع وقد شقها حوضان انيقان تتوسطهما فوارات وتماثيل مذهبة ومفضضة من أسود وحيات وطيور وكان بين الحوضين خصة بديعة التركيب كما كان للخمسينية بهو في صدرها ذهب بكل محاسن البناء وكانت في مقابل الخمسينية شرقا[1] قبة الزجاج 15م × 16م وقد علا سقفها أنواع الزجاج الملون وتوسطتها فوارة من المرمر الأخضر.

وكان يشرع من بهو قبة الزجاج إلى روض المشتهي بواسطة باب عظيم رائع التوشيح وقد حملت كل من الخمسينية والزجاجية على اثنتي عشرة سارية من أرفع أنواع الرخام وكانت قبة النصر وهي القبة الشمالية ذات محاريب وخزائن ومنافس لامتصاص دخان الشموع، وصنع سقف بهوها من العاج والأبنوس وانتصبت أمامها فوارة عظيمة ترقص بالمياه المتصاعدة. وبساجلها على الضفة الجنوبية قبة التيجان ذات الصفائح التي وشت وجناتها بشامات زرق من اللازورد.

وقد انتصب في كل ركن من أركان القصر منارة على غرار تصميم برج النفار بجامع القرويين، والغالب[2] أن برج الركن الشمال الشرقي كان يؤدي إلى المنزهة أو المصرية المرتفعة على القبة الخضراء والمطلة على رياض المسرة والتي كانت تساوي منارة الكتبيين.

وكان من الابتكارات الهندسية والمعمارية في قصر البديع ما أشار إليه صاحب مناهل الصفا عند وصف الدار التي يفضي إليها من البديع من على يمين الخضراء والتي رسم تصميمها المنصور أمام المهندسين فشيدوها وفق اقتراحه (وانتظمت دوائرها المتراكمة بعضاً على بعض في الهواء وطبقا عن طبق سماطين متقابلين بحيث تسمو على قبابها المنيفة غرفها الأثيرة، ثم لا

(1) من دراسة التخطيط وتطبيق وصف الفشتالي يتضح أن القبة الزجاجية المسماة قبة الذهب تقع في الشرق وليس كما جاء بدارسة الدكتور عبد الهادي التازي (وفي مقابلة الخمسينية تنتصب في الجهة الغربية قبة الزجاج ص 10 من كتابه قصر البديع. ولعله سهو وانظر نص الفشتالي الذي نقله الدكتور التازي بكتابه المذكور ص 67 (تختص القبة الشرقية منها بسقف الزجاج الملون فسميت هذه القبة بالزجاجية).

(2) عن موجز وصف التخطيط الذي ذكره عبد الهادي التازي في كتابه قصر البديع.

يرى سكان علوها أهل سفلها مع جلب الضياء الفائض الشعاع للديار السفلي المحجبة عن العليا بحكمة لطيفة المدارك دقيقة المسالك، وانتسجت فوق صحون أعاليها الشبابيك الحديدية.

ثم يورد لنا الفشتالي كيفية استعمال المياه المكيفة حرارة وبرودة تبعا للحاجة (وتمتاز المياه الدافقة بالبارد والسخن من الحمام المنتظم ببنيتها شرقا ذي البركة العظيمة المفروغة للوقود من تحتها من النحاس الأحمر، تنتابها القواديس الفاغرة الأفواه إليها من كل جانب فتملأ حواصلها وتسافر بها لهذه الديار، وقد أخذت الأهبة لمصبها في النقر المرمرية بكل دار من أنبوبين ينبجس أحدهما بالبارد والآخر بالسخن.... بلوالب تنجذب عند الفتل طوع يد التخيير بين الحار والفاتر أو مزجها عند الاستعمال[1]...)

كما يشير الفشتالي إلى اختراع أو ابتكار جديد على نحو ما يسمى حديثا بالخادم الآلي وهي عبارة عن خزنة طعام آلية تتحرك تلقائيا بأصناف المأكولات من الطبخ إلى مقام الأميرات وغرف الحريم على نحو ما يعرف الآن في أكبر المستشفيات والمؤسسات العصرية (حتى لقد بلغ الاحتفال... إلى اتخاذ قب منحوت على شكل الفانوس الكبير المغشى بصفيح النحاس الأصفر الصقيل، وقد مثل بجدار كل دار منه شكل معتام لمناولة ما يرد من المرافق والمآكل والمشارب على الديار يدور بوجهه عند الداعية من الإماء والخدم القائمات بخدمة سيداتها من أهل الحجاب العالي فيلقين في جوفه من وراء الجدار... ثم يدور بوجهه إلى داخل المنزل فتقع المناولة من غير أن تتراءى إلى الأشخاص أو تبدو منها للعين قلامة ظفر[2]...).

كما شيدت الصهاريج على أرض ترتفع على أصول الأشجار حتى يستفاد من مائها لسقي الحقول المترامية تحتها في الطبقة الدنيا على نحو ما يذكر عن الحدائق المعلقة في بابل[3]. (أشكال 35، 36)

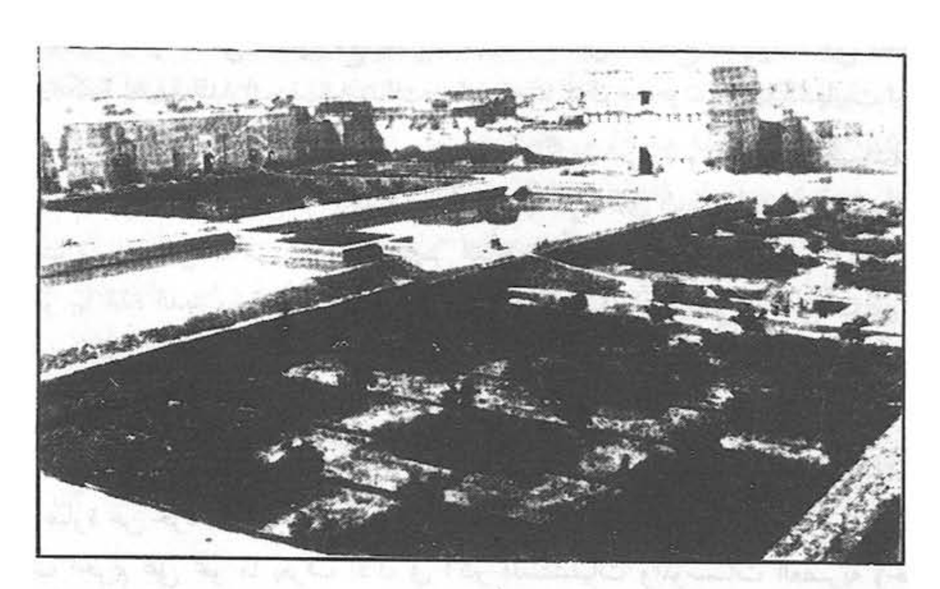
ويضم تصميم القصر عالماً فسيحاً من السراديب تحت أرضه تشتمل على مرافق وبيوت ومقاصير ومخازن ومطابخ ومغاسل تمكن مئات الخدم والحشم من أداء أعمالهم دون وعي الحاضرين الذين يفاجئون بالموائد تقدم إليهم بصفة آلية.

كما كانت قبة النصر التي اشتملت على مقاصر وخزائن ومساجد تشتمل على منافس لاشتفاف دخنة الشموع... صونا لحلتها من درن أنفاسها وتطهير الهواء ولا يفوتنا الإحساس بالقيمة الهندسية والحيل الحسابية التي صمموا بها هندسة المياه العامة التي كانت (ترقص بين

(1) نص الفشتالي المشار إليه ص 73

(2) نفس المصدر والصفحة

(3) عبد الهادي التازي قصر البديع ص 5.



شكل 35

قصر البديع بمراكش، منظر عام لتخطيط بعض الصهاريج



شكل 36

قصر البديع بمراكش، آثار الدروج ببعض الجنبات

الفوارات المرمرية بالمياه السلسالة ... كلها سرحت بها العين في محاسن جهة من المياه الدافئة والفوارات الراقصة والنقر المربعة والبرك الريانة...) في أكثر من موقع (فقد بلغ الاحتفال فيها إلى تنجييد الفوارات المرمرية اللجينية المعدة للرقص بالمياه الغزيرة...) والدار الكبرى مثوى الإمام (تزخر في بركها الخمس بحار طافية العباب قد نقلت في رؤوسها دوائر المرمر المختلفة الألوان العظيمة الأجرام ترقص فيها المياه الغزيرة على إيقاع طيور الأدواح...) والبلاط المقابل لقبة النصر أمامه (الفوارة العظمى الراقصة بالمياه...) وبين كل باب من الأبواب الخمسينية (فوارة ضخمة متباعدة القطر...).

مختلف أنواع العمائر الإسلامية بقصر البديع

أسلفنا أن إسم (قصر البديع) أطلق أصلا على الدار الكبرى التي كانت محل سكنى أمير المؤمنين المنصور وليس كما يظن الدكتور عبد الهادي التازي على المبنى المقام بالجانب الشرقي، ثم أطلق الإسم على مجموع المنشآت والعمائر والمؤسسات التي انتظمت داخل تلك المدينة الملكية بقصبة السعديين في مراكش.

وأنواع العمارة الإسلامية في مجموعها يمكن أن تنطوي تحت فروع ثلاث وهي العمارة المدنية فالدينية ثم العمارة الحربية. فما يدخل في نطاق العمائر المدنية بعمارة البديع القصور والمساكن والقباب على أن المقصود بالقباب هنا إنما هو غير المعروف في القباب في العمارة الدينية والأضرحة، إذ يطلق لفظ القبة في العمارة المدنية في المغرب داخل الديور الكبرى على الأجنحة والوحدات المعمارية الكاملة المشتملة على قاعات الاستقبال ومرافقها.

وهكذا نجد ضمن عمائر البديع بناء البديع نفسه[1] كأحد قصور المجموعة المدنية ثم الدار الكبرى مثوى الإمام ومنزله بما تشمل عليه من برك ونافورات وبراطيل[2] ثم القبة الشرقية وهي قبة الذهب أو القبة الزجاجية وفوارتها والبرطال والأبواب وتنوع الأسقف بها وأرضيات الرخام الصقيل أسفلها والبهو المطل على روض المشتهي وبابه[3] المرمري كما نجد القبة الخمسية التي يشقها بركتان بينهما فوارة رحبة، وبهو القبة وأبوابها والبرطال وغيرها من المنشآت التي أصنعت في محاسن البناء[4] ثم مجد قبة النصر على المحور الآخر شمالا وما بها من محاريب وتماثيل ومقاصير ومساجيد والبرطال العظيم وفواراته[5]، تقابلها جنوبا قبة التيجان بمحاريبها ومقاصيرها ومساجدها والخزائن.

وكل ذلك في تخطيط متناسق بفكر هندسي دقيق يذكر بعمارة الموحدين من حيث

---

(1) النص المنشور بكتاب الدكتور التازي عن قصر البديع وهو نص الفشتالي ص 66 – 77

(2) النص المنشور بكتاب الدكتور التازي عن قصر البديع وهو نص الفشتالي ص 67 – 68 – 70

(3) النص المنشور بكتاب الدكتور التازي عن قصر البديع وهو نص الفشتالي ص 76

(4) النص المنشور بكتاب الدكتور التازي عن قصر البديع وهو نص الفشتالي النص 76 ص 75.

(5) النص المنشور بكتاب الدكتور التازي عن قصر البديع وهو الفشتالي النص ص 77 – 78.

التخطيط المتقابل المتقن الأبعاد والنسب. لقد كانت عمارة البديع (بديعة الشكل متناسقة الأوضاع متقابلة المحارب والتماثيل... تنتهي قباب هذه الدار إلى عشرين قبة والأربع المتقابلة طولا وعرضا[1]...)

وعلى هذا النسق والغرار كانت القبة الخضراء والدار البيضاء والدار الحمراء ثم القبة العظمى التي أمر المنصور باختطاطها وتوطيد بنائها في أزيد من ثلاثمائة شبر طولا لتسع الحفل والجم الغفير في الأعياد والمواسم.

وكان من قبيل العمارة المدنية كذلك البراطيل والفوارات والنافورات والبساتين والبرك[2] التي انتظمت جميعا في وضع هندسي بالإضافة إلى الخزائن ولأبهاء والأبواب المدنية وحمام القصر الذي كان منتهى الكمال وخاتمة الإختراعات وتخطيط مساكنه وأبوابه المؤدية إلى قصر السلطان وقبة التيجان والبديع وباب القصر وما كان يمثله من فخامة في البناء وتفنن في الزينة فقد كان يشتمل على خمسين عمودا من الرخام[3] وألوان متنوعة من النحت في الجص والمرمر والرخام.

ثم تمثلت العمارة الدينية في المساجد العديدة التي اشتملت عليها قصور المدينة الملكية إذ لا يخلو قصر أو قبة من المساجد.

وقد انتصبت منارة في كل ركن من أركان القصر فان أحدهما يأدي إلى المنزة أو المصرية الشامخة المرتفعة على القبة الخضراء والمطلة على رياض المسرة والتي كانت تسامى منارة الكتبيين (وقد قام على رأس هذا القصر –يقصد الدار الكبرى – الصرح العظيم الذي لاتطاوله بنية ولاتباريه قامة، البادي الصلف العظيم القيمة على المصانع بحسن الشكل وتغالي الزينة وجر ذيول الوشى وشموخ الأنف متواضعا، على عظمته، البيوت الله ومآذنها حاصرا بمنجله المغرب في الحسن... مضريا على الصروح المنيفة بالمجالس الكريمة المتراكبة على معارجه طبقا عن طبق[4]....)

وليس أبلغ في الدلالة على تحصين تلك المجموعة الحضارية من احتفاظها بمركز القيادة العسكرية والسياسية خلال الأحداث الدامية والمعارك الرهيبة التي دارت لعدة سنوات بمراكش حول قصر البديع منذ مطلع عصر المولى إسماعيل العلوي. وإن كانت الأحداث قد عفت

---

(6) النص المنشور بكتاب الدكتور التازي عن قصر البديع ص 66 – 67.
(2) النص المنشور بكتاب الدكتور التازي عند قصر البديع ص 67 – 68 – 70.
(3) النص المنشور بكتاب الدكتور التازي عن قصر البديع ص 76
(4) النص المنشور بكتاب الدكتور التازي عن قصر البديع النص ص 75.

على عمارة القصر و لم تترك تفصيل الأساليب الدفاعية والتحصينات التي كان يتضمنها القصر، غير أن الفشتالي قد احتفظ لنا بإشارة واضحة. لقد كانت القبة المعظمى التي أمر باختطاطها المنصور السعدي لاستقبال الوفود الوطنية والبعثاب الآتية من الممالك القصية (يشرع باب إلى المسرة من بهوها الضخم البناء الرحب الفناء الياجوجي السد المفرغ القطر العادي البرج البرج القوي... المعقود الظهر بحمل الأنفاط القاذفة بمارج البارود وشواظ النار... والمبالغة في المنعة والتحصين ينطيق على الباب المصارع البالغة أقصى مبالغ الجفوة والفخامة مغشاة بصفيح الحديد المثبت بالمسمار الضخم التكوين[1].)

---

(1) النص ص 77 – 78 بكتاب الدكتور التازي عن قصر البديع.

الزخارف المعمارية والفنون بقصر البديع

المرمر والرخام والأعمدة والتيجان :

نستطيع أن نعرف معلومات عن المرمر والرخام وصفاته وألوانه بعد أن عرفنا سابقا مصدره، وذلك من نص الفشتالي (ويفوت هذا القصر القصور الأولى من مباني الدار العظام... بالمرمر الكثير العدد الضخم العمد الصافي الجوهر الناصع البياض المقام من المعادن النفيسة[1]) ولقد استعمل هذا المرمر العجيب في عدة أغراض بعمارة وزخرفة قصر البديع (فلقد دارت قوراء الدار الكبرى... على خمسمائة عمود مرمرية ماثلة كالجبال الرواسي ضخامة وجفاء تسمو القباب وبراطيلها على مائة منها ترجح الواحدة ....[2] من عمد الموحدين الماثلة الأشخاص اليوم مع الشفوف في المعدن ونضارة النحت) وهكذا كانت أعمدة السعديين تتميز بالضخامة عن أعمدة الموحدين بالإضافة إلى شفوف المعدن أي نقائه وامتياز معدنه ثم حلاوة وطلاوة النحت ونضارته (أشكال 37 - 38 - 39)

ثم يتوزع الأربعمائة الجدار المحيط بأقوار الدار ما بين المثلثات الأشكال والمفردات الثابتة تحت السواري الازرية لصق الجدار، على أعمدة ضخمة الأجرام زمردية... منحوتة من معادن من عمل بمراكش، هدى إليها رأى البحث الناشيء عن طموح الهمة فواصل بين البيض الحسان المواثل... القباب[3].)

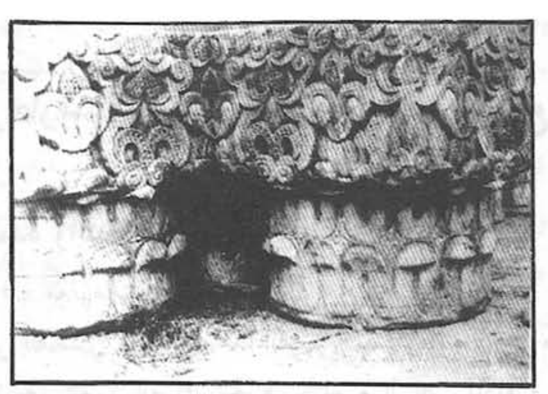
وهكذا نعرف شكل الأعمدة فمنها ما هو مثلث يجتمع فيه ثلاثة أعمدة على هيئة زاوية ومنها المفرد ومنها ما تميز بفخامة الجسم. وإذا كنا قد عرفنا سابقا مصدر استيراد المرمر الصافي الشفاف من البندقية وغيرها من ممالك العالم الخارجي، غير أن همة المنصور السعدي دفعته إلى الكشف عن نوع آخر يستمده من المعدن المحلي فكان أن اهتدى إلى طريقة صنع أعمدة محلية من معدن مراكش تتميز بالضخامة توضع بين صفوف الأعمدة المرمرية البيضاء المستوردة لتفصل بينها وتزيد في قدرة الروافع على حمل السقوف لما بلغته تلك الأعمدة المحلية من الضخامة.

---

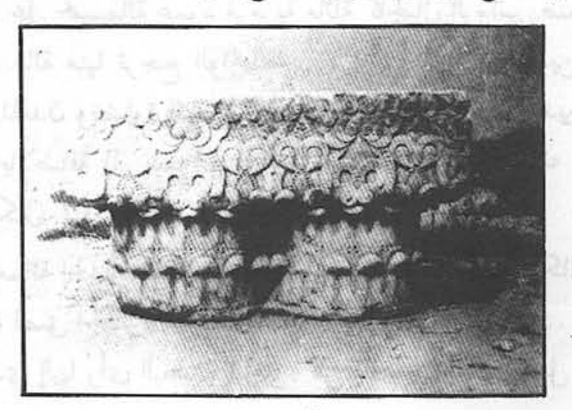
(1) نص الفشتالي المنقول بكتاب التازي ص 74

(2) نفس المصدر ص 75 ولولا ضياع هذه الكلمة لعرفنا نسبة جسم الأعمدة السعدية بالمقارنة بنظيرتها الموحدية ولكن المفهوم أنها أكبر منها حجما.

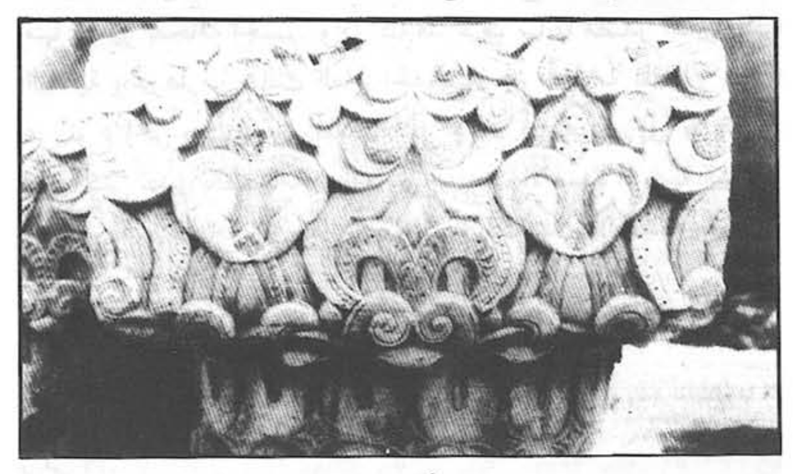
(3) نفس المصدر ص 75.



شكل 37
قصر البديع بمراكش، بعض النماذج من تيجان الأعمدة السعدية



شكل 38
قصر البديع بمراكش، نماذج أخرى من لتيجان الأعمدة السعدية



شكل 39
قصر البديع بمراكش، نماذج من الأعمدة السعدية

ولم يقتصر المرمر والرخام على الأعمدة فقط (وأما ما تضمنته الحمامات والمساجد والقباب والديار والمصانع[1] فلا يعد ولا يحصى، وقد تخارق الأحكام وتفننت الصنائع حتى استعمل المرمر في ملاطم المساجد وقسى الأبواب والمحاريب والتماثيل والمقاصير والخزائن، وقبة النصر مليئة الذمة من هذه الفنون) ويزيد الفشتالي وصفه الدقيق ليعرفنا ألوانها (مثرات اليد من بيضائها وصفرائها وخضرائها[2] متفننة المساجد والمجالس والمحاريب والتماثيل).

وكان حمام القصر العظيم (يشتمل من عمد الرخام على خمسين عمودا، دارت فوراء الدار منها على اثنى عشر جدعا جافية الأجرام طافحة الأعناق رقراقة الأديم زمردية الألوان لجينيه الرؤوس والقواعد[3]) إذن فقد كانت قواعد الأعمدة ورؤوسها مذهبة لجينية تزيد من بهاء المرمر الرقراق صافي الأديم.

وتيجان القبة الخمسينية ونظيرتها قبة الذهب أو القبة الزجاجية تعطينا نوع الثراء الذي عرفه السعديون في زينة التيجان (ويسمو على رأس هذه القبة وأختها الزجاجية تيجان متلعة الجيد ضخام العمائم المعتامة من أكوار نحاسية تراكب الذهب الابريز على سطوحها فيكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، قد نقص عددها عن عدد أكواخ تيجان المآذن وتطأطأت عن نهضتها تأدباً مع بيوت الله)[4] فهذا هو وصف عنق العمود وتاجه والأكوار النحاسية وتراكيب الذهب التي عرفتها فنون السعديين.

المقربص[5] ومواده وفنون الزخرفة :

يصف الفشتالي قبة النصر التي زودت هندستها بمغابن ومنافس لاشتفاف دخنة الشموع الدائمة الأرق صوناً لحلتها من درن أنفاسها (أبرزت بسقف بهوها المعتام من منحوت العاج والأبنوس وسقفها الضخم الرازم على فضائها الأفيح رزوم الضخامة والوشيمة الرداء بالأشعة الأصيلية، فمن أصفر في أخضر فوق مبيض، كل ذلك بالصنائع المقربسة التي تحار فيها جفاة العماليق وحكماء يونان، وإذا نظرت إلى غلائلها من الجص المرقومة بكل يد صناع وذهن مليء بالحكمة، نظرت إلى ما يحجم عنه البيان، ويكل العبارة تدقيقا وتعميقا وتخليصا وتمويها وإدماجا في زليجها المنظوم الأزر بالفرش تحار الأذهان... لا تستبين العين صورها دقة وإدماجا كأنما رقمتها الإبر اللطيفة... وتبرجت منها القبة في حلة الوشي سابغة تستهان عندها الستور المرقومة والزرابي المبثوثة).

(1) المصانع تعني العمائر
(2) نص الفشتالي ص 75
(3) نص الفشتالي ص 76
(4) يكتبها المقري هكذا (مقربص) زهرة الآس

وهذه لوحة مفصلة يصفها شاهد عيان لأنواع الزخرفة ومختلف المواد المستعملة في سقف قبة النصر من قصر البديع. العاج والأبنوس والألوان المتنوعة والمقربسات بأركان الرداء السقفي، وغلالات الجص المرقومة المنقوشة المزينة بدقة متناهية على مستويات عديدة من الحفر العميق والحفر البارز (تعميقا وتخليصا) وإدماج ذلك كله بالزليج التي فرشت أزره المحيطة بأنواع الزخارف والرسوم. خاصة وأن أزر الزليج قد ركبت هنا بطريقة الفرش المباشر في عين المكان دليل القدرة والدقة.

إن هذا الوصف الذي ينطق بالدقة والمهارة التي جعلت العين ترى صورة رقم الإبر مما جعل القبة في حلة الوشي السابغة فيستهان عندها الستور المرقومة والزرابي المبثوثة، إن هذا الوصف ليحقق بكل تأكيد رغبة المنصور في بلوغ فن السعديين شأو فنون المغرب في عصر بني مرين وهو الفن الذي انتهت إليه رقة الفنون الإسلامية في الطراز المغربي الأندلسي.

إن أثرا من آثار السعديين الباقية بما فيها ضريح الأشراف السعديين بمراكش وعمارتهم بصحن القرويين لا يصل إلى هذا المستوى العالي في الزخرفة المعمارية وفنون الصناعات التطبيقية. ولعل هذا النص الوارد في وصف شاهد عيان في قصر البديع وزخارفه – الذي اندثر اليوم – ليستحق إعادة النظر والدراسة المفصلة لكتابه فنون السعديين من جديد.

فقبة التيجان قد عقدت سماواتها بالصنائع المقربسة ترى وجناتها بشامات زرق من سحيق اللازورد المزمل بالنضار الفائض الشعاع إلى محاريب وتماثيل بادية التنميق رافلة في حلل الإتقان وملابس الإحسان، ونرى في مكان آخر (زوايا القب بالصنائع المقربسة، طلق المحيا بالعبيسات المسطرة، والسواري المصطفقة، سابغ أزر المشيعات الفضفاضة، قد استهينت فيه معان الصبغ والتمويه، واستهلكت النقوش المتماجنة وتلومت بقعراته المخدوشة، وصفحاته الملسى آلات الزخرف فتفننت الصنائع[1])

وكانت المقربسات[2] في كل موقع وموضع وبكل المواد وأنواع الصناعة فقد كانت أبواب القبة الخمسينية مقربسة مموهة[3] وكان التسطير وهو نوع من الزخرفة الهندسية يسير جنبا إلى جنب مع التوريق، وقد تاهت بروائها تلك الزخارف المحفورة إلى جانب الزخارف المسطحة لتعكس فنون الصنائع.

(1) نص الفشتالي المنشور بكتاب التازي ص 72

(2) ويذكرنا وصف المقربس الذي نصطلح اليوم على تسميته بالمقرنص بأصله المعماري لتحويل القاعدة المربعة إلى مثمن تجلس عليه القبة المستديرة. ثم تحول بعد ذلك على يد المسلمين إلى عنصر معماري وزخرفي بتقسيم الكوة إلى كوى صغيرة، إلى أن استعمل أخيرا كعنصر زخرفي بحت في الواجهات والمنابر وغيرها بما ينساب في دلايات دقيقة منحوتة أكسبت الفن الإسلامي عامة رقة وروعة وجمالاً.

(3) النص ص 70

وكان من عناصر الزخرفة المعمارية الأخرى على سبيل المثال لا الحصر شرفات المباني بالواجهات، فقد ظهرت في البديع أنواع الشرفات المسننة (بالغة الصرح الطاعن، بأسنة شرفاته، كبد السماء[1])

النحت والتماثيل :

ورد في أكثر من مكان بنص الفشتالي ذكر التماثيل والمنحوتات وهي في القباب الأربع المتقابلة : قبة الزجاج والقبة الخمسينية ثم قبة النصر وقبة التيجان (تبهر الناظر وتسبح العين منها في بحار الحيرة... من محاريب وتماثيل ومقاصير...[2]. وكان بالخمسينية (عقابان عظيمان، ترى النسر... منهما بين طائر وراقم[3]... يشق القبة بركتان أنيقتان بين فورات لجينية[4] وتماثيل مذهبة ومفضضة ما بين أسود فاغرة الأفواه تقذف... اللجين انسكابا وحيات متلمظة الألسن بسلاسل الفضة من سكيب الماء) فهذه هي العقبان والطيور والتماثيل المذهبة والمفضضة، والأسود فاغرة الأفواه والحيات، ثم الطيور الصداحة في بهو الخمسينية (وبهو هذه القبة... ذهب بمحاسن البناء تمويهاً وزخرفة تلقى بصدره رؤوس الطير للأسفل نواطق بلسانها الأطراء[5]...)

الزليج والخزف :

ولابد أن يلعب فن الزليج دوره الأساسي هنا في جميع مرافق القصر وأرضياته وجدرانه مع التفنن المناسب للمقام، فالخمسينية على سبيل المثال (افترشت مماشي حدائقها.... وأرحى القبو الهائل الواصل بين عرضي الدار بالزليج المليح الثوب...) ويؤكد الفشتالي وجود الخزف ذي البريق المعدني ويصف صنعته وألوانه وزخرفته مما شاهده في القبة الخمسينية (وساح عنه الزليج البراق الملون، تترقرق مياه صبغة صفاء ورقة ديباجه، قد انتظمت فيه الأزر بفرش الأرض لفاً واحداً مشجراً بالقضيب اللدن المعطاف، تصعيداً وتصويباً وتحريفاً وبسطاً وتركيباً[6]).

إن الزليج البراق الملون الذي يصفه شاهد عيان هو الخزف ذو البريق المعدني.متعدد الألوان، وهو الدليل التاريخي على استمرار صناعة الخزف ذي البريق المعدني ورواجها

---

(1) النص ص 71
(2) النص ص 67
(3) النص ص 68
(4) النص ص 69
(5) النص ص 70
(6) النص ص 69

بالمغرب[1]. لقد تفنن السعديون إذن في صناعة الزليج وعرفوا البريق المعدني في الخزف وأتقنوا زخارفه فمنها المشجر بالقضيب وهو التوريق بالقضيب، والقضيب جزء من الزليج يقص على شكل خاص يملأ الفراغات بين العناصر الزخرفية ويحددها ويتخذ لوناً واحداً على الرغم من تنويع ألوان العناصر الأخرى سواء كانت هندسية أو نباتية.

الخشــب :

ولنرى الآن صنعة الخشب في القبة العظمى الشهيرة بالخمسينية (عنوان سعة الهمم مثلت بين القباب مثول عقيلة القصر المتربعة على كرسي الجمال والكمال وفخامة الجلال... تقع العين من عظيم هيكلها البارز على ما يوجب البهت... ذات الوفر العظيم، الضخم العمل، الخشبي التأليف... المديد الجناح على جوانب الأرض، وأملت به العادة أجرام الخشب الأرزي المعتام في المقاطع، المنشود في أغيال المنابت، فاضلا اعجاز النخل طولا وسباطة[2]... وتبرز هذه القبة بسقفها البالغ أقصى مبالغ الجفوة والضخامة، يملك الدهش الناظر إليه كأنما يرمى بطرفه إلى قبة الفلك استدراة ورحباً وتجويفاً وسمواً مكفوا على الجدار بغير عمد،... مظللا بالبراشيل الضخمة التي غادرت القمط في المنابت... والمعادن الحديدية[3]...)

فسقف القبة الخمسينية خشبي التأليف مديد الجناح على جوانب الأرض يرتكز على جدار مرفوع بغير عمد تظلله البراشيل وهي الهياكل الهرمية الخشبية الضخمة وكل ذلك من خشب الأرز.

وقد بلغت الدقة مع الاتساع والارتفاع مبلغا كبيرا يستلزم التفكير في طريقة تركيب تلك السقوف، ولهذا يصف لنا الفشتالي السرير الذي ينصبه الصناع وقد سماه هنا بالمنارة للزوم علوه حتى يلحق ارتفاع القبة (ولقد بلغت المنارة التي عرج بها المعلمون إلى السماء وتسنموا ذروتها – أي القبة – حتى توصلوا إلى تأليف أجزاء هذا السقف الضخم إلى سبعمائة حمل، وهو كل زوج من أفراد الأخشاب الأرزية الضخمة... ومن الحديد المؤلف لاجرامها مائة قنطار[4])

أما من حيث الصنعة فقد (أخذ الأحكام مقعر هذا السقف، فولد فيه أمهات الصنائع

---

(1) انظر ما كتبناه في الفنون الإسلامية والنقوش العربية عن تاريخ الصناعة والأمثلة التي اكتشفناها بشالة وأثبتنا بها أصالة هذا الفن بالمغرب.

(2) ـــ النص ص 68.

(3) النص ص 69.

(4) ـــ النص ص 69.

وأصول الخواتم من العمل المدعو بمنقار وميجي توليداً يستوقف الناظر... وانساح من تحته مذيل الجفت حتى عام في بحر من الجص طامى العباب بالعجائب... وتفننت الصنائع تدريجيا وتكريشاً وتحرشفا وكتابة) فقد ولدت في مقعر القبة صناعات متنوعة من الحفر والزخرفة تمت جميعها بطريقة (منقار وميجم) نسبة إلى الأدوات المستعملة في النقش الخشبي الدقيق. إذ المعروف في الصنعة أن المنقار مطرقة يدها من خشب ونهايتها من معدن بينما المطرقة من الخشب يدها[1] ونهايتها. كما كانت العناصر الزخرفية (تكريشا وتحرشفا) في العناصر النباتية على الأرجح بالإضافة إلى الزخرفة الكتابية.

كذلك كان سقف الحمام الشهير بالدار الكبرى (المتناظرة في خراسنة الثمانية منعطفة في الهواء انعطاف أقواس الغمام خشبية التأليف، قد تلومت بها آلات الحسن والزخرف واستهينت فيها معادن الصبغ والتمويه، وانسحب فوق قبته العادية البناء مسجده العديم النظير وبراطله المتقابلة الأوضاع، ذيل السقف العجيب المدعو بمنقار وميجم وكله بعمل المندروسن[2]...)

ففي الحمام سقوف خشبية أخرى نقشت بطريقة (منقار وميجم) بواسطة المندروسن ولعلها آلة يستعان بها على نقش الخشب[3].

الزخرفة والخط والكتابة :

ولعل مما يسمح لنا بالوقوف على ألوان الزخرفة في القبة العظمى على سبيل المثال تصريح الفشتالي أن المنصور رسم (أن يكون مسقفها من البساط المزين خلف التمويه والزخرف البديع الخواتم، والنقش المحدودب الظهر الحاف الأضلاع المصفد بالأخشاب الضخمة المزخرفة بين المعترضة الجدراين[4]) فهنا استعمال التمويه بالمواد الثمينة وزخرفة الخواتم الهندسية والنقش البارز المحدودب. وقد مر بنا وصف العناصر الحيوانية من طيور نواطق بزخرفة بهو الخمسينية. كما كانت سقوف البرطال الماثل أمام قبة النصر (خباء مطنب في السماء تحف به قلانس فارغة السمك وعناقيد جعدة التراكيب تبدو من خلال خمائل مفوفة من بديع النقش[5])

---

(1) عبد الهادي التازي قصر البديع هامش 1 ص 69.

(2) النص ص 76

(3) هامش 1 ص 76 تعليق الدكتور التازي.

(4) النص ص 77

(5) النص ص 71

وبالإضافة إلى تلك العناصر الهندسية والنباتية فقد عجب قصور البديع ومنشآته بالتماثيل من عقبان ونسور وحيات منحوتة في المرمر، كما لعب المقربس دورا بارزا في جميع أركان المباني وواجهات الإبهاء وأبوابها.

وقد لعب الخط العربي دوره الكبير كعامل مشترك بين جميع فنون الإسلام وسجلت به قصائد جمعت دواوين كاملة فوق الأبواب والمرافق (كتابة تركب حروفها غصون التشجيرات وتتخللها نصب الورق اللطيف ويتصل بشط هذا البحر من أسفل نطاق المرمر الفضي الذي توشحت به القبة واستدار على خصرها مدبجا بالشعر في وصف البناء واضح الكتابة بمرمر سجي اللون قد بين فيه الخيط الأبيض من الخيط الأسود) لقد شاع في جنبات القصر إذن نوع من الكتابة المشجرة التي تتدلى من هامات حروفها غصون الأشجار استعملت كنصوص تأسيسية تذكر عصر البناء وبانيه وتمدح أعماله وتصفها على مواد مختلفة من الخشب والزليج والجص والمعادن والزجاج وغيرها.

كما أطنب المؤرخون في وصف الحائطي الذي انتشر بأماكن عدة من قصور البديع لكسوة الجدران، وهو عبارة عن ستور مزخرفة بالتركيبات الهندسية والأشكال النجمية وفن التوريق تجرى فوقها قصائد الشعر بأنواع الخط العربي[1].

وبعد، فلعل تلك الدراسة وما يمكن أن يترتب عليها من أبحاث أخرى، تعطى اتجاها جديدا عن فنون الإسلام في عصر السعديين بعد أن كانت مكانتها متراجعة في الدراسات السابقة لخط التطور التاريخي لفنون الإسلام بالمغرب.

---

(1) راجع القصائد الشعرية المسجلة فوق الحائطي بكتاب الدكتور التازي قصر البديع.

نماذج أخرى للفنون والصناعات التطبيقية لعصر السعديين

الرخام والجص والخشب وخصتا السعديين بصحن جامع القرويين

تشارك خصتا صحن جامع القرويين أضرحة قبور السعديين بمراكش في الشهرة التاريخية لفنون العمارة والزخرفة والصناعات التطبيقية على السواء. ولهذا تستحق الخصتان مع قبتيهما وقفة للتعرف على خلاصة التاريخ والوصول والتحليل الفني.

ذكر صاحب الموسوعة الفذة لجامع القرويين أن الخصة الحسناء الموحدية التي تغنى بها الشاعر المغيلي قد بليت على عهد المنصور السعدي فبعث من مراكش بعد انتصاره في واقعة وادي المخازن بخصة عظيمة جلب رخامها من فرنسا، واغتنم المنصور الفرصة لذلك فبنى فوقها قبة رائعة. قال المقري (وقد رأيت هذه القبة، وقد اكتملت صنعتها إلى الغاية وجعل على خارجها وفي داخلها الذهب الأحمر، فهي عبرة لمن يعتبر وكان ذلك سنة 996هـ)[1] وهذه هي الخصة الشرقية بصحن القرويين بفاس.

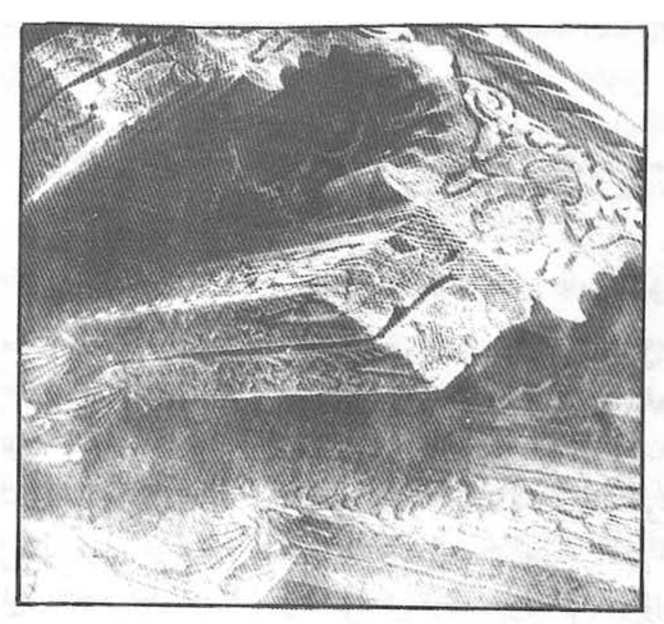
ثم جاء الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد الشيخ حفيد المنصور فسعى إلى تجميل الجانب الغربي من صحن القرويين (1018هـ) بخصة وقبة ربما تفوقان من حيث الفن ما كان جده المنصور قام به في الجانب الشرقي[2].

ويرى مارسيه أن وجود بعض الفوارق بين القبتين يسمح لنا بالتمييز بين عصرين للبناء، وأن تخطيط ونظام القبة الشرقية يذكر بنظائر ذلك في أضرحة السعديين بمراكش بينما تبتعد أساليب القبة الغربية عن تلك التأثيرات وتذكر بأسلوب مدارس فاس من القرن الثامن وخاصة مدرسة الصهريج مما يدفع على الإعتقاد بأن القبة الثانية أسست بعد حوالي ربع قرن بواسطة عبد الله بن الشيخ على مثال يختلف قليلا متجها نحو ذوق المنشآت الفاسية القديمة والتأثيرات الأوروبية أكثر من الذوق الذي يسود مؤسسات مراكش.

وتتوسط الخصتان وقبتاهما الجانبين الضيقين لصحن جامع القرويين على محوره الطولي حيث يلتصق البناء من خلف ببناء المسجد وتفتح كل قبة على الجهات الثلاث الأخرى. وتطل

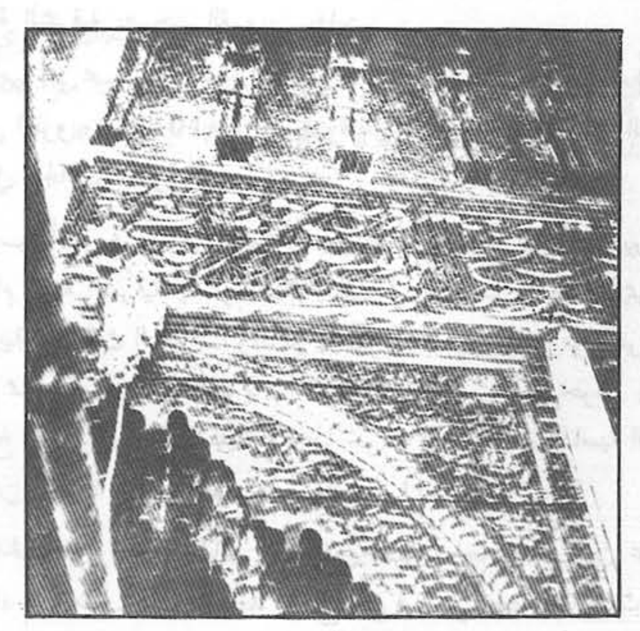
(1) جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي ج 2 ص 336 – 338

(2) نفس المصدر ص 338 – 340



شكل 40

جامع القرويين بفاس، خشب منقوش بظلة الخصة الشرقية بالصحن



شكل 41

صحن جامع القرويين، نقش في الخشب بقبة الخصة الشرقية

كل قبة بواجهاتها الثلاث على الصحن بثلاثة عقود يزيد أوسطها اتساعا عن العقدين الجانبيين ويغطي القبة سقف منحدر من القرمود (Tuiles) تتقدمه ظلة محمولة على كوابيل خشبية. (شكل 40)

ويعتقد جورج مارسيه بأن ذلك التنظيم يذكر بنظيره في قاعة السباع بقصر الحمراء وأسلوب الفن الأندلسي مع مراعاه الفوارق الناتجة عن البعد الزمني بينهما وأن المجموعة المغربية تعتبر أقل أناقة من نظيرتها بالأندلس(1).

لكننا لا نعدم الخصائص المغربية والتقاليد المحلية البحتة في نماذج فاس حيث ينعقد القوس الأوسط في واجهة القبة بالخشب المنقوش على الطريقة المغربية (شكل 41) بدل الجص في الأندلس، كما تختلف أنواع العقود ونسبها في فاس عن نظيرتها بالحمراء حيث نرى العقد المرتفع ذا المقرنصات يتوسط القبة الشرقية وعلى جانبيه مثالان مشابهان أقل ارتفاعا بينما تنوعت العقود في القبة الغربية كالعقد الرئيسي بمقرنصاته يتوسط عقدين من النوع المتجاوز كامل الاستدارة (PLEIN CINTRE outrapessé).

ويتضح من الدراسة أن تخطيط ونظام القبة الشرقية ينسجم مع هيئة عقود أضرحة السعديين بمراكش بينما تتفق عقود القبة الغربية وتذكر بعقود مدارس فاس المرينية. كما نلاحظ أن أعمدة القبة الشرقية دائما ملساء وترتقي فوقها تيجان من النوع البسيط في حين أننا نلاحظ أن أعمدة القبة الغربية مضلعة فوقها تيجان من النوع المركب مما يوحي بأنها من منتجات النحت الإيطالي.

وهكذا يمكن اعتبار بناء القبتين تخطيطا وعمارة أكثر تفوقا عن روعة أضرحة السعديين بمراكش التي تعود شهرتها إلى ما اشتملت عليه من فنون النقش والزخرفة في الزليج والجص والخشب ثم النقوش العربية والزخرفة المنحوتة في الرخام ممثلة في شواهد القبور السعدية.

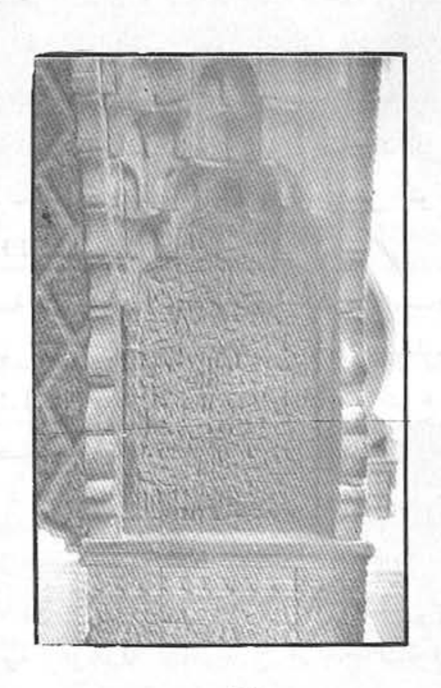
فبالإضافة إلى هندسة وعمارة بناء قبتي الخصتين بصحن جامع القرويين، فإنهما يعكسان أسلوب السعديين للنحت والزخرفة(2) في الأعمدة الرخامية وتيجانها وأسلوب الزخرفة الجصية في الواجهات بما فيها من شبكات المعينات المتجاورة وزخرفة الخشب ثم النقوش العربية(3) بمختلف واجهات القبتين (شكل 42). وإذا كان مارسيه يعتقد أن التصميم العام لموقع القبتين على محور الصحن يذكر بقاعة السباع في قصر الحمراء إلا أن التنفيذ الزخرفي في ذلك كله سواء بالقبة الشرقية ذات السمات المراكشية والقبة الغربية ذات السمات الفاسية المرينية، يساعد علي تأكيد ما سبق أن قررناه من حيث اعتماد فنون الأشراف السعديين على

(1) G. Marçais : L'archit. Mus. d'occi. P.387 et FIG. P.400

(2) عن الزخرفة في عصر السعديين انظر كتاب تيراس، الفنون الزخرفية في المغرب ص 82.

(3) سوف نشير إليها بنهاية هذا الفصل.

الأساليب المحلية التقليدية التي بدأت منذ عصر المرابطين (شكل 43) فالموجدين إلى أن استقرت في عصر المرينيين ممثلة لقمة التطور في طراز الفن المغربي الأندلسي، بالإضافة إلى الإنفتاح على بعض الأساليب والتأثيرات الجديدة التي تشير إليها أعمدة وتيجان القبة الغربية بصحن جامع القرويين (شكل 44)



شكل 42

صحن جامع القرويين، لوحة منقوشة

بعقد قبة الخصة الغربية من عصر المنصور السعدي 996 هـ



شكل 43

تاج عمود قديم أعيد استعماله في ضريح الأشراف السعديين بمراكش







شكل 44

نماذج من تيجان الأعمدة السعدية

صناعة الساعات والمعادن[1] والثريا السعدية بجامع الأندلسيين

صناعـة الساعـات :

كان من بدائع الصناعات التطبيقية على عصر الأشراف السعديين ساعة الأمير محمد الشيخ ابن منصور الذهبي وكان قد نصبها بفاس الجديد عام 1002 للهجرة ويستشف من وصف المؤرخين لتلك الساعة أنها توفرت على تطورات جديدة دخلت في تركيبها[2].

الاسطرلاب (الصحائف المعدنية) :

في القرنين الأول والثاني للهجرة كان الرحالة العربي يتعرف طريقة بدقة تامة بواسطة آلة صغيرة إسمها (الاسطرلاب) وهي آلة تدل على مواقع النجوم وعلى الوقت خاصة إذا عرف على أي خط عرض من الكرة الأرضية هو.

واليوم، بدأ الحديث عن أهمية هذه الآلة وعظمتها وأثرها على تطوير العلوم الجغرافية والفلكية في العالم. فهذه الآلة التي اخترعها العرب بين القرن الأول والثاني الهجريين تعتمد مبدأ بسيطا استوحاه علماء حضارتنا من اليونان وطوروه، ولعل أول كتاب غربي يبحث في هذه الآلة يعود إلى القرن الرابع الميلادي، وهو من تأليف فيبليبونس السكندري، لكن قصة الاسطرلاب الحقيقية ترجع إلى زمن قديم جدا في الحضارات الإنسانية.

لكن أوروبا لم تتعرف على الاسطرلاب ولم تستعمله إلا ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي أي بعد أن اخترعه العرب وطوروه بأكثر من خمسة قرون، أما انتشار هذه الآلة في أوروبا فلم يتم إلا في القرن الرابع عشر أو حتى الخامس عشر فيما يسمى في تاريخهم بعصر النهضة، وهذه الآلة التي تحفر عادة من البرونز أو «الشبه» نوع من أسلاك النحاس هي في الواقع تحفة فنية جميلة جدا بالإضافة إلى أهميتها الإنسانية والعلمية. إن الجمعية الدولية التي تطلق على نفسها اسم «جمعية الاسطرلاب الدولية»[3] والتي تتخذ من باريس مقرا

(1) عن السلاح الثقيل انظر الصفات التالية عن النقوش العربية

(2) المنوني : فاس معلمة، مجلة الفنون، الرباط أغسطس 1973

(3) دراسة بجريدة الأنباء، الرباط 77/12/1 نقلا عن (عرب برس - باريس)

لها قررت القيام بنشاطات واسعة لإصدار كتب وأبحاث خاصة بالاسطرلاب من بلدان العالمين العربي والإسلامي لوضعها في متحف خاص يطلق عليه إسمه «متحف الاسطرلاب». ولقد صدَّرت هذه الجمعية حتى الآن ثلاثة كتب لتعريف الناس بهذه الآلة العربية الجميلة والمفيدة.

وكان من الصحائف المعدنية واحدة صنعها المعلمان علي ومحمد ابنا محمد الأزدي المعروف بالفلوس تحت رعاية وأشراف الفلكي محمد الصغير سنة 950 للهجرة والغالب أن محمد الصغير هذا كان شيخ الفلكيين خلال المائة الهجرية العاشرة.

ثريا سعدية بجامع الأندلسيين :

بجامع الأندلسيين ثريا من عصر الأشراف السعديين درسها هنري تيراس[1] وقال (إن الثريا الرابعة بجامع الأندلسيين بفاس لا تتعدى القرن السابع عشر الميلادي ويعتبر ساقها (HAMPE) محاولة لتقليد النماذج الجميلة القديمة، وإن زخرفة السعفة النخيلية (PALME) في قاعدة الثريا (SOCLE) وفي الصحن (PLATEAU) تظهر أنها استوحت تأثيرات الزخرفة الشرقية أيام السعديين بتأثير تركي.) (شكل 45)

ويصف هنري تيراس زخارف الثريا ويقول أن بالثريا مناطق زخرفية مدببة وزهيرات (FLEURS) ذات أربعة وريقات مدببة ومعقوفة تبدو وكأنها تحوير لزهرة القرنفل (OEILLET) (شكل 46) ويلاحظ هنري تبراس أن جميع الأشكال والقوالب الزهرية تبدو غير أصلية، ومع أن ثريات جامع الأندلسيين بفاس لا تعتبر تحفا من الدرجة الأولى، غير أنها في الحقيقة تكون مجموعة مدهشة يعود إليها الفضل في إمكان وضع مخطط لدراسة تطور أشغال البرونز المغربية في العصور الوسطى.(شكل 47)

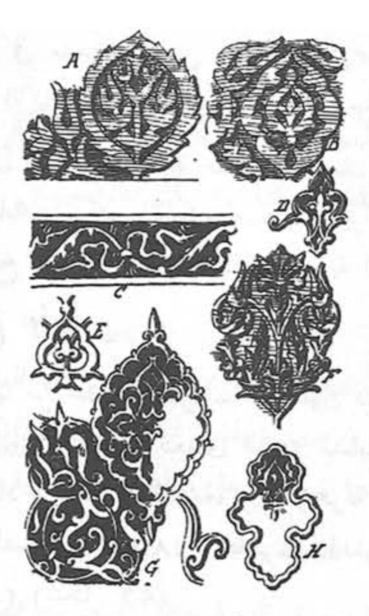
ومن المصنوعات المعدنية ما ذكره المقري في روضة الآس، فقد كان من عادة المنصور السعدي في المولد النبوي صنع الشموع العظيمة يطاف بها في البلد فإذا وصلوا بها إلى قصر الخلافة وقد اتخذت لها آلات عظيمة من النحاس المحكم الصنعة أدخلوها إلى المشور فتجعل في تلك الآلات فترى صعداً في السماء كالمنارة[3]

---

(1) HENRY TERRASSE : LA MOSQUÉE des ANDALOUS à Fès Paris, P. 32

(2) نفس المصدر ص 33 ولوحات 47 و48

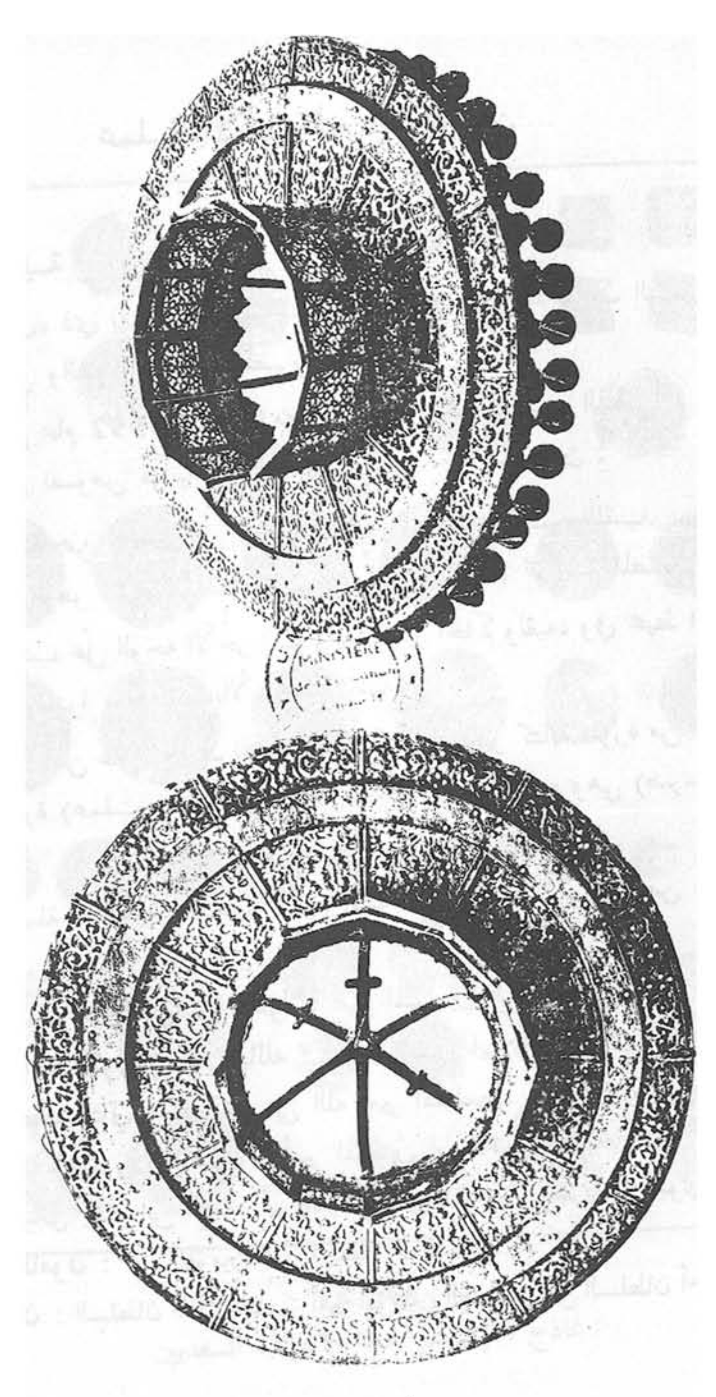
(3) زهرة الآس، طبعة 1983 ص 13



شكل 45
التأثيرات المشرقية تتضح في زخرفة السعديين في عدة أمثلة



شكل 46
ثريا السعديين بجامع الأندلسيين بفاس



شكل 47

تفصيل بعد الترميم والإصلاح

عملــة الأشــراف السعديــن

(1) العملــة الذهبيــة :

نستطيع بادىء ذي بدء أن نميز مرحلتني هامتين في عملة الأشراف السعديين الذهبية من حيث النصوص والنقوش العربية المضروبة عليها.

فمنذ ما قبل عام 992هـ (1584م) وفي بداية حكم المنصور الذهبي لم تكن العملة الذهبية تحتوي على نصوص قرآنية، وكان يكتب على أحد الوجهتين :

(بسم الله الرحمن الرحيم عن أمر عبد الله) وبعدها الإسم واللقب.

وفي الطوق وهو دائرة الوجه يكتب (عملت ب....) ثم إسم المصنع.

كما كان يكتب على الوجه الآخر إسم والد الأمير الحاكم ولقبه، وفي محيط الدائرة يكتب التاريخ بالحروف ونادرا ما يكون بالأرقام الفارسية.

ولكننا ابتداء من عام 992هـ نلاحظ في النقش المستدير كتابة سورة من القرءان الكريم بينما استبدلت عبارة (عملت ب...) في الوجه الآخر بعبارة أخرى وهي (ضرب بحضرة...) ثم اسم المصنع[1].

ولوفرة عملة السعديين الذهبية أمكن استخلاص ألقاب ملوكهم من عملتهم كما يلي (شكل 4) :

أبو عبد الله محمد الثاني المهدي : مولانا أمير المسلمين الشريف الحسني.

أبو محمد عبد الله الأول الغالب بالله : أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسني.

أبو عبد الله محمد الثاني : المتوكل على الله أمير المسلمين.

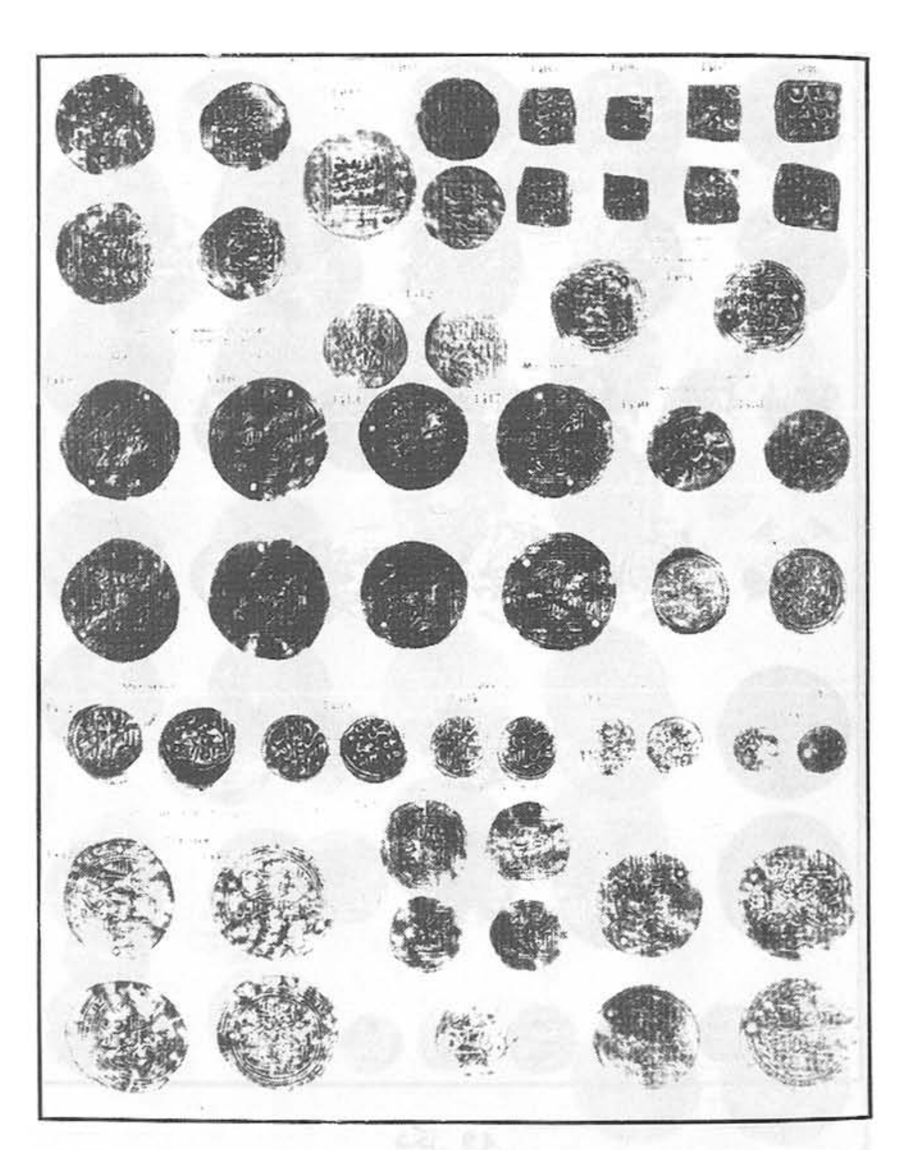
أبو العباس أحمد المنصور (الذهبي) : أمير المؤمنين ابن الخليفة الإمام محمد الشيخ المهدي.

أبو فارس : الواثق بالله ابن الإمام أبو العباس أمير المؤمنين الشريف النبوي.

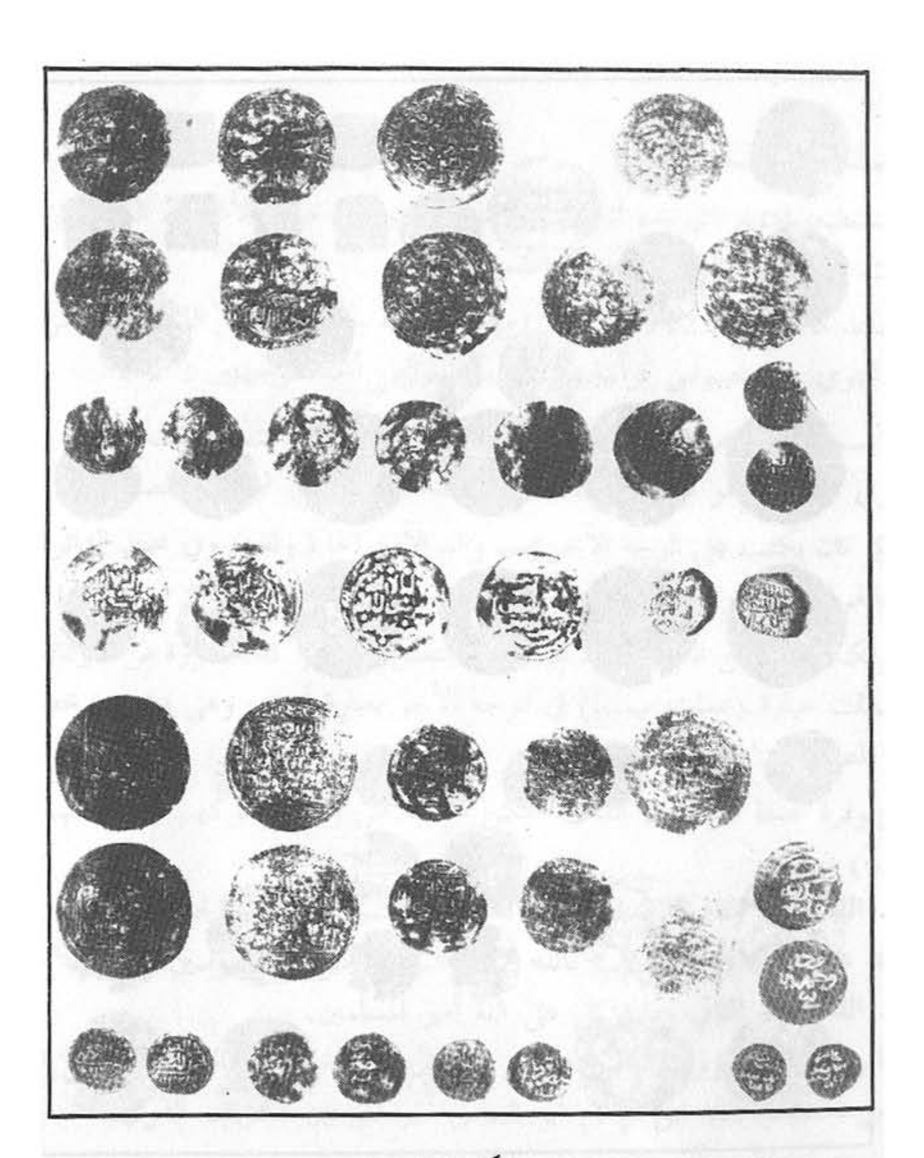
محمد الشيخ المامون : أمير المؤمين ابن الخلفاء الراشدين.

أبو المعالي زيدان : السلطان الملك الناصر أمير المؤمنين الفاطمي ابن السلطان أحمد ابن السلطان محمد

J.D. Brethes : Constribution l'Histoire du Maroc par les recherches Numismatique P.196 - 197 (1)

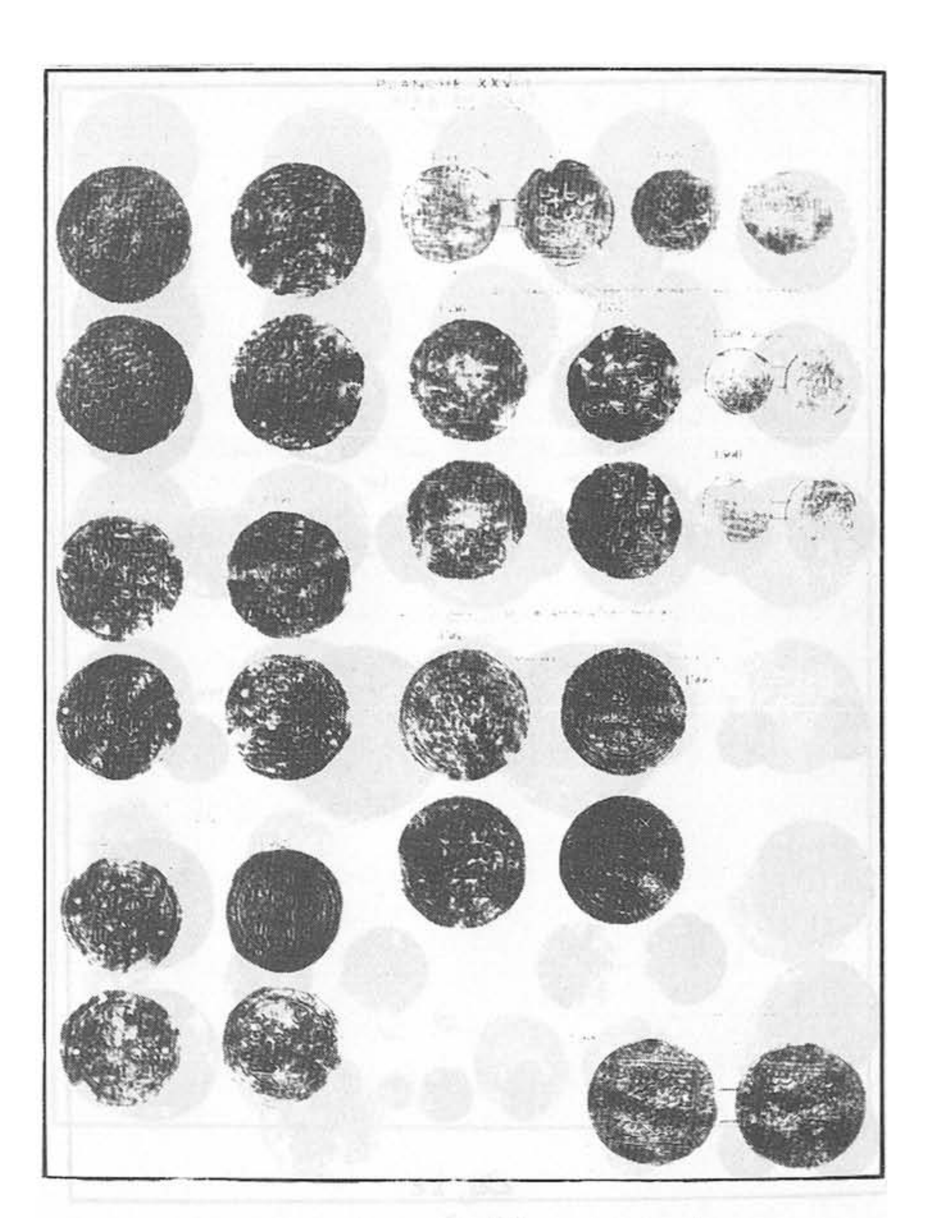


شكل 48
نماذج أخرى من عملة الاشراف السعديين

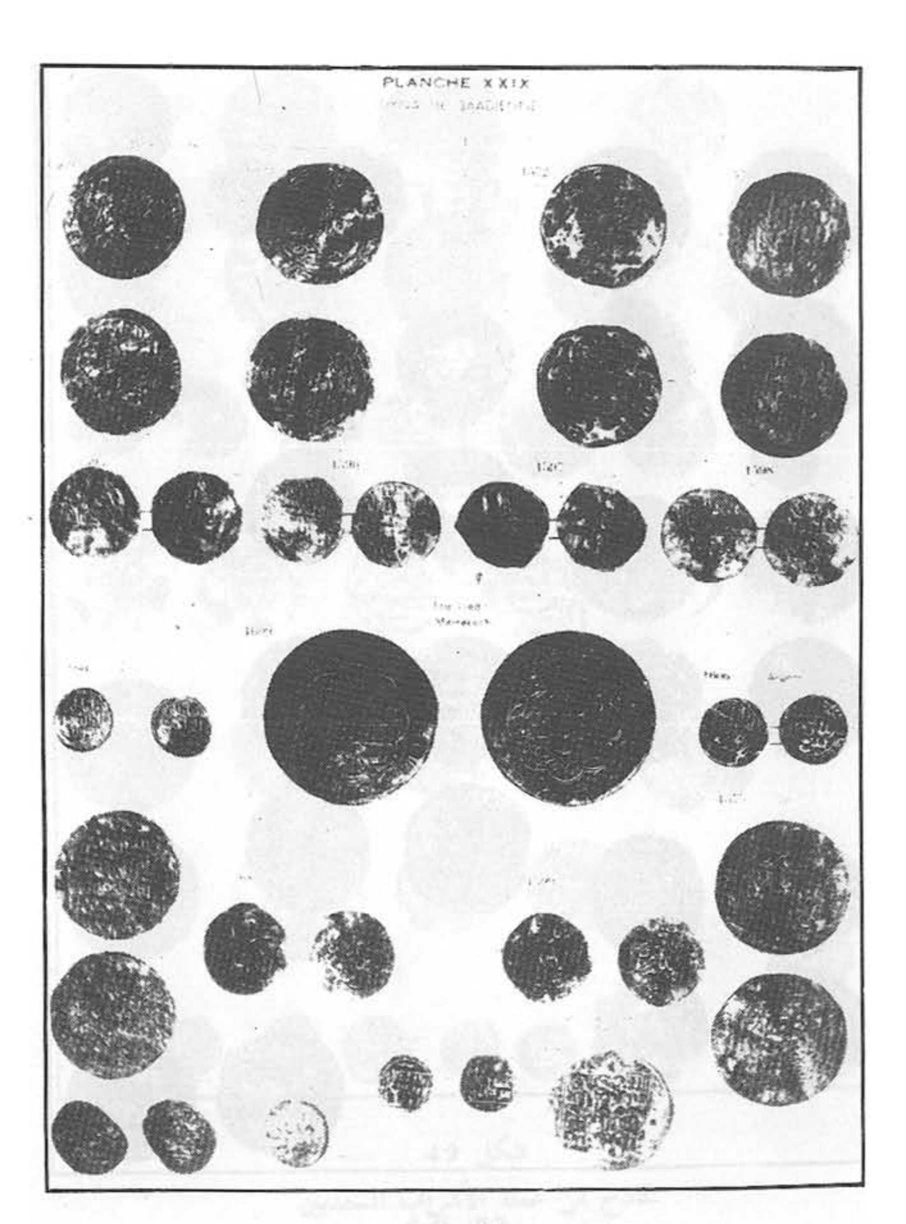


شكل 49

نماذج من عملة الأشراف السعديين

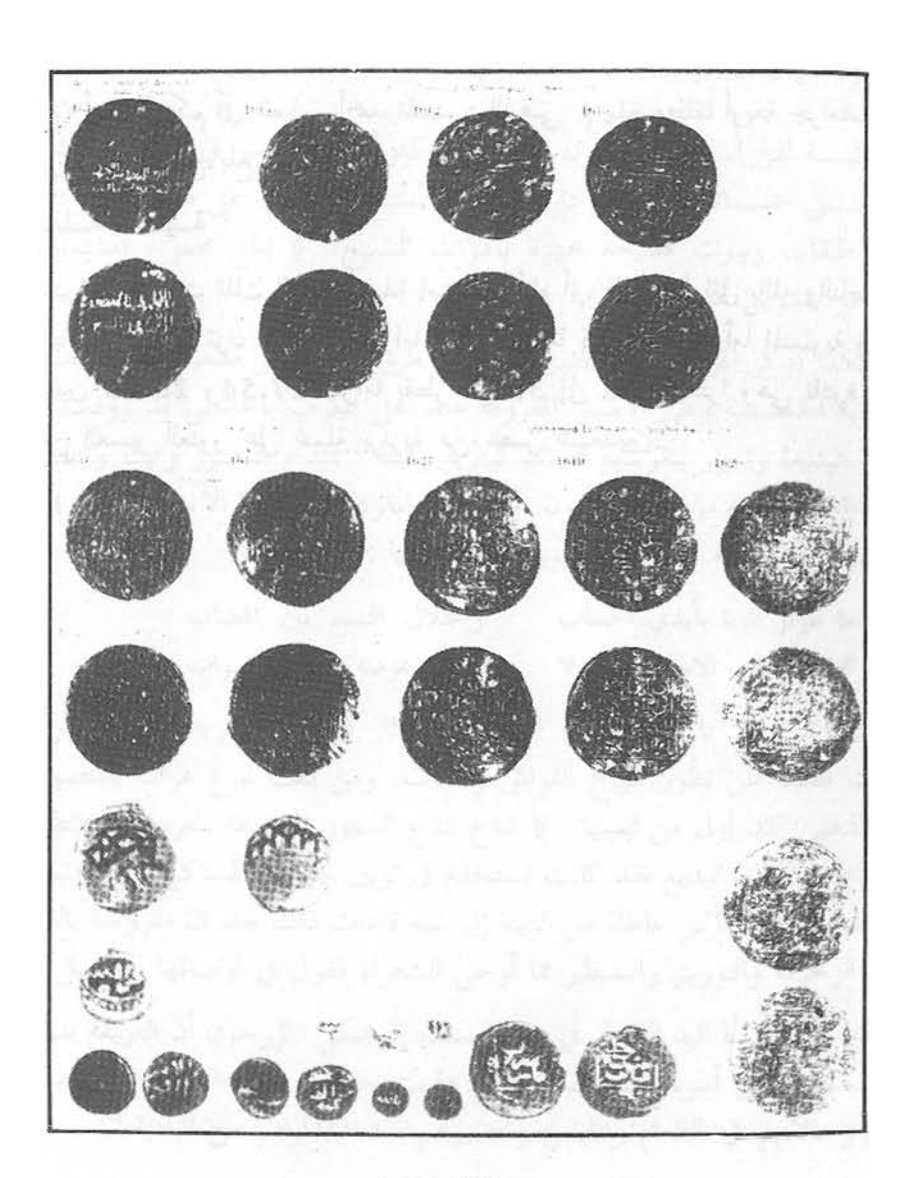


شكل 50
نماذج من عملة الأشراف السعديين



شكل 51

نماذج من عملة الأشراف السعديين



شكل 52
نماذج من عملة الأشراف السعديين

(الثائر المحلي) **أبو العباس أحمد** : الفاطمي خليفة الله.

كما وجدت ألقاب أخرى ورد ذكرها بالقطع المنشورة في كتاب بريت J. D Brethes وكان وزن عملة السعدين الذهبية ما بين عام 965هـ (1157م) وحوالي عام 986هـ (1578م) أوائل حكم أبي العباس أحمد المنصور الذهبي لم يبلغ مطلقا أربعة جرامات، ولكنه ابتداء من ذلك التاريخ بلغ 4.44جراما.

(2) العملـة الفضيـة :

نادرا ما ضربت تلك العملة بصفة استثنائية أيام أبي فارس الواثق بالله والناصر زيدان وكانت أيام أبي فارس تزن 18.55 جراما ويبلغ قطرها 36 مليمترا، أما المنسوبة إلى زيدان فتزن ما بين 26.30 و27.54 جراما بقطر من 35 إلى 36 مليمترا وهي نادرة الوجود، كما أنه من العسير العثور على عملة برنزية من عصر السعديين.

---

(1) نفس المصدر ص 196

(2) نفس المصدر ص 197

النسيــــج

وبالنسبة لفن النسيج فإن ليون الإفريقي يؤكد أنه كان بفاس في المائة الهجرية العاشرة بعدوة الأندلس خمسمائة وعشرون دارا لصناعة النسيج كل ذلك على هيئة قصر كبير يتوفر على عدة طبقات وبيوت فسيحة مجهزة بأدوات النسيج، كما يبلغ مجموع المشتغلين بتلك الصناعة نحو عشرين ألف صانع[1].

وهكذا يذكر المؤرخون أن قصر البديع قد طرزت له استار مذهبة محكمة الصنع تستر نواحي القبة الخمسينية وهي الأستار المعروفة عند أهل المغرب بالحائطى قد زودت بمختلف التوريقات البديعة وتدور بنقوشها قصائد شعرية رقيقة[2] تمتدح المنصور وتهنئه وتصف قصر البديع وما اشتمل عليه من روائع وفنون. وقد أورد المقري في روضة الآس (ص 150/419) نص القصيدة المنسوجة في بعض ستور المنصور فيها :

ما طراز الربا بأيدي الحساب　　واعتلال النسيم بين الهضاب
همة المنصور الامام الذي لا　　ينثني عزمه لغير صواب

وكان مما ينطق بارتفاع أذواق السعديين ابتكار أنواع من الزينة واللباس من مختلف المنسوجات فضلا عن تطور أنواع الفراش والأثاث. ومن ذلك نوع عرف بالمنصورية لأن المنصور الذهبي كان أول من لبسها. كما شاع انتاج الستور المزخرفة المعروفة بالحائطى والتي بلغت ذروتها في قصر البديع فقد كانت تستخدم في تزيين جدران المساكن والقاعات وأماكن الاجتماع لتحولها من أماكن عاطلة من الزينة إلى شبه قاعات ذات جدران مفروشة بالفسيفساء وضروب الزخرفة والتوريق والتسطير مما أوحى للشعراء القول في أوصافها وتفصيل محاسنها.

وقد كان للمرأة اليد الطولى في هذا الصدد، إذ يحكي المؤرخون أن العريفة بنت خجو التي كانت تنتمي إلى أسرة ذات فضل وعلم هذبت حواشي ملك السعديين وخاصة داخل قصورهم وحالاتهم في الطعام واللباس وتحضيرهم بعد انحدارهم من البادية.[3]

---

(1) المنوني : فاس معلمة مجلة الفنون عدد نوفمبر 1973.
(2) انظر تلك القصائد في الإستقصا ج 6 ص 104 – 143
(3) عبد الله كنون : النبوغ المغربي 244/1

النقــوش العربيـــة

النقوش العربية المنحوتة في المواد الصلبة

سبق أن مرت بنا نماذج من كتابات السعديين المنقوشة في الجص والخشب والرخام بقبور الأشراف السعديين بمراكش وبقبتي صحن جامع القرويين بالإضافة إلى نقش شاهد قبر سيدي حرازم بفاس 1554م (شكل 53)

ويمكن اعتبار شواهد القبور المنشورية الشكل من الرخام بقبور السعديين قبلة جامع المنصور بمراكش ثروة كبيرة في متناول المعنيين بدراسة تطور النقوش العربية في المغرب[1] حيث لازالت في حالة سليمة في مواقعها الأصلية وفي ظروف تاريخية واضحة تمنح تسهيلات هامة لدراسة خصائصها الكتابية ومعرفة مميزات عناصرها الزخرفية من نباتية وزهرية وغيرها خاصة وأن أسماء أصحابها وتواريخ وفاتهم وصنع تلك النقوش يعتبر من المعلومات الواضحة دون لبث.

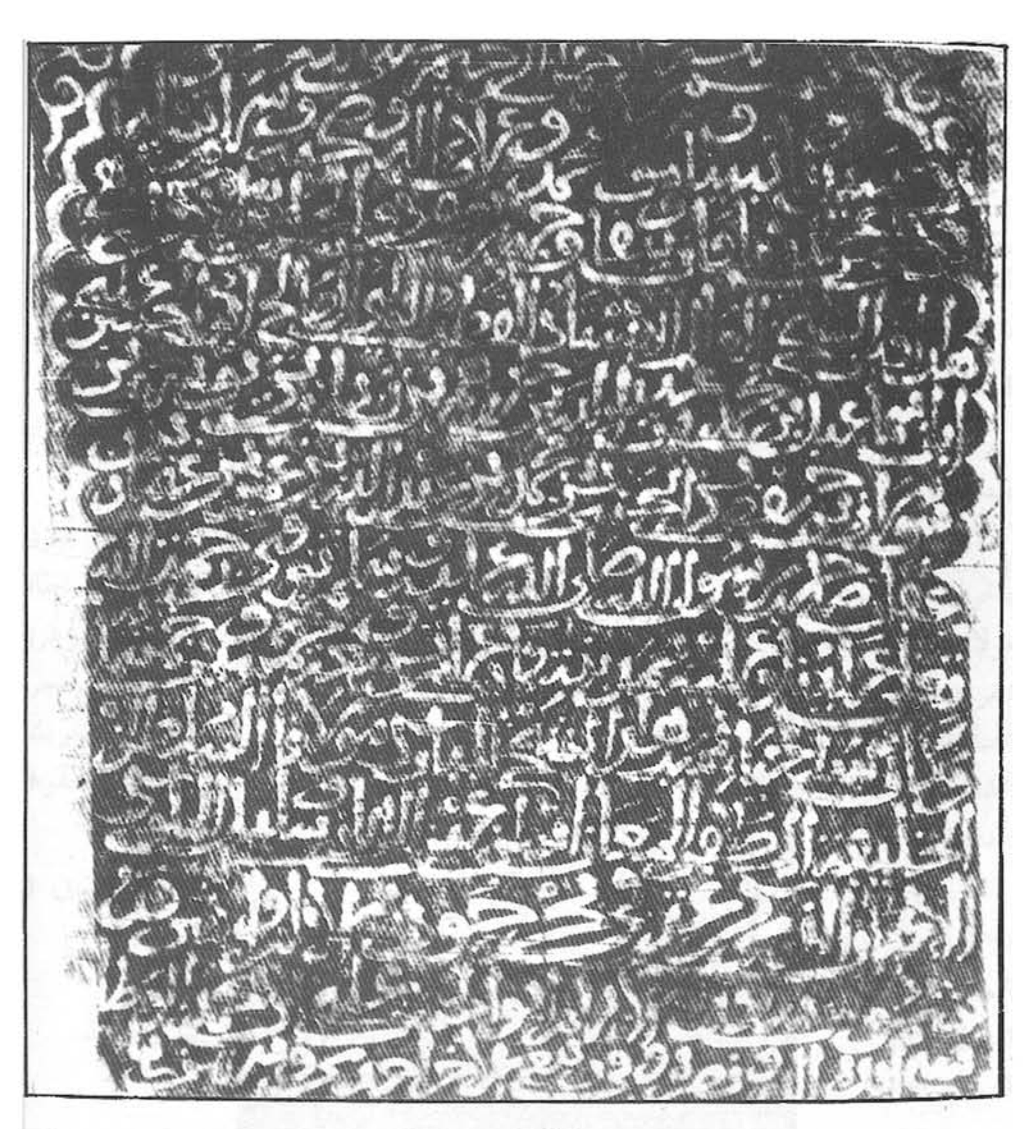
كما أن نقوش السعديين بقبتي صحن جامع القرويين قد نشر معظمها[2] وقام أخيرا الدكتور عبد الهادي التازي بإضافة قراءات أخرى عديدة في موسوعته عن جامع القرويين (أشكال 54 - 55) بحيث يمكن جمع تلك المصادر بالإضافة إلى دراسة الأستاذ محمد المنوني عن فنون الخط[3] على الورق للوصول إلى دراسة علمية عن قيمة كل حرف ومميزاته على كل من المواد الصلبة واللينة تحقق الهدف الأول من دراسة علم النقوش يمكن على ضوءها دراسة وتاريخ نقوش مغربية غير معروفة التاريخ.

---

(1) يفيد في البحث والمقارنة الرجوع إلى دراسة الفردبل : النقوش العربية بفاس وأطروحة زميلنا الدكتور دفردان : النقوش العربية بمراكش

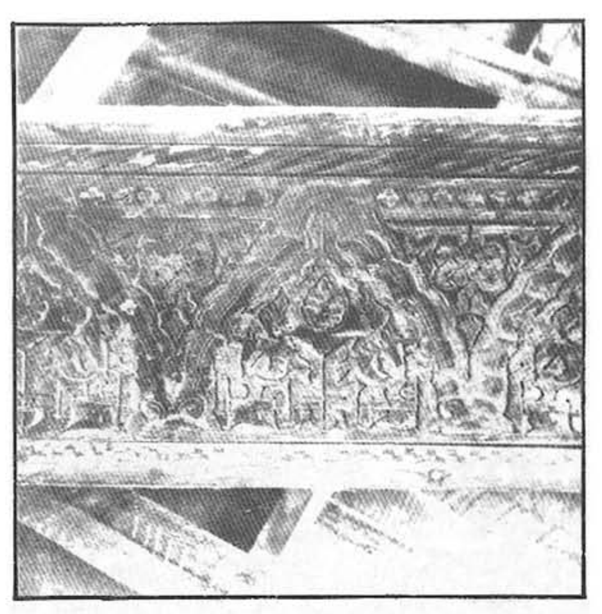
(2) جامع القرويين ج 2

(3) محمد المنوني : بحث مستفيض بمجلة البحث العلمي، الرباط أكتوبر 1971 عدد 18 ص 17 -47، والبحث مدعم بتعليقات وهوامش دقيقة وبالغة الأهمية. وقد اعتمدنا عليه في تقديم موجز عن فن الكتاب في عصر السعديين.



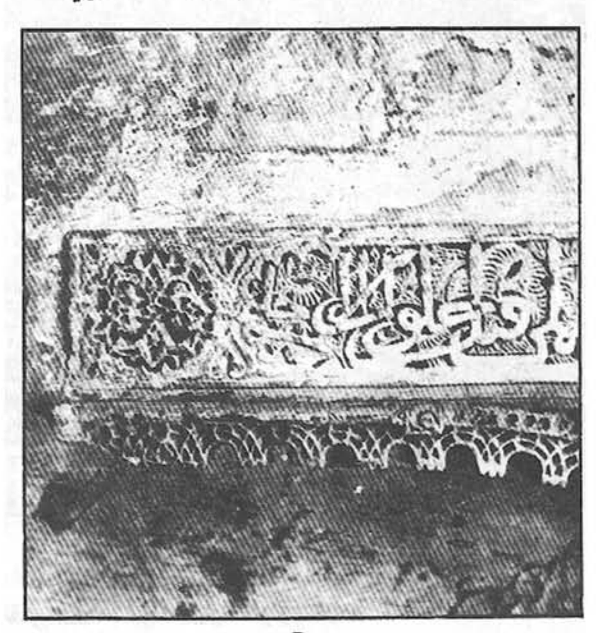
شكل 53

نقش شاهد قبر سيدي حرازم قرب مدينة فاس (1554م)



شكل 54

جامع القرويين، خشب منقوش بالخط الكوفي



شكل 55

جامع القرويين، خشب منقوش بخلوة الاسبوع العليا

نماذج من دراستها للنقوش العربية على السلاح

ثلاثة نقوش عربية على السلاح الثقيل

توفرت القوة الضاربة أيام السعديين على عدد وافر من وسائل الحرب والمدافع والسلاح الثقيل تحتفظ بها عدة مواقع ومتاحف مغربية إلى اليوم. وقد درست ثلاثة نماذج منها، أحدها بمدينة آسفي وهو عبارة عن مدفعين شقيقين، والآخران بدار السلاح ببرج الشمال بمدينة فاس.

1 – نقش مدفعي مولاي زيدان بمدينة آسفي :

يحتفظ مدخل القشلا بمدينة آسفي إلى اليوم بنموذجين متماثلين من المدافع الحربية يتفقان صناعة ومادة وزخرفة ويحملان تاريخ الصنع من سنة 1033هـ .

وابتداء من القاعدة الخلفية تبدأ المناطق الزخرفية في كل من المدفعين بنص أوربي بالحروف اللاتينية ثم منطقة مربعة متميزة بإطار زخرفي تتضمن نصا تاريخيا باسم السلطان مولاي زيدان، ويلي ذلك مقبضان على جانبي البدن ثم منطقة زخرفية رئيسية تتوسطها زهرية تتفرع منها الأغصان والورود بين منحوتات من الرسوم الآدمية في النحاس مما يذكر بشجرة الحياة القديمة في الفن الإيراني التي كانت تتوسط العناصر الزخرفية، ثم نرى بعد ذلك تعريشة نخلية تعقبها مساحة طويلة ملساء تنتهي بتعريشة نخلية أخرى مماثلة ثم زخرفة نباتية تدور بفوهة المدفع.

أما النص التاريخي الذي قرأته فوق كل من المدفعين فهو عبارة عن نقش عربي في ثلاثة أسطر بالخط النسخي الجميل في المساحة المحددة آنفا وهذا نصه :

السطر الأول : أمر بعمله عبد الله أمير المؤمنين مولانا زيدان المظفر بالله.

السطر الثاني : ابن أمير المؤمنين أحمد بن أمير المؤمنين مولانا محمد الشيخ أيده الله.

السطر الثالث : سنة 1033

وكان النقش الأوربي الذي قرأته جهة قاعدة المدفع كما يلي : Willem. Wegwaert-ME-Fecithagae

2 – النقش الثاني : نقش مدفع الغالب بالله بدار السلاح بفاس :

والمثال الأول بفاس عبارة عن مدفع ضخم يبلغ وزنه اثني عشر طنا من النحاس نقشت عليه ثلاثة نصوص عربية بالخط النسخي البارز في منطقة مقسمة إلى ثلاثة أشكال هندسية.

وتتصدر المنطقة المكتوبة دائرة تشتمل على النص الرئيسي الذي يسجل الإسم والتاريخ، وقد نقش أعلى الدائرة مستطيل يشمل على كلمتين فقط، بينما نقش داخل مستطيل آخر أكبر مساحة من الأول ويقع اسفل الدائرة اسم الصانع (أشكال 56-57-58)

ونقرأ الآن النقش من أعلى إلى أسفل : داخل المستطيل العلوي في سطر واحد (القوة بالله).

وتشتمل الدائرة على ثمانية أسطر على النحو التالي

1 – أمر بعمل هذا.

2 – النفط السعيد إن شاء الله

3 – عمله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب

4 – العالمين أبو محمد عبد الله الغالب بالله بن أمير

5 – المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف

6 – الحسني أيده الله ونصره (.....) يوم من

7 – محرم عام ستوسبعين

8 – وتسع مائة

وأخيرا بداخل المستطيل السفلي في سطر واحد (صانعه الحاج أحمد الغمق).

ملاحظاتنا على النقش :

أولا :صنع النقش بطريقة الحفر البارز بخط نسخي مغربي جميل وقد تضمن في صراحة اسم التحفة المصنوعة (النفط) وهي مسألة جديرة بالملاحظة لتحديد المصطلح الذي أطلقه السعديون على مثل ذلك الإنتاج.

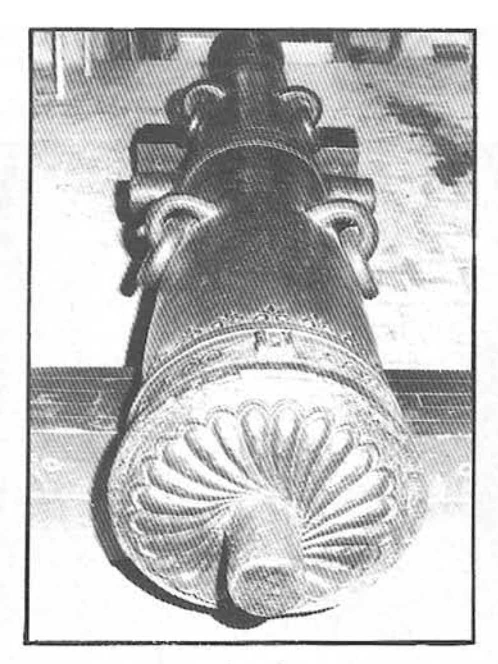
ثانيا : يتضمن النقش لقب أمير المؤمنين الذي احتفظ به الأشراف السعديون، ولهذه المسألة وجه آخر تتضح أهميته عند دراسة تاريخ وتطور الألقاب في دول المغرب الأقصى.

ثالثا : إن لقب (المجاهد في سبيل رب العالمين) الذي عرف الاستعمال أيام المرينيين لا زال يستعمل في عصر الدولة السعدية.

رابعا : يتضمن النقش إسم سلطان السعديين الذي أمر بصنع النفط مع ألقابه وكنيته فهو (أبو محمد عبد الله الغالب بالله بن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ).

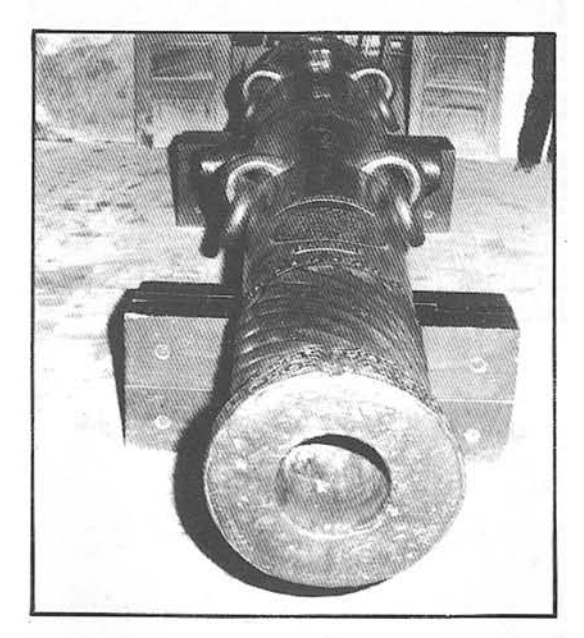
خامسا : يتضمن النقش في صراحة نسب الأشراف السعديين (الشريف الحسني).

سادسا : أما نقش تاريخ الصنع فقد جاء غامض الكتابة حيث أشرك النقاش كلمة (ست) مع الكلمة التالية (سبعين) كما أنه أهمل جميع نقط الكلمة الثانية فجاء التاريخ غامضا لإمكان قراءته (ست وسبعين أو (ست وتسعين).



شكل 56

بدار السلاح بفاس، نفط الغالب بالله السعدي.



شكل 57

بدار السلاح بفاس، نفط الغالب بالله السعدي.



شكل 58

بدار السلاح بفاس، نفط الغالب بالله السعدي

وعلى الرغم من هذا، فلم يكن من الصعب تحديد القراءة الصحيحة فسيرة الغالب[1] بالله مدونة دون لبث وقد بويع سنة 965 هجرية وتوفي سنة 981[2] هجرية. وبهذا تستبعد قراءة (ست وتسعين) وتكون القراءة الصحيحة وتاريخ الأمر بعمل هذا النفط هو سنة ست وسبعين وتسع مائة

سابعا : إن اشتمال النقش على اسم الصانع (الحاج أحمد الغمق) يفتح بابا إلى دراسة تاريخ الرجل وانتاجه ومعرفة خصائص مدرسته ومميزاتها.

3 - النقش الثالث : نقش مدفع الوليد بن زيدان بدار السلاح بفاس :

وكان المثال الثاني الذي درسناه ببرج الشمال بمدينة فاس عبارة عن مدفع من النحاس أقل حجما من المدفع السابق وقد تضمن نقشا تاريخيا من خمسة أسطر داخل دائرة وقد كتب بالخط النسخي المغربي على النحو التالي :

1 - الله أكبر
2 - أمر بعمله عبد الله تعالى الوليد
3 - أمير المؤمنين بن زيدان أمير المؤمنين
4 - الشريف الحسني أيده الله ونصره
5 - سنة أربع وأربعين وألف.

ويتضح من النص استمرار لقب أمير المؤمنين إلى أواخر الدولة السعدية، فعندما توفي السلطان زيدان سنة 1037 هجرية بويع بعده ابنه عبد الملك وثار عليه أخواه الوليد وأحمد[3] إلى أن قتل السلطان عبد الملك بن زيدان سنة 1040[4] بمراكش وبويع أخوه أمير المؤمنين أبو يزيد الوليد بن أمير المؤمنين[5] زيدان الذي استمر في الحكم إلى أن قتل بمراكش سنة 1045[6]. وقد أمر الوليد بن زيدان بصنع المدفع المذكور سنة 1044 قبل مقتله بعام واحد.

---

(1) الاستقصا ج 5 ص 38
(2) نفس المصدر ص 52
(3) الاستقصا ج 6 ص 72
(4) نفس المصدر ص 77
(5) نفس المصدر ص 78
(6) نفس المصدر ص 82

فـنـــون الـــكـتـــاب

نشر صديقنا المحقق الأستاذ محمد المنوني سلسلة أبحاث قيمة عن الوراقة المغربية تنم عن الجهد الكبير الذي بذله لمتابعة مسيرة فن الكتاب وهو الفن القائم على دراسة المخطوطات القديمة من حيث نوع المادة المكتوب عليها ومواد الكتابة وعناصر الزخرفة وأنواع الخطوط وفن تسطير الكتاب. لقد وضعنا الأستاذ المنوني بذلك على بداية الطريق الذي لا يمكن الاستغناء عنه، فكان لابد لنا من الاستفادة بدراسته فيما يخص عصر السعديين[1].

مدارس الخـط والخطاطـون

وهكذا أنشيء في المغرب – لأول مرة – شبه مدرسة لتلقين الكتابة على حدة، ويتعلق الأمر بإنشاء درس لتعليم الخط في جامع المواسين بمراكش، بمشيخة الخطاط البارع عبد العزيز ابن عبد الله السكتاني المولود علم 956هـ، قال ابن القاضي في ترجمته :

«وهو المقدم لتعليم الخط بجامع الشرفاء من مراكش المحروسة، كما هي العادة بالقاهرة وغيرها من بلاد المشرق»

وسوى هذه المدرسة الخطية، فقد شجع هذا العصر نشاط الخطوط المتعارفة في البلاد : من المغربي، إلى الأندلس، إلى المشرقي، على تعدد أشكالها كلها وتنوع أصنافها، وقد نبغ في هذا العهد خطاطون يكتبون خطوطا منوعة في الحسن واشتهر من بينهم خمسة :

الأول : عبد العزيز بن عبد الله السكتاني سالف الذكر، وكان يكتب بخطوط متعددة

الثاني : محمد بن أحمد بن عيسى الصنهاجي المتوفى عام 990هـ 1582 – 83م له خطوط منوعة في الحسن.

الثالث : محمد بن علي بن إبراهيم الفشتالي المتوفى عام 1021 هـ قال ابن القاضي في وصف خطاطته : «يكتب خطوطا على أنواع، كلها على جميل الإنطباع»

الرابع : إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم الأقاوي، يوجد بخطة الشرقي نسخة كاملة من «الروض المعطار في خير الأقطار» للحميري في مجلدين، كتبها بمدينة مراكش، وفرغ من انتساخها يوم عاشوراء عام 1049هـ.

---

(1) مجلة البحث العلمي، الرباط أكتوبر 1971 عدد 18 ص 47/17 والبحث مدعم بتعليقات وهوامش بالغة الدقة والأهمية وقد اعتمدنا عليها بخصوص عصر السعديين

الخامس : السلطان أحمد المنصور بن السلطان محمد الشيخ السعدي المتوفى عام 1012هـ كان يجيد الكتابة بالخط الشرقي، ويكاتب به علماء المشارقة كأحسن ما يوجد في خطوطهم ثم اخترع – إلى جانب هذا – أشكالا من الخط على عدد حروف المعجم، واستخدمها في المراسلات السرية للدولة، ويتحدث الفشتالي عن هذا الإبتكار ويقول عن المنصور :

«ولقد بلغ به الإغراق إلى مذاهب الحزم – أيده الله – إلى أن اخترع – – لهذا العهد – أشكالا من الخط على عدد حروف المعجم، يكتب بها لا يريد الإطلاع عليه من أسراره، ومهمات أموره وأخباره، يمزج بها الخط المتعارف فيصير بذلك الكتاب مبهما مستغلقا فلا يجد المطالع عليه بابا يدخل منه إلى فتح شيىء من معاني الكتاب ولا الوصول إلى فهم سر من أسراره، حتى لو تلف الكتاب أو سقط أو ضاع أو وقع في يد عدو لأمنت عوائل الإطلاع على أسراره، فكان في ذلك آية أعجز بها الورى.

ثم نوع – أيده الله – هذا الخط إلى أنواع : فخص ولي عهده منها بنوع يرجع إليه في فك معنى كتبه، ثم إذا جهز أحدا بالعساكر أو بعثة في غرض رسالة أو قلده جانبا من أطراف ممالكه وثغوره، ناوله خطا من تلك الخطوط يفك به رسائل أمير المؤمنين، ويكتب به هو من عنده فيما يريد تعميمه من الأخبار، وخبايا الأسرار...»

والظاهر أن كاتب المنصور في شؤون هذا الخط هو عبد الواحد بن مسعود بن محمد عنون والأصيلي ثم الفاسي، حيث يذكر عنه ابن القاضي معرفته بالزمام.

وأخيرا عثر على رسالة مكتوبة بهذه الطريقة المستشرق المعروف جورج كولان، وبعد دراستها كتب عنها بالفرنسية بحثاً مستوفياً شرح فيه ماهية هذا الكشف وضمنه ترجمة النص مع تعاليق ضافية، كما وضحه بصورة للخط الأصلي للنص بعد كتابته بالحروف المطبعية العربية ونشر ذلك كله في مجلة هسبريس بالمجلد السابع 1927 ص 221 – 228.

ديوان النساخة ومستنسخات شهيرة

وقد نظمت حرفة النساخة في هذا العصر وأحدثت لها مشيخة كان من رؤسائها عبد العزيز عبد الله السكتاني، قال عنه ابن القاضي : «وله المشيخة على النساخين»

ولا شك أن المنصور السعدي كان له ديوان للنساخة لا نزال لم نعرف تفاصيل أنظمته ولا يبدو أن مقره كان في جامع قصر البديع بمراكش، حيث جاء في خاتمة المصحف المكتوب برسم نفس السلطان : إنه وقع الفراغ منه بجامع الإيوان الكريم من قصور الإمامة العلية.

وسوى المنصور فان عددا من السلاطين والأمراء السعديين كتبت منتسخاتهم برسم خزائنهم، ومن هذا ثلاثة مصاحف شريفة، وأولها لخزانة الأميرة الست مريم بنت السلطان محمد الشيخ.

شكل 59

صفحة من مخطوط ابن ميمون الغماري



شكل 60

صورة حوالة بعدة زمامات وعقود إيجار مؤرخة 6 محرم 990هـ

والثاني : لخزانة الأمير محمد عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ والثالث : لخزانة السلطان عبد الله الغالب بن السلطان محمد الشيخ، في مكتبة المتحف البريطاني.

ومن المنتسخات الأخرى نذكر :

– ديوان نزهة القلوب للسجستاني، كتبه سعيد بن محمد التونسي عام 965هـ برسم خزانة الأمير محمد بن عبد القادر آنف الذكر، وهو محفوظ بمكتبة القرويين تحت رقم 65/80.

– كتاب الفصوص لصاعد، على يد منتسخه عبد الله بن عمر بن عثمان التدغي عام 969هـ، كتبه لمحمد بن السلطان عبد الله الغالب وهو بمكتبة القرويين تحت رقم 587/40

«كتاب (الوصول بحفظ الصحة في الفصول) للسان الدين بن الخطيب، بخط الطبيب المغربي القاسم بن محمد الغساني الفاسي المعروف بالوزير، فرغ منه في أواخر شعبان عام 978هـ، وكتبه لخزانة السلطان عبد الله الغالب، وهو بالمكتبة الملكية تحت رقم 590.

(كتاب الروض المكنون في شرح رجز ابن عزرون) ألفه الوزير الغساني آنف الذكر وكتبه بخطه برسم خزانة الأمير المأمون بن السلطان المنصور الذهبي، وفرغ منه – بفاس – في 18 جمادى الثانية عام 999هـ.

(العقد الفريد) لابن عبد ربه، برسم الأمير حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن ابن محمد الشيخ، حيث تحتفظ المكتبة الملكية بالمجلد الأخير منه تحت رقم 8334، وكان الفراغ من انتساخه صحوة يوم الأحد 17 رمضان عام 1005هـ.

ثم في أعقاب هذا العهد انتشرت مراكز النساخة إلى الأرياف البعيدة، تبعا لقيام إمارات زوايا كبرى في سفوح الأطلس المتوسط والكبير، أو في بسائط درعة، وهكذا ظهر وراقون في كل من زاوية الصومعة ببني ملال، وزاوية تافيلات شمالى مدينة تارودانت، وفي الإمارتين الدلائية والإيليغية والزاويتين الناصرية والحمزية (الأشكال 59 – 62)

ومن الطريف في ولوع المغاربة بالنساخة[1]، إنه انبعث في هذا العصر ظاهرة الاشتغال بهذه المهنة في داخل السجون، فقد ثبت أن الأشراف العلويين السجلماسيين الذين كانوا في سجن المنصور السعدي بمراكش، كانت النساخة للكتب من بين موارد عيشهم في مدة سجنهم، وعددهم أربعون

ومن المنتسخات المكتوبة في المعتقلات السعدية، مخطوط خاص من «مختصر تنبيه الأنام» لابن عظوم القيرواني، وقد جاء في آخره : كتبه عامر بن عمال... وكان الفراغ منه سنة 999 بسجن مراكش.

(1) إلي ماقبل عصر الحماية، ما كان يطلق عليه (بنيقة) النساخ ليس المراد بها ديوان كتاب انشاء الدواوين المتعارف عليه في أنظمة الأندلس والمغرب، إنما هو ديوان خاص لنسخ كتب العلم وتخريجها للنفع العام، انظر : عبد الرحمن الفاسي في مقدمة منتجات من نوادر المخططات من منشورات الخزانة الملكية بالرباط، وقد نشرت المقدمة بدعوة الحق الرباط مارس 1979.

وقد وضع تأليفان في دراسة مواضع الوراقة :

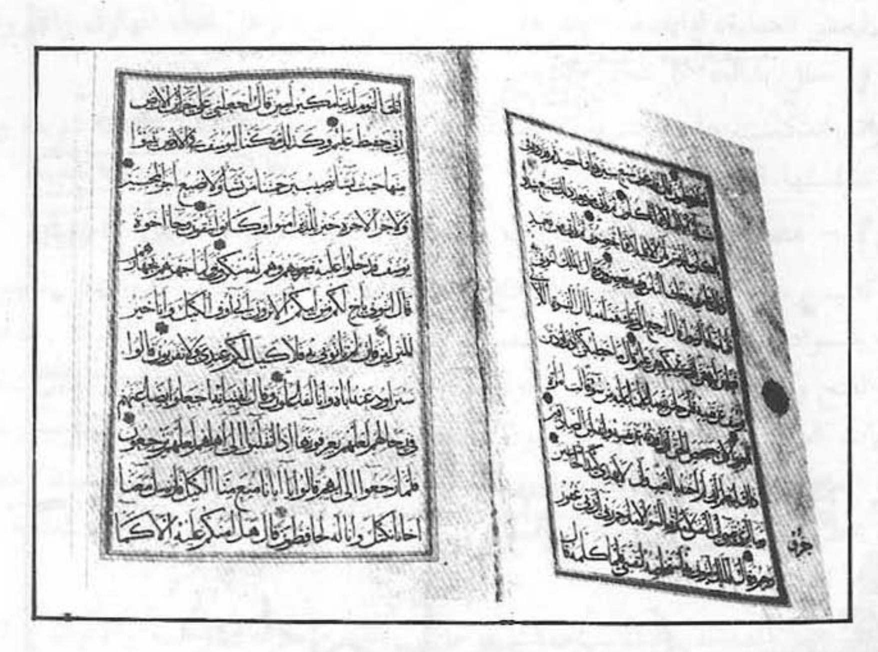
الأول : تحفة الخواص في طرف الخواص «للفللوسي، وقع الفراغ من انتساخه – من مبيضته – في منتصف جمادى الأولى عام 993هـ، بالمكتبة الملكية رقم 8998.

الثاني : رسالة «التيسير في صناعة التفسير» للإشبيلي انتهت مقابلتها من الأصل المنتسخة منه في ثاني ربيع الأول عام 1044هـ وهي بالمكتبة العامة بتطوان.

يضاف لهذا عناية الدولة بانتساخ المؤلفات المعاصرة في سائر العلوم، قال الفشتالي في صدد حديثة عن المنصور :

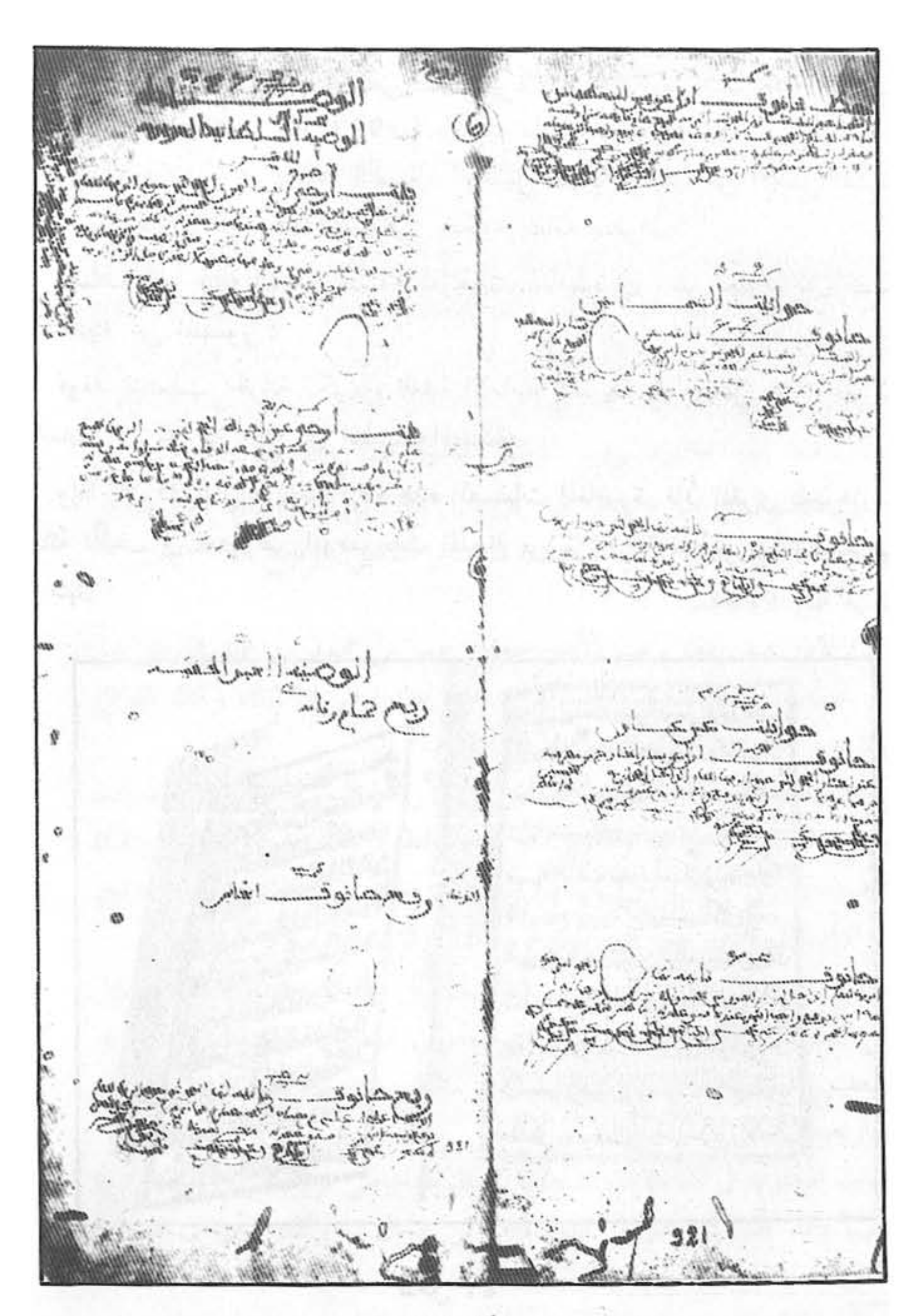
«وقد اشتملت الخزانة الكريمة، العلية الإمامية الشريفة اليوم، على عدد جم تصانيف أهل العصر في كل فن حتى في الطب والهندسة»

وإذا كان الفشتالي لا يحدد أرقام هذه المصنفات المعاصرة، فإنُ المقري يقدرها بما ينوف على مائة تأليف في خصوص الموضوعات المدونة برسم الخزانة المنصورية، ويستعرض جملة وافرة منها.



شكل 61

صفحتان من المصحف الأكبر الذي حبسه المنصور السعدي



شكل 62

حوالة حبسية من عصر السلطان محمد البرتغالي لصالح الأسرى المجاهدين

زخرفة المخطوطات

وقد ازدهرت الزخرفة الكتابية في هذا العصر، ومما يدل على العناية بها من طرف المسئولين، ما جاء في رسالة كتبها المنصور لاحدى الجهات العلمية بالشرق : «هذا وأنه ينتهي إليكم - إن شاء الله على أيدي خدمتنا - دفتر قيدنا فيه بعض ما تذكرناه في الوقت من الكتب، فما تيسر ابتياعه عجل على أيديكم تحصيله إن شاء الله، وما لم يتفق سوى استنساخه فتوكلوا فيه على الله، مع التأنق في روائع الخطوط والعمل العجيب الذي ترون مناسبته لعلائنا.

ولا شك أنه يقصد بالعمل العجيب الزخرفة الممتازة للكتب المستنسخة، وأصل نحو هذا التعبير للسان الدين بن الخطيب حيث يصف وراقا بقوله : له خط حسن ووراقة بديعة وأحكام لبعض العملية، ثم يصفه -بعد هذا - بأنه راقم واشي، تزهى بخطه المهارق والطروس، وتتجلى في حلل بدائعه كما تتجلى العروس.

وقد انعكست هذه الزخرفة -بصفة أكثر - على أربعة مصاحف سعدية شريفة وهي حسب تسلسلها التاريخي :

1 - مصحف الأميرة مريم بنت السلطان محمد الشيخ السعدي :

كتب برسم خزانتها فاتح شعبان 967هـ (1560م) بخط مغربي مليح يميل للمبسوط مكتوب بالسواد الباهي قليلا على ورق متصلب غير ناصع البياض، مشكول بالألوان : فالحمرة للضم والفتح والكسر والمد، والخضرة أو الزرقة للتشديد والسكون، والصفرة للهمزات، أما نقط ألفات الوصل فبالخضرة أو على لون الكتابة... وتتخلل الكتابة تراجم صغيرة مزخرفة بالذهب المصور بالمداد، تزينها نقط ملونة... والتراجم كلها بالخط الكوفي غير تجزئة رمضان المكتوبة بخط الثلث الشرقي، أما أسماء السور فبخط كوفي مذهب ملون وعنونت الفاتحة بخط شرقي يميل للثلث...

وفي هذا المصحف الشريف ست لوحات رائعة مزخرفة بالذهب والألوان وكتبت الخاتمة في لوحتين بخط شرقي ثلثي بالذهب على أرضية زرقاء بإسم الأميرة وتاريخ الفراغ منه

2 - مصحف الأمير محمد بن عبد القادر (ابن السلطان محمد الشيخ السعدي) :

كتب برسم خزانته ووقع الفراغ منه أوائل رمضان 968هـ (1561م) مجلد بسفر من عمل أندلسي موريسكي مزخرف مذهب، خطه مغربي عريض يميل للأندلسي مبسوط

حسن، مكتوب بالحبر الحالك على ورق متصلب غير ناصع البياض وتتخلل الكتابة تراجم صغيرة مزخرفة بالذهب المصور باللون الأحمر والمنقط بالألوان، وعناوين السور بالخط الكوفي باستثناء الفاتحة والبقرة بخط شرقي ثلثي بالأزرق المصور بالذهب داخل إطار ذهبي مستطيل... وبأول المصحف أربع لوحات مزخرفة وبآخره خاتمة (...كملت النسخة المباركة بقصر خزانة مولانا الإمام... مولانا محمد بن مولانا عبد القادر... وكان الفراغ منها... عام ثمانية وستين وتسعمائة...)

3 -مصحف (أبو محمد عبد الله الغالب بالله بن السلطان محمد الشيخ السعدي) :

وقع الفراغ منه أوائل رمضان 975هـ (1568م) ثم صار إلى مكتبة المتحف البريطاني، وخطه مغربي عريض واضح ومزخرف ومشكول بالألوان فلعلامة الهمزة نقطة صفراء، والخضرة لنقطة الف الوصل والشدات والسكون. الآيات مفرقة بدوائر ذهبية وهوامش المصحف مغطاة بزخارف ذهبية أيضا.. وأسماء السور بالخط الكوفي بالذهب بالإضافة إلى زخارف أخرى بهوامش السور وكتب الختام بخط أبيض واضح على صفحة زرقاء برسم خزانة السلطان وألقابه وتاريخ الفراغ.

4 - مصحف (أبو العباس أحمد المنصور السعدي) :

كمل بقصر البديع بمراكش 13 ربيع الثاني 1008هـ (1599م) ثم صار إلى مكتبة الأسكوريال بإسبانيا برقم 1340م بالقاعة الكبرى، مكتوب بخط مغربي مبسوط منمق ومشكول بالأحمر، أما الشدات والسكون فبالأزرق، وعناوين السور مزخرفة وبخط كوفي مذهب وملون بزرقة باهتة، والخاتمة بكتابة مذهبة على صفحة زرقاء برسم الخزانة العلية وإسم السلطان وتاريخ التمام.

وفي أعقاب نفس الفترة لاتتعدى معلوماتنا اثنين -فقط - من المزخرفين على الكتب :

الأول : أحمد بن إبراهيم، هكذا يكتب إسمه بخط دقيق إلى جانب زخرفة نمقها بيمناه وحلى بها آخر مخطوطة لكتاب الشفا للقاضي عياض، وقد وقع الفراغ من انتساخها أوائل المحرم فاتح عام 1065هـ، وتعتبر هذه النسخة من دخائر المكتبة الملكية حيث تحفظ بها تحت رقم 657.

الثاني أبو عثمان العسري السوسي، تأخرت وفاته إلى عام 1089هـ/1678 - 1679م برع في هذه المهنة، وكان يحلي الكتب وغيرها بالتزويق الجيد الذي يعجز عنه غيره، ويباشر عمله - زخرفة وكتابة - بشماله، دعى لذلك بلقب العسري.

ومن مظاهر الإعتناء بمداد الكتابة في هذا العصر، ما ورد في خاتمة المصحف الشريف المكتوب برسم خزانة المنصور الذهبي، حيث كان منمق الكتابة بالمداد المقام من فائق العنبر، المتعاهد السقي بالعبير المعلوك بمياه الورد والزهر.

يضاف لهذا أننا سنرى في رسالة «صناعة تسفير الكتب» الآتية أن مؤلفها يخصص بابا مطولا في صفحة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء وصفة الكتابة به على الورق أو الجلد.

ومن ملحقات هذا الموضوع أنه قد شاع في نفس الفترة تنشيف المداد بسحيق الذهب الخالص، وكان هذا في الكتابات السلطانية أكثر منه في الكتب العلمية، ولا يزال هذا مشاهدا في كتابات السعديين -بخطوطهم - على أوائل الكتب، لتصحيح وقفها على مكتبتي القرويين أو ابن يوسف، ومن الكتب المخطوطة المنشفة بهذه الطريقة، تكملة ديوان ابن حمديس المنتسخة عام 995هـ، حيث يبدو الترميل الذهبي لامعا فوق أكثر كتابات التعبيرات البارزة في الديوان، المحفوظ بالمكتبة الملكية تحت رقم 6366.

تسفير الكتب :

ومن مظاهر نشاط «التسفير» في هذا العصر، أنه كان للمسفرين ديوان لاشتغالهم عند باب القصر الملكي بمراكش، ويشير المقري لهذه المؤسسة لدى ترجمة محمد الغجاف الفاسي نزيل مراكش، وهو يذكر عنه : أنه أحد المقولين لتسفير الكتب بالباب الإمامي المنصوري[1].

وقد وضع - في هذه الفترة - مؤلفان في صنعة التسفير للكتب الأول منظوم في «أرجوزة» لأبي العباس أحمد (بن الحسن بن يوسف الصالحي الزجلي الشفشاوي الشهير ب ابن عرضون، والمتوفى عام 992هـ /1584م.

أما المؤلف الثاني في هذه المهنة فهو يحمل عنوان «صناعة تسفير الكتب وحل الذهب «تأليف أبي العباس أحمد بن محمد السفياني في ذي الحجة متم عام 1029هـ 1619م.

وقد صنف الرسالة في ثلاثة أبواب رئيسية وملحقين : الباب الأول: في كيفية عمل الدفف، وهي ألواح الورق التي يكسوها الجلد

الثاني : في طريقة حزم كراريس الكتاب... وكسوته بالجلد، وتوشيح وسطه بالترنجة وكيفية عمل البرشمان وتركيب السفر عليه.

الثالث: في صفة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء، وصفة الكتابة به على الورق والجلد.

خبر خزانة السلطان مولاي زيدان السعدي الأسيرة بالأسكوريال :

وقبل ختام أخبار الكتب والخزانات نوجز قصة المكتبة الأسيرة، فقد كان من أهم ما انتهى إلى خزانة الأسكوريال على يد فيليب الثالث، مجموعة نفيسة ضمت ثلاثة الآف سفر

---

(1) محمد المنوني : البحث المشار إليه بمجلة البحث العلمي، الرباط أكتوبر 1971 عدد 18 ص 47/17

وهي مجموعة خزانة السلطان مولاي زيدان السعدي (بويع 1012هـ توفي 1037هـ)[1]، وقد شاءت الأقدار أن تقع في يد قرصان إسباني، فعندما قامت ثورة على السلطان آثر نقل الخزانة إلى إحدى موانىء الصحراء المغربية عن طريق ميناء آسفي ومنه شحنت في مركب استؤجر من صاحبه الفرنسي الذي هرب بها فاعترضه قراصنة الإسبان وآلت إلى قصر فيليب الثالث ومنه إلى خزانة الأسكوريال، وبذلك أصبح القسم العربي فيها يحتوي على نحو عشرة آلاف من المخطوطات، مغربيات سبيات، وأندلسيات جلبن من الحواضر الإسلامية... وقد أصبح بخزانة الأسكوريال من الكتب المغربية الأندلسية 1955 مخطوطا منها ما كتبت فيه صيغة التملك بخط مولاي زيدان نفسه[2]

وقد نقل السلاوي في الإستقصا عن مانويل قوله : إن قراصين الأصبنيول غنمت في بعض الأيام مركبا للسلطان زيدان فيه أثاث نفيسة من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك، وزاد السلاوي في تعليقه أن قضية أخذ الإصبان لكتب زيدان شهيرة في كتب الإفرنج وتواريخهم وأن الكتب لازالت محفوظة بخزانة الاسكبريال قرب مادريد وقد دعت الحكومة الإصبانية في وقتنا هذا وهو 1342(هـ) أحد الفرنسين لجعل برنامج لها[3].

خاتمــة

ومن هذا العرض للآثار الإسلامية والفنون التطبيقية في عصر الأشراف السعديين يتضح أن هذا العصر لا يتصف كما يدعي البعض بالجمود والتحجر، إنما كان في واقعه استمراراً أميناً لفنون الطراز المغربي الأندلسي بالإضافة إلى مميزات جديدة فرضتها الظروف السياسية والحربية والاقتصادية.

ويكفي الأشراف السعديين فخراً أنهم استطاعو أن يحفظوا للمغرب والإسلام والعروبة فنا رفيعا رائقا، كان منذ وضع أساسه الأخير بنو مرين في المغرب والأندلس، معرضا للزوال والإنهاك، خاصة إذا نظرنا نظرة شاملة إلى أحوال العالم العربي والإسلامي في ذلك العصر، وعلى كل من أراد أن يتعرف على خصائص هذا الطراز يعود أصلا إلى خصائص ومميزات الطراز المغربي الأندلسي مع مراعاة مقتضيات التطور التي أشرنا إليها.

---

(1) السلاوي : الاستقصا جزء 6، ص 3، بيعته، ص 72 وفاته

(2) عبد الرحمن الفاسي : مقدمته لمنتخبات من نوادر المخطوطات، منشورات الخزانة الملكية بالرباط، كما نشرت المقدمة بمجلة المناهل بالرباط عدد مارس 1979

(3) الاستقصا 6 ص 70

المنشآت المعمارية والفنون التطبيقية في الشعر العربي

تبقى من عصر الأشراف السعدين شعر عربي يذكر ضريح أبي عبد الله الشيخ ولحده في أبيات مطلعها :

حي ضريحا تغمدتـه رحمات وظللت لحده منها غمامـات

وذكر ابن القاضي في (المنتقى المقصور) أن المنصور السعدي بعث الخصة العظيمة سنة ست وتسعين وتسعمائة إلى جامع القرويين من فاس مع كرسي من المرمر توضع عليه وزنهما معا مائة قنطار وهي الخصة التي تحت منار الجامع[1] وقال ابن القاضي فيما نقش برقبتها :

أمام دار الهدى المنصور شيدني بحر المكارم من أبناء عدنـان
حزت المفاخر بالمنصور أجمعها ومن علاء سنام المجد أرساني
ومن جاء يشكو الظمأ يوما وقبلني أغناه ما قد همي من صوب أجفاني
لاتنكرن وجود الدمع من فرح فالعين تدمع من أفراط سلوان
واشرب هنيئا من السلسال لا حرج معين دمع جرى من فيـض خلجاني
فخر السلاطين من أبناء فاطمة أشاع صيتي إلى أطراف عمان[2]

وهكذا تضمن النص اسم ووصف الخصة والقصد منها ونسب المنصور إلى أهل بيت رسول الله.

وعندما فتح المنصور السعدي للإسلام أقاليم السودان الغربية ومدينة كاغو أقام الأفراح وأنشد أبو فارس عبد العزيز الفشتالي قصيدة نذكر منها:

جيش الصباح على الدجى متدفق فبياض ذا السواد ذلك يمحق
دامت طيور السعد وهي غوارد بـالمشتهي لك والمسرة تنطـق[3]

والمعلوم أن المشتهي والمسرة بستانان للمنصور ورى بهما الشاعر وقد سبق لنا ذكرهما.

(1) وهي خصه [illegible] الشرقية التي مرت بنا دراستها مفصلة.
(2) الاستقصا ج 5 ص 118.
(3) نفس المصدر ص 124 – 125

كما نقشت على القبة الخمسينية بقصر البديع الذي شيده بمراكش المنصور السعدي قصيدة طولية من إنشاد نفس الشاعر أبي فارس عبد العزيز الفشتالي نقتبس منها.

ولاحت بأطواقي الثريا كأنها	نثير جمان قد تبعته لقطا
إذا اتسقت بيض القباب قلادة	فإني لها في الحسن درتها الوسط
وسرح غزلان الصريم كناسها	حنايا قباب لا الكثيب ولا السقطا
أقرت له الزهراء والخلد وانثنت	أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا

وبذلك يشير الأديب الشاعر إلى علو وارتفاع بناء القبة الخمسينية ثم يحدد موقع القبة من بقية قباب قصر البديع ويذكر التماثيل والمنحوتات (بيض الدمى) وما أفرغ فيها من دقيق النحت والخرط ثم الرسوم بحنايا القباب وما اشتملت عليه ويفاضل بذلك كله مآثر مدينة الزهراء من عصر الخلافة الأموية بقرطبة وأواوين كسرى الشهيرة.

ويصف الشاعر بدائع وتفاصيل الفنون السعدية فيما نقش بداخل القبة المذكورة :

جمال بدائعي سحر العيونا	ورونق منظري بهر الجفونا
وقد حسنت بقوسي واستطارت	سنا يعشى عيون الناظرينا
علوت دوائر الأفلاك سبعا	لذلك الدهر ما ألفت سكونا
فصغت من الأهلة والحنايا	أساور والخلاخل والبرينا
هو المنصور حائز خصل سبق	وباني المجد بنيانا مكينا[1]

فها هو الشاعر المعاصر يصف العقود والأقواس المغشاة بالذهب المموه وارتفاع القبة وأنواع وعناصر الزخرفة داخل القبة التي بناها المنصور.

وكان من شعره أيضا ما كتب في بهوها بمرمر أسود في أبيض نقتبس منه :[2]

لله بهو عز منه نظير	لما غدا كالروض وهو نضير
رصفت نقوش حلاه رصف قلائد	قد نضدتها في النحور الحور
وكأن أرض قراره ديباجة	قد زان حسن طرازها تشجير
وكأن موج البركتين أمامه	حركات سحب صافحته دبور
صفت بضفتها تماثل فضة	ملك النفوس بحسنها تصوير
مابين آساد يهيج زئيرها	وأساود يعلو لهن صفير
يا حسنه من مصن[3] فبهاؤه	باهي نجوم الأفق وهي تنور
ولدسته الأسمى تخير رصفه	فخر الورى وأمامها المنصور

(1) الاستقصا 5 ص 137 – 138.

(2) الاستقصا ج 5 ص 138 – 139

(3) المصنع أصلا ما يجمع فيه ماء المطر والجمع مصانع، والمصانع هي القرى والحصون والقصور

وبهذا يذكر الشاعر انتظام النقوش ثم التشجير وهو زخرفة التوريق المعروفة بالأرابسك كما ذكر فن النحت من تماثيل على هيئة الأسود تصدر عنها الأصوات.

ومما طرزت به الأستار المذهبة المحكمة الصنعة لتستر بها النواصي الأربع من القبة الخمسينية أشعار موزعة على جهاتها المختلفة نذكر منها :

متع جفونك في بديع لباسي وأدر على حسنى حميا الكاسي

ونقش على المصرية[1] المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع أشعار أنشدها أبو فارس الفشتالي سنة خمس وتسعين وتسعمائة منها :

واعرج على غرفي المنيف سماؤها تلق الفراقد في حماي جلوسا
شرق القصور بريقها لما اجتلت مني على بسط الرياض عروسا

وكان مما قاله في بعض مباني قصر البديع بمراكش بعض أبيات تحدد أوصاف الأعمدة المغربية :

معاني الحسن تظهر في المغاني ظهور السحر في حدق الحسان
بكل عمود صبح من لجين تكون في استقامته خوط بان
مفصلة القدود مثلثات مواصلة العناق من التدان
مبان بالخلافة آهلات بها يتلو الهدى السبع المثاني
قصور مالها في الأرض شبه وما في المجد للمنصور ثاني

كما وصف شموخ الأبواب ويصف مصاريعها وشرفاتها بقوله :

هذى وفود السعد نحوي ترتمي وطلائع البشرى لبابي تنتمي
حطت بمصراعي السعود بشائرا لاحت على الشرفات مثل الأنجم

كما نقش على أحد أبواب قصر البديع من شعر الوزير أبي الحسن بن منصور الشيظمي :

باب أتى كبراعة استهلال وكأنما القصر القصيد التالي
وأتى التمام فقلت في تاريخه بيتا بلا عقد ولا أشكال

ونقش على باب الرخام أحد أبواب البديع قصيد من إنشاد الشاعر العظيم الشيظمي بمناسبة تمام البديع سنة 1002هـ نذكر منها :

(1) المصرية في الإصلاح المغربي غرفة في أعلى البناء ذات مدخل مستقل من خارجه مقتبسة من العمارة المصرية، وعندما تكون فوق دكان يفتح على الشارع في ملكية أخرى يقال أن الدكان (فيه ركوب للغير)، انظر روضة الآس للمقري عبد الوهاب بن منصور طبعة ثانية 1983 ص 134

الحسن لفظ وهذا القصر معناه يا ما أمليح مرآة وأبهاه
فهو البديع الذي راقت بدائعه وطابق إسم له فيه مسماه

وذكر صاحب نفح الطيب أن المنصور اخترع من المصانع ثلاثة أشياء فجاءت غريبة الشكل بديعة الحسن وهي البديع والمسرة والمشتهي وفيها يقول المنصور مورياً :

بستان حسنك أبدعت زهراته ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى
وقوام غصنك بالمسرة ينثني يا حسن رمان به للمشتهي

وكان من أرق ما وصف به السفشتالي قصر البديع قوله :

هذا البديع يعز شبه بدائع أبدعتهن به فجاء غريبا
أضنى الغزالة حسنه حسدا له أبدى عليها للأصيل شحوبا
شيدتهن مصانعا وصنائعا أنجزن وعدك للعلا المرقوبا

وبعد وفاة السلطان زيدان سنة سبع وثلاثين وألف ودفن بجانب قبر أبيه من قبور الأشراف السعديين بمراكش قبلي جامع المنصور ونقش على رخامة قبره[1] :

هذا ضريح من به تفتخر المفاخر
زيدان سبط أحمد مبتكر المآثر

وكما استأثر قصر البديع بغرائب عمارته وصناعاته باهتمام الشعراء، حظيت خصتا صحن القرويين والقبتان المطلتان على صحن المسجد بعدد من روائع الأشعار، وكان مما نقش داخل القبة الشرقية :

حزت المفاخر بالمنصور أجمعها ومن علال سنام المجد أرساني

ونقش خارجها من شعر أبي العباس الغرديس :

حسن سني منظري يستوقف النظرا وفائق الصنع مني طرز الطررا

ونقش داخل القبة المقامة فوق الخصة الغربية :

يا واقفا سره صنعي وتصويري (حسن سناي) بديع غير منكور
يا من ترشف عذب الماء من ظمأ عليك أقسمت بالأحزاب والنور
تدعو بنصر لمن لاحت محاسنه على الدنيا كهلال فوق ديجور

كما نقش على جوانبها الخارجية[2] :

---

(1) الاستقصا ج 6 ص 72

(2) جامع القرويين ج 2 ص 339 والتعليق رقم 122 ص 352. وانظر روضة الآس للمقري تحقيق عبد الوهاب بن منصور طبعة ثانية 1983

بدائعـــي نسخت لما تـــلت سوارا   من الجمال الذي أبدى بها صورا
آيات تلك التي قالت مصرحـــة   (حسن السنا منظري يستوقف النظرا)
فحقهـا أن تحط الـرأس صاغـرة   فالكوثر العذب من ماء المعين جرى
ولي فخـــار عـــليها بانـــتسابي إلى   عبد الإلاه الذي كل الورى بصرا

وقد نقش على واجهة الخصة في أعلى المصطبة التي خصصت لمعلم الوضؤ[1] :

سرح جفـــونك كـــي تـــرى   منـــــي جمالا أزهــــــرا
أنـــــا روض حسن فائـــــق   بـــــالأنس أضحـــــي مثمـــــرا
ضربت على قبـــــــــــة   كالشمس تزهـــــو منظـــــرا
في الجامـــع القـــروي قـــد   حـــــزت المقـــــام الأكبرا
انظـــــر شمائـــــل خصتـــــي   مثـــــل الـــــنسيم إذا سرى

ومما نقش في المعادن بكُمِّيات (جمع كُمِّية ومعناها السكين يعلق بجانب الكُمْ)[2] المنصور السعدي[3] :

فكم فخار وكم عز ظفرت بـه   فصرت من أجل دا أعزا إلى الكم
فاعجب لكف إمام جمعت أبـدا   منـــي لهيب لِظـــا لمعظـــم اليم

(1) نفس المصدر والصفحة. - جامع القرويين ج 2 ص 339 -
(2) وتعرف أيضا بالخنجر
(3) روضة الآس للمقري نشر عبد الوهاب بن منصور .ط. ثانية 1983م ص 149

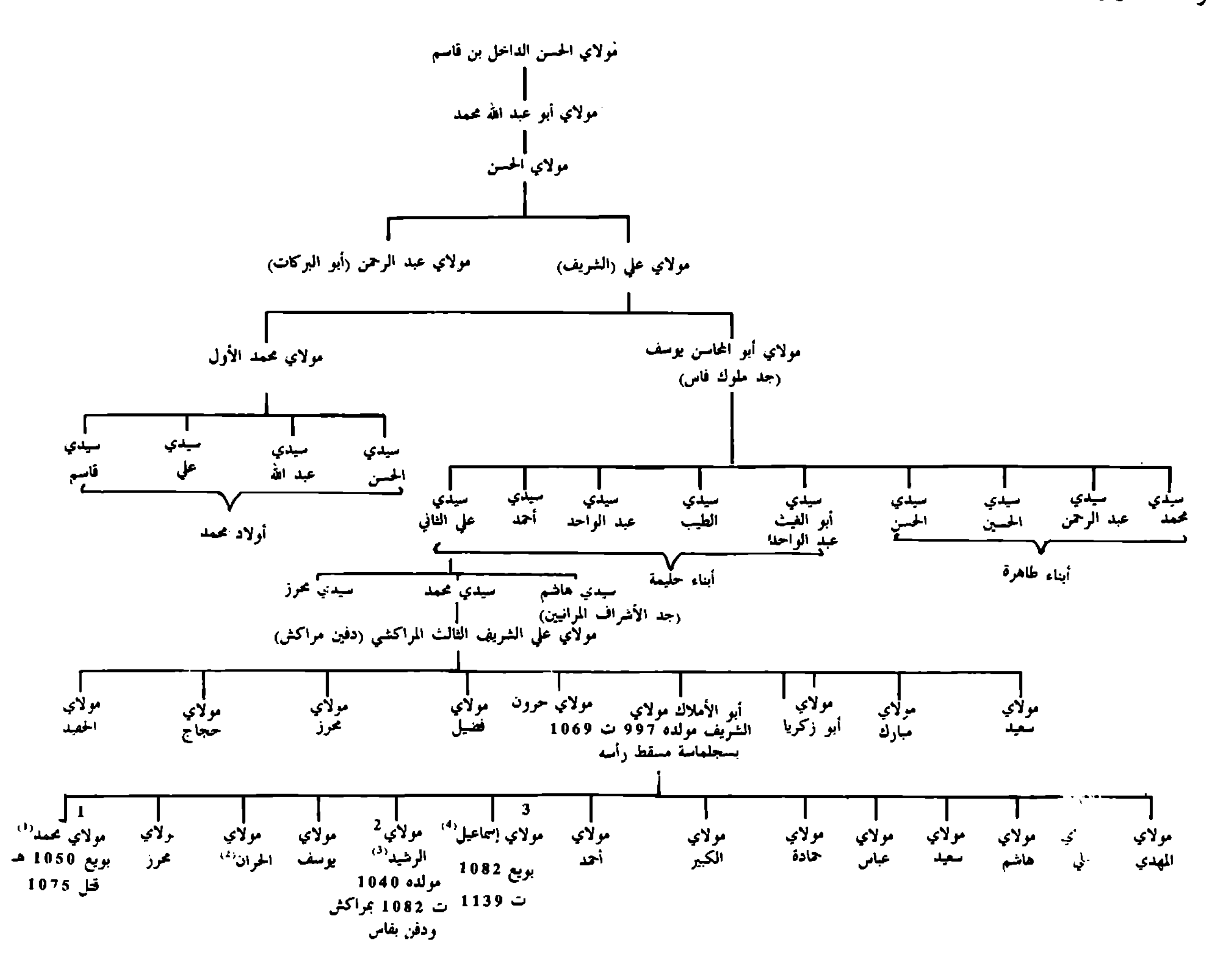
الفصل السادس

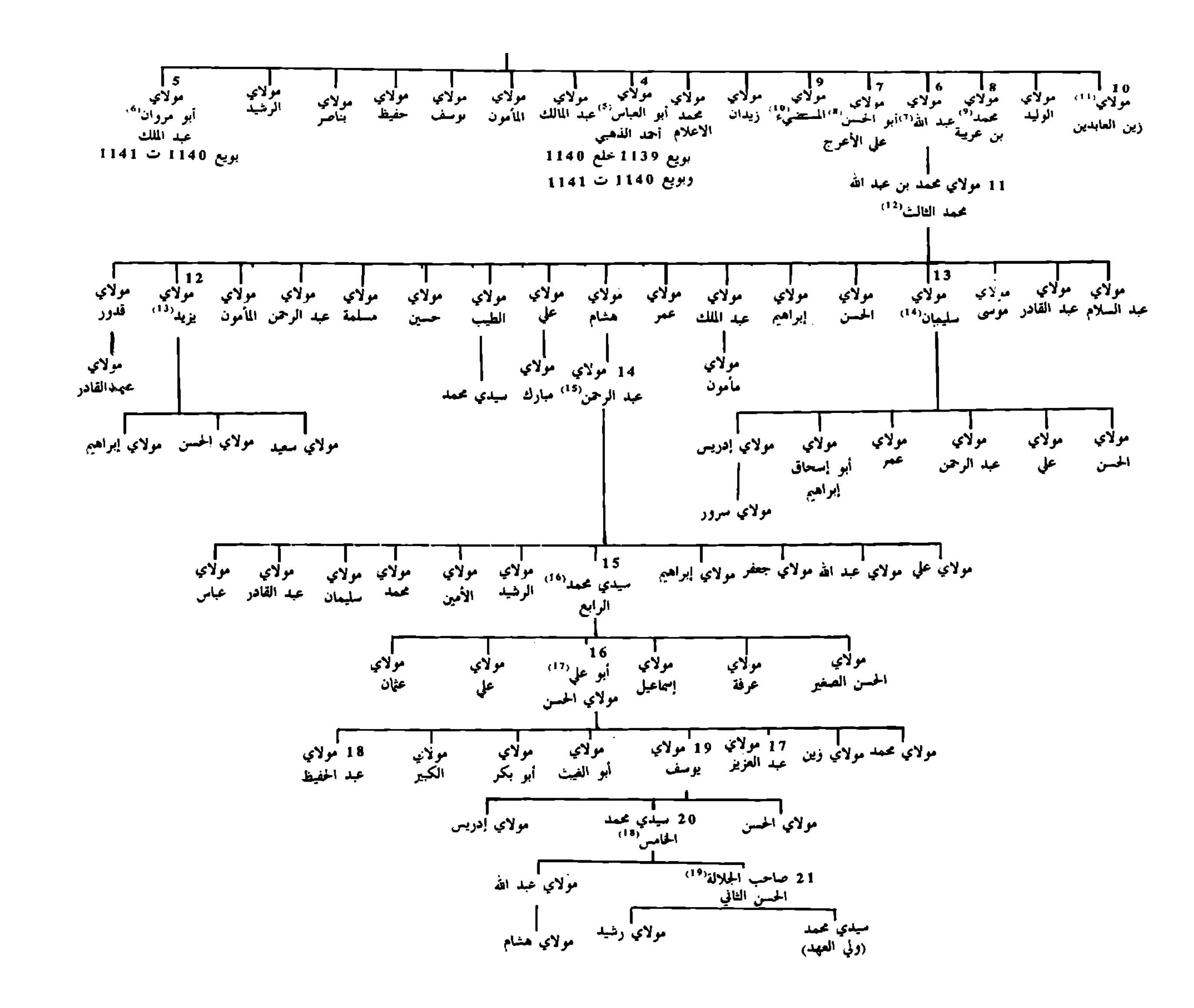
عصـــر الأشراف العلـــويين
العمارة والفنون في عصر الأشراف العلويين
الدور الحضاري لدولة الأشراف العلويين

أبحاث هذا الفصل :

- أولية دولة الأشراف العلويين
- مسؤولياتها التاريخية والظروف الداخلية والدولية
- الدور الحضاري لدولة الأشراف العلويين
- منجزات العلويين الحضارية في مجالات العمارة الإسلامية والفنون :
  - المولى الرشيد
  - المولى إسماعيل بَنَّاء العلويين
  - المولى عبد الله بن إسماعيل
  - سيدي محمد بن عبد الله
  - المولى يــزيـد
  - المولى سليمان
  - مولاي عبد الرحمن
  - سيدي محمد بن عبد الرحمن
  - مولاي الحسن الأول
  - الطفرة المحمدية الحسنية
- استجابة الإنجاز المعماري والفني لتقنيات العصر الحديثة

الأشراف العلويون





10 مولاي(11) زين العابدين
مولاي الوليد
8 مولاي محمد(9) بن عرية
6 مولاي عبد الله(7)
7 مولاي أبو الحسن(8) علي الأعرج
9 مولاي المستضيء(10)
مولاي زيدان
مولاي محمد أبو الاعلام
4 مولاي أبو العباس(5) أحمد الذهبي
بويع 1139 خلع 1140
وبويع 1140 ت 1141
مولاي عبد المالك
مولاي المأمون
مولاي يوسف
مولاي حفيظ
مولاي بناصر
مولاي الرشيد
5 مولاي أبو مروان(6) عبد الملك
بويع 1140 ت 1141
11 مولاي محمد بن عبد الله
محمد الثالث(12)
مولاي عبد السلام
مولاي عبد القادر
مولاي موسى
13 مولاي سليمان(14)
مولاي الحسن
مولاي إبراهيم
مولاي عبد الملك
مولاي مأمون
مولاي عمر
مولاي هشام
14 مولاي عبد الرحمن(15)
مولاي علي
مولاي مبارك
مولاي الطيب
سيدي محمد
مولاي حسين
مولاي مسلمة
مولاي عبد الرحمن
مولاي المأمون
12 مولاي يزيد(13)
مولاي قدور
مولاي عبد القادر
مولاي سعيد
مولاي الحسن
مولاي إبراهيم
مولاي الحسن
مولاي علي
مولاي عبد الرحمن
مولاي عمر
مولاي أبو إسحاق إبراهيم
مولاي إدريس
مولاي سرور
مولاي علي
مولاي عبد الله
مولاي جعفر
مولاي إبراهيم
15 سيدي محمد(16) الرابع
مولاي الرشيد
مولاي الأمين
مولاي محمد
مولاي سليمان
مولاي عبد القادر
مولاي عباس
مولاي الحسن الصغير
مولاي عرفة
مولاي إسماعيل
16 أبو علي(17) مولاي الحسن
مولاي علي
مولاي عثمان
مولاي محمد
مولاي زين
17 مولاي عبد العزيز
19 مولاي يوسف
مولاي أبو الغيث
مولاي أبو بكر
مولاي الكبير
18 مولاي عبد الحفيظ
مولاي الحسن
20 سيدي محمد الخامس(18)
مولاي إدريس
21 صاحب الجلالة(19) الحسن الثاني
مولاي عبد الله
سيدي محمد (ولي العهد)
مولاي رشيد
مولاي هشام

(1) مولاي محمد قتل 1075هـ في حربة مع أخيه الرشيد ودفن بدار ابن مشعل وقد حمله أخوه الرشيد إلى بني يزناسن لدفنه هناك، الاستقصا 31/7.

(2) هكذا (الحسن) عند بريت ص 246، وفي الاستقصا 12/7 نجده (الحران).

(3) الرشيد ولد 1040هـ وتوفي 1082هـ ودفن بقصبة مراكش ثم نقل إلى ضريح أبي الحسن علي بن حرزهم بفاس كوصيته، الاستقصا 43/7، والدرر الفاخرة لابن زيدان ص 11.

(4) إسماعيل : مولده 1056ه بويع 1082 وسنه 26 سنة، الاستقصا 45/7 + 46، وتوفي 1139 الاستقصا 100/7 والدررالفاخرة لعبد الرحمن بن زيدان ص 30/29 للوقوف على الخلاف في تاريخ ومكان الميلاد.

(5) أحمد الذهبي بن إسماعيل بويع بعد أبيه 1139 وخلع 1140هـ الاستقصا 114/7، 119، بويع لدولته الثانية 1140 الاستقصا 121/7 وتبعا لرواية ابن زروق 1141، الاستقصا 124/7.

(6) عبد الملك : بويع 1140، وقتل 1141، الاستقصا 124/7.

(7) عبد الله بن إسماعيل : فر من مكناسة إلى نول 1147 الاستقصا 136/7 وعاد إلى مكناسة 1149 وفر عنها أخوه أبو الحسن علي الأعرج الاستقصا 141/7، الدولة الثانية لعبد الله بن إسماعيل الاستقصا 142/7. خلع وفر وبويع أخوه محمد ابن إسماعيل الاستقصا 143/7، عودته للبيعة الاستقصا 180/7، توفي بدار الدبيغ بفاس 1171 ودفن بقبور الأشراف بفاس الجديد الاستقصا 187/7، بالدرر الفاخرة ولد 1121 وبويع بفاس 1141 وتوفي 1171 فانظر ذلك ص 53/52.

(8) أبو الحسن علي الأعرج، الاستقصا 137/7 وقد بويع 1147هـ.

(9) محمد بن اسماعيل (المعروف بابن عربية)، بويع 1150 بعد خلع أخيه عبد الله بن إسماعيل.

(10) المستضيء بن إسماعيل، انظر الاستقصا 148/7.

(11) زين العابدين بن إسماعيل، انظر الاستقصا 154/7.

(12) محمد بن عبد الله : الاستقصا 181/7 + 193، توفي 1204، الاستقصا 65/8، وبالدرر الفاخرة ص 55 مولده بمكناسة 1134 وبيعته بفاس 1171 ودفن باحدى قباب داره بالرباط.

(13) مولاى يزيد بن محمد بن عبد الله بيعته بالاستقصا 76/8، توفي مجروحاً 1206هـ الاستقصا 83/8 ودفن بقبور الأشراف قبلي جامع المنصور بقصبة مراكش وبالدرر الفاخرة ص 65 مولده 1180 وبيعته 1204 ودفن بقبور الأشراف السعديين إزاء ضريح السلطان عبد الله السعدي.

(14) مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله : بويع 1206 بفاس الاستقصا 87/8، توفي 1238 ودفن بضريح جده المولى علي الشريف بباب آيلان بمراكش الاستقصا 166/8 وبالدرر الفاخرة ص 67 مولده 1180.

(15) عبد الرحمن بن هشام توفي 29 محرم 1276 ودفن بضريح المولى اسماعيل بمكناسة الاستقصا 77/9 وبالدرر الفاخرة ص 78 ولد 1204 وبويع بفاس 1238.

(16) محمد بن عبد الرحمن توفي 1290 بمراكش ودفن بضريح جده المولى علي الشريف قرب ضريح القاضي عياض، الاستقصا 124/9 وبالدرر الفاخرة ص 89 بويع 1276هـ.

(17) الحسن الأول : انظر عزيز سلام ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية ص 136 (وضريحه بالقصر الملكي بالرباط)، وبالدرر الفاخرة ص 97 مولده 1247 وبيعته 1290 توفي بتادلا 1311 (1894م) ودفن مع جده السلطان محمد بن عبد الله بضريحه المشهور بالدار العلية بالرباط.

(18) سيدي محمد الخامس : ولد بالقصر السلطاني بفاس 1329 وبويع بفاس 1346 (1927م) الدرر الفاخرة ص 140/139، توفي (1961م) ودفن بالضريح الذي شيده له خليفته الحسن الثاني فوق أرض مسجد حسان الموحدي بالرباط، انظر (ضريح محمد الخامس) لفوطوان وأبحاثنا المنشورة بدعوة الحق ومجلة الفنون وجريدة الأنباء الرباطية وكتابنا حول ضريح محمد الخامس.

(19) أمير المؤمنين الحسن الثاني : كتاب الحسن الثاني الجزء الأول لمؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور وسلسلة (انبعاث أمة) تأليف وإشراف مؤرخ المملكة.

الفصل السادس

العمارة والفنون في عصر الأشراف العلويين

الدور الحضاري لدولة الأشراف العلويين

يعتبر عصر الدولة العلوية الشريفة عصرا متميزا بذاته في تاريخ العمارة والفنون المغربية بالنسبة لتاريخ الفن الاسلامي العام بالمغرب، وذلك، على الرغم من إدراجه ضمن طراز الأشراف السعديين والعلويين.

ولكن باحثا في تاريخ العمارة والفنون التطبيقية سوف لا يصل إلى حقيقة المميزات التي حققت الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية لعصر من العصور وفن من الفنون دون أن يغوص في حقيقة الوضعية العامة على المستوى الوطني وعلى المستوى العالمي لأمة من الأمم في عصر من العصور.

أولية دولة الأشراف العلويين :

ولهذا سنضطر أولا إلى النظر في أولية دولة الأشراف العلويين والظروف التي قامت فيها ومن أجلها، وأهدافها وخططها، والظروف الداخلية والأحوال الخارجية، لنتعرف على أسرار التغيير الطارىء على أحوال الصناعات والفنون والعمائر الدينية والمدنية وغيرها.

وبادىء ذي بدء، يجمع النسابة العرب والمغاربة على أن نسب الدولة العلوية الشريفة من أصرح الانساب وسببها المتصل برسول الله عليه الصلاة والسلام من أمتن الأسباب. وقد كان أول ملوكها وهو المولى محمد بن الشريف الذي بويع بسجلماسة سنة 1050 للهجرة من نسل السيد الحسن الداخل الذي انتقل من ينبوع النخل بشاطىء الحجاز إلى المغرب الأقصى وسكن سجلماسة منذ أواخر أيام دولة الموحدين سنة 664 لهجرة، ويرتفع نسبه عن طريق محمد النفس الذكية ابن عبد الله الكامل إلى سيدنا الامام علي وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام[1].

---

(1) أنظر الاستقصا : الجزء 7 ص 4 إلى ص 15. وانظر قبائل المغرب لمؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور : الجزء الأول ص 136، وكذلك لنفس المؤرخ، انظر كتاب : الحسن الثاني : حياته وجهاده ومنجزاته، ص 23 وخاصة هامش رقم 17 و18 و19 بنفس الصفحة.

مسئولياتها التاريخية والظروف الداخلية والدولية :

ولاشك أن نسب الدولة الشريفة وعروبتها الأصيلة قد فرضت على تلك الدولة الأثيلة مسؤوليات تاريخية جلى وتضحيات كبرى بالنظر إلى الاعتبارات الداخلية والظروف الخارجية فقد كان موت المنصور السعدي بمثابة غروب لشمس الوحدة والبناء والتشييد، بل وكان بداية النهاية في الكيان الوطني المستقل، وانهيار الشخصية القوية التي كان المغرب يعرفها على عهده، حيث تحمل العلويون الأمانة بينما كان الاقتصاد الوطني يبدو كبيت يوشك أن ينقض، كما عاد البرتغال إلى احتلال الشواطىء والثغور، وتلاهم الاسبان ثم الانجليز ومن بعدهم الفرنسيون.

وقد أخذت معالم الحضارة المغربية في الغروب، والشخصية المغربية في الاهتزاز حيث تحطم تقريبا كل شيء كان يمكن أن يدعم الدولة الفتية الناشئة. وقد زاد في خطورة الموقف أن سقوط الاسلام في الأندلس منذ نهاية القرن التاسع الهجري قد أدى إلى نكبة كبرى بالنسبة للعالم الاسلامي وعلى الخصوص المملكة المغربية التي أصبحت واجهة أولى لصد الانتقامات الموجهة ضدها من إسبانيا والبرتغال والعالم الأوروبي.

فبعد جذر أوروبي استمر طيلة ثمانية قرون تحت تأثير المد الاسلامي المغربي تستعيد إسبانيا والبرتغال الحرية السياسية وتظهر بوادر عصر النهضة الأوروبية.

لقد كان حادث الردة النصرانية بالأندلس، نقطة انطلاق جديدة للسيطرة على أراضيها ثم حركة رد فعل مضادة بتأثير العقدة الدينية إلى الاستيلاء على شواطىء وثغور المغرب بصفته الدولة التي خرجت منها أولا ومنذ قرون رجال وجيوش فرضوا سيطرة الاسلام ورفعوا أعلامه على ربوع القارة الأوروبية.

وفضلا عن ذلك كله فقد شهد العالم ابان ظهور الدولة العلوية وخلال مراحلها الأولى تطورات هائلة تمخضت عنها ثورات وحروب وهزات سياسية وعسكرية متعددة غيرت خريطة أوروبا وجددت في مناطق النفوذ وعناصرها، مما لا يخلو من تأثير على منطقة الدولة المغربية الشريفة. كما شهدت تلك الفترة كذلك ظهور منجزات عالمية جديدة في التقنية الحربية ووسائل الانتاج والتجارة والاقتصاد على العموم مما يزيد في عبء المسؤولية لمحاولة تدارك الركب الحضاري المعاصر.

وعلى أساس تلك الظروف والأحوال مجتمعة، تقدمت الدولة العلوية الشريفة بخطة محددة الأهداف واضحة المعالم قائمة على مبادىء راسخة من الاسلام والعروبة متمثلة نضال العلويين عبر التاريخ في النضال من أجل الوحدة الوطنية ونشر الرخاء والطمأنينة والتعمير والبناء والتشييد.

الدور الحضاري لدولة الأشراف العلويين :

ويهمنا الآن فيما يتعلق بالعمارة الاسلامية والفنون التطبيقية في عصر دولة الأشراف العلويين النظر فيما أسلفنا من حدوث تطورات فكرية على المستوى العالمي في الصناعة وأساليب البناء، وما أصاب العالم العربي والاسلامي من الغزو الميكانيكي الجديد، وما خضع له من تأثيرات أجنبية من حيث أساليب المعيشة وطرائق الحياة في الملبس والمسكن واستخدام الأدوات، بحيث كادت تنقطع الصلة في عدد من دول الاسلام بين ماضي العمارة والفنون وبين ما يسودها الآن من مظاهر أوروبية أجنبية.

ومع هذا، فقد كتب التوفيق والنجاح لملوك الدولة العلوية ورعاة فنونها وحضارتها في الحفاظ على تراث المغرب الحضاري في العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية مع استغلال الأدوات والمعدات والآلات الحديثة التي أدى إلى ظهورها عصر التكنولوجيا الذي طبع منتجات العالم المعاصر بطابع جديد. كما يظل الفن المغربي على عصر العلويين وفيا لأساليبه الوطنية الموروثة في فنون البناء والزخرفة مستغلاً منجزات الحياة العصرية من حيث المعدات والآلات الميكانيكية الحديثة.

وهكذا يعتبر المغرب في عصر الدولة العلوية مستودعاً لأسرار الحضارة المعمارية والزخرفية التي جمع جذورها ابتداء من الفن البربري القديم وفنون الطراز المغربي الاسلامي المبكر وأساليب الطراز المغربي الأندلسي إلى يومنا هذا، من حيث هيئة البناء العربي وتخطيط المسكن الاسلامي، وما يشتمل عليه من أثاث وفراش ومعلقات وتحف وأدوات للزينة وأدوات للاستعمال اليومي، لازالت جميعها تعكس أساليب الحياة المغربية الوطنية المتميزة بشخصيتها الذاتية إلى اليوم على الرغم مما أصاب معظم البلاد العربية والاسلامية من تأثيرات أجنبية تكاد تقطع صلتها الأولى بماضيها العربي والاسلامي.

منجزات العلويين الحضارية في مجالات العمارة الاسلامية والفنون

وسوف نحاول الآن، أن نرسم لوحة أمينة لسلسلة المنجزات العلوية في تاريخ العمارة والفنون الزخرفية لعلها تعكس علينا صدق المبادىء التي ترسم خطاها كبار البنائين من ملوك الدولة العلوية سدنة الحضارة والفنون بالمغرب السعيد.

المولى رشيد :

وقد استهل المولى رشيد الباني الحقيقي لدولة الأشراف العلويين عهد تلك الدولة بطفرة كبرى في مجال البناء والتشييد فبادر في عام 1080 هجرية ببناء مدارس الطلبة والمساجد وأولها مدرسة الشراطين بدار الباشا عزوز بفاس بعد أن نقل إلى هذه المدينة علماء الزاوية الدلائية وبقية زوايا المغرب ليعملوا على ازدهار العلم فيها. وكان قد أمر ببناء مدرسة عظيمة كذلك بازاء مسجد الشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح بمراكش. وتشتمل المدرسة المغربية على أماكن مخصصة لسكنى الطلبة وعلى بيت للصلاة فيه محراب، وكانت مدرسة الشراطين[1] تتكون من ثلاثة طوابق مشتملة على مائتي وثلاثين بيتا.

وقد بنى الرشيد كذلك الأقواس الأربعة من قنطرة سبو القريبة من فاس وأنفق عليها اثنين وخمسين قنطارا جاءت في تمام الجمال الفني والمعماري، وقد شرع في بنائها سنة 1079 بحفر الأساس وتهيئة المواد، ثم شرع في البناء بالآجر والجير سنة 1080. كماشيد سنة 1079 قنطرة الرصيف بفاس وأمر ببناء القصبة الجديدة بديار لمتون وعرصة ابن صالح وبذل لأصحابه وقواده ألف مثقال لبناء سورها، وأمرهم ببناء الدور فيها. وبنى قصبة الخميس وقنطرة وادي النجا وقنطرة باب الجديد بفاس وبنى قصبة أبي الجنود بعد أن أنفق عليها أكثر من ألفي مثقال، وزاد من قصور فاس السلطانية وبنى قبة النصر بمشور باب الدكاكين ومباحة ومسجده وجدد كثيرا من القصور الملكية المرينية التي كاد أن يأتي عليها الخراب. وعند مروره بالموضع المسمى

(1) انظر الاستقصا : الجزء السابع ص 41 وكذلك كتاب وزارة الأنباء «ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية» تأليف عزيز سلام ابتداء من ص 26.

بالشط من الظهراء أمر بحفر آبار شتى هناك وهي التي تدعى إلى الآن بآبار السلطان، وقد حفرها لتسقي ركب الحجيج[1] في مروره وإيابه.

المولى إسماعيل بَنَّاء العلويين :

ويعرف فن العمارة المدنية والحربية عصرا ذهبيا ابتداء من مبايعة المولى إسماعيل بمكناسة الزيتونة بعد وفاة أخيه المولى الرشيد سنة 1082 هجرية. وقد أجمع المؤرخون على أن المولى إسماعيل الذي ظل حوالي خمس وخمسين عاما يحكم المغرب بشخصية قوية وذكاء خارق يعتبر الباني الحقيقي لصرح الحضارة وغارس بذور تطوير الدولة.

ومن عصر المولى إسماعيل تبقى عدد من القلاع والحصون والقصبات في أزرو وفاس وتازا وتادلة وقلاع أخرى مهدت لاستتباب الأمن وضمان الوحدة الشاملة للمجتمع، ومكنت الجيش المغربي من التفرغ لمواجهة المحتلين الممثلين في الاسبان أو الأتراك أو الانجليز وغيرهم.

وكان من أعظم منشآته المعمارية شهرة مدينة مكناس التي اتخذها عاصمة للمملكة، ونتعرض لها تفصيلا فيما بعد، بالاضافة إلى توسعة ضريح المولى إدريس الأكبر بزرهون وتجديد ضريح المولى إدريس الأزهر بفاس.

المولى عبد الله بن إسماعيل :

وقد شهدت فاس على عصر المولى عبد الله بن إسماعيل نهضة معمارية ببناء القصر المؤسس لسكناه بدار الدبيبغ والبساتين الخارجة عليه، كما أمر في سنة 1143 بناء باب منصور العلج بمكناس[2] فجاء في غاية الفخامة والفراهة (شكل 120).

سيدي محمد بن عبد الله :

ويشهد عصر سيدي محمد بن عبد الله ابتداء من سنة 1171 هجرية نهضة كبرى في مجال الحضارة والعمارة والفنون، إلى جانب الوثبة الكبرى في ميدان القوة العسكرية والسياسة الخارجية.

لقد كان سيدي محمد بن عبد الله أول ملك في العالم يعترف باستقلال أمريكا، والرجل الأول الذي شد عضد الدولة العثمانية ضد خصومها الذين راموا محو الاسلام من تركيا. وقد رأى بفكره الثاقب ارساء القواعد الجديدة للحضارة المغربية على أسس عصرية للحاق بركب عصر النهضة والتقدم الذي بدأ ينمو على ضفاف البحر المتوسط.

---

(1) راجع الاستقصاء : نفس الجزء والصفحات ثم كتاب وزارة الأنباء السالفة الذكر ص 28 و29.

(2) عزيز سلام : نفس المصدر ص 46 والاستقصا . 7 ص 133.

وهكذا تتمثل همته العالية في ميادين السياسة والحرب والعمران في عدد كبير من المنجزات المعمارية التي تحققت بالمملكة المغربية على عهده. فكان من آثار سيدي محمد ابن عبد الله في العمارة الحربية برج مارتيل العظيم بتطوان الذي أراد به تكوين واجهة فولاذية تواجه الأعداء، كما أمر ببناء سقالة هائلة على شط سلا وأخرى بميناء الرباط مطلة على البحر.

ومن آثاره المدنية تأسيس ميناء فضالة المعروفة اليوم بالمحمدية لتصدير فائض الخيرات إلى أوروبا، كذلك بناء مدينة الصويرة التي تعتبر أعظم أثر معماري متكامل خلفه المولى سيدي محمد بن عبد الله. أما تجديده وترميمه للمساجد والمدارس والأضرحة والبيمارستانات والقصبات والزوايا فلا حصر له بمراكش والرباط وسلا ومكناس وفاس فلينظر ذلك كله فيما رواه وجمعه صاحب الاستقصا[1].

ولكن الظروف السياسية والعسكرية قد تغيرت بعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله وذلك بتحفز كل من فرنسا بطلة واقعة إيسلي وإسبانيا بطلة واقعة تطوان للانقضاض على سيادة البلاد تمهيدا لاحتلالها[2].

المولى يزيد :

ولهذا نجد اهتماما واضحا ابتداء من الآن بالعمارة الحربية للذود عن حدود وخيرات البلاد، فقد بنى المولى يزيد ست عشرة قلعة في نقط استراتيجية جهز كل واحدة منها بعشرين مدفعا كان أغلبها في الشمال حيث يهدد الاسبان من سبتة التراب المغربي.

المولى سليمان :

وعلى الرغم من تلك الظروف القاسية خلف المولى سليمان عددا من المآثر الباقية إلى اليوم منها في فاس على الخصوص المسجد الأعظم بالرصيف الذي كان قد حفر أساسه المولى يزيد وشرع فيه، وكذلك مسجد الديوان ومسجد الشرابليين الذي زاد فيه ووسعه وجعله مسجدا جامعا (شكل 81) كما بنى مسجد الشيخ أبي الحسن بن غالب وضريحه وضريح الشيخ أبي محمد عبد الوهاب التازي وجدد المدرسة العنانية وأصلح مسجد القصبة البالية وبنى باب الفتوح على هيئة ضخمة، وبنى مسجد وزان ومسجد تطوان وجدد مسجد أصيلا وأسوارها وجدد قصور الملك بمكناسة بعد تلاشيها وبنى مسجد الجزارين بسلا ووقف عليه أوقافا تقوم بمصلحته وبنى المسجد الأعظم بحومة (السويقة) برباط الفتح وبنى دار البحر لنزوله وقنطرة

---

(1) الاستقصا : ج 8 ص 69 بأكملها وبداية ص 70.

(2) عزيز سلام : نفس المصدر ص 69.

على وادي حصار بتامسنا ومسجد أبي الجعد بتادلا وقنطرة وادي أم الربيع وقنطرة تانسيفت بمراكش بعد سقوطها وأعاد بناء المسجد الأعظم الذي أسسه بمراكش علي بن يوسف فبناه بناء ضخما وشيد منارة أخرى بديعة الحسن رائقة الصنع مكان صومعته القديمة[1].

مولاي عبد الرحمن :

وقد شهد عهد المولى عبد الرحمن تغييرا كبيرا في صفوف الأعداء المحدقين بالحدود في التقنية الحديثة وعلوم الكيمياء وأسرار وفنون الحرب والقتال والادارة والمواصلات. وقد كانت تلك النهضة العلمية والتقنية العالمية دافعة للمولى عبد الرحمن إلى تأسيس أول مدرسة للهندسة بفاس بالقصر الملكي كان من تلاميذها ابنه السلطان محمد الرابع[2]، كما بادر ببناء ما تهدم من مرسى طنجة وصير عليه مالا عظيما وتجديد البرجين العظيمين بسلا، كما بنى بأعمال رباط الفتح قصبتين كبيرتين أحدهما بالصخيرات وأخرى في أبي زنيقة وجدد ما تهدم من أبراج الصويرة واعتنى بها وصير عليها أموالا ثقالا فجاءت في غاية الاتقان والحصانة بالاضافة إلى ما قام به من بناء وتشييد في مجال العمارة الدينية والمدنية مما أشار إليه صاحب الاستقصا.

سيدي محمد بن عبد الرحمن :

وكان من آثار سيدي محمد بن عبد الرحمن داره الكبرى بأكدال من رباط الفتح والسور الكبير المحيط بها وإحياء جامع السنة وإحياء وترميم مسجد أهل فاس وتأسيس المسجد الجامع بالسوق من الدار البيضاء وإصلاح أسوار الجديدة وأبراجها. ودار السكر ودار البارود بمراكش.

مولاي الحسن الأول :

وكان من أهم منجزات المولى الحسن الأول قدس الله روحه إنشاء دار صناعة السلاح بفاس داخل باب الساكمة، وصرف همته إليه، وتأسيسه على أبدع طراز وقد جلب إليه العمال والصناع من الديار الأوروبية وشرع فيه ابتداء من سنة **1305** هجرية إيمانا منه بضرورة الانفتاح على العالم الخارجي ومسايرة تطوره في الأساليب الفنية في الصناعة والبناء والعمارة ومختلف مظاهر الحضارة.

وقد نهج نفس السبيل مولاي يوسف عندما عمد إلى تجهيز البلاد بالمرافق العصرية

---

(1) الاستقصا : ج 8 ص 172 إلى 174.

(2) وقد جاء موقعها في نفس المدرسة المرينية بفاس الجديد جوار القصر الملكي وبدأت الدراسة بها سنة 1844م، انظر محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب الجديد ج 1 ص 1973.

من موانىء وطرق ووسائل للمواصلات وكافة عناصر الحضارة العصرية، وهكذا ظهرت سلسلة من الموانىء المجهزة كميناء طنجة والدار البيضاء والمحمدية والقنيطرة والجديدة وأسفي والصويرة وأكادير كما تم فتح طرق حديثة بكافة أنحاء المملكة[1].

عصر الاستقلال والانبعاث (عصر الطفرة المحمدية الحسنية)

ويشهد المغرب ابتداء من النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي تطورا كبيرا في حضارته وعمارته وآدابه وعلومه. وبدور ذلك التطور حول محورين رئيسيين وهما الاستقلال والانبعاث.

وقد حققت ثورة الملك والشعب التي قادها المولى المقدس المرحوم محمد الخامس وإلى جانبه ولي عهده مولاي الحبسن ومن ورائهما الشعب لمغربي بأسره أولى مراحل التفوق على الاستعمار بعودة الأسرة الملكية من منفاها السحيق يوم 16 نوفمبر من سنة 1955 للميلاد، ذلك التاريخ الذي يعتبر أولى دعائم الاستقلال السياسي في تاريخ المملكة المغربية المعاصر. وقد ركزت الدولة جهودها في تثبيت دعائم الاستقلال ابتداء من اعلان الاستقلال المغرب في مارس سنة 1956 وحتى التحاق المولى المقدس المرحوم محمد الخامس بالرفيق الأعلى سنة 1961.

وقد تميزت مرحلة الاستقلال تلك، بمميزات خاصة تختلف عن تلك المحاولات السابقة في العصور الماضية نظرا لاختلاف أساليب السياسة والحرب والأوضاع العالمية الجديدة والتكتلات والهيئات الدولية، وكذلك إمكانيات ونوعية القوى الوطنية. وعندما أشرقت مرحلة الانبعاث التي قادها بكل قواه ملك المغرب المعاصر جلالة الحسن الثاني، وطد المغرب العزم على بعث القدرات والامكانيات الوطنية في ظل السياسة العامة للدولة العلوية الشريفة بمحتواها العربي الاسلامي الافريقي في إطار التطور العالمي المعاصر. وهكذا يتحتم على الباحثين إقرار دراسة خاصة لعصر الاستقلال والانبعاث الذي حقق في سباق مع الزمن إستقلال المملكة ووحدة أراضيها بتحرير الصحراء بعد معجزة العصر المسيرة الخضراء ووضع أسس التشييد والبناء والعمران والاستقلال الاقتصادي بقصد رفع مستوى الحياة الاجتماعية وتطويرها نحو الأسلوب المعاصر للاستفادة بالامكانيات الحديثة.

ولاشك أن تلك الأوضاع والأسس والأهداف سوف تنعكس على ما شيده الملكان العظيمان المولى المقدس المرحوم محمد الخامس وجلالة الحسن الثاني من مبان ومنشآت معمارية

---

(1) عزيز سلام : نفس المصدر ص 142 و143.

وعلى نوعية تلك المنشآت وأهدافها وعلى أساليب الفنون والصناعات التطبيقية التي عاشت إلى جانب تلك العمائر والمنجزات في عصر الاستقلال والانبعاث[1].

استجابة الانجاز المعماري والفني لتقنيات العصر الحديث :

ويجدر بنا الآن بالنسبة لدراسة الحضارة وفن العمارة الاسلامية أن نقرر التجاوب السريع المتبصر لمتطلبات العصر الحديثة في استخدام الآلات والتقنية الجديدة المتطورة والمواد الكيميائية التي أوجدها نتاج ذلك العصر بحيث يمكن الرجوع إلى الدراسات الفنية التقنية التي تشتمل عليها الادارات المعنية بوزارة الأشغال العمومية للوقوف على مدى التطور والاستجابة التي لاقتها التقنية الحديثة في فن العمارة العلوية التي حققت المضمون التقليدي للدولة العلوية من حيث الرغبة في تحقيق الأمن والرخاء مع الاستفادة بإمكانيات العصر الحديثة.

إنه الاتجاه المتفتح على العلم ومنجزات العصر الحديثة الذي اعتمد عليه عصر الاستقلال والانبعاث لانجاز أعمال معمارية وفنية هامة كتشييد مقر دار السلام برباط الفتح وتزويد البلاد بعدد من المراسي الجديدة وتأسيس المنشآت الكبيرة لاستغلال الفوسفاط ومجموعة السدود المائية التي ينفرد بها المغرب وتتويج هام لحضارة المعمارية والفنية بدرتها العظيمة ونقصد بها مجموعة مباني ضريح محمد الخامس.

---

(1) للوقوف على تفاصيل النضال السياسي لمحمد الخامس وجلاللا الحسن الثاني راجع مايلي : نضال ملك بقلم محمد رشيد ملين جزءان والحسن الثاني : بقلم مؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور أنظر المقدمة ثم الفصل الأول. اللهب المقدس : لمفدى زكريا للرجوع إلى قصائد نسجت حول تاريخ ونضال محمد الخامس، ثم انبعاث أمة وهي سلسلة تصدرها المطبعة الملكية بالرباط مشتملة خطب المولى المقدس المرحوم محمد الخامس، وانظر كذلك (مع جلالة الحسن الثاني في نواديو) بقلم مؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، أنظر المقدمة للتعرف على حالة المغرب التاريخية في ذلك الوقت. أنظر كذلك حسن الوفاء : ديوان شعر لمحمد المعمرى. وكتاب المغرب العربي للدكتور صلاح العقاد وكتابات المرحوم الأستاذ علال الفاسي خاصة الحركات الاستقلالية في المغرب العربي وكذلك السياسة البربرية.

الفصل السابع

عصر الأشراف العلويين

العمارة الحربية في عصر الأشراف العلويين

أبحاث هذا الفصل :

- تحصينات مدينة تطوان
- أسوار مكناس المحصنة وباب المنصور :
  - الأسوار
  - باب المنصور :

    تخطيط الباب وعناصره المعمارية والزخرفيية.

    تحليل العناصر المعمارية والزخرفية وأصولها التاريخية.
- القصبات العلوية :
  - سلسلة قصبات المولى إسماعيل
  - قصبة بولعوان
  - قصبة احميدوش
  - القصبة الجديدة بأبي الجنود وقصبة الخميس
- عمارة باب الجديد بالمهدية
- بناء حصن الصويرة

العمارة الحربية في عصر الأشراف العلويين

أوضحنا سابقا الظروف التاريخية السياسية التي نهضت من أجلها دولة الأشراف العلويين لتحرير البلاد من الأوضاع المحيطة بها مما ألزمها الاهتمام بالعمارة الحربية والتحصينات العسكرية.

وإنه على الرغم من أن الحياة الاجتماعية والعمرانية بمدن المغرب ظلت وفية لأصولها الذاتية إلى حد كبير حتى الوقت الحاضر، غير أن تدخلات الدول التصرانية الطامعة في السيطرة على الوطن الاسلامي العريق أحدثت تغييرات جوهرية على العمارة الحربية المغربية لتواجه نظام المدفعية الحديثة ومعداتها بأبراج أكثر ارتفاعا وأقوى بناء مدعمة بأكبر عدد من الأبراج الدفاعية المحصنة.

وسوف نقتصر في ذلك على دراسة تحصينات تطوان بايجاز ثم نفرد دراسة أخرى لقصبة مكناس وبقية القصبات الدفاعية المحصنة وباب الجديد بالمهدية.

تحصينات مدينة تطوان :

يقرر جورج مارسيه أنه من المعلوم تاريخ تشييد تلك التحصينات لأن مدينة تطوان قد خربت تماما أثناء غزوة الاسبان سنة 1400م ثم أعيد بناؤها فوق الأنقاض مع عودة المهاجرين الأندلسيين الذين نزلوا بها في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي حيث يمكن إرجاع بعض الأسوار إلى تلك الفترة لوجود آثار تدل على التقاليد الأندلسية المعمارية.

وليس هناك من شك في أن محاولات أخرى قد جرت لتقوية التحصينات الدفاعية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد[1].

ويبلغ ارتفاع السور من خمسة إلى ستة أمتار بسمك ثمانين سنتيمترا وقد بنى بحجر الدبش (MOELLONS) ابتداء من القاعدة، وفوقه الآجر ثم شرفات ذات نهايات منشورية الشكل.

وتتخلل تلك الأسوار أبراج بعضها ذات تخطيط خماسي يزيد في قيمة المجهود الدفاعي بالنسبة للحراس المرتقين للأسوار والأبراج.

(1) G. Marçais : L'architecture Mus. P 406 407 et
A. Joly : Tetouan, archives Marocaines, IV 1905 P 241.

أسوار مكناس المحصنة من عصر المولى إسماعيل
وباب المنصور

الأسوار :

كما هو الشأن في العمارة المدنية فإن اسم المولى إسماعيل قد فاق جميع أسماء بناة العلويين في العمارة الحربية وعمارة الحصون.

فهناك مكناس التي حصنها وأحاطها بالأسوار وأقام قصبتها التي تميزت على الخصوص بوسائل دفاعية ذات قيمة كبرى.

ويشتمل تصميم القصبة على ثلاثة أسوار ناحية الشمال الشرقي في اتجاه الأراضي الفلاحية بحيث يبلغ ارتفاع الأسوار الداخلية ضعف ارتفاع الأسوار الخارجية مع تصميم القصبات الهندسية فيما بينها. وقد بُنِيَ فوق السور الأوسط طريقٌ خاص لمرور الجند بين صفين من المتاريس أو الدروات (PARPETS) ناحية القصبة وناحية الأراضي الفلاحية. وكانت تتخلل السور المتقدم أبراج دفاعية مربعة التخطيط بينما كانت بقية واجهات القصبة محاطة بأسوار عادية تتخللها الأبراج ومزودة ببرج في الجانب الشرقي وآخر في الجانب الجنوبي الشرقي بحيث ظهرت مدينة مكناس على عصر المولى إسماعيل كنموذج للقصبة المدينة.

باب المنصور :

الحقيقة أن باب منصور العلج المؤدى إلى قصبة مكناس بالاضافة إلى الاهتمام بالوسائل الدفاعية فيه، فإنه يتميز بنظرة جمالية وزخرفية خاصة يلزم الباحثين دراسة تركيبها، وهو كذلك يسترعي الانتباه بتخطيطه وهيكله وقيمته الاستراتيجية[1].

تخطيط الباب وعناصره المعمارية والزخرفية :

باب المنصور بمكناس مدخل بارز (MONUMENTAL) يدخل ضمن مجموعة الأبواب الملوية أو ذات المنعطفات المرفقية (BENT ENTRANCE)(PORTE COUDEE) وهذه أول ميزة دفاعية في تخطيط الباب[2]. على أن باب المنصور يتميز من ناحية الهيئة العامة للتخطيط

(1) مارسيه : نفس المصدر ص 409.

(2) أنظر ما كتبناه عن المداخل الدفاعية الملوية برباط الفتح في عصر الموحدين.

والعمارة بميزة تكاد تكون فريدة حيث يتكون في مجموعة من وحدة أساسية محورية تتوسطها فتحة المدخل ثم وحدتين بارزتين مستقلتين على المحور الأفقي للتخطيط العام.

ويتوسط الوحدة الرئيسية عنصر أساسي مركب من عقد هائل الفتحة مرسوم على شكل حدوة الفرس فهو عقد متجاوز منكسر[1]. وتحيط بفتحة العقد صنج أو صنجات مفصصة (LOBEES) يرتقي فوقها تضفير من شبكة المعينات المتجاوزة (ENTRELACES EN LOSANGES). ويشغل البنيقة في كل جانب من جانبي صفحة الباب كسوة من الخزف المموه (EMAILLEE) ذات خلفية سوداء لامعة ويحيط بالمجموعة الزخرفية إطار مستطيل ضخم محفور حفرا غائرا يجري أعلاه شريط كتابي قصير فوقه مباشرة شرفات الباب المسننة (CRISTINGS) (CRENELAGES).

ويزيد من روعة وجمال تلك الوحدة المركزية أو المحورية وجود بروزين مربعين هائلين ينتصب كل منهما في جانب من جوانب الوحدة الرئيسية على نحو يبرز قيمتها الدفاعية بالاضافة إلى عظمة وقوة التركيب العام وذلك بما تشتمل عليه كل كتلة من العناصر الزخرفية والتصميمات الدفاعية. وترتكز قاعدة كل بروز على أقواس ضخمة ترتقي فوق أعمدة واسعة المحيط غليظة قليلة الارتفاع[2].

تحليل العناصر المعمارية والزخرفية وأصولها التاريخية :

1) يدخل باب المنصور بمكناس في إطار سياسة العلويين للحفاظ على الأساليب التقليدية إلى جانب التطور فقد واصل الأشراف العلويون إبداع مجموعات متنوعة من الأبواب على الشكل والنسق التقليدي كان من أشهرها وأكثرها تطورا في نفس الوقت باب المنصور من نهاية القرن السابع عشر الميلادي وأوائل القرن الثامن عشر.

2) ولعل أول ما نلاحظه في هذا السبيل تطور نظام المدخل البارز (PORTE MONUMENTALE) في مكناس إذ يمكن اعتباره حلقة جديدة في سلسلة تطور المداخل البارزة في تاريخ العمارة المغربية، فإنه على الرغم من تصريح جورج مارسيه باشتقاق نظامه من مدخل القصر باشبيلية[3]، غير أن فكرة المدخل البارز فكرة مغربية أصلا ظهرت بالمغرب العربي في مدخل مسجد المهدية بافريقية[4]. ولكننا نرى هنا في مكناس وحدتين مستقلتين

---

(1) عقد فتحة الباب الرئيسية متجاوز منكسر وليس منكسرا انكسارا خفيفا كما يذكر جورج مارسيه انظر العمارة الاسلامية الغربية ص 418.

(2) مارسيه : نفس المصدر ص 418.

(3) مارسيه نفس المصدر ص 418.

(4) انظر ذلك في دراستنا لأبواب الموحدين في الرباط وانظر العمارة الاسلامية المبكرة لكريسويل.

مربعتين على جانبي فتحة الباب الرئيسية ولكل منهما تخطيط خاص وزخارف معمارية وعقود وأعمدة حاملة، وتبتعد كل منهما عن الوحدة الرئيسية بمسافة كافية لاستقلالها بعد أن كانت الأبواب البارزة تقع بين كتلتين بارزتين تتصلان بالفتحة الرئيسية إتصالا مباشرا دون استقلال معماري أو زخرفي وبدون عقود وأعمدة وزخارف معمارية، لقد كان كل بروز عبارة عن مجرد كتلة بنائية صماء بارزة عن مستوى السور في كال جانب من جوانب الباب.

3) وإذا كان من العناصر التقليدية لعمارة الأشراف إستعمال العقد على هيئة حدوة الفرس كامل الاستدارة، غير أن ذلك العقد يتحول في عقود المحاريب والأبواب الواسعة كما نرى هنا في باب المنصور إلى نوع العقد المتجاوز المنكسر (OUTREPASSE BRISE).

4) في نظام الصنج أو الصنجات (VOUSSOIRES) المضفرة التي تغلف عقد باب المنصور بعث لأسلوب وإنتاج القرن السادس[1] الهجري.

5) شبكة المعينات المتجاورة (RESEAU DE LOSANGES) التي نراها في باب المنصور أرجعها المستشرقون بإجماع آرائهم إلى الأندلس مع اختلاف بينهم في المصدر الأندلسي وأرخوا أول مثال مغربي بالقرن السادس. وقد أوضحت في أبحاث سابقة أن أصلها زخرفة هندسية مغربية قديمة عرفها البربر الأولون وشاعت في جميع منتجاتهم من عمارة وفنون صناعية من خشب وسجاد وفخار وخلافه. وكان أول ظهورها في العمارة البربرية بالمغرب العربي في قلعة بني حماد من القرن الخامس الهجري وتأكد انتشارها في المغرب العربي أولا لدى جميع دول البربر بالذات. وعندما أعلنت عن نفسها بصومعة الكتبية وشقيقاتها الشهيرة غزت الأندلس بجميع منتجاته الاسلامية طوال عصور الموحدين وبني مرين وثبت قدمها من ذلك الوقت كعامل مشترك في جميع المنتجات المعمارية والفنية ويرجع أصلها إلى ورقة التين القديمة في الفن المغربي القديم ثم تحولت إلى تضفيرات هندسية ترتقي الأقواس المتداخلة وليست متفرعة عنها[2].

6) الأعمدة القصيرة الضخمة في باب المنصور التي تلفت النظر بنسبها غير العادية البعيدة عن الرقة التي عرفناها أيام المرينيين تتمشى مع هيكل العمارة الثقيلة الراسخة التي راعى فيها العاهل العلوي مولاي إسماعيل تحقيق القوة العلمية في الدفاع الحربي الأمر الذي حقق أهدافه وشهد به المؤرخون ابتداء من وصف صاحب البستان بأنها بناءات شاهقة كالجبال الراسية لاتصيبها رياح أو أمطار وثلوج أو زلزال مما يهدد الهياكل العظيمة.

---

(1) مارسيه : العمارة الاسلامية الغربية ص 415.

(2) راجع تفاصيل ذلك بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى ومقدمة كتابنا تاريخ شالة.

7) تيجان الأعمدة بباب المنصور لم تأت بجديد في نظر مارسيه فقد كانت شأن تيجان السعديين والعلويين تقليدا للتيجان المرينية[1]. وربما فات جورج مارسيه ابتكار السعديين نماذج عديدة من التيجان بقصر البديع وابتكار العلويين نماذج أخرى في باب قصبة المهدية على سبيل المثال، ولعل طبيعة العمارة الخاصة بباب المنصور التي اعتمدت على الكتل لم تكن تتيح الفرصة لابتكارات زخرفية في باب دفاعي ضخم الهيئة كبير الأبعاد.

8) الكابولي (المسند CONCOLE) البارز بجوانب باب المنصور لا يؤدي وظيفة معمارية ويقتصر على الغرض الزخرفي الجمالي كتقليد عام في الأبواب.

9) على الرغم من تصريح هنري تيراس بأن الزخارف المعمارية ينتهي تاريخها في المغرب بالقرن العاشر[2] (16م)، وأن الخزف متعدد الألوان في عصر الأشراف العلويين كان يتبع الروح الايرانية[3]، غير أنه عاد فقال بأن باب المنصور يثبت اتجاه فناني عصر المولى إسماعيل إلى الأصالة مع التطور وذلك بالحفاظ على العناصر التقليدية والبحث عن ثراء الزخرفة المعمارية[4] كما نرى في الزليج الذي يلعب دورا بارزا في الزخرفة المعمارية لباب المنصور، ويضيف في مكان آخر بأن المولى إسماعيل شيد عددا من القصور في غاية البذخ ومحاطة بأسوار محصنة في نهاية القرن الحادي عشر (17م) في غاية العظمة الفنية حيث لعبت الزخرفة المعمارية أدوارا كبيرة كالجهود الكبيرة الواضحة في باب المنصور لاعادة حياة دور فن الزليج وبعث صناعة الخزف من جديد.

---

(1) مارسيه : نفس المصدر ص 415.

(2) هنري تيراس : الفنون الزخرفية بالمغرب ص 86 Les art decoratifs au Maroc, Paris 1925.

(3) لا أعرف من أين جاء تيراس بتلك الفكرة، فعلى الرغم من ثبوت أصالة فن الخزف عامة بإيران وخاصة البريق المعدني، غير أن الخزف المغربي بكل أنواعه بما فيها البريق المعدني له خصائصه الذاتية لا من حيث الأشكال والأحجام والاستعمال فقط بل من حيث مواد الصنع والتقنية الخاصة كذلك.

(4) تيراس : نفس المصدر ص 87.

القصبات العلوية

إن اصطلاح (القصبة) يعتبر اصطلاحا شائعا جدا بالمغرب والأندلس حيث ينطقها الاسبان إلى يومنا هذا (الكازابا ALCAZABA)، والقصبة تعني (القلعة) وتعني هنا مدينة محصنة بكل وسائل الدفاع والمقاومة، ولهذا يختار لها موقع إستراتيجي يساعد في سهوله الدفاع عنها وهو ما جعلها موقعا مختارا لتشييد كثير من قصور الملوك وممثليهم حيث (المشوار) مكان التجمع في أيام الحرب وأوقات الاحتفالات.

وتزود القصبة بأسوار داخلية تحيط بها أسوار أخرى تتخللها أبواب محصنة بوسائل دفاعية متنوعة كما هو الحال في قصبات تونس والجزائر وتلمسان وفاس ومكناس ومراكش وتارودانت ثم المرية ورندة وغرناطة بالأندلس. وعادة ما تستكمل القصبة جميع مقومات المدينة ومرافقها حسبما نراه في فاس الجديد وقصبة (بوجلود)[1].

وقد تكون القصبة عبارة عن سور أقل أهمية داخل المدينة أو بأحد أرباضها تخصص لسكنى القبائل التي يصعب إسكانها داخل المدينة لأسباب مختلفة كما هو الحال بالنسبة لقصبة (ريافا) المخصصة لقبائل الريف وقصبة فيلالا المخصصة لقبائل تافيلالت وقصبة شراردا لرجال تلك القبيلة، وقد تتحول بعض تلك القصبات إلى أحياء عادية للسكنى.

وبالمغرب نوع من القصبات الخلاء على غرار الأبراج الجزائرية غير أنها أكثر صلابة وتأسيسا تبنى على طريق الاتصال الرابط بين الأقاليم لتأمين الطرق والمواصلات.

لقد كان المولى إسماعيل العلوي أكثر المهتمين كما نرى بتشييد وتأسيس مثل تلك القصبات لتحقيق الأمن وسلامة الانتقال بين الأقاليم المختلفة (شكل رقم 63).

وقد يلحق بالقصبة ديور القواد باختصاصاتهم نصف العسكرية ونصف المدنية على هيئة قصور العصور الوسطى بوسائل دفاعية أقل قدرة، وذلك بالدوار القريب من المدينة[2].

سلسلة قصبات المولى إسماعيل :

لم يقتصر المولى إسماعيل على تحويل عاصمته الجديدة مكناس إلى مدينة محصنة لاقرار الأمن المركزي وإنما نجده قد زود البلاد بسلسلة من القصبات والقلاع في مختلف نواحي

---

(1) P.Ricard : Pour comprendre l'ART Musulman P. 235

(2) نفس المصدر والصفحة

المغرب لاقرار الأمن في ربوع البلاد. وبذلك أوجد سلسلة كبيرة من الحصون تجمعها قوائم قصبات وحصون تازا وجدة، مكناس فاس، ومن مكناس وفاس ومراكش إلى تافيلالت، مكناس مراكش تارودانت. لقد أَمَّنَ بذلك جميع طرق المملكة كمبدأ أساسي لكبار ملوك الاسلام في المغرب وأصبحت تلك المراكز مأهولة برجال الأمن الساهرين على مداخل وشرفات الأسوار والقلاع بطول الطرق الرئيسية حماية للمتاجر والأرواح.

لقد كانت تلك الوحدات الدفاعية التي تقوم بدور الأمن الداخلي عبارة عن مراكز حية طبيعية حيث يقيم الجند وعائلاتهم داخل شبه مدن محصنة صغيرة بمساجدها ومرافقها وكان المركز تبعا لأهميته يشمل على ما بين أربعمائة وثلاثة آلاف فارس. وقد زار تلك القصبات الزياني مؤرخ الدولة العلوية وجلس إلى الجنود وعائلاتهم وتحدث إليهم ووصف حياتهم[1].

وتعتبر قصبة أدخسان (ADEKHSAN) من أهم القصبات على الحدود الشمالية للأطلس كما لازالت قصبة أجوراي (AGOURAI) تحتفظ بحالة جيدة من القصبات المعدة لمراقبة الأطلس المتوسط. غير أن القصبات المعروفة لدينا بصفة أكثر تلك التي وزعها المولى إسماعيل على مراكز هامة بسهول الغرب.

لقد دُرِست تخطيطات عدد من تلك القصبات مثل قصبة تادلا وقصبة أحميدوش على بعد ثلاثين كيلو مترا من مدينة أسفي وقصبة بولعوان على مسيرة ستين كيلو مترا من آزمور.

وليس من العجيب أن توجد بعض علاقات الشبه بين تلك القلاع والتحصينات البيزنطية القديمة بشمال افريقيا[2] من حيث التشييد ووقوف تلك القصبات كمراكز مستقلة عن أي عمران سابق.

وكانت الأسوار المبنية بالتابية (PISE) وهي البتن المغربي التقليدي مدعمة دائما بأبراج بارزة مستطيلة أو مربعة قليلة الفتحات أو المداخل التي أحيانا ما تكون ذات تخطيط مرفقي أي مداخل ملوية (PORTES COUDEES) ذات قيمة دفاعية أكبر من الناحية العسكرية لوجود المنعرج المرفقي كعائق للمهاجمين وتحصينا للمرافق.

وعندما نصل إلى داخل القصبة فإننا نجد فضلا عن مسكن القائد وذويه مسجدا ومخازن خاصة لحفظ المؤونة والأسلحة كما لا تهمل موارد المياه لشرب العسكر المقيمين بعائلاتهم، على أن تلك المنشآت الرئيسية عادة ما تكون متجمعة قرب أحد جوانب الأسوار لتترك متسعا داخليا كافيا لنصب خيام الحامية المقيمة للدفاع عن الحصن ومراقبة الأمن.

(1) يفرق عبد العزيز بن عبد الله في دراسته للقصبات والقلاع الاسماعيلية، بدعوة الحق مارس 88 ص 268 بين القلعة والقصبة وان كان يجمعهما غاية واحدة إلا أن القلاع تمتاز بطابع خاص يجعلها أقرب إلى جهاز الدولة منها إلى جهاز القبيلة والجماعة بعكس القصبة.

(2) G. MARCAIS : l'archit. Mus. P, 408

قصبة بولعوان :

تقوم أسوار قصبة بولعوان على مساحة مستطيلة يبلغ طولها مائة وأربعين مترا وعرضها مائة وعشر مترا فوق ربوة ذات جرف ينحدر فجأة نحو فم وادي أم الربيع. ولا يشتمل السور على غير مدخل واحد ذي منعرج مرفقي (PORTE COUDEE) حفر بأعلاه نقش تأسيسي باسم مولاي إسماعيل وتاريخ التأسيس 1122 هجرية (1710م).

ويفتح هذا الباب قرب محل إقامة قائد الحرس حيث يرتفع إلى جواره برج مربع بارتفاع عشرة أمتار تقريبا يشرف على مجموع الوادي لمراقبته.

وتشتمل مباني القصبة الداخلية كذلك على مسجد من خمسة بلاطات ومخازن من غرف متصلة متتابعة تغطيها قبوات (VOUTES) ذات فتحات للاضاءة. وقد صمم لموارد المياه اللازمة للفرسان وخيولهم حوض بني على حافة النهر يتصل بالقصبة عن طريق ممر محصن بحوائط من جهاته الخارجية.

قصبة أحميدوش :

ولعل أهم ما ميز عمارة تلك القصبة وجود سورين أكبرهما يبلغ 163 × 137 مترا ويحتل ركنه في شبه عزلة سور أصغر منه يمثل مباني القصبة الداخلية وهو عبارة عن مربع طول ضلعه خمسة وستون مترا تتخلله أبراج مستطيلة أو مربعة سواء بالواجهات أو الأركان على غرار التحصينات البيزنطية. وفي السور الداخلي يقع مسكن قائد الحرس ومخازن من خمسة قاعات متصلة كتلك المشار إليها بقصبة بولعوان.

ويمكن الوصول إلى السور الداخلي عن طريق مدخل ذي تخطيط مرفقي (ملوي) بين كتلتين بارزتين من البناء. وقد بني المدخل بالآجر بين برجين صغيرين وزخرف بأناقة. وعقد المدخل منكسر وعلى هيئة حدوة الفرس (FER à cheval brisé) يحيط بصنج تصنع عقدا مفصصا وآخر رخوي (à lambrequins) كما تميزت هندسة تغطيته الداخلية بعدد من المثلثات الكروية (PENDENTIFS).

أما السور نفسه فيحيط بجهاته الثلاث خندق محفور بعمق خمسة أمتار يشبه في نظر إيدموند دوتيه الخندق الذي حفره البرتغال حول قلعة آسفي.

ويقع قرب هذه الخلوة المحاطة بالسور المذكور داخل الأسوار العامة مسجد من خمسة بلاطات وصحن ومئذنة. وأخيرا فإن فكرة السور المزدوج تلك نجدها كذلك في قصبة تادلا[1].

(1) عن قصبة تادلا وقصبات أتباع المولى إسماعيل العلوي راجع جورج مارسيه: l'architecture Mus. P. 409

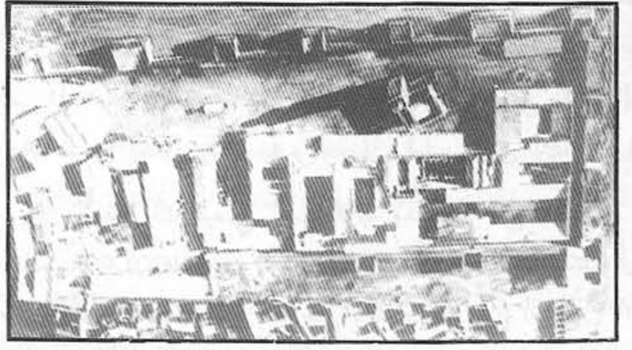
تأسيس القصبة الجديدة بأبي الجنود وتأسيس قصبة الخميس :

يذكر مؤرخ دولة محمد الخامس مولاي زيدان في كتابه الدرر الفاخرة[1] أن المولى الرشيد العلوي أسس القصبة الجديدة الكائنة بأبي الجنود بفاس التي هُدم طرف منها وزيد في توسعة الطريق، أنفق في تسويرها ألفي مثقال، وأمر فريقا من جنده ببناء الدور وسكناهم بها وذلك أواسط عام 1081 للهجرة، وأسس قصبة الخميس حيث المستشفى الآن المعروف بمستشفى قصبة الشراردة أنفق في تسويرها ألف دينار وأنزل بها شراكة الذين قدموا معه من الشرك ونظمهم في جنده.

وقد أورد الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في بحثه عن القصبات والقلاع الاسماعيلية إشارات موجزة عن قلعة القصابي وقد بناها المولى إسماعيل عام 1096 هـ (1684م) عندما هب لقمع ثوار ملوية وشحنها بأربعمائة فارس[2].

كما شيد المولى إسماعيل قلعة بني مطير وقلعة كيكو وقلعة وطواط نفس العام بعد أن كان شيد قلعة كور عام 1091هـ (1680م) وأنزل بها مائة فارس، وقلعة مسون بوادي مسون بجوار القلعة القديمة وأنزل بها مائة فارس سنة 1091هـ، كما أحبا المولى محمد بن عبد الرحمن منطقة عيسى أبي عكاز خارج باب الطبول بمراكش وأقام قلعة حول المزارع يأوي إليها الأكرة والحراتون بأنعامهم ومواشيهم[3].

وهذه دراسة خاصة كنموذج للعمارة الحربية في عصر الأشراف العلويين وخاصة المولى إسماعيل العظيم.



شكل 63

قصبة تادلا (ق 11 أو 12هـ) عن بروسبير ريكار

(1) عبد الرحمن بن زيدان : الدرر الفاخرة ص 18.

(2) دعوة الحق، مارس 1988، والاستقصا 32/4.

(3) الاستقصا 234/4.

عمارة باب الجديد بالمهدية 1092 هـ

لما كانت أبواب المدن والحصون والثغور العربية تعتبر أهم مراكز تلك المنشآت الاسلامية حصانة ومناعة، فقد صرفت عناية خاصة لبناء باب المهدية المسمى باب الجديد ليصبح على حد تعبير جورج مارسيه أهم نماذج العمارة المغربية في القرن الحادي عشر (17م).

ونصل إلى بناء باب الجديد بالمهدية بعد نهاية طريق صاعد تتصدره فتحة الباب وهي محصورة بين بروزين ناتئين عن مستوى جدران السور يشكل كل منهما برجا حجريا مستطيل المقطع. وقد أقيم جسم المدخل وبدنة البرجين المحيطين به بالحجارة المنجورة ويشتمل كل برج على ثلاثة طوابق أعلاها مكشوف. ونوافذ البرجين معقودة بأقواس نصف دائرية وفوق كل نافذة ثلاثة صفوف رأسية من فتحات السهام.

وفتحة المدخل بالوحدة الرئيسية للباب عبارة عن قوس من عقد متجاوز منكسر وليس متجاوز كامل الاستدارة كما ذكر مارسيه خطأ رتبت صنجاته (VOUSSOIRS) داخل عقد يتألف من عقود مفصصة (LOBE) قوام زخرفتها المعمارية عقدان مزدوجان مضفران (FESTONS ENTRELACES) بالتناوب تصنع فستونا مضفرا يحيط بفتحة القوس الأصلي للمدخل بقصد توزيع الثقل وتخفيفه عن العقد الأصلي لفتحة الباب.

ويحيط بقوس المدخل الأصلي والعقد المزدوج إطار مستطيل داخله نص كتابي نسخي يشتمل على نقش التأسيس الذي يشير بصراحة إلى إسم المولى إسماعيل العلوي.

وفوق الشريط الأفقي التأسيسي تبدأ ثلاثة مداميك من الحجارة يصل أعلاها إلى مستوى الكوابيل (المسند CONCOLE) الجانبية بواجهة الباب وهو المستوى الذي تبدأ أعلاه المرحلة الأخيرة من البناء بالنسبة لنفس المدخل وبدنة كل من البرجين المحيطين به.

وفي هذه المرحلة الأخيرة تتوسط البناء فتحة من قوسين صغيرين يرتكزان في الوسط على عمود واحد صغير الأبعاد، وتعتبر تلك الفتحة العلوية شباكا أو نافذة مزدوجة (FENETRE GEMINEE) تطل من الداخل على ساحة مكشوفة بستر ذي نافذة مزدوجة كذلك تعتمد على عمود أوسط لاحكام المراقبة الخارجية والداخلية.

ثم تتوج الشرفات (CRENELAGES) أعالي تصميم المدخل والبرجين وقد اتخذت شكل قواعد مكعبة تعلوها أهرام حجرية يستطيع المدافعون الاحتماء بها ومراقبة أي هجوم وصده قبل الوصول عبر فتحة الباب إلى المساحة الداخلية المكشوفة.

ويغطي فتحة المدخل الرئيسية قبو نصف اسطواني يفصل بين واجهة الباب الخارجية وبين عقد متجاوز منكسر يفتح إلى الداخل. وتؤدي فتحة الباب إلى ساحة مكشوفة بكل جانب من جوانبها الأربعة قوس متجاوز منكسر داخل إطار مستطيل. وتخدم الفتحة المقابلة للباب قاعة مستطيلة مستعرضة مخصصة لخزن المؤن والسلاح والحراسة. وتؤدي الفتحة الواقعة إلى يسار الواقعة إلى يسار الداخل إلى قاعتين متصلتين تشكل إحداهما غرفة سفلية للبرج المقابل لها من برجي المدخل الرئيسي. وتؤدي الفتحة الأخرى على يمين الداخل إلى ساحة أخرى مكشوفة تتصل من جهة البحر بطريق هابط يصب في قلب القلعة ذاتها، كما يوجد بنفس تلك الساحة باب الغرفة السفلية للبرج المقابل من برجي المدخل الرئيسي وخلف تلك الغرفة سلالم ارتقاء الجند إلى الأدوار العلوية حيث يمكن الاتصال بين برجي المدخل في القطاع العلوي عن طريق الممر ذي الشباك المزدوج الذي يظهر لنا بأعلى ستار المدخل (أشكال 64 - 71).

وكانت الأبواب والمداخل عند نشأتها وفي عهد الأمويين والعباسيين عبارة عن فتحة في الجدار ثم ظهر أول مدخل بارز (MONUMENTALE) بعمارة المساجد الاسلامية في جامع المهدية بتونس[1] الذي بناه أول خلفاء العبيديين عبد الله المهدي سنة 305هـ. ومن هنا انتقل تأثيره إلى مصر شرقا وظهر بجامع الحاكم بالقاهرة كما انتقل غربا بأبواب المدن والحصون والعمائر الاسلامية بالمغرب العربي في بناءات الموحدين وبني مرين إلى أن نراه في باب المهدية من عصر المولى إسماعيل العلوي.

وبسبب ندرة الحجارة المنقوشة والمنجورة في مباني الأشراف السعديين والعلويين فإنها لا تظهر في غير الأبواب والمداخل الخارجية، ولهذا توجد نماذج منجورة نادرة كتلك التي نراها في عناصر الباب الرائع بقصبة المهدية.

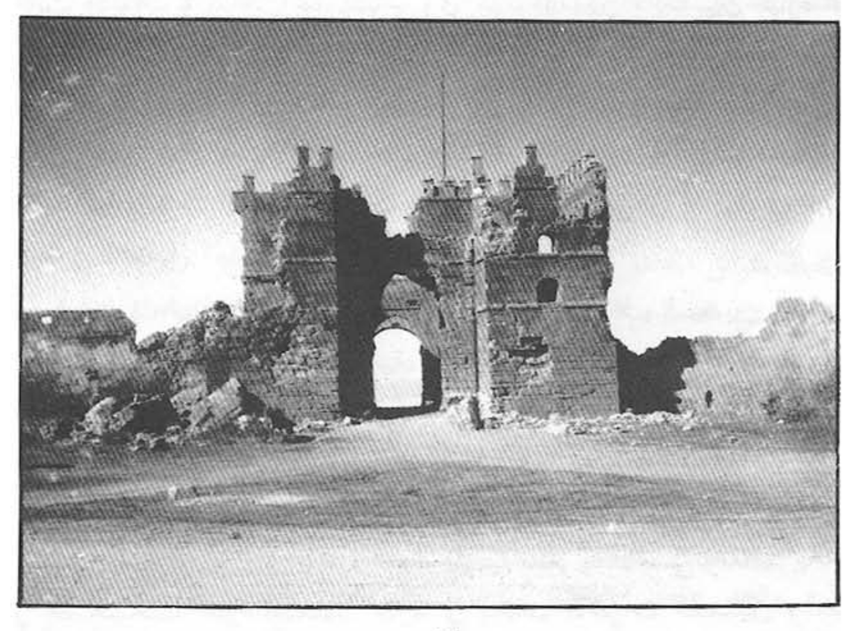
وقد تميز بناء هذا المدخل الراسخ بوضع الحجارة في ترتيب متناوب تتعاقب فيه المداميك السميكة مع المداميك الرقيقة. وقد عرفت الطريقة أصولها المعمارية قديما بالمغرب العربي وشاعت أيام الموحدين ثم ثبتت في عمارة الدولة المرينية بالمغرب الأقصى ومعاصريها الحفصيين بتونس إلى أن أصبحت أخيرا استعمالا جاريا في بناءات الأشراف السعديين والعلويين.

(1) راجع تفاصيل الأصول التاريخية للأبواب البارزة في دراسته للمهدية بتونس :
CRESWELL : Early Mus. archit. (short account)



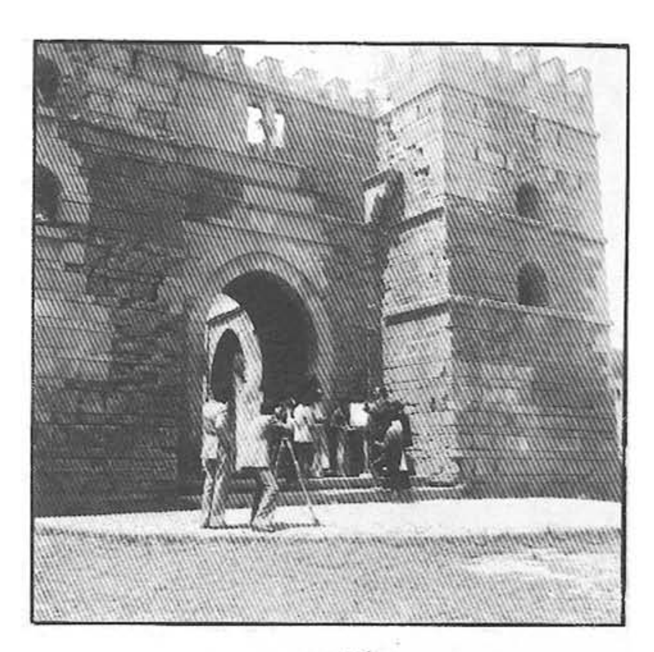
شكل 64

عمارة باب الجديد بالمهدية بعد الإصلاح الأخير

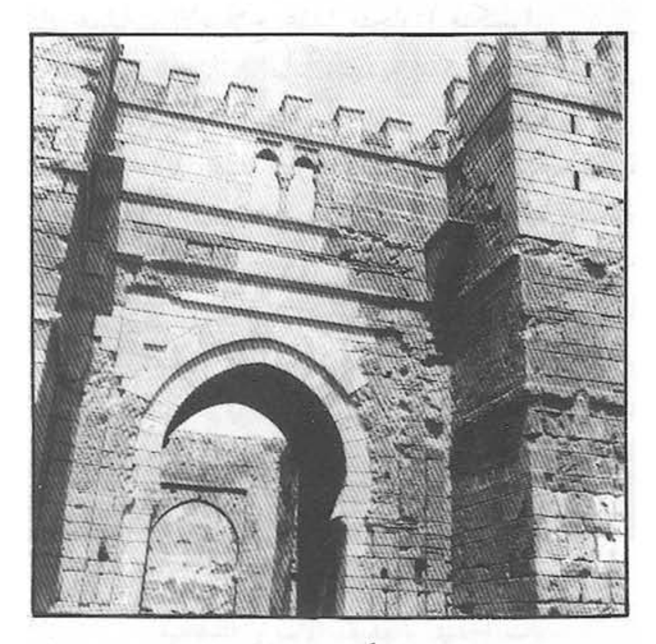


شكل 65

حالة باب الجديد بالمهدية كما كان قبل الإصلاح سنة (1942م)



شكل 66
باب الجديد بالمهدية، تفصيل العمارة وعناصر الباب



شكل 67
باب الجديد بالمهدية، تفصيل العمارة وعناصر الباب

وإذا كانت الأعمدة الرخامية وتيجانها لم تأت بجديد أيام حكم الأشراف الذين اسوردوها لحسابهم من إيطاليا وظهرت في قبة خصة السعديين بالقرويين وضريح الأشراف السعديين بمراكش، غير أن باب المهدية يقدم نموذجا لتيجان القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد، تلك التيجان التي تتميز بالصبغة المغربية البحتة وتعكس انبعاث الفن المغربي في عصر المولى إسماعيل. لقد صنعت هذه الأعمدة وتيجانها بمواد محلية كما نرى في تاجي العمودين القصيرين بالنافذتين المزدوجتين، فإن قرمة (أسطوانة التاج أو ساقه) قد عرفت زخرفة وحيدة على هيئة التعريج النهري (MEANDRE) نرى صداها بعد ذلك في تيجان أعمدة الصحن بمدرسة الودايا بالرباط.

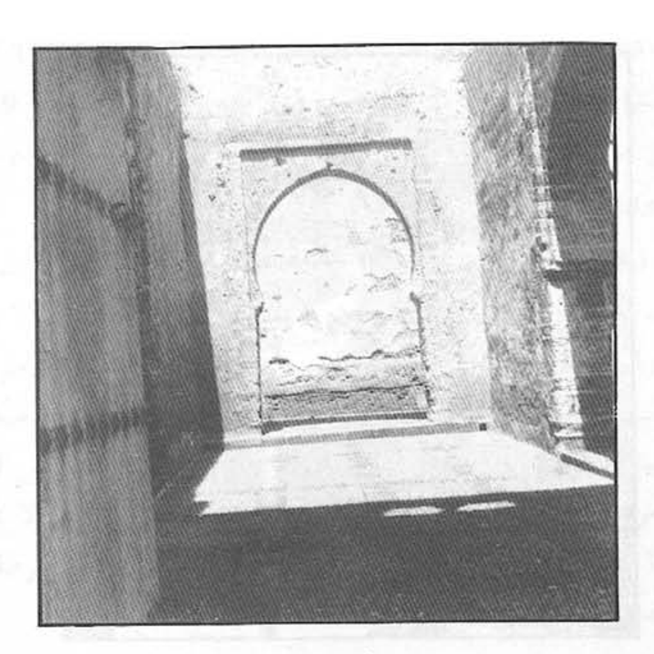
ومن المعلوم على ضوء دراسة آثار السعديين والعلويين أن الأشراف فضلوا استعمال العقود على هيئة نعل الفرس (FER à CHEVALE PLEIN-CINTRE) ويؤكد بناء باب الجديد بالمهدية على أنهم استخدموا لأقواس المحاريب وفتحات الأبواب الكبيرة عقد نعل أو حدوة الفرس قليل الانكسار كما هو الحال في العقد الرئيسي لباب المهدية المغلف بصنجات مضفرة تذكر بأسلوب القرن السادس الهجري، أما الفتحات الصغيرة فقد خصصوا لها عقدا كامل الاستدارة في أعلاه غير متجاوز نصف الدائرة بأسفله (PLEIN-CINTRE NON OUTREPASSE) ولكن هذا النوع الأخير لا يظهر بباب المهدية في النافذة المزدوجة التي صمم لها المرمم أثناء عمليات الاصلاح عقدا متجاوزا منكسرا.

كما أن العقد المفصص الذي نراه بباب المهدية يذكر بتطور هذا النوع عن العقد الثلاثي المبتكر في صدر الاسلام والذي ظن هافل أن الهند كانت مصدره قبل ظهوره في العمارة الاسلامية دون أن يستطيع تحديد الصلة التاريخية بينه وبين العنصر العربي. لقد أخضع المسلمون العقد نصف الدائري المعروف بالعمارة الرومانية لمبادىء هندسية جديدة جعلت منه عنصرا معماريا وزخرفيا عرف طريقه نحو التطور إلى شكل العقد المفصص الحالي.

أما الكابولي المسنن الذي نراه في ركني واجهة الباب الجديد بالمهدية فيرجع أصله التاريخي إلى الوظيفة المعمارية لحمل البروزات الناتئة عن الواجهات، بينما وجد هنا بقصد إثراء الزخرفة المعمارية فقط، وهي الزخرفة التي اقتصرت بباب المهدية على استغلال تناوب ترتيب المداميك الحجرية والنقش الكتابي ــ بوظيفته التعبيرية والجمالية ــ ووضع الكابولين في ركني الواجهة ووجود عنصر زخرفي واحد بكل بنيقة في المساحة المحصورة بين قوس العقد وركن الاطار المستطيل المحيط به، بينما تظل الزخرفة المعمارية الرئيسية متركزة في نفس العقد المزدوج المفصص المضفر لباب الجديد بالمهدية.

بناء حصن الصويرة :

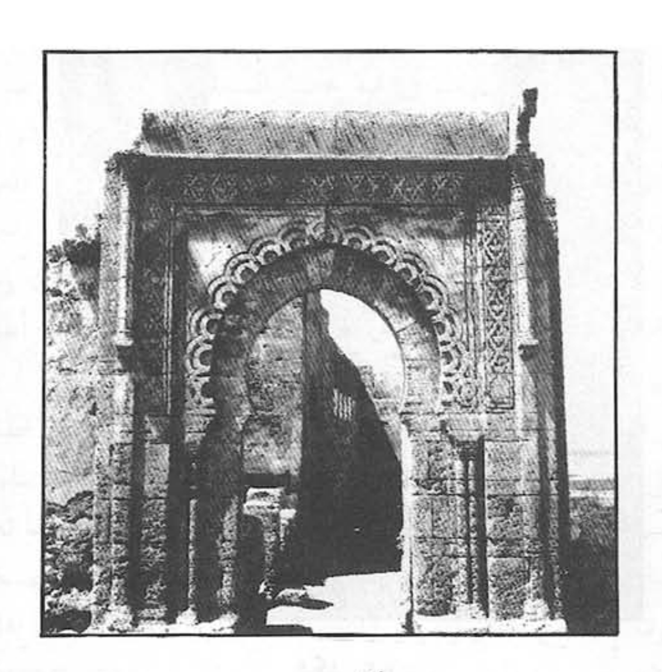
ذكر الدكتور محمد رزوق في دراسته عن الجهاد البحري في عهد السلطان سيدي



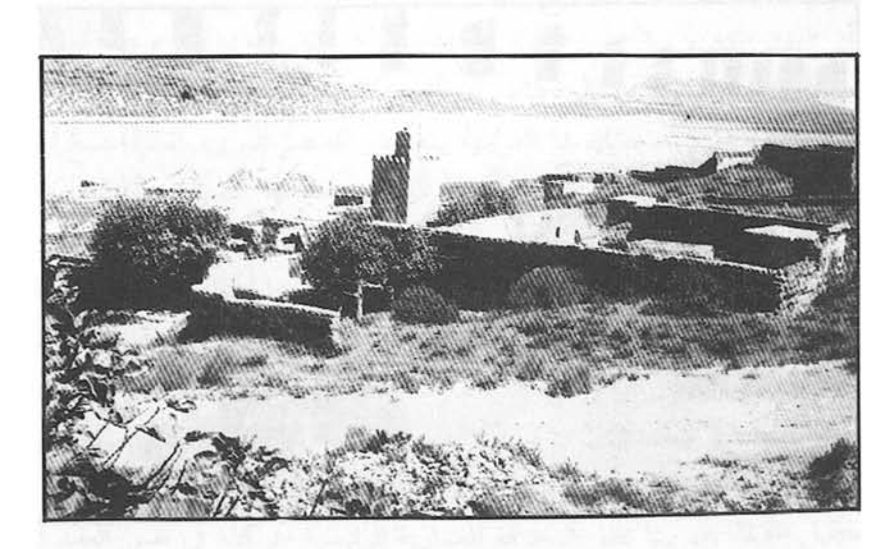
شكل 68
باب الجديد بالمهدية، تخطيط الباب بعد عبور المدخل



شكل 69
باب الجديد بالمهدية، الأسوار الدفاعية



شكل 70
مدخل قصر القائد بالمهدية



شكل 71
مسجد قصبة المهدية

محمد بن عبد الله[1] أن المؤرخ الرباطي الضعيف قال (وفي سنة 1178 أمر السلطان ببناء الصويرة وحصنها وأنفق عليها مالاً عظيما... وفي مهل ذي القعدة عام 1179 قدم الصفار ما مائتي رجل من البحرية بقصد أن يأخذوا الأنقاض التي بفاس الجديد ويذهبون بها إلى العرائش والصويرة...).

ويرجع اختيار جزيرة الصويرة لبناء القلعة الحصينة إلى صلاحيتها للملاحة طوال السنة خلاف الموانىء المغربية الأخرى الواقعة عند مصاب الأنهار، وقد وصفها وصفاً دقيقاً محمد بن المهدي الغزال قائلا (لها بابان شرقية وغربية تسافر منها القراصين متى شاءت من غير أن تفتقر إلى طيب هواء... وَحَصَّن الجزيرتين الدائرتين بالمرسى كبرى وصغرى بالعدد الكثير من المدافع وشيد بها على صخرة داخل البحر... جامع فالقاصد للمرسى لا يدخل إلا تحت مرمى المدافع من البروج والجزيرة، فإذا جاوز المدافع وحصل المرسى لا يمكنه الخروج منها إلا بدليل له بها معرفة وبصيرة، فهي محصنة محفوظة وبعين الرعاية ملحوظة...) (ويدخل في هذا الاطار أيضا بناؤه لمرسى فضالة سنة 1186).

ولم يكتف السلطان ببناء قلاع جديدة بل حصن القديمة منها تلك التي لها ماض معين مثل العرائش، وقد ذكر الناصري أنه بنى لها (الصقائل والأبراج وصوَّنها...، وأصدر أمره إلى إبنه المولى يزيد فجر المدافع والمهاريس التي كانت بفاس الجديد ومكناسة ونقلها إلى ثغر العرائش وأمر بإشراك القبائل المجاورة في ذلك فكانت كل قبيلة تجرها إلى التي تليها.

---

(1) دكتور محمد رزوق : الجهاد البحري في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله مجلة دعوة الحق أبريل 1989 ص 95 والمصادر التي أشار إليها.

الفصل الثامن

عصر الأشراف العلويين

العمارة الدينية في عصر الأشراف العلويين

أبحاث هذا الفصل :

- عمارة مولاي إسماعيل بالضريح الادريسي بزرهون
- أعمال المولى إسماعيل بضريح مولاي إدريس الأزهر (الثاني) بفاس
- مسجد للاعودة بمكناس
- مسجد مولاي عبد الله بفاس الجديد
- جامع السنة برباط الفتح
- مسجد أهل فاس بالمشور الملكي بالرباط
- مسجد الروا بمكناس
- مسجد باب جيسة بفاس
- تأسيس المسجد الأعظم بالرصيف بفاس
- عمارة العلويين بجامع القرويين بفاس
- رسم القبلة داخل محراب القرويين
- مسجد ملينة والدراسة المقارنة مع مساجد الرباط العلوية
- مسجد باريس
- تجديد ضريح المعتمد بن عباد
- مجموعة ضريح محمد الخامس برباط الفتح :
  - تحفة معمارية تدخل في عداد الآثار المسجلة
  - عناصر المجموعة المعمارية
  - مسجد محمد الخامس
  - قبة الضريح
  - الأثر الفني النموذجي لطفرة الانبعاث بعد الاستقلال

- مسجد الحسن الثاني بالدارالبيضاء
- مميزات المساجد العلوية :

1 – عودة تخطيط المساجد العلوية إلى الطراز المبكر

2 – أهم مميزات المساجد العلوية وخصائصها

3 – إلغاء مسجد محمد الخامس لفكرة المجاز القاطع :

– مصدر الفكرة ونقدها

– تخطيط مسجد محمد الخامس يلغي فكرة المجاز

الفصل الثامن

العمارة الدينية من عصر الأشراف العلويين

عمارة مولاي إسماعيل بضريح مولاي إدريس الأكبر بزرهون ومولاي إدريس الأزهر بفاس

عمارة المولى إدريس بالضريح الادريسي بزرهون :

ورد في دراسة ميدانية لمؤرخ دولة الأشراف العلويين في عصر محمد الخامس الشريف مولاي عبد الرحمن بن زيدان في كتابه الدرر الفاخرة الكثير من التفاصيل المفيدة في مجالات التاريخ والعمارة وعلم النقوش فيما يتعلق بأعمال المولى إسماعيل العلوي بالضريح الادريسي.

يقول الشريف عبد الرحمن بن زيدان أن تأسيس الضريح الادريسي وتجديده والزيادة فيه قد حدثت مراراً، ففي عام (1106) ستة ومائة وألف للهجرة بناه مولاي إسماعيل تحت إشراف عامله على فاس أبي علي الروسي (أشكال 76/72)، يدل على ذلك ما قرأته منها :

وأسسنى وشاد علا بنائى	على التقوى أمير المؤمنينا
أبو النصر المؤيد في البرايا	بإذن الله خير الناصرينا
حوى (مولاي إسماعيل) فضلا	كبيرا لن يرى في السابقينا
خديم علا حماه أبو على	بنى الروسى أجل الناصحينا
وتاريخي بدا في زى (شوق1106)	بيمن الله هادى المهتدينا[1]

ويزيد عبد الرحمن بن زيدان بأنه كانت على قبة الضريح قبل هذا البناء قبة خشبية نقلت لمسجد عقبة بني صوال المعروف بمسجد ابن البياض موجودة الآن بسقفه.

وفي سنة (1126هـ) أنشأ مولاي إسماعيل بالضريح الادريسي سقاية أنيقة حسبما مكتوب في الرخامة التي بين سقايتي العين بالحائط المواجه للصحن عن يمين الخارج من باب الحفاة[2]، وفي سنة (1129هـ) صنع الشباك الذي هو الآن على الضريح الادريسي صوناً

---

(1) الدرر الفاخرة ص 42

(2) نفس المصدر ص 44

للقبر من لمس أيدي الزائرين، وفي سنة (1130هـ) أسس المنار مثمن الشكل المرصع بالزليج الفاسي[1].

وفي سنة (1132هـ) زاد زيادة كبيرة في توسعة قبة الضريح ومسجده وصير عرض القبة كطولها وجلب للمسجد من الأعمدة الرخامية الأبيض والأسود وفوارة من صافي المرمر جعلها وسط الصحن قبالة قبة الضريح وشيد المنار الحالي حيث أن المثمن المذكور هدم وزيد محله في توسعة المسجد، وأعاد إليه الخطبة وهو مسجد جامع إلى اليوم[2].

وبعد بحث الميقاتي سيدي العربي الفاسي في قبلته، أشار علماء الوقت بأنه وإن صح البحث، فلا يوجب الهدم لما فيه من ضياع الأموال، ويكتفي بالانحراف كما يجري التنبيه في جامع القرويين بعد الفراغ من الاقامة (حرفوا بتحريف الامام يرحكم الله) وكثيرا من مساجد فاس كذلك.

وفي عام (1134هـ) صدر الأمر بهدم السقاية المذكورة آنفا وإنشاء سقايتين وهما الموجودتان الآن بباب الحفاة وتاريخ البناء منقوش في زليج أسود بأعلاهما[3].

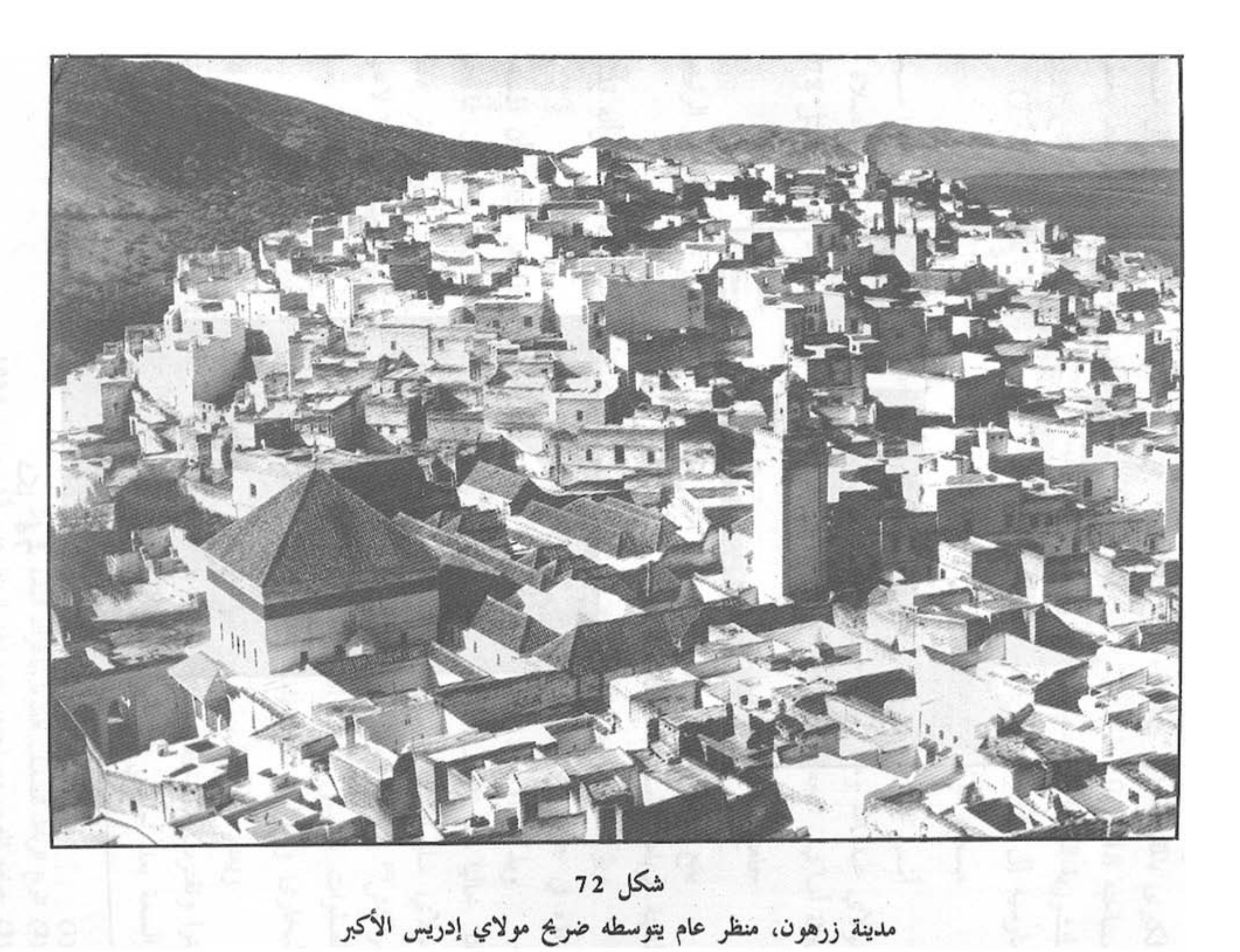
أعمال المولى إسماعيل العلوي بضريح مولاي إدريس الأزهر (الثاني أو الأصغر) بفاس :

ذكر السلاوي في كتابه الاستقصا نقلا عن نشر المثاني أن المولى إسماعيل أمر في عام (1132هـ) بتجديد بناء مقام مولاي إدريس الأزهر باني فاس، فأعاد بناءها على ما هي عليه الآن بما اشتملت عليه من المحاسن التي يعز وجودها، كما أمر بتوسعة صحن المسجد على ما هو عليه اليوم من الهيئة التي لا نظير لها بفاس، وقد تم تسقيف القبة في آخر ذي الحجة من العام المذكور.

ورجوعاً إلى الضريح الادريسي، ننقل عن صاحب الدرر الفاخرة إضافته بأنه في عصر السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل تم حسبما في الحلل البهية بناء الباب المواجه لقبة الضريح الادريسي الموالي لسوق المجادليين وعليه مكتوب :

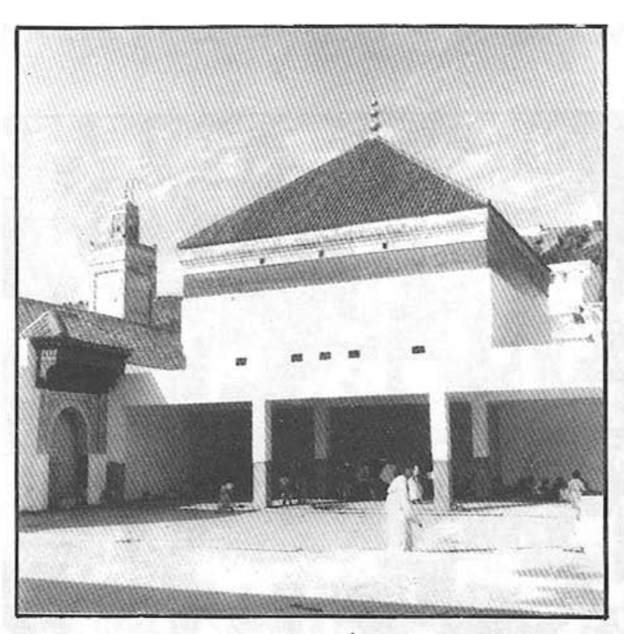
وزدت مجادة لما كساني ... وطـــرزني أمير المؤمنينـــا
أجاد أمينه الصفار صنعي ... وأحسن إذ تخيره أمينـــا

(1) نفس المصدر ص 46
(2) نفس المصدر ص 48
(3) نفس المصدر ص 50

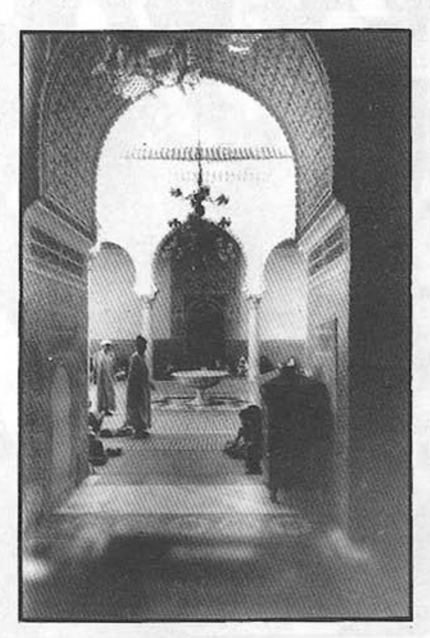


شكل 72

مدينة زرهون، منظر عام يتوسطه ضريح مولاي إدريس الأكبر



شكل 73
قبة ضريح مولاي إدريس الأكبر بزرهون بعد الإصلاح العلوي



شكل 74
صحن ضريح مولاي إدريس بعد التجديد

مسجد للاعودة بمكناس :

بُنِيَ المسجدُ ما بين (1672 – 1727م) كمصلى لقصر مكناس مكونا لجزء من الدار الكبرى بالمقر الملكي. ويتصدر المبنى مدخل ومشور وميضأة ومدرسة نصل منها إلى مسجد مساحته 48 × 45.50 متراً مربعاً. الصحن مستطيل الشكل ويتميز البلاط الأوسط بتغطيته المنشورية الشكل كما يتميز أسكوب القبلة بسعته عن بقية الأساكيب الأمر الذي دفع جورج مارسيه إلى الاعتقاد بتأكيد التخطيط لشكل حرف التاء اللاتيني (T)[1] (شكل 77).

مسجد مولاي عبد الله بفاس الجديد :

أسس العلويون بفاس البَالي وفاس الجديد عدداً لا يحصى من المساجد نذكر منها مسجد مولاي عبد الله ومسجد باب جيسا. ويتكون مسجد مولاي عبد الله من بيت للصلاة به ثلاثة أساكيب تتجه عقودها في موازاة جدار القبلة وخمسة بلاطات ثم صحن مربع (شكل 78).

جامع السنة برباط الفتح :

يقع المسجد الجامع قريبا من مشور تواركة وعلى محور شارع محمد الخامس الرئيسي لمدينة الرباط عاصمة المملكة.

ويؤكد (الضعيف)[2] المؤرخ الرباطي أن سيدي محمد بن عبد الله أسسه وأنه قد تم بناؤه في جمادى 1199هـ (مارس 1785م).

ويذكر الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله[3] نقلا عن تاريخ الرباط لكايي أن المسجد ظل خاليا منذ تأسيسه نحوا من عشرين سنة لبعده عن (المدينة) المأهولة بالسكان مما حمل مولاي سليمان على نقل أخشاب سطوحه لتسقيف جامع علي بن يوسف المندثر بمدينة مراكش[4] إلى أن قام سيدي محمد بن عبد الرحمن بتجديده وترميمه ترميما شاملا لاحياء الصلوات الخمس والصلوات الجامعة ومواجهة زيادة السكان بتعمير حي تواركة بعبيد البخارى وأهل سوس وإقامة دار المخزن والمشور السعيد بالقرب من الجامع.

ويعتبر جامع السنة من أكبر مساجد المغرب اتساعا إذ يبلغ طول ضلع مربعه 74.50 مترا وتقترب مساحته من 5550 مترا مربعا بحيث يأتي في المرتبة الثالثة من حيث الضخامة والسعة بعد جامعي القرويين بفاس وحسان بالرباط.

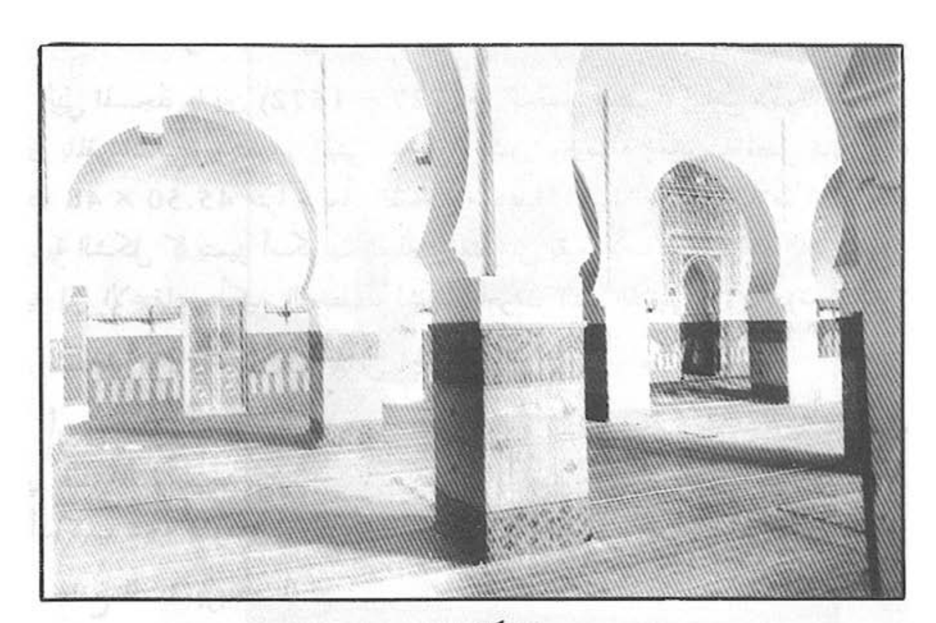
---

(1) G. MARÇAIS : L'architecture Mus.

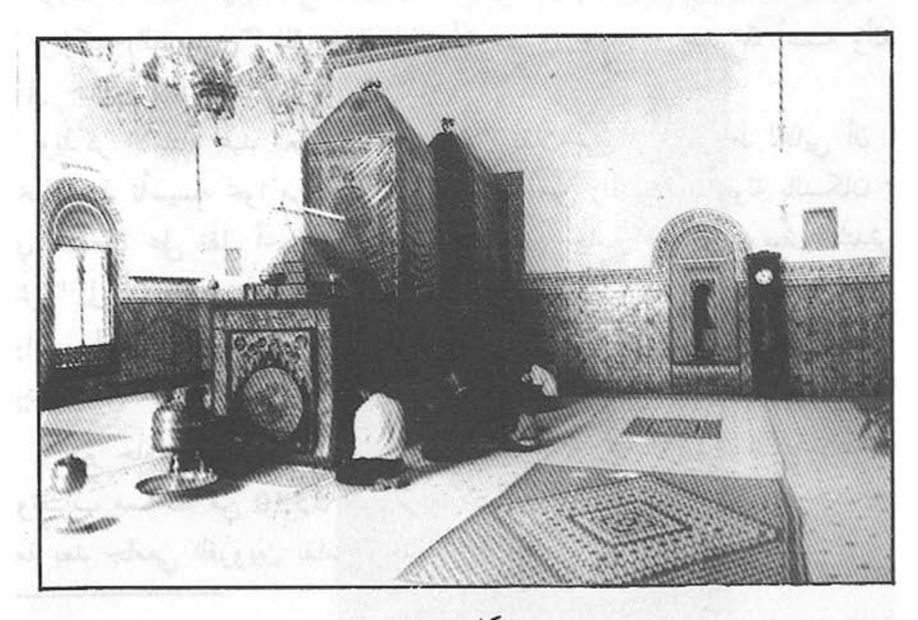
(2) تاريخ الرباط للضعيف مخطوط بالخزانة العامة بالرباط

(3) جوامع المغرب ومساجده، دعوة الحق الرباط عدد 238 يوليوز 1984

(4) J.CAILLE : La ville de Rabat T.I, P. 458



شكل 75
ضريح مولاي إدريس الأكبر بزرهون، بيت الصلاة



شكل 76
داخل قبة مولاي إدريس الأكبر كما أصبحت في العصر العلوي

ويذكر تخطيط جامع السنة بتخطيط نظيره ومعاصره مسجد الروا بمكناس، فبيت الصلاة من ثلاثة أساكيب تسير عقودها موازية للقبلة وخمسة عشر بلاطا[1]، مع تكرار ظاهرة جامع مكناس باشراف واجهة بيت الصلاة على الصحن بسبعة عقود. وعقود بيت الصلاة على هيئة حدوة الفرس منكسرة ذات مركزين تحف بها إطارات مستطيلة.

وصحن المسجد فسيح تتوسطه فسقية من الرخام الأبيض تحملها دعامة من المرمر ضمن مربع من الزليج[2]، ويشغل الجانب الشمالي للصحن بناء من ست عشرة غرفة لمعيشة الطلبة.

وقد تم بناء الجدران من التابية المغربية المزودة بكسرات القرمود والآجر، وأبواب المسجد من الحجر المنجور، ودعائم عقود بيت الصلاة والأقواس بالآجر، وسقوف الجامع برشلة (جمالون) تعتمد أربطتها الخشبية على مساند جانبية ناتئة من الجدران.

وقاعدة الصومعة مربعة طول ضلعها ستة أمتار، وصومعة الصومعة (العزرى) ضلع مربعها 3.75 مترا وارتفاعها 6.41 مترا وتفتح نافذة في كل ضلع من أضلاعها[3] (شكل 94).

مسجد أهل فاس بالمشور الملكي بالرباط :

أكد الضعيف أن المسجد من بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1762 ــ 1790م) وكان كجامع السنة قليل الرواد لبعده عن (المدينة) المأهولة بسكان مدينة الرباط.

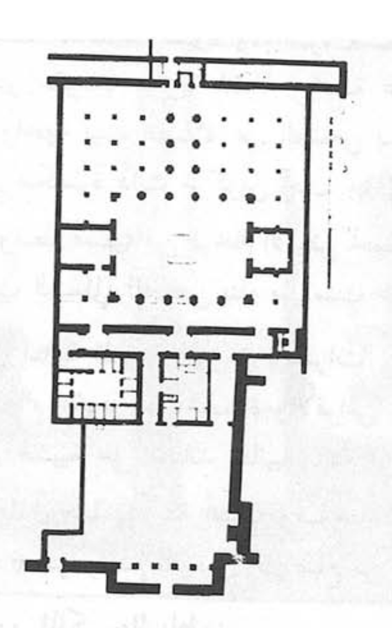
وفي عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (محمد الثالث) تجدد بناء المسجد وزينت سقوفه الداخلية إلى أن جاء السلطان محمد بن يوسف (محمد الخامس) فأكسبه وضعه الجمالي المعاصر بما أدخل عليه من فنون المعمار والنقش والنحت والتزليج وجعل منه جامع الخطبة الملكية الذي يقصده أمير المؤمنين من القصر الملكي عبر المشور في موكبه الخلافي الرسمي وسط جموع الشعب والمصلين من سكان العاصمة ونواحيها والوافدين أيام الجمع والصلوات الجامعة.

وتكاد تكون مساحة المسجد مربعة (26.80 × 29.10 مترا)، وبيت الصلاة من ثلاثة أساكيب موازية لجدار القبلة تبعا لتقاليد الهندسة العلوية، وتنقسم الأساكيب إلى تسعة بلاطات، وعلى طول جدار القبلة ملحقات عبارة عن مقصورة وغرفة للمنبر وجامع الجنائز وغرف تتوسطها ساحة مركزية، وبجانب آخر تقع مقصورة النساء وكتاب قرآني ودار للوضوء.

(1) G.Marçais : L'architecture Mus. P.388 et 391.

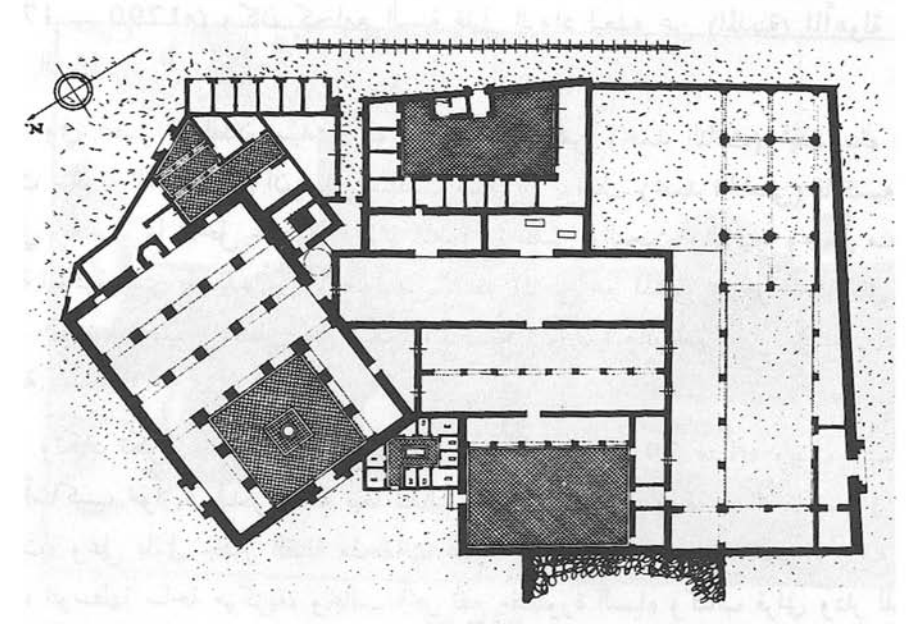
(2) عبد العزيز بن عبد الله / جوامع المغرب، دعوة الحق يوليوز 1984.

(3) نفس المصدر.



شكل 77

تخطيط مسجد للاعودة بمكناس



شكل 78

تخطيط جامع مولاي عبد الله بفاس

وضلع قاعدة الصومعة (5.10 مترا) وارتفاع الصومعة بدون العزرى ستة وعشرين مترا وهي بسيطة المظهر عاطلة من الزينة ومن كل أثر للنقش في الحجر أو الزليج[1].

وقد بنيت الجدران من التابية، والعقود من الآجر والأبواب الخارجية من الحجر المنجور، والأسقف برشلة خشبية من الداخل يغطيها القرمود من الخارج.

مسجد الروا بمكناس :

من عصر سيدي محمد بن عبد الله (1762 – 1790م)، ويتميز بوضع بيت الصلاة والصحن، بيت الصلاة من 11 بلاطاً وأربعة أساكيب عقودها موازية لحائط القبلة. يتقدم واجهة بيت الصلاة على الصحن حائط من كل جانب تمتد بينهما سبعة عقود تفتح على الصحن وهي ظاهرة خاصة استرعت انتباهنا بالمساجد العلوية فيما بعد. الباب الخارجي بالواجهة الشمالية الشرقية يوصل إلى المدرسة الملحقة.

مسجد باب جيسا[2]

ويقع المسجد قرب أحد أبواب فاس القديم ويرجع إلى عصر سيدي محمد بن عبد الله أو ولده مولاي سليمان. بيت للصلاة من أسكوبين ذات عقود موازية لجدار القبلة وخمسة بلاطات ثم صحن مربع تحيط به ثلاثة أروقة. ومدرسة تتكون من صحن مستطيل حوله أروقة وبيوت للطلبة (أشكال 79–80).

تأسيس المسجد الأعظم بالرصيف بفاس[3] :

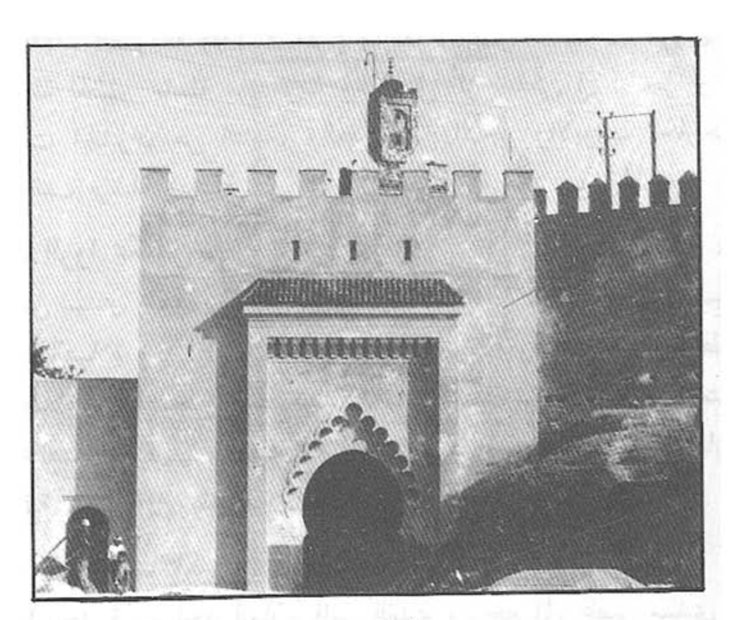
أسسه مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله وكان حفر أساسه أخوه السلطان يزيد، وقد نقش في الجص على خدي المحراب (النصر والتمكين لمولانا سليمان أمير المؤمنين) وذلك تنبيها على أن الباني هو السلطان سليمان الذي بويع سنة (1206هـ)، كما نص على ذلك مولاي زيدان في كتابه الدرر الفاخرة وهو باني سقاية الرصيف سنة (1208هـ)، كما أسس ضريح الشيخ ابى الارشاد التاودي ابن سودة وفي أعلى الباب نقش زليج منه :

(أبو الربيع) فخار الملك عادته	**بذل المواهب ان سألت أغناك**
لشيخه وامام الوقت سيدنا الـ	**تاودى وعلاه ليس يخفاك**
والفندوشي أمام ناظر واقف	**عامله يارب برحماك**
تاريخه وهو (شطر 1209) من ملاحه	**يم مستبشرا طلقا محياك**

(1) عبد العزيز بن عبد الله : جوامع المغرب، دعوة الحق يوليوز 1984.

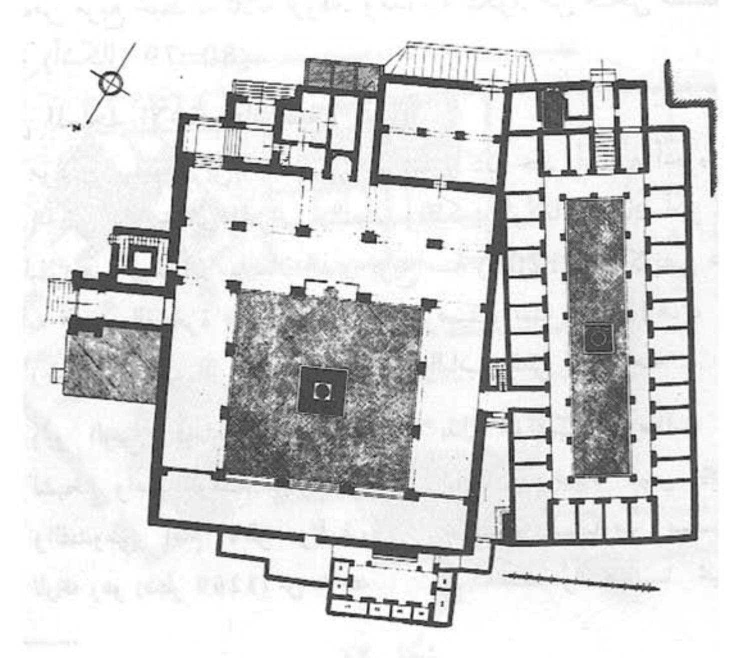
(2) B.Maslow : Les Mosquées de Fez et du Nord du MAROC

(3) عبد الرحمن بن زيدان : الدرر الفاخرة ص 70.



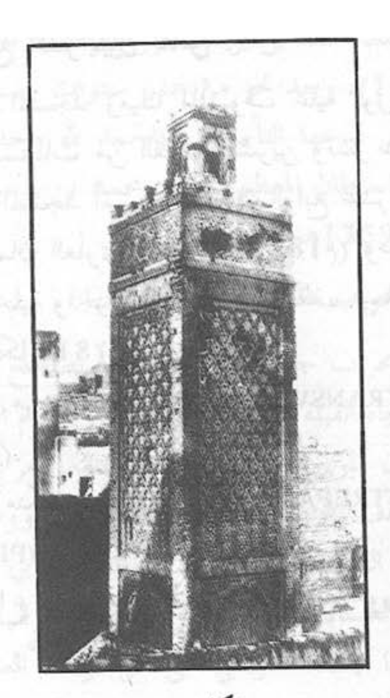
شكل 79

باب عجيسة (جيسة) بفاس



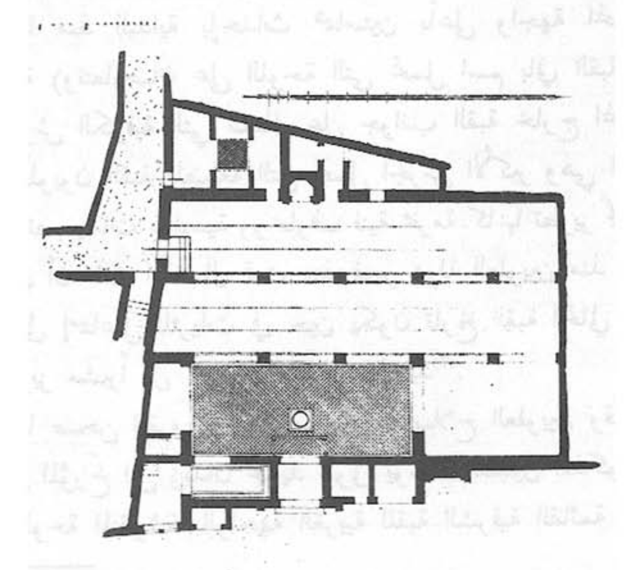
شكل 80

تخطيط جامع عجيسة بفاس



شكل 81

جامع الشرابليين بفاس، الواجهة الجنوبية الشرقية للصومعة



شكل 82

جامع الشرابليين بفاس، تخطيط المسجد

إصلاح وتجديد جامع الشرابليين بفاس :

درس تاريخ وعمارة المسجد زميلنا المأسوف عليه بوريس ماسلوف مفتش الآثار بالمملكة المغربية إلى أوائل الستينات من القرن العشرين ونشر دراسته بكتابه (مساجد فاس وشمال المغرب[1]، وذكر أن المسجد أسس في القرن الرابع عشر للميلاد في عصر بني مرين إلى أن أصلحه مولاي سليمان العلوي (1792–1822م) وصيره مسجداً جامعاً بعد أن أعيدت جميع الزخارف الداخلية والجزء الأكبر من الأسقف فيما عدا باب المدخل والصومعة المحتفظين بالمظهر القديم (شكل 81).

ويتكون بيت الصلاة من أسكوبين (NEFS TRANSVERSALES) وإضافة إلى كل من جانبي الصحن (شكل 82).

وعقود بيت الصلاة منكسرة متجاوزة (BRISES ET OUTREPASSEES) ترتكز على أكتاف أو دعائم (PILIERES) مربعة.

ويتسع الصحن باتساع ثلاث بلاطات أوسطها على محور المحراب، كما توجد ملحقات أخرى جنوب جدار القبلة وشمال الصحن.

عمارة العلويين بجامع القرويين :

وكان للعلويين اعتناء كبير بجامع القرويين، المسجد والجامع، ومعقل العلم والسياسة والحضارة، فبادروا منذ البداية بإحداث شماستين بأعلى واجهة المحراب فوق مستوى الشماسيات القديمة (وتتعارضان على اللوحة التي تحمل اسم باني القبة عبد الله بن محمد وتأخذان من النقوش الكوفية التي تتسلل على جوانب القبة خارج المحراب)[2].

كما شيد العلويون القبة المضلعة التي تحمل الجرس الأكبر وهي الثالثة جهة العنزة بما اشتملت عليه من تصميمات هندسية وزخارف فنية مخرمة كأنها تطريز جميل ويعتقد الدكتور عبد الهادي التازي أن تلك الأعمال تمت منذ فجر دولة العلويين منذ سنة **1120** هجرية وقت إصلاح المولى إسماعيل للثريات في حين يكون تاريخ القبة الحالي **1315** هجرية أيام السلطان عبد العزيز مشيراً إلى تاريخ الاصلاح الجديد[3].

وكانت قبتا صحن القرويين موضع عناية وإصلاح العلويين وقد نقل الدكتور عبد الهادي التازي عن المؤرخ ابن زيدان تجديد المولى يوسف للقبتين المذكورتين أنه حدث أثناء الاصلاح تغيير اللوحة المنقوشة بالواجهة الغربية للقبة الشرقية القائمة على الخصة الحسناء.

---

(1) Les Mosquées de Fez P. 74/75

(2) د.عبد الهادي التازي : جامع القرويين 655/3.

(3) نفس المصدر ص 673.

وفي أثناء حكم السلطان محمد بن يوسف أمر باضافة ثلاثة أبهاء جديدة إلى جوار الخزانة السعدية سنة 1348 (1929)، وبعد نحو من عشر سنوات يضع حجر الأساس لخزانة كبرى ذات قاعة فسيحة نقش على لوحها التأسيسي (الحمد لله وحده أسس هذه الخزانة ووضع الحجر الأساسي بها جلالة السلطان المعظم سيدي محمد بن يوسف نصره الله وأعزه في فاتح ربيع النبوي الأنور[1] عام 1359هـ (ماي 1940م).

رسم القبلة داخل محراب القرويين 1060هـ :

يقابل المصلون أمام محراب جامع القرويين رسماً يصحح الجهة التي يتوجه إليها الناس في الصلاة لعدم دقة تحديد اتجاه القبلة منذ بناء المحراب الأول أيام الأدارسة. وكما شغلت العلويين مشكلة قبلة القرويين[2]، فإن المولى إسماعيل العلوي عندما أمر بتجديد جامع الشرفاء الذي كان أساساً لقبلة القرويين كلف المختصين بتحقيق اتجاه القبلة، ووصل البحث العلمي والتاريخي إلى كشف انحراف التحديد القديم، وقدم المؤقت سيدي العربي بن عبد السلام الفاسي كتاباً يتضمن بحثه العلمي واتفق العلماء على صحة رأيه وبعد المحراب عن اتجاه الكعبة. ومع هذا عارضوا هدم المحراب احتراما لجلاله التاريخي على نحو موقف العلماء عندما أراد الأغالبة هدم محراب سيدي عقبة لبناء محراب جديد واستعاض علماء فاس عن ذلك بتنبيه المؤذن للمصلين على نحو ما جرت به العادة القديمة (شكل 13).

---

(1) نفس المصدر ص 670.

(2) تاريخ المشكلة وتطورها ومحاولات الدول السابقة بجامع القرويين ج 3 ص 656 ــ 658.

مسجد ملينة ودراساتنا المقارنة مع مساجد الرباط العلوية

على بعد خطوات من مقر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بالرباط يقع مسجد ملينة، وفي إطار المخطط الذي وضعه وزير الدولة الفذ الأستاذ الرئيس محمد الفاسي ظهر الاهتمام أخيرا بدراسة المسجد المذكور وإحياء أطلاله ضمن مخطط تجديد وتطوير الساحة والحديقة، لهذا لزم إعداد دراسة عن تاريخ وعمارة المسجد الأثري قمت بإنجازها قبل العمارة والاصلاح الجديد.

الموقع :

يقع مسجد (ملينة) داخل الحديقة العامة المطلة على شارع المنصور الذهبي خارجا عن حدود السور الأندلسي للمدينة، المشرف حاليا على شارع الحسن الثاني، ومقتربا من قلب عاصمة الموحدين في اتجاه جامع حسان وجامع السنة.

ولاشك أن للموقع الحالي أهمية خاصة بالنسبة لمشروعات التخطيط بالاضافة إلى حاجة المنطقة إلى إجلاء معالم المسجد الوحيد الموجود بالناحية وإعادة ترميمه وعمارته كمسجد تاريخي مسجل في عداد الآثار المغربية، لقد سجل أولا بمرجع رقم **144** في تاريخ **28** يونيو **1924**م صادر بالجريدة الرسمية صفحة **1258** مشيراً إلى الظهير الشريف بتسجيل صومعة المسجد، وبعد ذلك سجل بمرجع رقم **404** في العاشر من شهر أغسطس سنة **1955**م الصادر بالجريدة الرسمية صفحة **1434** مشيرا إلى الأمر الوزاري بتسجيل المسجد.

وقد اصطلح أهالي مدينة الرباط على تسميته (جامع مولينا)، والحقيقة أنه مسجد وليس (جامعاً)، فالمساجد الجامعة تتميز بكبر مساحتها لاستيعاب المصلين في الصلوات الجامعة أيام الجمع والأعياد كجامع السنة وجامع حسان وجامع محمد الخامس الحالي، ذلك أن المسجد المذكور صغير المساحة محدود المرافق بالنسبة إلى تلك المساجد الجامعة، ويغلب الظن أن أهالي مدينة الرباط قد اصطلحوا على تسميته (جامعاً) على نحو ما فعلوه بالنسبة لعدد غير قليل من مساجد الرباط الصغيرة.

الاسم :

أما إسم (مولينا) المعروف به المسجد فلا شك أنه مشتق أصلا من إسم العائلة الأندلسية، فمما هو شائع أن عائلة أندلسية أسسته برباط الفتح بعد هجرتها إليه من الأندلس. لكن العائلة التي وفدت من الأندلس إلى الرباط تعرف باسم (مُلين)[1]، وقد أثبت بوجندا المؤرخ الرباطي اسم ناظر الأحباس الكبرى بالرباط على عهده بالفقيه السيد محمَد (مُلين)[2] وعلى الرغم من هذا فإن بوجندار نفسه قد أشار إلى المسجد تحت اسم (مُلينة)[3]، بينما درس جاك كايي (CAILLE) المسجد تحت اسم (مولينا)[4] هكذا (MOLINA) وجاء في اعلام الفكر المعاصر[5] ذكر المسجد تحت اسم (مولينا) في حين جاء تسجيله في عداد الآثار تحت اسم (مولين MOULINE) مرتين، فمرة صومعة مسجد (مولين) ومرة أخرى مسجد (مولين)[6].

وهكذا توجد أمامنا الآن أربعة أسماء مرجعها إلى أصل واحد وهي (ملين ومولين وملينة ومولينا) والمسجد الحالي وقت دراستي الميدانية له (ابتداء من يناير 1975م) لا يحمل نقشا تأسيسيا أو دعائيا أو أي أثر منقوش يفيد تحقيق الاسم، كما لا تسعف المصادر[7] التي توفرنا عليها باجابة صريحة عن الاسم أو التاريخ.

وحيث أن اسم العائلة مصدر اشتقاق الاسم هو (ملين) وأن المسجد مسجل في عداد الآثار تحت اسم (مولين MOULINE)، فلعل لفظة (ملينة) أو (ملينا) الشائعة لدى بعض المؤرخين وجمهور الأهالي تحريف منسجم مع نسبة المسجد إلى (السانية) البستان التي كانت

---

(1) محمد بوجندار : مقدمة الفتح ص 194.

(2) نفس المصدر ص 121.

(3) نفس المصدر ص 118.

(4) جاك كايي : مدينة الرباط 474/1.

(5) عبد الله الجراري : من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا : 11/1.

(6) الجريدة الرسمية، العددين المذكورين.

(7) أنظر :

— تاريخ الضعيف، مخطوط 660 لمؤرخ الدولة العلوية إلى عام 1233 (1818م) وهو محمد ابن المرابط عبد السلام بن أحمد بن محمد.

— واتحاف أشراف الملأ مخطوط بالخزانة العامة بالرباط 11 لمؤلفه السيد بن علي الدكالي (شعر).

— الاتحاف الوجيز مخطوط بنفس الخزانة 42 أهداه نفس المؤلف إلى مولاي عبد العزيز العلوي 1313 (1895م).

— (RABAT ET SA REGION) الرباط ونواحيها للبعثة الفرنسية 152/1 — 154 مساجد الرباط.

— الاستقصا 69/8 و173.

— ثلاثة قرون وعشر سنوات لعزيز سلام ص 59 و74 و84 و207.

— الترجمانة الكبرى للزياني تحقيق الفيلالي.

— وأخيرا حوالات الأحباس حول مساجد الرباط عائلة ملين.

تملكها عائلة (ملين) مشتملة على المسجد وسط المزارع المتصلة بين سور المدينة الأندلسي وأسوار الموحدين، فقد أفادنا صديقنا وزميلنا المرحوم الأستاذ محمد القباج محافظ الخزانة العامة بالرباط بأن اسم (السانية) يؤنث عند نسبته فيقال (السانية بركاشة والسانية عوفيرة والسانية ملينة...) ومع مرور الزمن يختصر الاسم من (جامع السانية ملينة أو مولينا) إلى جامع ملينة أو مولينا) وهو اجتهاد وارد له وجاهته، ولا يمنع هذا من احتمال نسبة المسجد إلى اسم سيدة بنته تدعى (ملينة) منحدرة من العائلة المذكورة كما يرويه البعض.

التاريخ :

ذكر كايي في كتابه عن الرباط رواية أحد أفراد عائلة (ملين) بأن أندلسيا منهم قد أسس المسجد بعد وصوله إلى مدينة الرباط في القرن السابع عشر للميلاد[1]، واستبعد كايي ذلك التاريخ اعتمادا على عدم مساعدة الأحداث السياسية والظروف الداخلية على بناء المسجد خارج أسوار المدينة وأرجع المسجد في ختام دراسته إلى القرن الثامن[2] عشر (12هـ) من عهد سيدي محمد بن عبد الله[3].

ونظرا لعدم وجود نقش تأسيسي بالمسجد الحالي وعدم العثور على نص تاريخي صريح لزمت دراسة المسجد معماريا لتحديد مميزاته الرئيسية فيما يتعلق بالتخطيط بصفة خاصة مع الدراسة المقارنة لعدد من المساجد منذ عصر الموحدين إلى عصر الأشراف العلويين ثم مساجد الرباط العلوية معروفة التاريخ بقصد تحديد عصر بناء المسجد الحالي.

التخطيط والعمارة :

يشغل مسجد ملينة مساحة مربعة الشكل تقريبا (23.54 × 23.66 مترا) (شكل 83)، يولج إليه من مدخل واحد رئيسي وهو مدخل بارز (MONUMENTALE) بالواجهة الرئيسية الشمالية الغربية على محور المحراب (شكل 84).

ويؤدي المدخل إلى صحن فسيح (بالنسبة لمجموع المساحة) وهو صحن مستطيل يبلغ عمقه إلى واجهة بيت الصلاة (11.45 مترا) ويشغل جانبه الجنوبي الغربي — على يمين الداخل — بناء ممتد بطول المسافة بين حائط واجهة المسجد وبين واجهة بيت الصلاة (شكل 85) على الصحن، وهذا البناء مقسم إلى أربع حجرات تفتح على الصحن بعقود مستديرة

---

(1) جاك كايي : مدينة الرباط 474/1.

(2) نفس المصدر ص 481.

(3) بويع 1171هـ وتوفي قرب الرباط 1204هـ، عن تاريخه ومؤسساته انظر الترجمانة الكبرى والاستقصا 3/8 و65، وعن آثاره المعمارية بالرباط ص 69 وما نقله عزيز سلام عن السلاوي.

مشمورة كان يعتقد أنها بمثابة ميضأة ثم أسفرت المجسات عن تجانس أرضيتها مع بقية الأرضيات من تصميم القنوات المائية مما رجح اعتبارها مكاناً لسكنى الطلبة إذ تذكر بالمدارس الملحقة بمساجد سيدي محمد بن عبد الله بالرباط ولشبهها بالحجرات القائمة إلى اليوم بجامع السنة بطول الحائط الشمالي الغربي للصحن، وتشغل الصومعة الركن الشمالي للتخطيط العام ويفتح بابها على الصحن وتشترك أساساتها مع جدران المسجد بالزاوية الشمالية.

ويلي الصحن جنوبا بيت للصلاة مستطيل (21.65 × 8.66 مترا) عمقه أقل من طوله جدار القبلة يفتح على الصحن بثلاثة عقود يقع أوسطها على محور المحراب والمدخل الرئيسي والوحيد.

ويتوسط بيت الصلاة صف من ثمان دعائم مربعة الشكل يسير في موازاة حائط القبلة ويقسم بيت الصلاة إلى أسكوبين اثنين على غرار عقود جامع السنة بالرباط (أشكال 86–87)، وتبلغ فتحة العقد (2.32 مترا)، ويحصره إطار مستطيل قليل الارتفاع (أشكال 88–89) وتقسم العقود بيت الصلاة إلى سبعة بلاطات كما تقسمه الدعائم إلى أسكوبين اثنين.

وجدير بالملاحظة هنا أن جميع البلاطات بما فيها بلاط المحراب جعلت بنفس الاتساع (2.35 مترا) دون تمييز للبلاط المحوري وهو بلاط المحراب، وأنها من جهة أخرى تقل سعة عن أساكيب المسجد، وبهذا تتأكد الرغبة في العودة إلى تخطيط بيوت الصلاة المبكرة في الاسلام بزيادة طول جدار القبلة عن العمق، وأهمية الأساكيب عن البلاطات وموازاة العقود لحائط القبلة وعدم تميز البلاط المحوري... وينسجم هذا كله مع الفكرة العامة لتخطيط المساجد العلوية الجامعة.

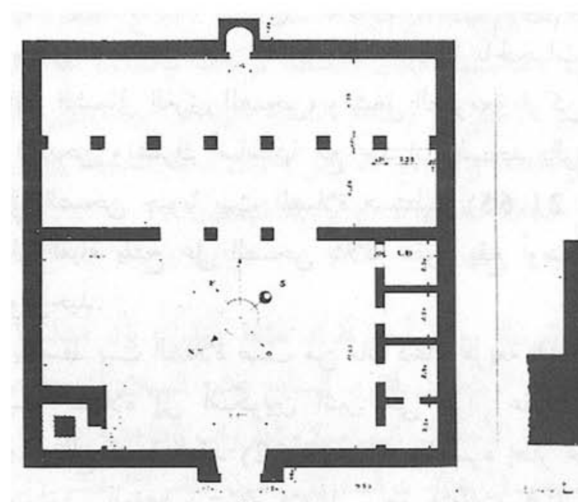
المحراب :

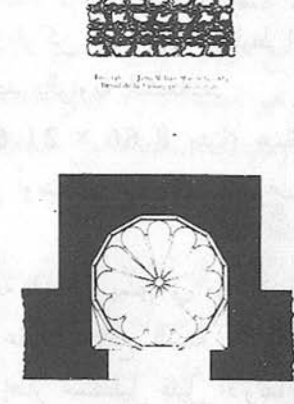
يتوسط جدار القبلة محراب مضلع التخطيط مغلف ببروز مستطيل التخطيط خلف حائط القبلة. ويعتبر المحراب حاليا العنصر الوحيد بالمسجد الذي يحمل زخرفة على طبقة من الجص. وتغطي فجوة المحراب قبة مفصصة ذات اثنى عشر فصاً على نحو النظائر السابقة المعروفة بالمغرب والموجودة في باب الرواح وصومعة حسان من عصر الموحدين[1] بنفس المدينة.

الجدران والمدخل :

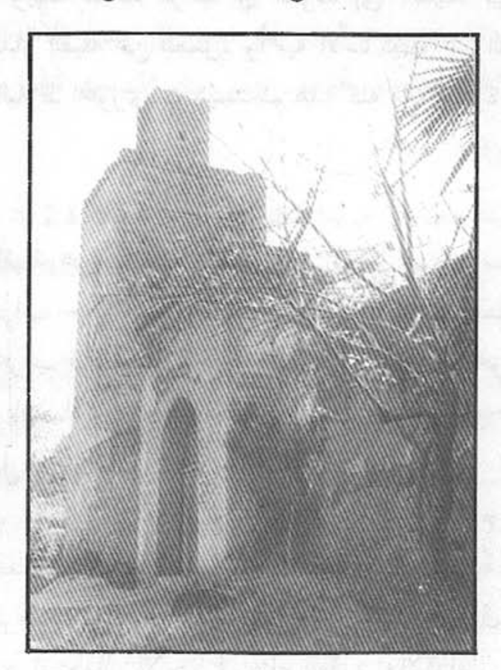
وجدران مسجد ملينة وقت دراستي الميدانية يناير 1975م مخربة وعقوده وأسقفه مهدمة، ويبلغ سمك الجدران الخارجية مترا كاملا وقد بنيت بالتابية (البتن المغربي التقليدي غير المسلح) المغطاة بالمرطوب (البياض بالمحارة في لغة الشرق) فوق أساسات من الحجارة الكبيرة غير المنجورة مع استعمال الآجر في بناء العقود والأقواس.

(1) كايي : نفس المصدر ص 477.

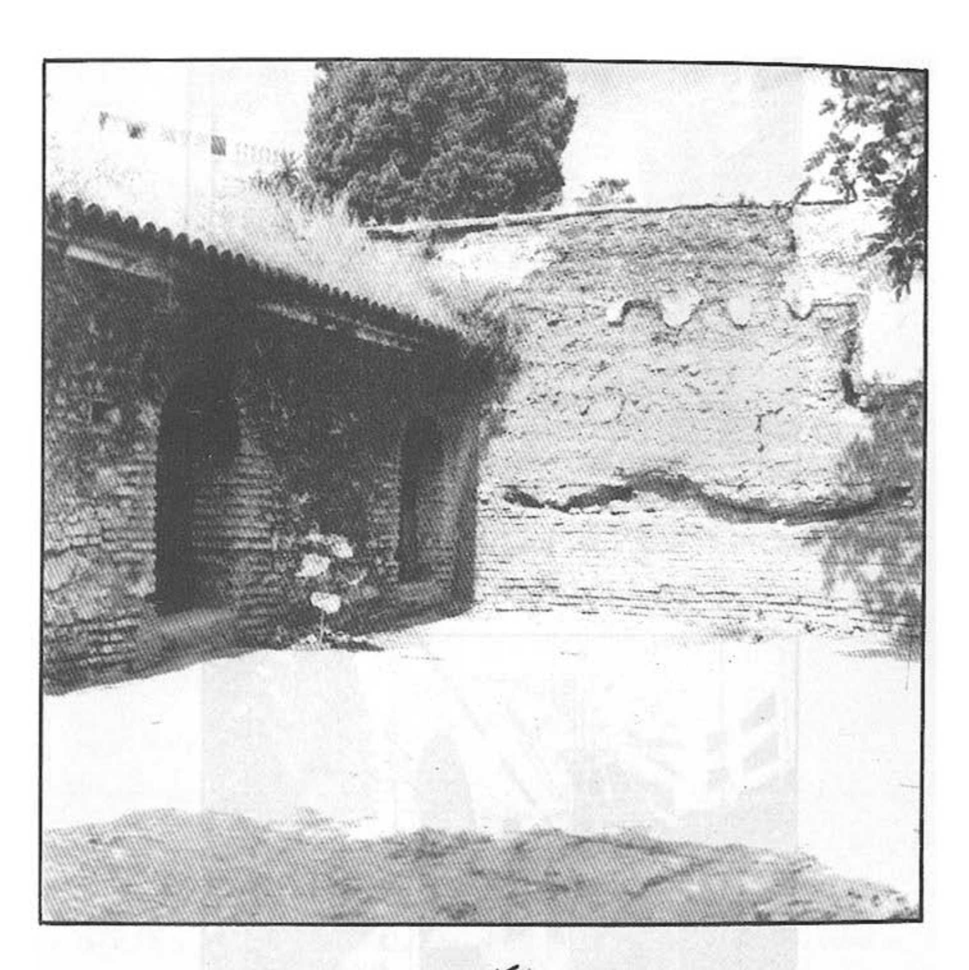




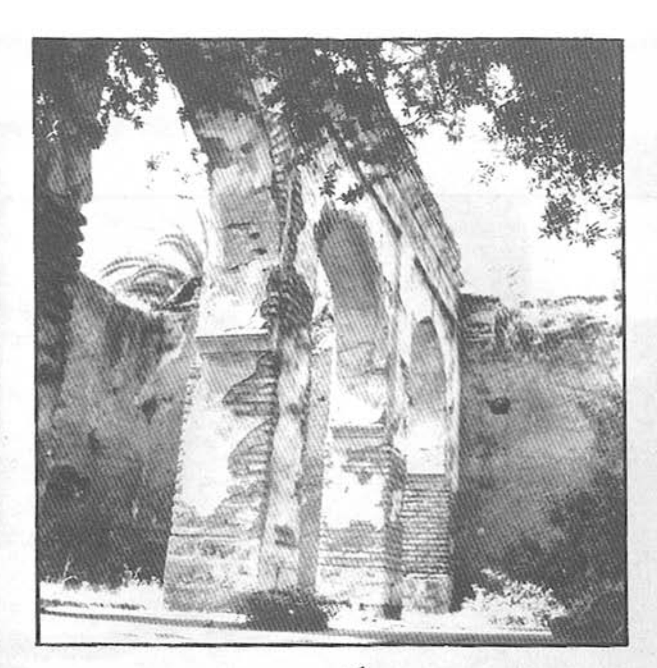
شكل 83
تخطيط جامع ملينة برباط الفتح



شكل 84
جامع ملينة، الواجهة الرئيسية والمدخل البارز والصومعة

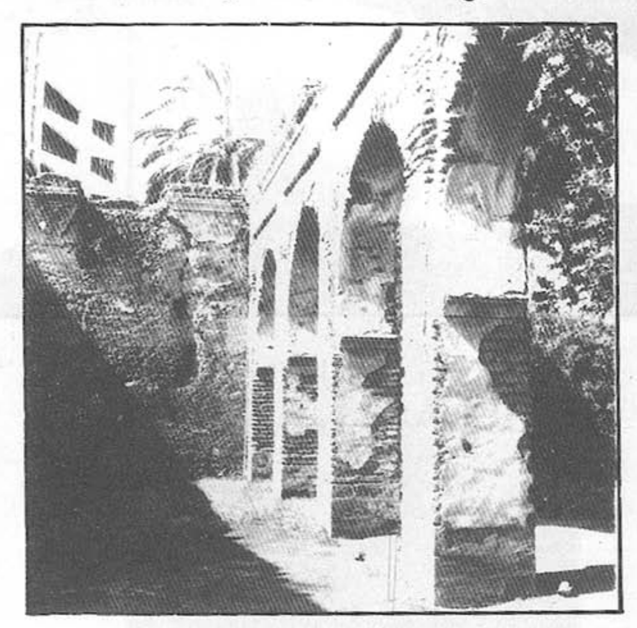


شكل 85
جامع ملينة، الصحنن وبيوت الطلبة على يمين الداخل



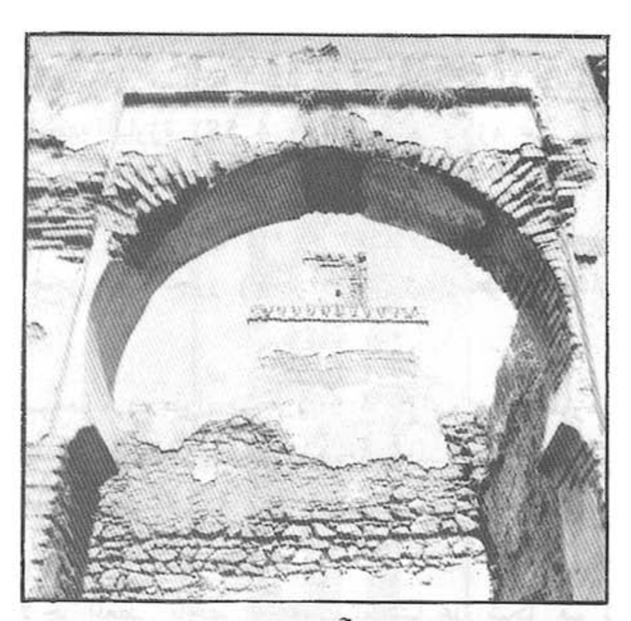
شكل 86

جامع ملينة، بيت الصلاة دون أسقف



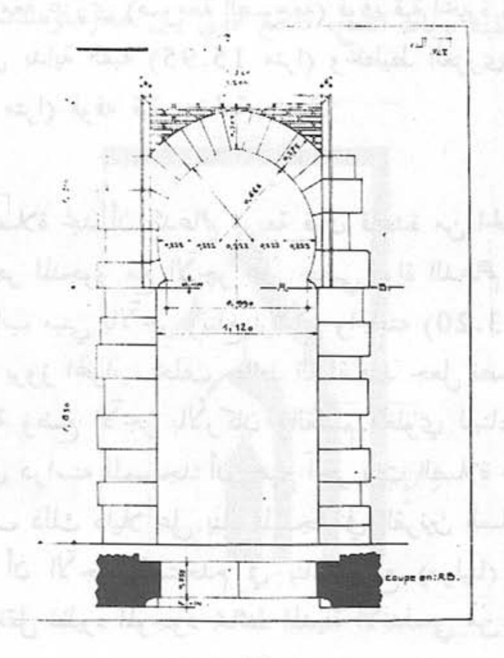
شكل 87

جامع ملينة برباط الفتح، هندسة الأكتاف والعقود داخل بيت الصلاة



شكل 88

جامع ملينة، تفصيل العقود ومواد البناء



شكل 89

جامع ملينة، تفصيل هندسة وعمارة العقود

والمدخل الرئيسي والوحيد مبني بالحجارة المنجورة مع صفوف من الآجر فيما عدا البروز (الكتلتين الناتئتين عن مستوى الجدار شرقا وغربا) وتبلغ فتحة المدخل (2.10 مترا) ومجموع اتساع واجهته البارزة (4.58 مترا)، ويبلغ بروزه عن مستوى واجهة المسجد (1.80 مترا) وارتفاعه (5.71 مترا).

وتدخل الحجارة المنجورة في بناء الواجهة الرئيسية كذلك، أما الحجرات القائمة بالصحن فمبنية بالحجر غير المنجور (حجر الدبش في اصطلاح المشارقة).

الصومعة :

وتخطيط الصومعة مربع طول ضلعه (4.50 مترا) وسمك جدارها متر واحد وجدارها الشمالي الغربي ومثله الشمالي الشرقي داخل مع حائط المسجد وجميعه مبني بالتابية التي يعلوها الحجر المنجور تتخلله روابط خشبية من خشب الأرز والعرعر طولية ومستعرضة.

ويدور سلم الصومعة حول نواة مركزية من الآجر (أشكال 90-91). وقد بنيت أسقف الدروج بالآجر المغطى بالجص وجعلت تغطيتها على شكل قبو نصف أسطواني فوق الدروج وقبو متقاطع نصف أسطواني فوق البسطات (شكل 92) وهي صحون السلم

ويرتقي بناء الصومعة عزرى (صومعة الصومعة) فوق قبة أخيرة (شكل 93)، وارتفاع الصومعة من القاعدة إلى بداية القبة (15.95 مترا) وتخطيط العزرى مربع ضلعه (1.80 مترا) وارتفاعه (5.48 مترا) فوقه قبة مضلعة مثمنة.

مواد البناء :

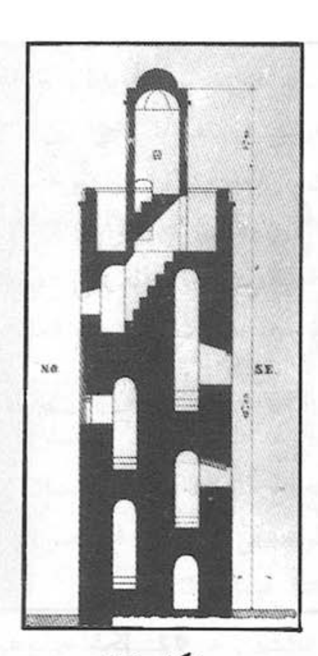
إذا بدأنا ببيت الصلاة نجد أن الدعائم مربعة فوق قاعدة من الحجر يدخل فيها الآجر والمرطوب ثم يظهر الحجر المنجور مع الآجر على جانبي نواة الدعائم فوق ارتفاع (1.34 مترا) من القاعدة، والمحراب مبني بالآجر ويبلغ ارتفاع واجهته (3.20 مترا) وعقده متجاوز منكسر ذو مركزين، أما بروز المحراب خلف حائط القبلة فقد جعل نصف ارتفاعه من الحجر غير المنجور مع ملاحظة وضع الآجر بالأركان والقسم العلوي للبناء.

وقد ذكر كايي في دراسته للمسجد أن جميع آجر بيت الصلاة من نفس مقاييس آجر الموحدين[1] دون أن يقف ذلك دليلا على بناء المسجد في القرنين السابع أو الثامن هـ (12 أو 13م) حيث يعتقد أن الآجر المستخدم في بناء جامع (مولينا) قد نقل من مسجد حسان[2] بعد خرابه كما نقل نظيره الموجود بحائط المدينة الأندلسي من نفس المسجد الجامع.

---

(1) نفس المصدر ص 476/1-477.

(2) نفس المصدر ص 477.



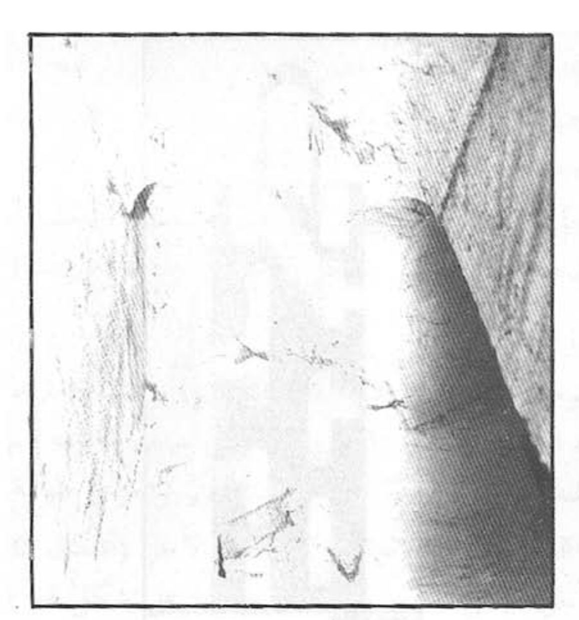
شكل 90

جامع ملينة برباط الفتح، مقطع طولي يبين عمارة وهندسة الصومعة



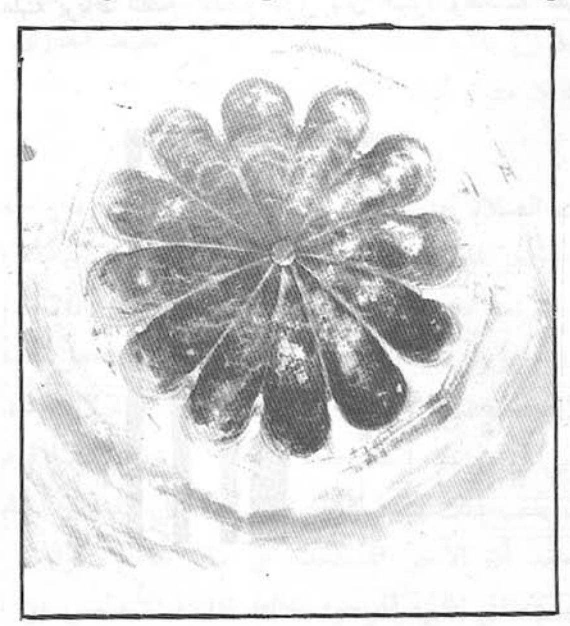
شكل 91

جامع ملينة، حلبة الصومعة المستمدة من هندسة عقود الفتحات بالواجهة



شكل 92

جامع ملينة، نصف برميل متقاطع للتغطية بدروج الصومعة



شكل 93

جامع ملينة برباط الفتح، تصميم التغطية بقبة الصومعة

والملاحظ بعد الدراسة المباشرة لآثار المسجد أن آجر بيت الصلاة يؤكد حقيقة أخرى غير التي ذكرها جاك كايي في دراسته عن مدينة الرباط، فالآجر بمسجد ملينة ليس متجانس المقاييس والتاريخ إذ تتفاوت المقاييس فيه تفاوتا كبيرا بين 22 سنتيمترا و27 للطول ثم بين ثلاثة سنتيمترات وخمسة للسمك. ومعلوم أن آجر الموحدين المتميز بكبر المساحة يوجد كما تشهد آثار المسجد مختلطا بغيره من الآجر في أقواس بيت الصلاة والدعائم وبروز المحراب خلف حائط القبلة وأسفل جدران الصومعة المطلة على الصحن وفي عقود فتحات الحجرات الجانبية بالصحن كما استعمل في تبليط نهايات الجدران العليا التي ارتقيتُها للفحص بالواجهة الرئيسية.

ونستخلص من هذا أن جميع تلك العناصر المعمارية قد شيدت في عصر واحد بعد تاريخ خراب مسجد حسان الجامع، وإذا كان مسجد حسان قد خرب فعلا في عصر الموحدين أنفسهم، غير أن وجود آجر الموحدين في تلك العناصر لا يدل على بنائها فعلا في عصر الموحدين الأمر الذي نكشف عنه فيما بعد.

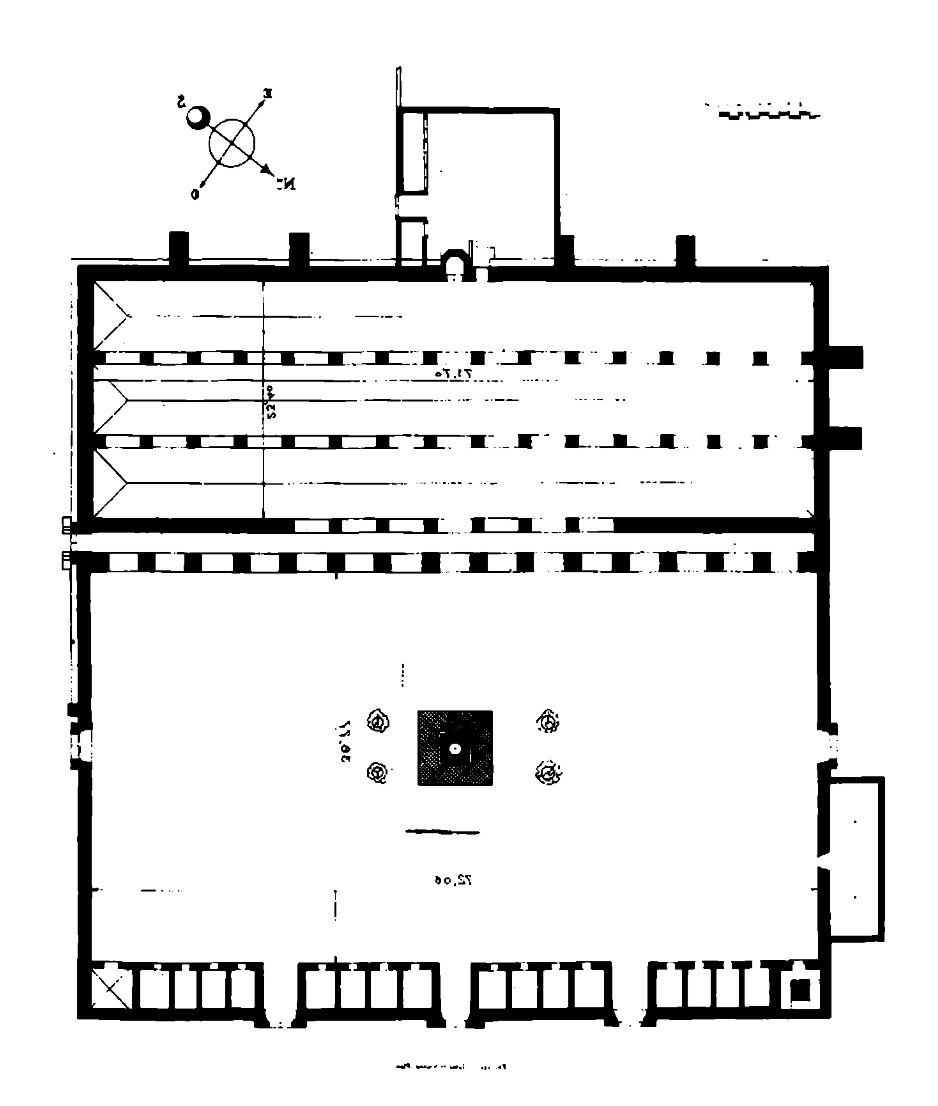
ولعله من المناسب هنا أن نكشف عن استنتاج آخر وهو أن الأسوار أو حوائط المسجد الخارجية المبنية بالتابية تستقل بذاتها من حيث مواد البناء وطريقته وهيئته القديمة عن عصر بناء العناصر المشار إليها والمشتملة على آثار آجر الموحدين وربما كان من الممكن إجراء البحث للكشف عن عصرين مختلفين لتاريخ بناء المسجد لو أتيح لنا ذلك قبل التجديد الشامل الأخير وإعادة البناء والتغطية ابتداء من عام 1988م.

دراساتنا المقارنة :

ولننظر الآن في عمارة مسجد ملينة ومميزات تخطيطه على ضوء الدراسة المقارنة لتحديد عصر بنائه، فإذا ما سمحنا لأنفسنا بالرجوع إلى عصر الموحدين وجدنا نظاما مختلفا في التخطيط والعمارة، وعناصر البنيان بين عمارة الموحدين[1] الضخمة ذات الهيبة والجلال والزخارف المتميزة بالبساطة وكبر المساحة وأسلوب المحراب الحفيل بثلاث قباب أو أكثر، واتساع بلاط المحراب واتجاه العقود، وبين عمارة وزخرفة جامع ملينة الحالي، على الرغم من وجود آثار الآجر الموحدي في بنائه.

---

(1) تراجع عمارة وزخرفة الموحدين على الخصوص في :
هنري تيراس وهنري باسيه : مساجد وحصون الموحدين.
هنري تيراس : الفن ارندلسي المغربي.
جورج مارسي : العمارة الاسلامية الغربية.
كتابنا تاريخ العمارة الاسلامية والفنون ج 3 عصر الموحدين.



شكل 94

تخطيط جامع ملينة برباط الفتح

وإذا كانت معظم مساجد المرينيين تشتمل دون استثناء على بيت للصلاة يزيد عمقه عن طول جدار قبلته لأسباب سياسية ومعمارية (أوضحناها بكتابنا تاريخ العمارة عصر بني مرين)[1] مع اتجاه عقود المسجد عمودية على اتجاه حائط المحراب والتفاف الأروقة الجانبية أو المجنبات حول الصحن، فإن تخطيط مسجد «ملينة» الحالي يؤكد اختلافه عن تلك القواعد حيث أنه يتميز بطول جدار القبلة واتجاه العقود في موازاة حائط المحراب وخلو الصحن من المجنبات.

ولعله من اليسير كذلك النظر في تصميمات مساجد الأشراف السعديين كجامع «باب دكالة» بمراكش الذي أسسته السيدة مسعودة بنت أحمد والدة أحمد المنصور عام 965هـ 1557م. فتخطيطه العام لا يختلف مطلقا عن تخطيط مساجد المرينيين[2] حيث يزيد عمق بيت الصلاة عن طول جدار القبلة مع اتجاه عقود بيت الصلاة عمودية على اتجاه حائط المحراب ووجود الأروقة المحيطة بالصحن. وكذلك الحال في جامع المواسين المؤسس بمراكش بعد بناء جامع دكالة بنحو خمس سنوات (1562م) وهو يعكس نفس تقاليد جامع باب دكالة،محتفظا بمعظم مميزات جوامع المرينيين مع وجود المجنبات حول الصحن ووضع الصومعة[3] خارجة عن مستوى الواجهة الرئيسية بنهايتها الشرقية خلافا لما يتضح من تخطيط مسجد ملينة. وفي زاوية سيدي بن سليمان الجزولي[4] بعاصمة الجنوب كذلك مسجد سعدي بنفس النظام المعماري وفق التقاليد المرينية العامة المشار إليها سابقا، والمختلفة مظهرا وجوهرا مع التقاليد المعمارية التي ترسمها هندسة مسجد ملينة بالرباط.

ويوضح لنا الانتقال إلى عصر الأشراف العلويين المجهود الكبير في تطوير التقاليد الرئيسية لعمارة المساجد قصد العودة إلى الأصول المبكرة للعمارة الاسلامية التي وضعت نواتها الأولى بالمغرب منذ عصر الأشراف الأدارسة فيما يتعلق على الخصوص بنظم التخطيط في بيوت الصلاة واتجاه العقود الحاملة للأسقف بالاضافة إلى مميزات أخرى اقتضتها أساليب العمارة العلوية. فمسجد للا عودة بمكناس (1672 ــ 1727م) يشتمل على أربعة أساكيب عقودها

(1) كتابنا تاريخ العمارة ج 4 عصر بني مرين.
(2) راجع التخطيط في العمارة لجورج مارسي شكل 237 وصفحة 385.
(3) نفس المصدر ص شكل 238 وصفحة 385.
(4) نفس المصدر شكل 239 وصفحة 386.

موازية لحائط القبلة. (أكثرها سعة أسكوب المحراب)[1] مع زيادة طول جدار القبلة عن عمق بيت الصلاة.

ومسجد «الروا» بمكناس من عصر مولاي محمد بن عبد الله (1762م — 1790م) أربعة أساكيب عقودها موازية لجدار القبلة مع زيادة طول حائط القبلة عن عمق بيت الصلاة.

وبمسجد مولاي عبد الله بفاس الجديد ثلاثة أساكيب عقودها موازية كذلك مع زيادة طول جدار المحراب عن العمق.

وبمسجد «باب الجيسا» بفاس القديم من عصر مولاي محمد بن عبد الله أو ولده مولاي سليمان أسكوبان فقط عقودها موازية لحائط القبلة الذي يزيد طوله عن عمق بيت الصلاة[2].

إن الوضع الجديد في التخطيط العام لاتجاه العقود وطول جدار القبلة الذي شاهدناه في عمارة العلويين الدينية يتفق تماما مع ما نلاحظه بمسجد ملينة برباط الفتح. فبيت الصلاة بهذا المسجد يشتمل على أسكوبين اثنين فقط. ويزيد جدار قبلته عن عمق بيت الصلاة وتسير العقود موازية لحائط القبلة. وتؤكد الدراسة المقارنة لمساجد العلويين أن جميع مساجدهم الجامعة وحتى مساجد الأحياء التي يؤسسها الخواص تتميز بقلة عدد الأساكيب وموازاة العقود للقبلة وطول جدار المحراب عن عمق المسجد.

أهم خصائص تخطيط وعمارة مسجد ملينة :

وإذا ما تواجدنا بمنطقة الرباط بالذات حيث يوجد مسجد ملينة فإننا نستطيع أن ندرس على سبيل المثال لا الحصر عددا من المساجد العلوية للوقوف على مدى الاتفاق بينها وبين مميزات مسجد ملينة الحالي[3].

ولا بأس من إبراز أهم المميزات الخاصة بتخطيط وعمارة مسجد ملينة قبل الدراسة المقارنة. فبيت الصلاة في مسجد ملينة يزيد طول قبلته عن عمقه ويشتمل على أقل عدد ممكن

---

(1) يزعم جورج مارسيه أن أسكوب المحراب المتسع في التخطيط الأرضي يصنع مع التغطية الهرمية لبلاط المحراب شكل حرف التاء اللاتيني (T)، كتابه العمارة الاسلامية ص 388 وقد خلط واهماً بين التخطيط الأرضي والتصميم العلوي للأسقف متأثراً بفكرة غيره من المستشرقين الذين حاولوا وصف تصميم المساجد بحرف (T) والزعم أنه منقول عن تخطيط الكنائس، وللوقوف على الحقيقة في ردنا بمقالنا : انتصار العمارة الاسلامية في عهد أمير المؤمنين الحسن الثاني، جريدة الأنباء الرباط 3 مارس 1975م للتعرف على أصل فكرة المستشرقين وأهدافها ونقدها على ضوء دراسة تخطيط مسجد ضريح محمد الخامس بالرباط.

(2) جورج مارسيه : نفس المصدر ص 391.

(3) راجع تخطيط مسجد ملينة ببحثنا وبكتاب كايي عن الرباط 145/2.

من الأساكيب إذ به أسكوبان اثنان فقط وعقوده موازية لحائط القبلة ولا يتميز بلاط المحراب في السعة عن بقية البلاطات ومحرابه مضلع التخطيط، والعقود محمولة على أكتاف أو دعائم، ويخلو الصحن من المجنبات أو الأروقة الجانبية. ويشتمل الصحن على عدد من الحجرات بأحد جوانبه، وتقع الصومعة في الركن الشمالي للتخطيط بنهاية الواجهة الرئيسية داخلة بمجموعها في الصحن.

ويضاف إلى ذلك ملاحظة أخيرة تتعلق بواجهة بيت الصلاة المطلة على الصحن. إنها لا تفتح على الصحن بسلسلة من العقود بعدد بلاطات بيت الصلاة وإنما تفتح على الصن بثلاثة عقود فقط أوسطها على محور المحراب والباب الرئيسي، وقد سدت الواجهة بحائط مغلق ابتداء من جدران المسجد الشرقية والغربية وحتى حدود العقدين الجانبين من العقود الثلاثة المطلة على الصحن.

وبالجملة فإن التخطيط والبناء والعناصر المعمارية الحالية بمسجد ملينة تجعله يقترب من مساجد سيدي محمد بن عبد الله. انه يقترب من مساحة مسجد المشور، ويبدو كنسخة مصغرة من جامع السنة بالرباط من حيث المميزات المذكورة، وطريقة اتصال بيت الصلاة بالصحن ووجود الحجرات بأحد جوانبه وموقع الصومعة من التخطيط العام.

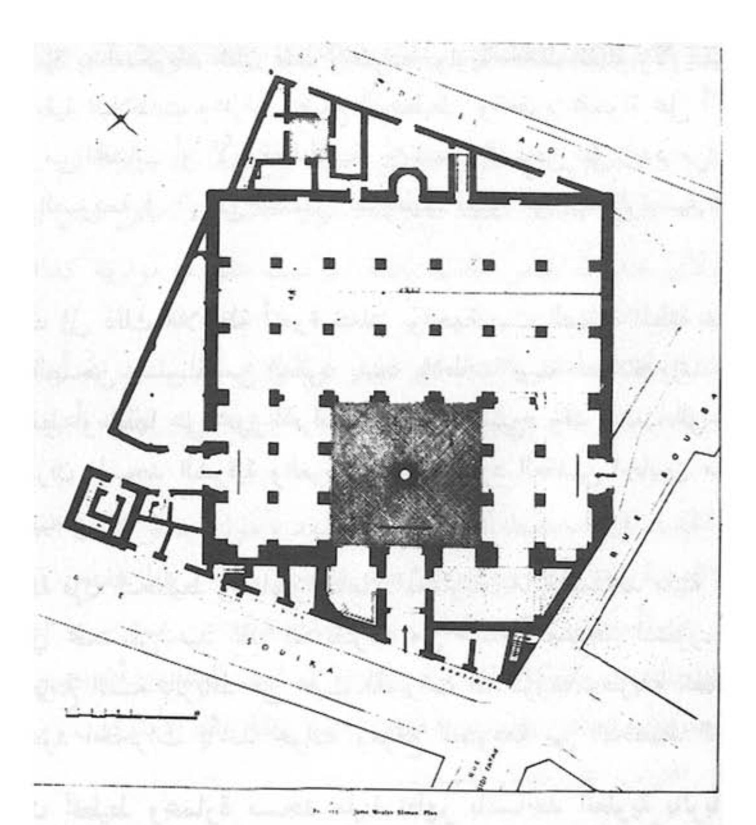
مميزات تخطيط وعمارة مسجد ملينة تظهر بالمساجد العلوية بالرباط :

إن زيادة طول جدار القبلة عن عمق بيت الصلاة نراها في جامع السنة[1] 1199هـ 1785م (شكل 94) وجامع مولاي سليمان[2] 1812م (شكل 95) كما نراها في سيدي فاتح[3] 1270هـ ـــ 1854م (شكل 96) وجامع النخلة[4] 1815م (شكل 97).

ونلاحظ قلة عدد الأساكيب داخل بيت الصلاة بمسجد السنة الذي يشتمل على الرغم من عظم مساحته على ثلاثة أساكيب، وبجامع مولاي سليمان ثلاثة أساكيب، وبجامع عطية [5] 1093هـ 1682م ثلاثة أساكيب، وبجامع النخلة ثلاثة أساكيب وبسيدي فاتح أسكوبان اثنان فقط.

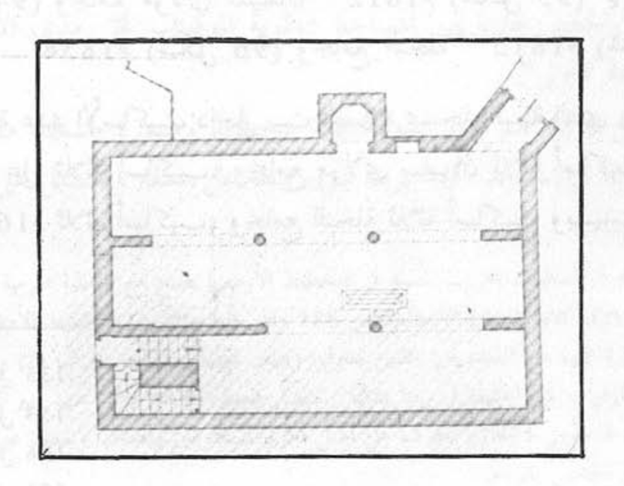
---

(1) نفس المصدر شكل 135.
(2) نفس المصدر شكل 153.
(3) نفس المصدر شكل 166.
(4) نفس المصدر شكل 163.
(5) نفس المصدر شكل 162 وجميعها من وضع الرسام الفرنسي هينو لحساب مصلحة المباني الأثرية بالرباط ولا زالت محفوظة بمكتب التصميم للآن.



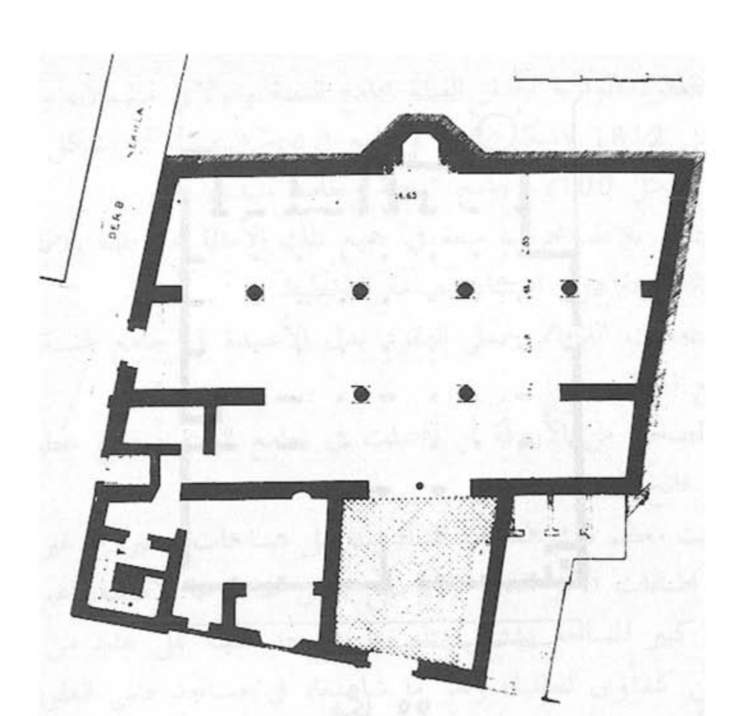
شكل 95

تخطيط مسجد مولاي سليمان برباط الفتح



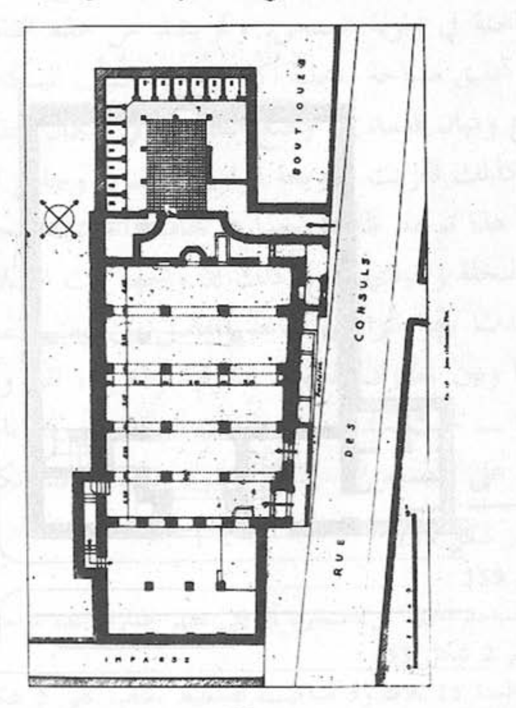
شكل 96

تخطيط مسجد سيدي فاتح برباط الفتح



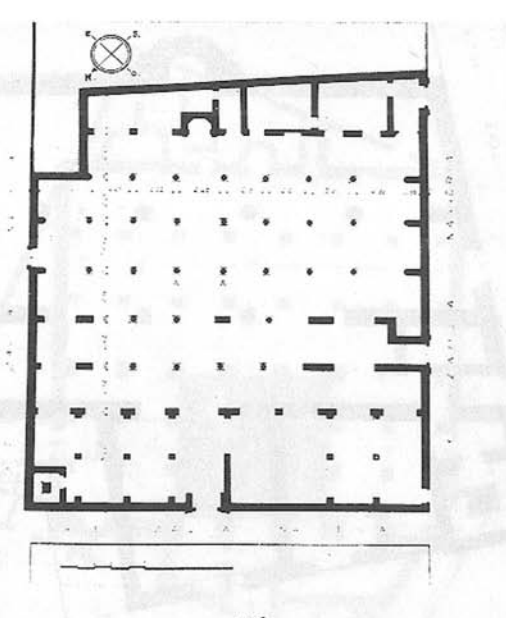
شكل 97

تخطيط جامع نخلة برباط الفتح

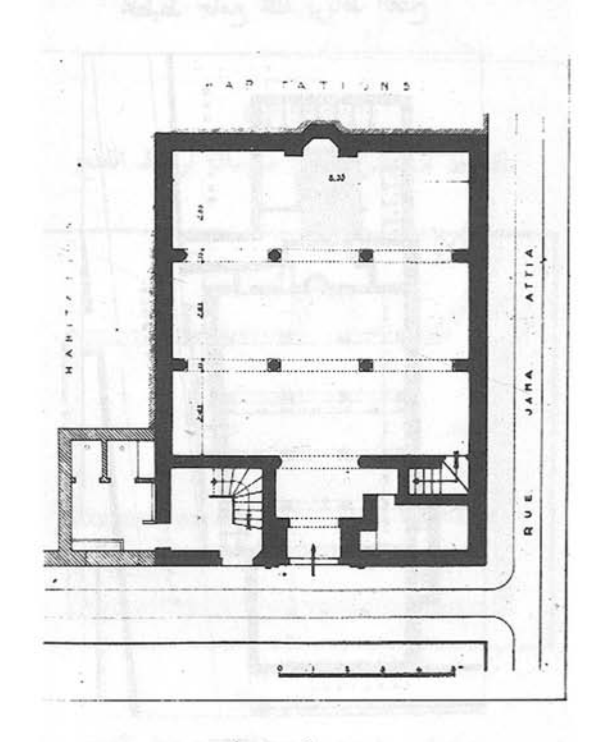


شكل 98

تخطيط جامع الجزارين برباط الفتح



شكل 99
تخطيط الزاوية الناصرية برباط الفتح



شكل 100
تخطيط جامع عطية برباط الفتح

ونرى العقود الموازية لجدار القبلة بجامع السنة ومولاي سليمان، وجامع الجزارين[1] بشارع القناصل 1812 (شكل 98) وجامع الزاوية الناصرية[2] (شكل (99) 1819م. وجامع عطية (شكل 100) وجامع النخلة وجامع سيدي فاتح.

كما لا يتميز بلاط المحراب سعة في جميع تلك الأمثلة عن بقية بلاطات المسجد وأن محاريب تلك المجموعة دون استثناء مضلعة التخطيط.

وقد استعملت الدعائم لحمل العقود بدل الأعمدة في جامع السنة، وجامع مولاي سليمان وجامع الجزارين.

ويخلو الصحن من الأروقة أو المجنبات في جامع السنة وجامع عطية وجامع النخلة وجامع سيدي فاتح[3].

وإذا كانت معظم تلك المساجد قد أقيمت على مساحات صغيرة أو غير منتظمة تعرضت فيما بعد لعدة اضافات الأمر الذي لا يوضح بعض عناصرها الأصلية، غير أن جامع السنة المنتظم الشكل كبير المساحة يشتمل مثله مثل مسجد ملينة على عدد من الحجرات بأحد جوانب الصحن كمأوى للطلبة، وهو ما شاهدناه في مساجد فاس العلوية.

هذا ويتأكد الشبه بين مسجد ملينة وبين تلك المجموعة المعمارية بالرباط بالمحافظة على التقليد العام في اختيار موقع الصومعة على غرار صومعة جامع السنة التي تحتل الركن الشمالي لتخطيط الجامع داخلة في زاوية الصحن. ولم يشذ عن هذه القاعدة مهندس جامع مولاي سليمان الذي أراد تحقيق مساحة داخلية أكبر في حي كثيف السكان فوق مساحة غير منتظمة محاطة بعدة شوارع ومبان فعمد إلى وضع الصومعة في المكان التقليدي[4] خارج عن حدود جدران الصحن، كذلك التزمت صومعة الزاوية الناصرية وجامع النخلة بفن التقليد العلوي.

وفضلا عن هذا توجد ظاهرة معمارية خاصة أخرى بمسجد ملينة نلاحظها بوضوح في جوامع السنة والنخلة وسيدي فاتح. ذلك أن واجهة بيت الصلاة تطل على الصحن بثلاثة عقود فقط بينما سدت بقية الواجهة بحائط للفصل بين بيت الصلاة والصحن على جانبي الأقواس وفيما بينها وبين جدران المسجد الشرقية والغربية، لقد وجدت نفس الفكرة بجامع السنة ــ 15 بلاطا ــ حيث سدت واجهة بيت الصلاة من كل ناحية بما يوازي اتساع أربعة بلاطات وأشرفت على الصحن[5] بسبعة عقود فقط، وقد تكررت تلك الظاهرة بعد

(1) كابي : نفس المصدر شكل 158
(2) نفس المصدر شكل 159
(3) تغاضينا عن ذكر المساجد الخالية من الصحون أو التي تظهر عمارتها عدة مراحل للاضافة المعمارية التاريخية.
(4) كابي : نفس المصدر 2 شكل 153
(5) بيت الصلاة بجامع السنة 15 بلاط و3 أساكيب، التخطيط بكتاب كابي 2 شكل 135.

الأسكوب الثاني بجامع النخلة[1] كما ظهرت في تخطيط وعمارة سيدي فاتح بوضوح بعد الأسكوب الثاني كذلك[2].

وفكرة الفصل هذه يمكن تفسيرها برغبة المهندس في تحقيق الهدوء داخل بيت الصلاة لوجود بيوت الطلبة على مقربة منه داخل نفس المبنى لصحن الواجهة الرئيسية لجامع السنة والواجهة الجنوبية الغربية لمسجد ملينة. ولكن ذلك التفسير يظل ناقصا بالنسبة لحالتين اخريين بجامع النخلة وسيدي فاتح حيث لا توجد بيوت للطلبة ومن ثمة يرجع تفسيرها برغبة المهندس، في خلق طراز يميز تخطيطه لجامع السنة ومسجد ملينة يتكرر فيما بعد بالأمثلة الأخرى مع الرغبة الحقيقية في تقوية البناء وزيادة قدرته على حمل أثقال السقوف نظرا إلى الظروف السياسية والحربية[2] التي تميزت بها تلك الحقبة. ويؤيد هذه الفكرة الأخيرة وجود الظاهرة المعمارية المذكورة بصورة أخرى حيث تعمد البنّاء زيادة المساحة المقام فوقها الدعائم المتصلة بالجدران لحمل نهايات العقود الجانبية ومبالغته في ذلك لتحقيق نفس الغرض وسنشاهده في جامع مولاي سليمان وجامع الجزارين والزاوية الناصرية لصق الجدار الغربي على الخصوص، وجامع عطية، وجامع النخلة بطرفي الأسكوب الأول، ومثله تماما مسجد سيدي فاتح الذي بالغ في ذلك وزاد في مساحة الدعيمة حتى أصبحت حائطا بارزا فيها بين الأسكوب الأول والثاني، وتتأكد تلك الفكرة مرة أخرى بملاحظة سمك الجدران بالنسبة لمساحة المسجد، فسمك جدران مسجد ملينة يبلغ مترا كاملا مع أن مساحته لا تتعدى 23,65 × 23,50 مترا. وبقصد التقوية كذلك ظهرت واجهة أخرى لبيت الصلاة بجامع السنة مفتوحة البوائك على الصحن أمام الواجهة الأصلية المدعمة بالفاصل المذكور.

وبهذا كله يدخل مسجد ملينة الحالي ضمن مجموعة المساجد العلوية بالرباط اعتمادا على المظاهر المعمارية ومميزات التخطيط من حيث وضع الصومعة واستعمال الأكتاف والفواصل واستطالة الأكتاف الجانبية، وخلو الصحن من البوائك والاضافات، ووجود بيوت الطلبة بأحد جوانب الصحن في المساجد التي لم يشتمل تخطيطها على المدارس، وترجع تلك الأسباب مجتمعة تاريخ بناء المسجد الحالي إلى القرن الثاني عشر الهجري (18م).

ومع هذا فلا زالت أمامنا بعض علامات الاستفهام، مثل هل كان المسجد من بناء الخواص أم من تشييد الدولة ؟ ومن هو مؤسسه ؟ وإذا كان تخطيطه الداخلي يرجعه إلى القرن

---

(1) نفس المصدر شكل 165.

(2) نفس المصدر شكل 166.

(3) الترجمانة الكبرى للزياني ص 14/13 الفوضى والفتن المنتشرة مستهل حكم مولاي محمد بن عبد الله.

الثاني عشر هجري كما أسلفنا، فهل يرجع أصل تأسيس البناء إلى عصر سابق اعتمادا على هيئته القديمة وأسباب وملاحظات أخرى نتحفظ من ذكرها الآن ؟. وفي هذه الحالة ما هو تاريخ تأسيسه الأول ؟ ان تسمية المسجد باسم سيدة أو عائلة أندلسية مهاجرة لا يقف حائلا دون نسبة تأسيس المسجد إلى الدولة سابقا أو لاحقا. وكم من مؤسسات بنتها الدولة ثم تعهدها الأفراد والعكس. فقصة بناء فاطمة الفهرية أم البنين لجامع القرويين لم يمنع الدول المتتابعة من العناية بالأثر التاريخي، وليس من المستبعد بعد مزيد من البحث والتنقيب اكتشاف تأسيس الدولة العلوية للمسجد الحالي في تاريخ سابق ثم اقطاع الأرض المحيطة به في تاريخ لاحق لتلك العائلة التي عنيت بزراعتها وتنسيق حدائقها حتى عرفت بالسانية ملينة ثم نسب المسجد إليها.

ولعل مطابقة تخطيط مسجد ملينة وعمارته لجامع السنة مع فارق المساحة واقتراب مساحته من مساحة مسجد أهل فاس بالمشور ووجوده خارج السور الأندلسي يرجح ذلك. ويمكن أن يدعم هذه الفكرة عبارة أوردها بوجندار في مقدمة الفتح «ومن مساجد الرباط جامع السنة أحد المساجد التي بناها السلطان سيدي محمد بن عبد الله بأكدال أشار لها الزياني في ترجمانته[1] والناصري في استقصائه[2] وذكر الضعيف منها خمسة بأسمائها، في حوادث سنة 1187هـ، فذكر جامع السنة وجامع الأوداية وجامع أهل مراكش، وجامع أهل سوس وجامع أهل فاس ولم يبق منها الآن إلا الأول والأخير ثم منارة أخرى لما يعرف اليوم بمسجد ملينة[3]».

وهكذا يؤكد بوجندار ذكر خمسة من مساجد مولاي محمد بن عبد الله بقي منها اثنان فقط وهما جامع السنة وأهل فاس ثم منارة مسجد آخر يعرف بمسجد ملينة.

لعله لو أكد ذلك المفهوم بنص آخر أكثر صراحة وأقرب إلى عصر الاحداث لأمكن القول بأن مسجد ملينة الحالي من تأسيس الدولة العلوية في عهد سيد محمد بن عبد الله الذي ارتقى عرش المملكة المغربية فيما بين عامي 1171 ــ 1204هـ.

أما الاحتمال الآخر وهو كون المسجد من تشييد الخواص فإنه يحتاج إلى تحقيق تاريخ دخول عائلة ملين من الأندلس إلى المغرب والبحث في تاريخ رجالها وأعلامها ومساهمتهم العمرانية والبحث في حوالات الأحباس الرباطية.

---

(1) لتحقيق وجود الاشارة بتحقيق الفيلالي أو المخطوط الأصلي.

(2) لم يذكر أسماءها السلاوي كما يفهم من كلام بوجندار، الاستقصا 69/8.

(3) بوجندار : مقدمة الفتح ص 118.

هذا كله فيما يتعلق بتاريخ وعمارة المسجد الحالي من حيث تخطيطه الداخلي الذي لا يخرج عن نطاق العمارة العلوية، أما أسوار المسجد وجدرانه وطريقة اتصالها بالعمارة الداخلية وأصل تخطيط مشتملاتها الأولى، فهذا ما نتحفظ عن ذكر تفاصيله اليوم إلى أن يتم لنا استكمال البحث والتنقيب واستقراء الآثار المدفونة لعلها تفصح عن شيء جديد يؤكد إحساسنا الحالي بأن التخطيط الداخلي للمسجد المنسجم مع التقاليد العلوية كان مجرد تجديد وتعمير لمسجد[1] سابق تمثل حدوده الحوائط الخارجية القائمة إلى اليوم فقد تعود المؤرخون أحيانا اطلاق لفظة بناء أو تشييد على بعض عمليات التجديد أو التوسيع، أو الاضافة التي يقوم بها بعض الملوك أو الدول.

(1) وقد يكون المسجد السابق من عصر الدولة العلوية كذلك نظرا لتخطيط الجدران الخارجية في حدود تلك التقاليد.

مسجد باريس
(من العمارة الدينية خارج حدود المغرب)

من فكرة التأسيس إلى التأسيس ثم التدشين :

نقل الأستاذ محمد بن عبد الله[1] عن مخطوط الأستاذ السيد محمد السائح (أسبوع باريس[2]) أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله عقد معاهدة صلح واتفاق مع لويز الخامس عشر 28 مايو 1767م عثر عليها بنصها بوزارة الخارجية الفرنسية بحق الفرنسيين في المغرب في إقامة دينهم ومن حق المغاربة بفرنسا في بناء المسجد وتلاوة القرآن.

وقد قرر المجلس البلدي لباريز المنعقد 1922/3/26م أن يمنح جمعية أوقاف الحرمين الشريفين التي كان يرأسها السيد قدور بن غبريط مدير تشريفات جلالة الملك المولى يوسف بن الحسن ملك المملكة المغربية قطعة أرض بالمحل المعروف بمستشفى الشفقة بباريس والموافقة على بناء المسجد والمعهد الاسلامي تذكارا لمشاركة المسلمين الأفارقة للدولة الفرنسية في الحرب العظمى.

ويشتغل المشروع مساحة تبلغ ستة آلاف وخمسمائة متراً مربعا لتشييد مسجد وكتبخانة ومطعم وحمام ومرافق للمسلمين المقيمين في باريس وجميعها بأسلوب عربي كما شاهدته شخصيا أثناء زيارتي عام 1979م.

وتم تمويل المشروع بالاضافة إلى اعانة بلدية باريس بأموال قدمتها الأوقاف المغربية ومساهمة الأمة الاسلامية تلقائياً بالمغرب والمشرق.

وكان الشروع في التأسيس يوم التاسع عشر من أكتوبر سنة 1922م لحفر أساس المحراب واستخراج سمت القبلة، ويوم 15 يوليوز 1926م افتتح المولى يوسف ورئيس الجمهورية الفرنسية مسجد باريس، وفي اليوم التالي 16 يوليوز 1926م تم الافتتاح الرسمي والديني بحضور ملك المغرب وممثلين لعدد كبير من دول الاسلام بالقارة الافريقية ودول المشرق العربي وإقامة أول صلاة جامعة للمسلمين في باريس.

---

(1) دعوة الحق مارس 1988م عدد 268 ص 183/58.

(2) محمد السائح : أسبوع في باريس، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، وقد اشترك في تحديد قبلة المسجد.

ويذكر الأستاذ محمد بن عبد الله في مقاله المسهب أن السيد (روبير رينو) الكاتب العام بالمعهد الاسلامي يقول أن روح هذا البناء قد استنبط من المدرسة البوعنانية بفاس مع تعديلات وتحويرات وفق الأغراض المنشودة.

وبأمر المولى يوسف كتب الشاعر والأديب السيد عبد الكريم سكيرج بعض الآيات بالخط الكوفي وقصائد بالخط المشرقي والأندلسي من إنشاء والده الحاج العياشي سكيرج الأندلسي الفاسي عضو جمعية الحرمين الشريفين وذلك بصحن المسجد ومداخله.

تجديد ضريح المعتمد بن عباد :

وقد حرص جلالة الحسن الثاني منذ بداية عهده السعيد بتمجيد التاريخ وإحياء معالم التراث الحضاري معماريا وفنيا وفكريا، وقد تمثل بعض ذلك في رغبته الصادقة في تشييد ضريح المعتمد بن عباد بأغمات ذلك الملك العربي الذي ضحى بملكه الخاص في سبيل استدعاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بقوته العسكرية الهائلة لصد خطر الاعتداءات الصليبية التي تعرض لها الاسلام بالأندلس.

وقد أنجز مشروع بناء هذا الضريح وتم تدشين جلالة الحسن الثاني له في ربيع عام 1970م، وقد اقتبست هندسته وزخرفته من الفن المعماري المرابطي المعاصر للملك الشاعر الذي نقشت أبيات من شعره على ضريحه كما نقشت بعض أشعار لسان الدين ابن الخطيب[1].

---

(1) أنظر كتاب وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ــ عشر سنوات من المنجزات الثقافية في عهد الحسن الثاني ــ 1971/1961م.

مجموعة مباني ضريح محمد الخامس برباط الفتح

أوضحت بكتابي ضريح محمد الخامس[1] أسباب اختيار الملك الحسن الثاني لاقامة المشروع على جزء من أرض مسجد حسان الجامع المشيد في عصر الموحدين نهاية القرن السادس الهجري. وتشتمل مجموعة المباني على مسجد جامع يتوسط التخطيط، وعلى محوره الأفقي شرقا تقع قبة ضريح محمد الخامس، وعلى ذات المحور غرباً المتحف الأثري، (شكل 101 أ – 101 ب).

وقد شرع في العمل عقب وفاة المغفور له الملك محمد الخامس سنة 1961م وصدر بخصوص تشييد المجموعة المعمارية ظهير شريف نشر بالجريدة الرسمية، وفي يوم السبت العاشر من رمضان عام 1391هـ (30 أكتوبر 1971م) في ذكرى مرور عشرة أعوام على وفاة الملك المجاهد محمد الخامس تم نقل جثمانه الطاهر من ضريح مولاي الحسن الأول بالقصر الملكي بالرباط إلى الضريح والقبة المعدة لذلك بالمجموعة المعمارية. وقد أقيمت أول صلاة جامعة بالمسجد يوم الجمعة 16 رمضان 1391هـ (5 نوفمبر 1971م).

مسجد محمد الخامس

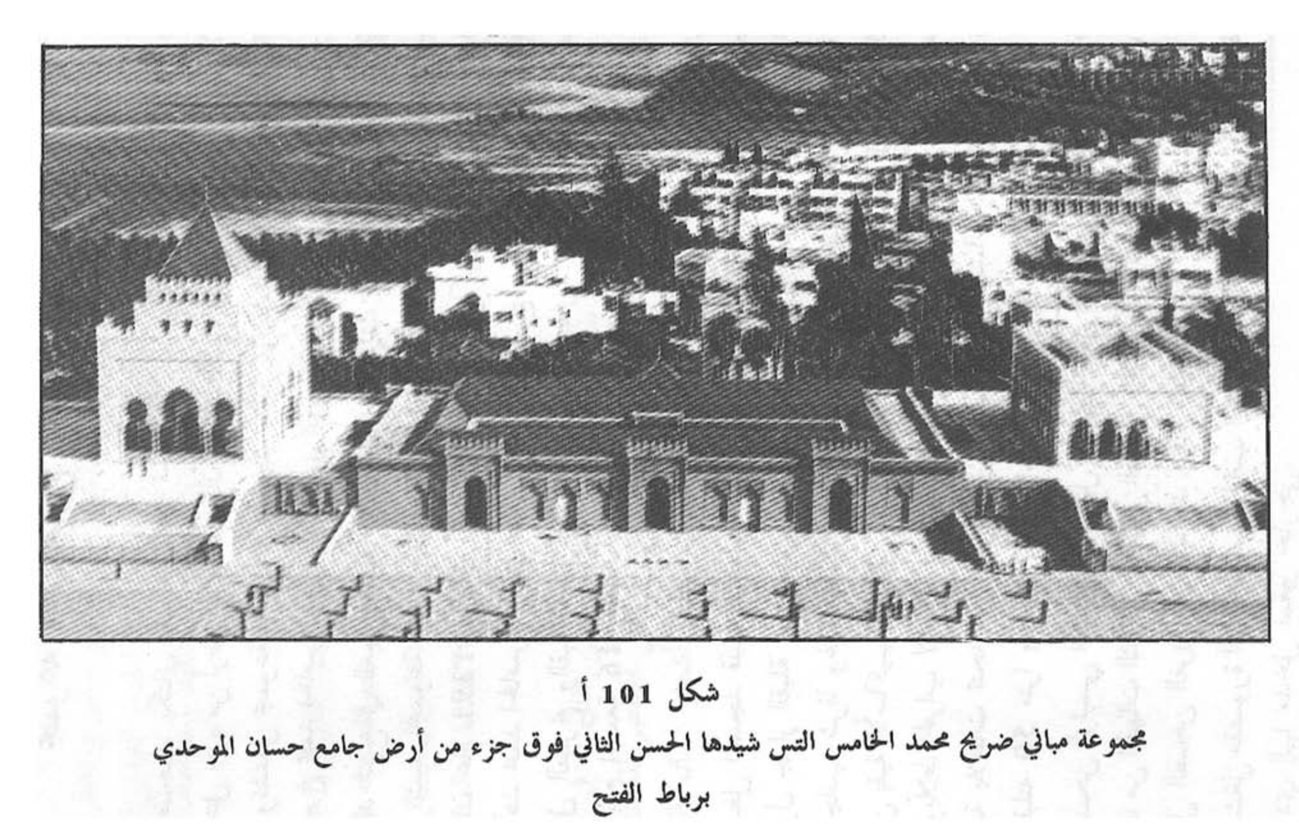
يشغل المسجد قلب التخطيط العام للمجموعة المعمارية، ويشتمل على بيت للصلاة يتميز بطول جدار القبلة عن العمق، وصحن جهة الشمال، وصحن جانبي على المحور الأفقي من كل جانب شرقا وغربا (شكل 102). ويتكون بيت الصلاة من أسكوب للقبلة يقل اتساعا عن بقية الأساكيب (شكل 103)، وشماله أربعة أساكيب تمتد في موازاة القبلة (شكل 104). وبلاط المحراب لا يكاد يزيد اتساعا عن بقية البلاطات (شكل 105) يحف به شرقا وغربا ستة بلاطات تتجه من الجنوب إلى الشمال وتبلغ مساحة المسجد ألفين ومائتي مترا واتساع قبلته 50 مترا وعمقه 37 مترا.

الصحن الرئيسي الشمالي مستطيل يوازي جدار القبلة يتوسطه صهريج للوضوء وتحيط به المجنبات من الجهات الثلاث. ويفصل الصحن الجانبي الشرقي بين المسجد ومباني قبة الضريح بينما يفصل الصحن الغربي بين المسجد وبناء المتحف.

وتشغل مقصورة النساء قسماً بالجانب الغربي لبيت الصلاة وتقع الميضأة أسفل مقصورة النساء يؤدي إليها مدخل صغير خارجي.

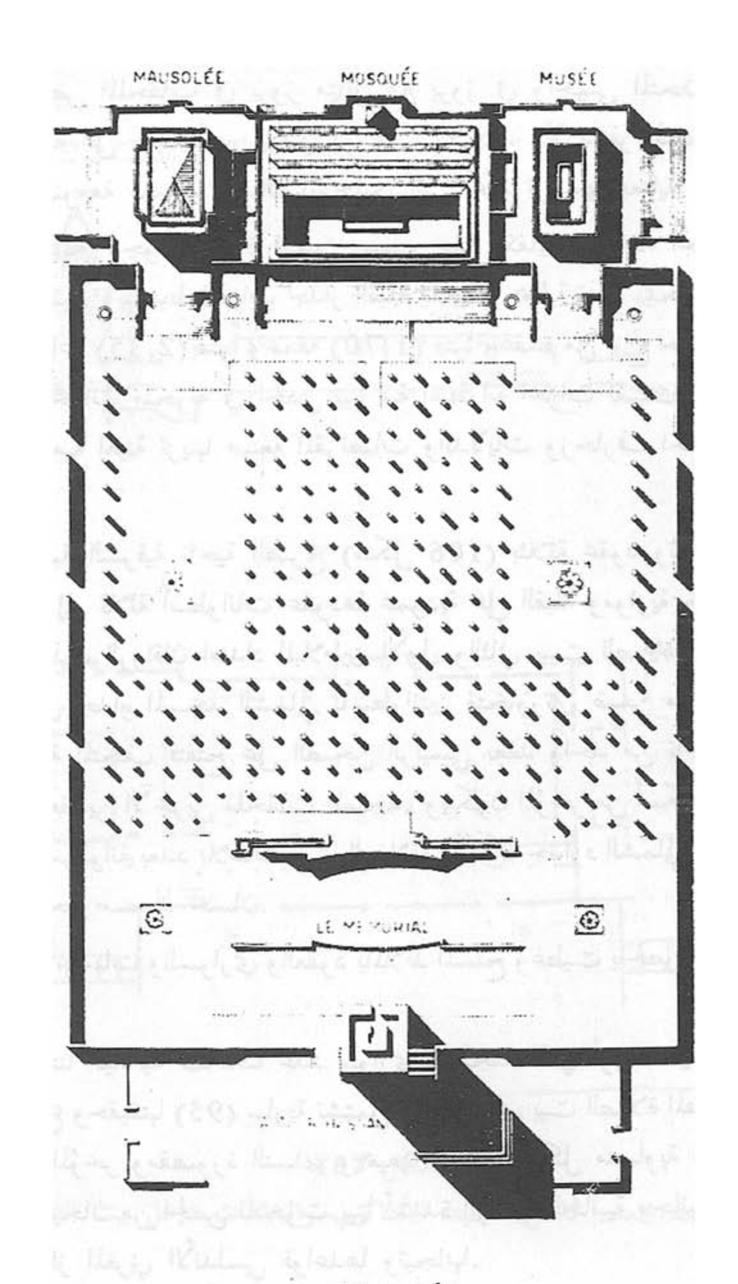
---

(1) بتكليف من مديرية الوثائق الملكية أنجزت الكتاب وسلمته للطبع بالمطبعة الملكية.



شكل 101 أ

مجموعة مباني ضريح محمد الخامس التس شيدها الحسن الثاني فوق جزء من أرض جامع حسان الموحدي برباط الفتح



شكل 101 ب

موقع مجموعة مباني الضريح من تخطيط مسجد حسان

ويتوسط الواجهة الرئيسية للمسجد والمطلة على صحن مسجد حسان باب محوري بالاضافة إلى باب آخر من كل جانب شرقا وغربا، وبالواجهة الجنوبية يتقدم قسم متوسط يضم المحراب وبعض الملحقات في بروز متماثل مع بروز في واجهتي المتحف والضريح، كما تتوفر هذه الواجهة على باب صغير يؤدي إلى بيت الصلاة. ولا يتوفر المسجد على صومعة جديدة اكتفاء بصومعة مسجد حسان الموحدي التي أعيد ترميمها بعناية فائقة.

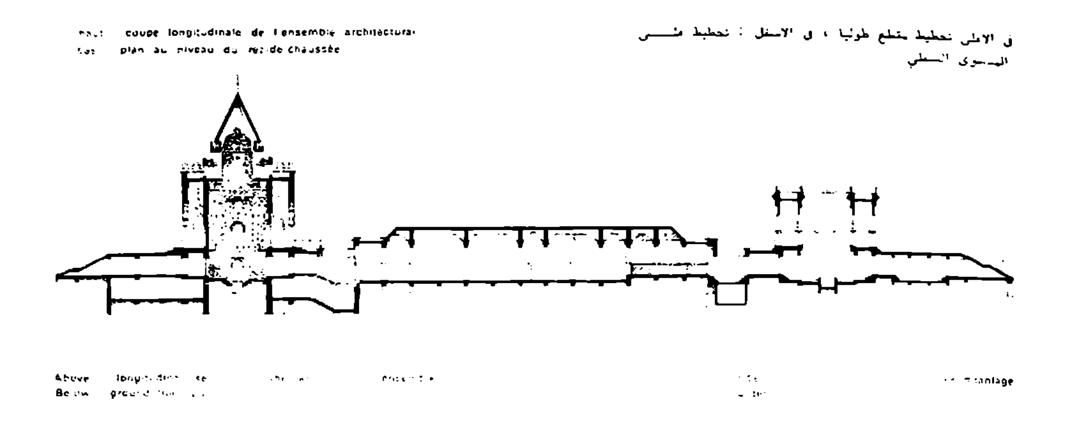
ونلاحظ عدم وجود حجرة للمنبر بسبب عدم كفاية المساحة المجاورة للمحراب لاستيعاب طول المنبر. ويتوسط المحراب جدار القبلة بمقاييس جمالية تذكر بمحراب جامع قرطبة الأعظم ويبلغ اتساعه (2,35) متراً وعمقه (1,70) متراً وعقده من نوع حدوة الفرس كامل الاستدارة، وقبة المحراب منحوتة في الجص بينما قبة اسطوانة المحراب نقشت في خشب الأرز مربعة القاعدة هرمية الهيئة تزينها صنعة المقرنصات والدلايات وزخارف الخشب المخرم المحلي بالزجاج الملون.

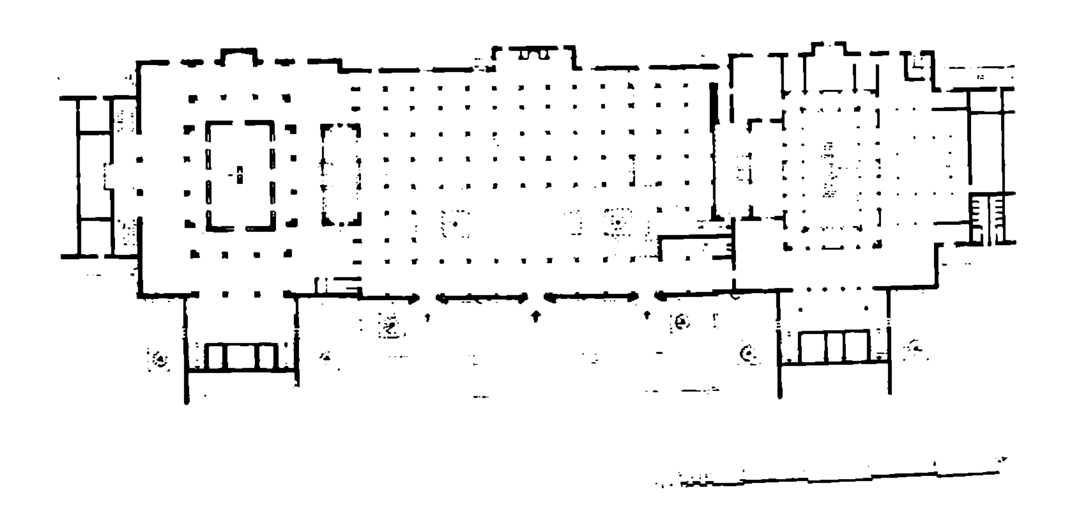
وتفتح المجنبة الشرقية ناحية الضريح (شكل 106) بثلاثة عقود وتتكون من رواقين ينقسم كل منهما إلى ثلاثة أسطوانات عقودها عمودية على القبلة وموازية لحائط المحراب في نفس الوقت، وهذان الرواقان امتداد للبلاطين الأول والثاني ببيت الصلاة من جهة الضريح وسوف يمتدان إلى جدار المسجد الشمالي بأسطوانتين متجاورتين ضمن مؤخر المسجد، أما المجنبة الغربية جهة المتحف فتفتح على الصحن الرئيسي بعقد واحد من ناحية بيت الصلاة بينما تحتل مكان العقدين الآخرين ملحقات المسجد، ويتكون المؤخر من أسكوب واحد ينقسم إلى ثلاث عشرة أسطوانة بعدد بلاطات بيت الصلاة، ويُكَوِّن جداره الشمالي الواجهة الرئيسية الشمالية على صحن مسجد حسان.

وقد نفذت الأساسات والسواري والعقود بالملاط المسلح وغطيت بالجص والخشب والزليج والرخام.

وفي دراستنا الميدانية صححنا عدد سواري المسجد الذي أورده مهندس الضريح في كتابه عن المشروع وحقيقتها (95) سارية تشتمل على سواري بيت الصلاة المطلة على الصحون الثلاثة وسواري المؤخر ومقصورة النساء، وجميعها مربعة الشكل متساوية الارتفاع كسيت بالزليج وتعلوها تيجان من الجص المنحوت بينما أعمدة الواجهة الجانبية وجانبي المحراب فكلها رخامية من الطراز المغربي الأندلسي قواعدها وتيجانها.

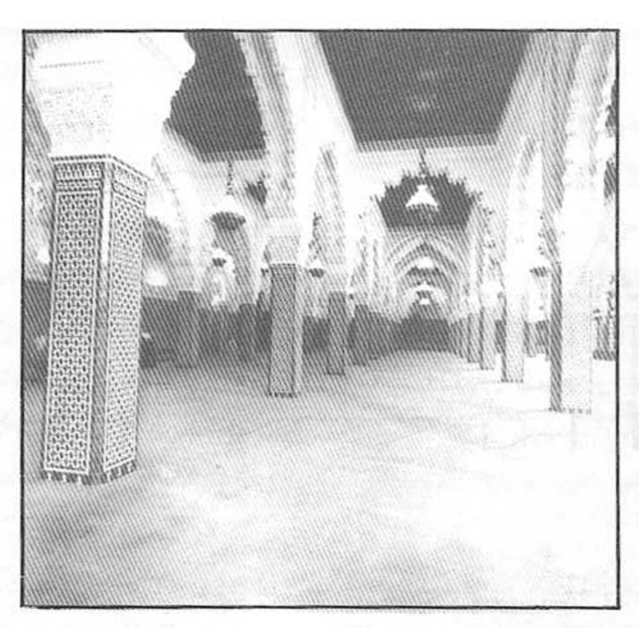
وقد تنوعت عقود المسجد وزخرفتها، فعقود الصحن الرئيسي متجاوزة كاملة الاستدارة متعددة الفصوص، وقد جعل القوسين المتوسطين بالجانبين الواسعين للصحن من نوع العقود ذات الدلايات يعلوها كرنيش مزدوج، وتوجد عقود حدوة الفرس انقسم باطنها إلى فصوص





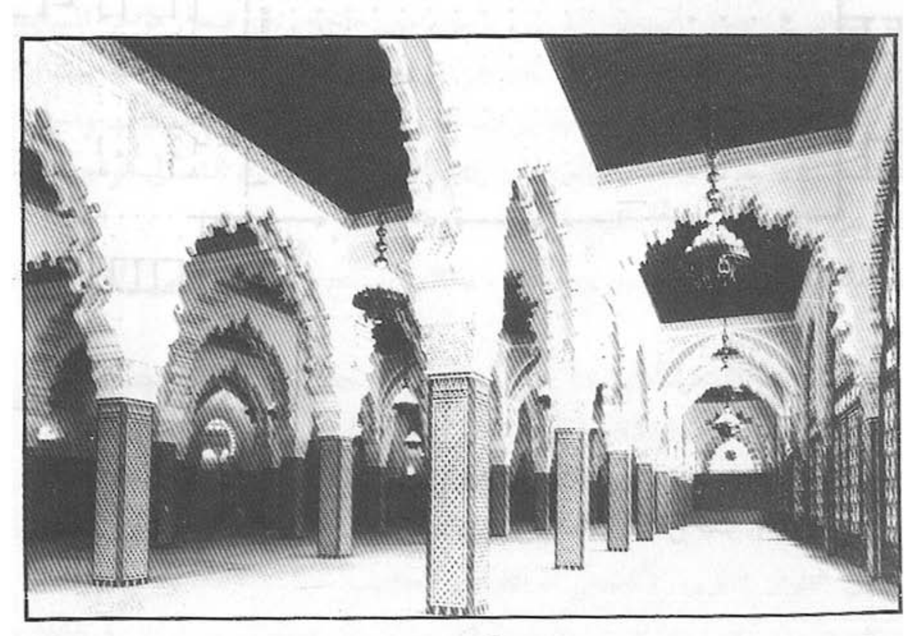
شكل 102

مسجد محمد الخامس، تخطيط الأساكيب والبلاطات داخل بيت الصلاة



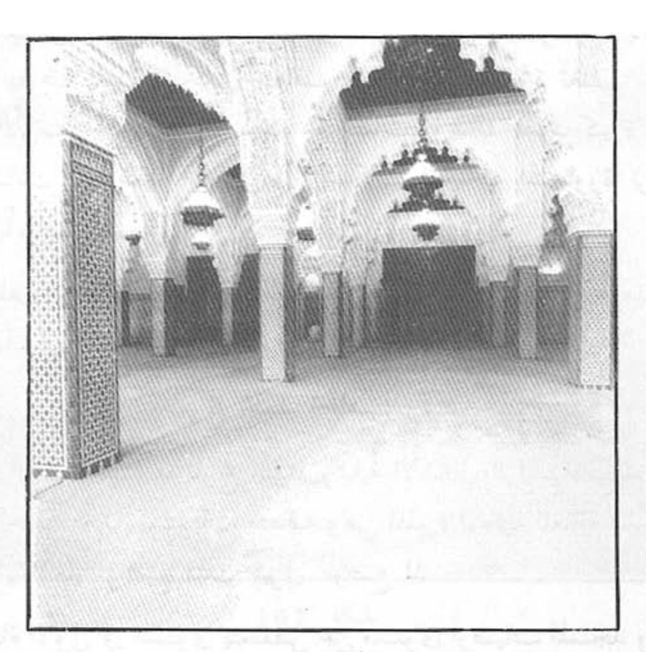
شكل 103

مسجد محمد الخامس، تخطيط الاساكيب والبلاطات داخل بيت الصلاة

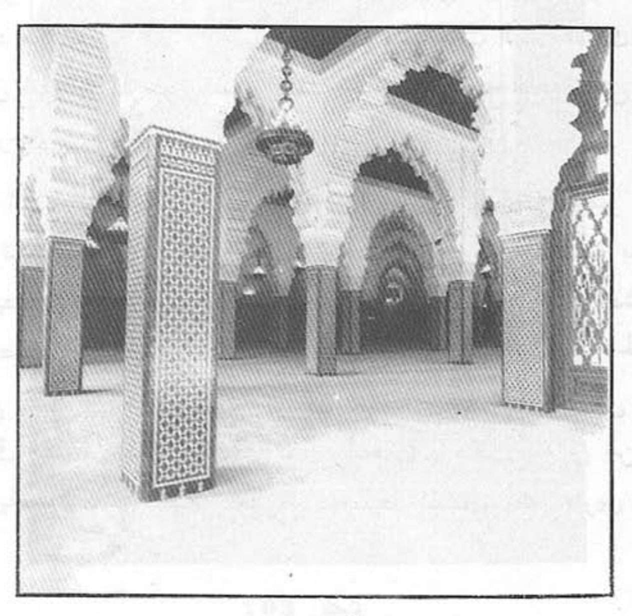


شكل 104

مسجد محمد الخامس، تفصيل هندسة السواري



شكل 105
مسجد محمد الخامس، بيت الصلاة



شكل 106
مسجد محمد الخامس، بيت الصلاة، الأساكيب والعقود، جهة الشرق

دقيقة ينقسم كل منها إلى ثلاثة فصوص أخرى يتوسطها فص مدبب وتعرف بالعقود الفستون، وهناك عقد آخر يعرف باسم الرخوي تتعاقب فيه عناصر صغيرة تغلف مساقطها زخرفة ثعبانية، وبالبلاط الأوسط عقود رخوية ذات مقرنصات، وهناك عقود كبيرة مفصصة واسعة المساحة يصنع تشابك فصوصها أشكالاً من شبكات المعينات المتجاورة نراها منحوتة في الخشب والحجر بأبواب الصحن.

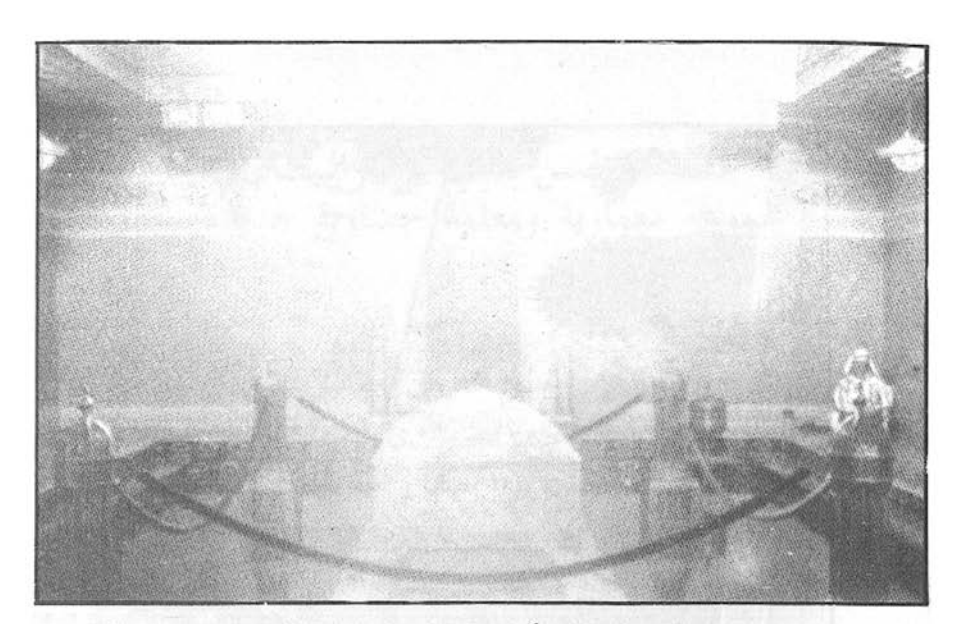
وتغطي أسقف الأساكيب الموازية بالمسجد (البرشلة) وهي هياكل هرمية نفذت بالملاط المسلح غشيت بالخشب من الداخل والقرمود الأخضر من الخارج.

ضريح محمد الخامس وقبته

مر بنا عند دراسة المسجد تاريخ ابتداء ونهاية الأشغال الرئيسية للمجموعة المعمارية، ويتكون بناء الضريح من ثلاثة مستويات متعاقبة وهي المقبرة الملكية للعائلة الملكية فوقها ضريح محمد الخامس فالقبة العليا وجميع ذلك شرقي موضع المسجد.

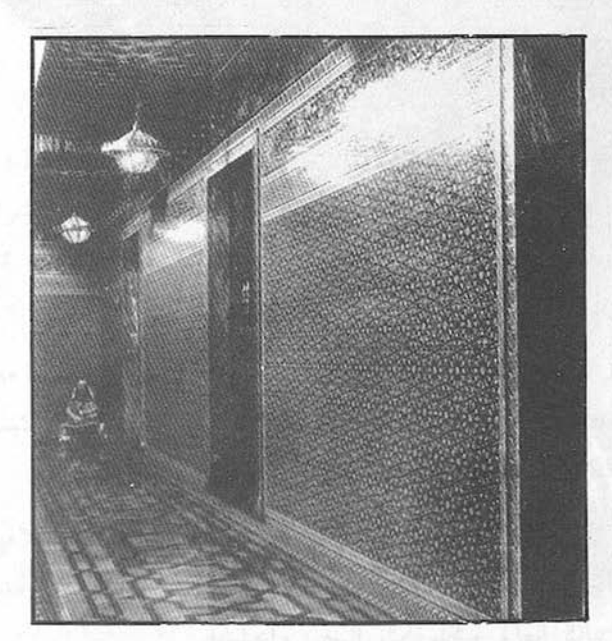
وتبدأ المرحلة الأولى في مستوى ينخفض عن مستوى أرضيات المسجد والمتحف الوطني بغربه، ويتوسط القسم السفلي جسم مستطيل مغلق مبني بالملاط المسلح ومكسو بالرخام الوردي يحيط به رواقان يتوسطهما صف من الأكتاف كبيرة الاتساع قليلة الارتفاع، ويحيط بالنواة الكبرى عدد من القبور المعدة لاستقبال شرفاء وشريفات البيت المالك، بينما يضم البناء المتوسط رفاة المولى المقدس المرحوم الملك محمد الخامس. وتفتح المقبرة على الصحن الشرقي للمسجد بأربع درجات رخامية.

أما المرحلة الثانية فوق ذلك فهي غرفة الضريح حيث كسوة القبر الرخامية (شكل 107 و108)، وتبدأ المرحلة الثالثة في مستوى قمم عقود بيت الصلاة بالمسجد ويتكون من شرفة كرواق يطل على قاعة الضريح تتوجها قبة مضلعة مذهبة، برشلة خشبية من الداخل، تغطيها القراميد الخضراء من الخارج (شكل 109)، هذا ويدور بالجدران الحاملة للقبة رواق من الجهات الأربع يفتح بأعمدة وعقود وبوائك جميعها من الرخام الأبيض في تماثل هندسي وزخرفي مع الرواق العلوي بالمصلى القائم فوق المتحف بالجانب الغربي من التخطيط العام للمجموعة المعمارية، ويتصل تخطيط الضريح بتخطيط المسجد عن طريق الصحن الجانبي الشرقي للمسجد.



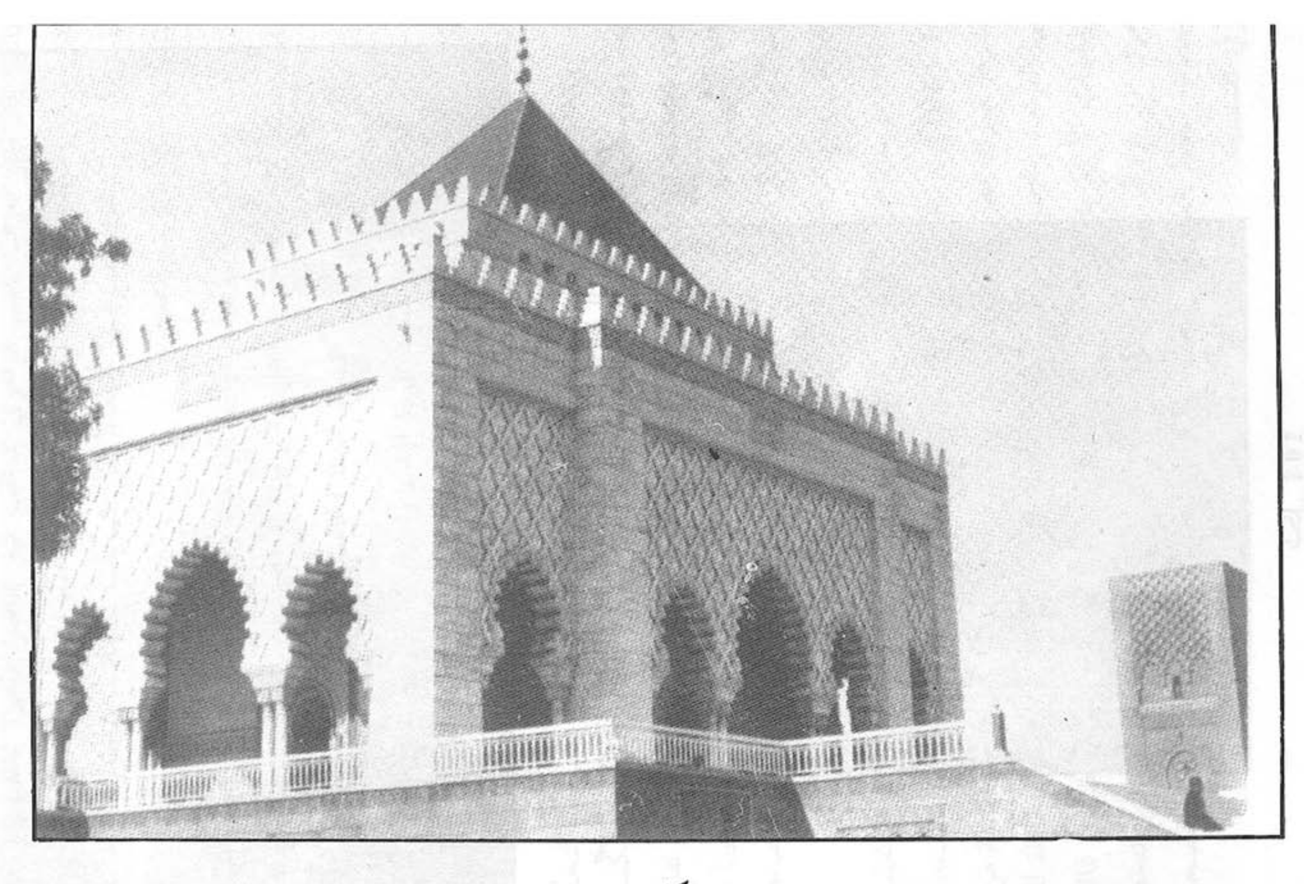
شكل 107

ضريح محمد الخامس، القاعة الوسطى، حيث تلاوة القرآن وكسوة القبر



شكل 108

ضريح محمد الخامس، القاعة الوسطى، تفصيل زخرفة الجدران



شكل 109

ضريح محمد الخامس، القبة العليا من الخارج

مسجد الحسن الثاني بالدارالبيضاء
مجموعة معمارية ومعلمة حضارية جديدة

تاريخ وتمويل المشروع :

أعلن العاهل المغربي أمير المؤمنين الحسن الثاني في خطاب عيد الشباب الثامن من يوليوز 1988 عن مشاركة فئات الشعب وشرائحه وتنظيماته في بناء هذه المعلمة الحضارية، وانطلقت عملية الاكتتاب في 20 يوليوز لمدة أربعين يوما بصفة رسمية وبلغت حصيلة المساهمات حوالي (356) مليون دولاراً، وظلت اللجنة الوطنية تتوصل بالمساهمات مباشرة وعن طريق الحساب المفتوح في الخزينة العامة للدولة، وتوالت المساهمات لبناء المسجد استجابة للحديث النبوي الشريف «من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة».

ويشتمل مشروع المجموعة المعمارية على مسجد ومدرسة قرآنية ومتحف وخزانة عامة (شكل 110 ـــ 111).

العمل والعمال :

يقوم بالعمل فريقان من العمال، فريق النهار ويتكون من (1400) عامل وفريق الليل ويتكون من (1100) عامل يعملون بمعدات متطورة تحت إشراف عشرات من المهندسين المتخصصين لانجاز المرحلة الكبرى خلال شهر يوليوز من سنة 1989 بمناسبة بلوغ عاهل المغرب سن الستين.

وبعد تمام المرحلة الكبرى، يبدأ الجزء الثاني من بناء المسجد والصومعة والمدرسة، وهو المتعلق بأشغال التغطية بالرخام ونقش الأحجار والخشب والجص وتركيب القرمود، وإتمام أشغال الكهرباء والماء والمقصورة. وقاعة الصلاة بالتجهيزات الضرورية.

وفي مرحلة تالية يتم تبليط الصحن الخارجي وبناء المتحف الاسلامي والخزانة العامة، وتقام في المرحلة الأخيرة ساحة مسجد الحسن الثاني والشارع الستيني الجديد وحوض بحري يضم أصنافاً من أسماك العالم ومخلوقات البحر وأعشابه.

ومنذ بداية الأشغال تم إقامة حاجز صخري كبير لمنع أمواج المحيط عن الموقع بعد تفريغه من الماء لتصل الأساسات إلى أرضية صخرية صالحة لتحمل البناء الضخم، على أنه

من المقرر إزالة هذا الحاجز بعد تمام البناء لوصول أمواج المحيط أسفل أرضية المسجد مع وضع حواجز لكسر قوة الأمواج لدى تسللها تحت المسجد والمدرسة القرآنية.

المسجد :

تبلغ مساحة المسجد في حد ذاته هكتارين ثلثاها مبني فوق البحر مرتفعة عنه بمقدار تسعة أمتار، ويرتفع سقفه عن أرضه بستين متراً، ويمتاز هذا المسجد المبني فوق أمواج المحيط الأطلسي بسقفه المعدني المغطى بالقرمود الفاسي الأخضر وهو سقف متحرك يفتح ويغلق حسب أحوال الطقس في ثلاث دقائق، ويبلغ اتساع الفتحة سبعين متراً طولاً وعشرين عرضاً، بينما يرتفع القسم الثابت من السقف على أعمدة مرتفعة تربطها العقود الهندسية المصممة مع بقية البناء بالملاط المسلح.

وتقام مقصورة النساء داخل فضاء المسجد على ارتفاع أكثر من (15) متراً عن سطح البحر أو ستة أمتار ونصف عن أرضية المسجد المرتفعة عن سطح البحر بتسعة أمتار..

ويتسع المسجد لحوالي عشرين ألف مصل، في حين يتسع صحنه الخارجي فيما بين المتحف والخزانة لحوالي ثمانين ألف مصل لترتفع الطاقة الاجمالية إلى مائة ألف مصل وتأتي في الترتيب بعد سعة الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

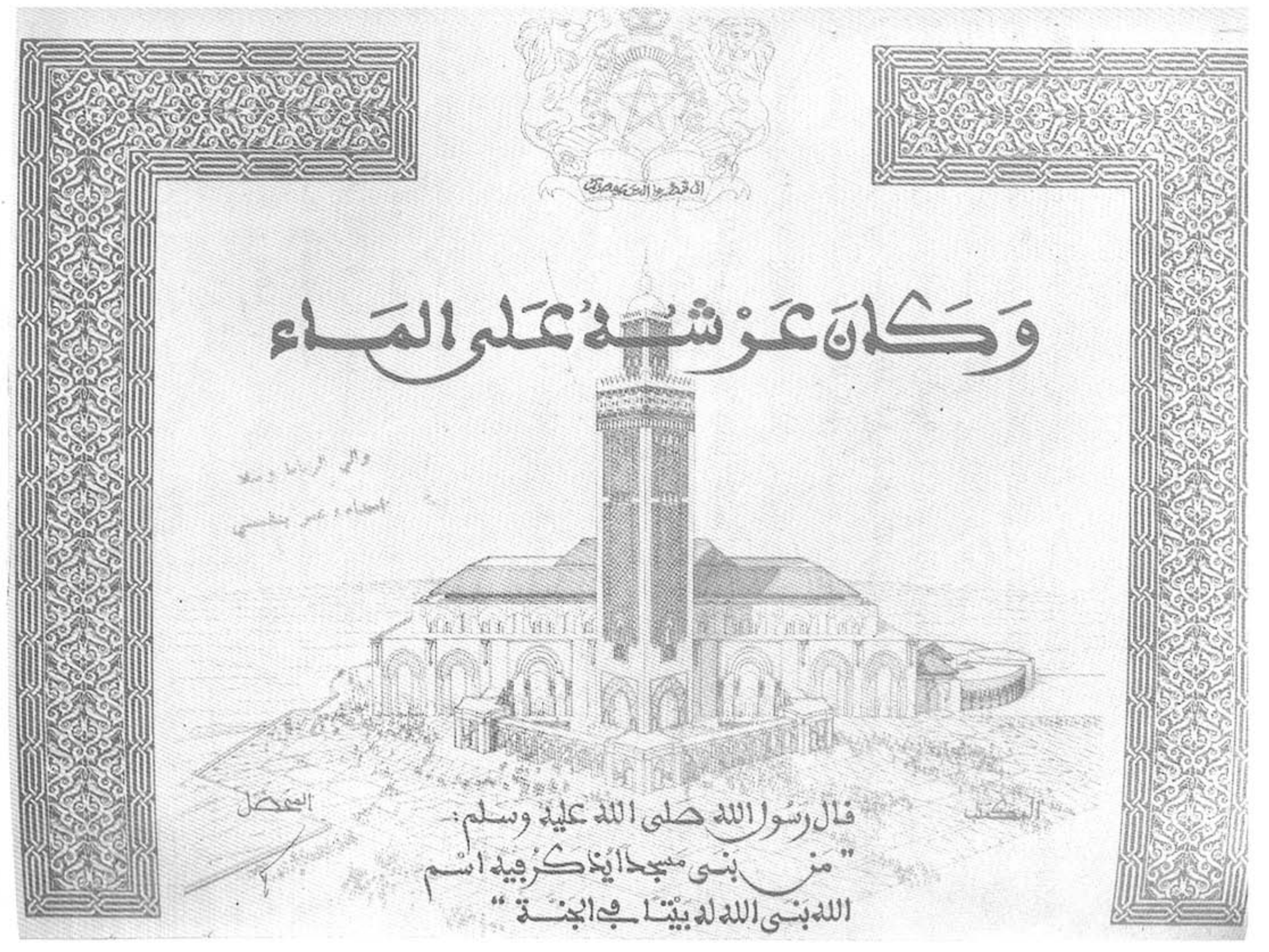
ومن المقرر أن تتم تغطية المسجد من الخارج والداخل بالرخام المغربي منمقاً بمنقوشات من الأحجار والأخشاب والجص والزليج، وتغطية السقف والحواشي المرتفعة بالزليج الأخضر تمشيا مع التقاليد المغربية في الزخرفة المعمارية وانسجاما مع بقية العناصر الزخرفية الوطنية.

وقد خصص لمحلات الوضوء طوابق تحت بيت الصلاة، فعلى ارتفاع 2,5 متراً من سطح البحر ميضأة الرجال، وعلى ارتفاع ستة أمتار من سطح البحر ميضأة النساء، كما تقام أسفل المسجد حمامات للرجال وأخرى مستقلة عنها للنساء تتسع جملتها لحوالي (1500) فرداً.

الصومعة :

تقوم الصومعة بمنتصف الواجهة الجنوبية للمسجد على مساحة (625) مترا مربعا (25 × 25) ويبلغ سمك جدارها متراً في الزاوية، وسبعين سنتيمتراً في الوسط، ينقص بالارتفاع إلى أن يصل إلى (30) سنتيمترا. ويبلغ ارتفاع الصومعة (172) متراً عن مستوى أرضية بيت الصلاة أي بحوالي (181) متراً فوق سطح البحر، وتتوفر على مصعد ودرج.

وسوف تغطى الصومعة بالأحجار المنقوشة متنوعة الزخرفة من واجهة إلى أخرى يعلوها إزار من الزليج الفاسي وشرّافات من الطراز المعماري العلوي، وتتوج صومعة الصومعة بقبة



شكل 110

مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، شهادة الإكتاب لتمويل المشروع

تعلوها ثلاث كرات معدنية، كما تقرر تجهيز ذروة الصومعة بشعاع ليزر يوضح اتجاه القبلة لسكان المدينة وتمتد رؤيته إلى مسافة ثلاثين كيلومترا[1].

المدرسة القرآنية :

حافظ مشروع المجموعة المعمارية على روح المجموعات الأثرية والتاريخية في الاسلام وعلى وظيفة المسجد كجامع وجامعة للتعليم والتثقيف، ولهذا تقام المدرسة القرآنية هنا على شكل هلال شرق محراب المسجد وتتكون من ثلاثة طوابق تضم قاعات مخصصة لحفظ القرآن الكريم وأخرى للعروض والمحاضرات والندوات، كما تتوفر على مكتبة مخصصة للعلوم الاسلامية، وعلى غرار ما توفر عليه المسجد، فقد توفر الطابق العلوي من المدرسة على سقف متحرك يفتح ويغلق حسب الحاجة تبعا لحالة الطقس.

المتحف والخزانة العامة :

حول الصحن الخارجي للمسجد يتقابل المتحف الوطني للفنون الاسلامية مع الخزانة العامة على مساحة سبعة آلاف متراً مربعاً جنوب المسجد الذي تحده من الجهة البرية ممرات يظللها النخيل[2].

---

(1) هذا موجز الدراسة وقت تنفيذ المشروع

(2) تحقيق بجريدة الشرق الأوسط 88/9/18 ص 7.

مسجد الحسن الثاني أو جامع الحسن الثاني...؟

منذ أول يوم لتأسيسها حملت المجموعة المعمارية الاسلامية الضخمة بشاطىء الدارالبيضاء المطل على المحيط الأطلسي غير بعيد عن مجمع البحرين شمالها اسم (مسجد الحسن الثاني).

وتشتمل المجموعة التاريخية كما مر بنا على عدد من العناصر المعمارية كالمسجد الجامع وقاعات الدرس والبحث وخزانات الكتب وغيرها بأسلوب إسلامي تاريخي بتقنية عصرية لم يسبق لها مثيل موقعا وسعة وتقنية وعمارة وزخرفة.

وعلى الرغم من أن هذا العمل النموذجي لعصر الحسن الثاني يحمل اسم (مسجد) منذ بداية تأسيسه، فربما يظهر بحثنا هذا أن مصطلح (جامع الحسن الثاني) يكون أكثر انسجاما ومطابقة للاسم على المسمى...

ولننظر الآن في لفظتي (مسجد) و (جامع) الواردة ضمن آيات القرآن الكريم، وبعدها ننظر في مصطلح تاريخ العمارة الأثرية الاسلامية لنرى أي اللفظين أوفق لتسمية مشروع أمير المؤمنين الحسن الثاني المنفذ شطره الأكبر على الماء...

جامع :

ورد اللفظ في القرآن الكريم[1] ثلاث مرات وكلها لا تعني موضع الصلاة أو تشير إلى المسجد أو المسجد الجامع الذي يجمع المصلين في الصلوات الجامعة :

1 – ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسَ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ آل عمران آية 9.

2 – ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ النساء آية 140.

3 – ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ النور آية 62.

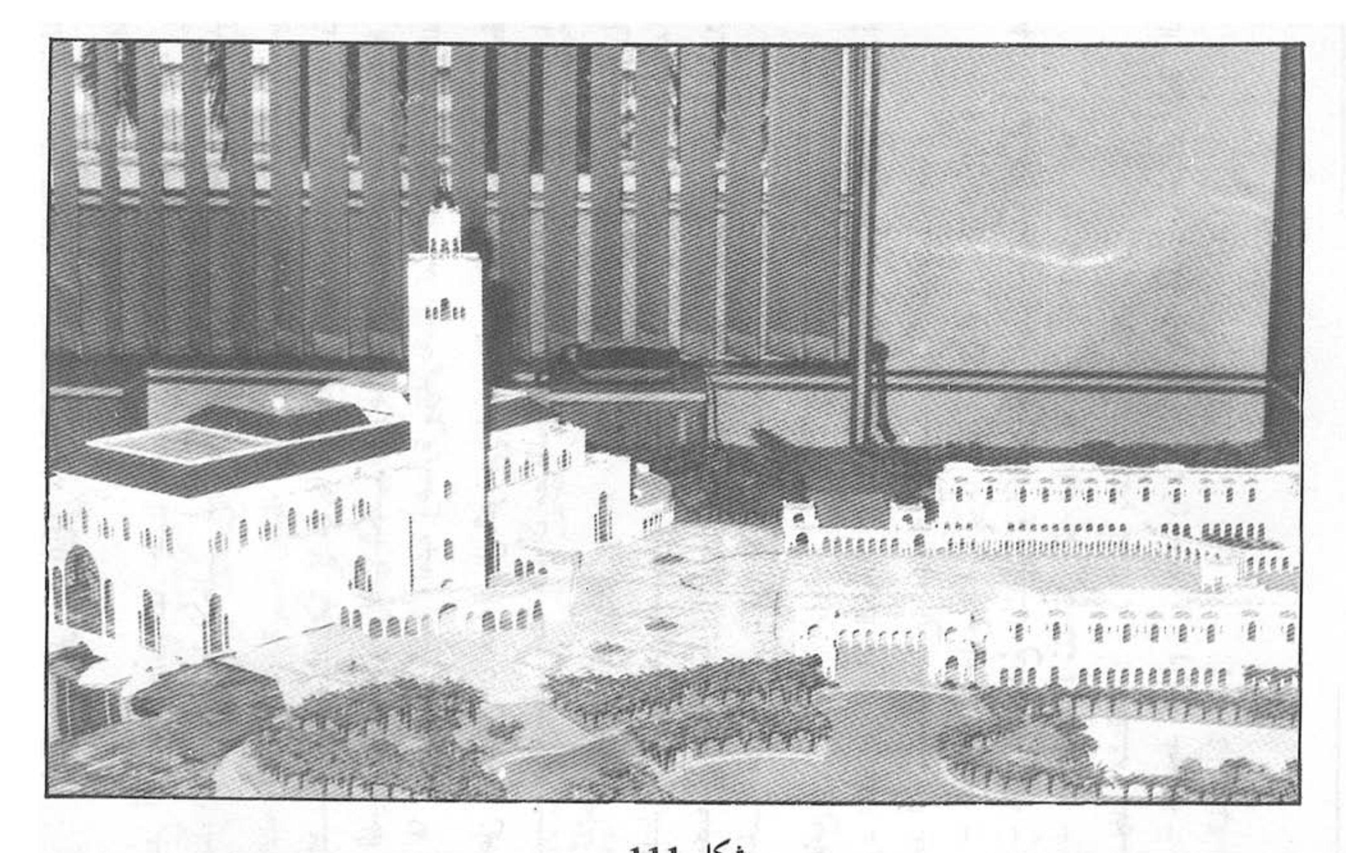
مسجد ومشتقاتها : ورد اللفظ بالقرآن الكريم 28 مرة :

1 – المسجد الحرام : وردت (15) مرة[2] منها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ البقرة آية 144.

---

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضع محمد عبد الباقي، بيروت ص 176.

(2) بقية الآيات بالمعجم المفهرس ص 345.



شكل 111

مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، مجسم للوحدات الرئيسية بالمشروع

2 – المسجد الأقصى : وردت مرة واحدة ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ الاسراء آية 1.

3 – مسجد : وردت أربع مرات[1] منها ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الأعراف آية 29.

4 – مساجد : وردت ست مرات[2] منها ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ الجن آية 18.

5 – مسجدا :

وردت مرتين الأولى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ التوبة 107.

والثانية ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ الكهف 21.

وهكذا نرى أن لفظة (جامع) لم ترد في القرآن الكريم بمعنى مكان الصلاة، في حين وردت لفظة (مسجد) تشير إلى مكان الصلاة سواء كان ساحة مكشوفة كقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وسواء كان مكانا للصلاة داخل بناء مؤسس بقصد الصلاة والعبادة مثل :

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ التوبة 108.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ التوبة 107.

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ الكهف 21.

مسجد الرسول بالمدينة :

والمعلوم أن أسس بناء وحدات وعناصر عمارة المسجد في الاسلام وضعت في مسجد الرسول[3] بالمدينة وهي عبارة عن مساحة محددة منتظمة كلما سمحت ظروف الموقع مربعة أو مستطيلة أو شبيهة بذلك يقام فوقها بيت للصلاة (ORATOIRE) يكون جدار القبلة أساس تخطيطه، وينقسم بيت الصلاة إلى أساكيب (المفرد أسكوب TRAVEE) تسير في موازاة حائط القبلة، وتنقسم الأساكيب إلى بلاطات (المفرد بلاط أو بلاطة NEF) عمودية على المحراب، ويقابل بيت الصلاة المؤخر وهو سقيفة في الجانب الشمالي، ثم أضيفت المجنبات لتتصل المسافة بين المؤخر وبيت الصلاة علي جانبي الصحن المتوسط الفسيح الأساسي في التخطيط، ويتوسط حائط القبلة محراب، ثم تطورت عدة عناصر في الأقاليم الاسلامية المختلفة تبعا لاختلاف المناخ والموقع والمواد المحلية واشتملت المساجد على المنابر والمحاريب المجوفة وغيرها (فلم تكن للمساجد الأولى مآذن ولا منابر ولا مقصورة ولا محاريب مجوفة[4]...)

(1) نفس المصدر والصفحة.
(2) نفس المصدر والصفحة.
(3) المرحوم الدكتور أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل ص 293 الفصل العاشر.
(4) المرحوم الدكتور زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص 34.

المسجد الأقصى : لم يكن المسجد الذي أسسه الخليفة عمر بن الخطاب قائما بالقدس الشريف وقت نزول الآية الكريمة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى...﴾، فالمقصود بالمسجد الأقصى هنا الموقع الذي شرفه الله تعالى بالصخرة المباركة التي كانت بداية معراج الرسول وبنيت فوقها قبة الصخرة[1] في العصر الأموي، أما المسجد الذي أسسه الخليفة عمر فقد أعاد بناءه عبد الملك بن مروان 65هـ (685م) أو ابنه الوليد 87هـ (706م)،ويختلف المسجد الحالي عن المسجد الذي أسسه عمر وأعيد بناؤه في صدر الدولة الأموية[2].

المسجد الحرام : والمسجد الحرام ليس بناء ولا يعقل أن يكون كذلك لأن كل مسلم يسكن الكوكب الأرضي قد فرض عليه واجب الحج متى توفرت الاستطاعة، ولهذا شاءت حكمته تعالى أن يكون الحرم المحيط بالكعبة المشرفة جميعه مسجدا وقبلة لملايين المسلمين الحجاج والمعتمرين من الطائفين والعاكفين والركع السجود.

لفظتا (المسجد[3]) و (الجامع) في مصطلح تاريخ العمارة الأثرية الاسلامية :

فباستثناء الحالتين المذكورتين (المسجد الأقصى) و (المسجد الحرام)، يصطلح علماء الآثار الاسلامية اعتمادا على العرف الجاري في أنحاء العالم الاسلامي على قصر لفظة (مسجد) على البناء متواضع الأبعاد المعد للصلاة بمختلف قطائع المدينة الاسلامية، بينما تشير (الجامع) و (الجامع الأعظم) إلى المسجد الكبير الذي يجمع المصلين في الجمعة والصلوات الجامعة، وكان يتخذ مركزا لتخطيط المدينة الاسلامية تبنى جواره دار لامارة والادارات الاسلامية لتصبح مركز الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية بل والحربية كذلك... وهكذا يقال :

المسجد الجامع بالبصرة : (14هـ، 635م) أول مسجد أنشىء بعد الفتوحات الاسلامية وكانت البصرة أول مدينة أحدثت في الاسلام بعد الفتوح.

المسجد الجامع بالكوفة : (15هـ،636م) أنشىء بثاني مدينة أحدثت في الاسلام.

المسجد الجامع بالقيروان[4] : (50 ــ 105هـ، 670 ــ 723م) وضع أساسه الصحابي عقبة بن نافع برابع مدينة أحدثت في الاسلام بعد البصرة والكوفة بالعراق والفسطاط بمصر.

---

(1) كتابنا المنشور بجريدة الأنباء المغربية تباعا من 85/3/18 (عروبة القدس وعمارة قبة الصخرة) وانظر المدخل لأحمد فكري ص 166 (وهي أقدم بناء هام قائم ثابت التاريخ بناه عبد الملك بن مروان الأموي وانظر : كريسويل، العمارة الاسلامية المبكرة قسم أول ص 17.

(2) أحمد فكري : المدخل ص 210/209.

(3) أنظر (مسجد) بدائرة المعارف الاسلامية.

(4) أنظر المسجد الجامع بالقيروان أطروحة المرحوم الدكتور أحمد فكري، وبالانجليزية : كريسويل العمارة الاسلامية المبكرة قسم 2 ص 249، وفنون الاسلام للمرحوم زكي محمد حسن ص 42.

المسجد الجامع بواسط[1] بالعراق : (84هـ، 703م) بناه الحجاج بن يوسف الثقفي.
المسجد الجامع بدمشق[2] (أموي) : (87هـ، 707م) بناه الوليد بن عبد الملك.
مسجد سامراء[3] الجامع : (بين 232هـ و247هـ) بناه المتوكل العباسي.
مسجد أبي دلف[4] الجامع : بناه المتوكل بالجعفرية التي أسسها بعد سامراء وبدأه 245هـ، 860م)
مسجد قرطبة[5] الجامع : (170هـ، 786م) بناه عبد الرحمن الداخل، أقدم مسجد قائم في الاسلام وثالث المساجد الكبرى مساحة بعد مسجدي سامراء ووابى دلف المندثرين.
المسجد الجامع بسوسة : (236هـ، 850م) بافريقية تونس الحالية.
مسجد الزيتونة[6] الجامع : (114هـ ــ 250هـ، 732 ــ 864م) بافريقية تونس الحالية.
جامع القرويين[7] بفاس : أسسته فاطمة الفهرية 245هـ ووسعه الزناتيون وأقاموا صومعته الحالية 345هـ واتخذ الجامع تخطيطه النهائي في عصر دولة المرابطين.
جامع الكتبية[8] بمراكش : بناه الموحدون 553 هجرية.
الجامع الأزهر بالقاهرة : تم بناؤه 361هـ، 972م بناه القائد جوهر الصقلي باسم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله[9].
جامع القصبة الكبير باشبيلية أو المسجد الأعظم بقصبة اشبيلية : أمر ببناءه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي 567هـ واستمر العمل إلى 571هـ وأتمه وأقام صومعته الشهيرة (لاخيرالدا) أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور سنة 593هـ[10].

---

(1) المدخل لأحمد فكري.
(2) كريسويل : نفس المصدر ص 44 والمدخل لأحمد فكري ص 216.
(3) فنون الاسلام ص 54 وكريسويل نفس المصدر قسم 2 ص 259 وجورج مارسيه L'ART DE L'ISLAM
(4) كريسويل نفس المصدر ص 280 قسم 2.
(5) كريسويل نفس المصدر ص 280 قسم 2 ص 213 والمدخل لأحمد فكري ص 242.
(6) كتاب مسجد الزيتونة بتونس للدكتور المرحوم أحمد فكري.
(7) كتابنا حفائر شالة الاسلامية وكتابنا (تاريخ العمارة الأثرية والفنون الاسلامية بالمغرب ج 1 عصر الأدارسة وزناتة)، ج 2 عصر المرابطين، وجامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي.
(8) كتابنا تاريخ العمارة ج 3 عصر الموحدين، وهنري تيراس (مساجد وحصون الموحدين) بالفرنسية SANCTUAIRES ET FORTERESSES AL MOHADES.
بدأ الكتبية الثانية الحالية عبد المؤمن بن علي وبدأ بناء الصومعة خلفه يوسف وأتمها يعقوب المنصور.
(9) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص 62 وانظر العمارة الاسلامية المبكرة لكريسويل الكتاب الأصلي القسم الأول الخاص بمصر.
(10) محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية ص 46، والمغرب الكبير ج 2 ص 836.

جامع أو مدرسة السلطان حسن بالقاهرة : بناه الناصر حسن بن الناصر محمد 757هـ، 1356م (وهو أجمل العمائر الاسلامية بمصر والشام) بالقاهرة في مواجهة قلعة صلاح الدين[1]

وهكذا، لا يقال : مسجد القيروان أو مسجد القرويين أو المسجد الأزهر أو مسجد السلطان حسن، وإنما يقال : جامع القيروان أو المسجد الجامع بالقيروان وجامع القرويين والجامع الأزهر وجامع السلطان حسن.

وكذلك يتميز المصطلح في اللغات الأوروبية، فلا يقال : (LA MOSQUEE DE HASSAN) ولا يقال (LA MOSQUEE DE CORDOU) وإنما يقال في اللغة الفرنسية : (LA GRANDE MOSQUEE DE CORDOU).

وفي اللغة الانجليزية لا يقال : (THE MOSQUE OF UMAYYAD)، وإنما يقال : (THE GREAT MOSQUE OF UMAYYAD) كما يقال عن جامع دمشق الأموي: (THE GREAT MOSQUE OF DAMASCUS).

وهكذا يتضح أن المجموعة المعمارية الاسلامية التي شيدها أمير المؤمنين الحسن الثاني بالدارالبيضاء مطلة على البحر المحيط قرب مجمع البحرين (شمالها)، لا أدري، ربما يكون من الأوفق تعريفها (بجامع الحسن الثاني) لينطبق الاسم على المسمى، ومن قال لا أدري فقد أفتى، ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ صدق الله العظيم.

---

(1) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص 73، وانظر :
GEORGE MARCAIS : L'ART DE L'ISLAM, P. 125

أبرز خصائص العمارة الدينية في عهد الأشراف العلويين
عودة تخطيط المساجد العلوية إلى الطراز المبكر
أهم مميزات المساجد العلوية وخصائصها
إلغاء مسجد محمد الخامس لفكرة المجاز القاطع

1 - عودة تخطيط المساجد العلوية إلى الطراز المبكر :

لننظر الآن في تاريخ العمارة الاسلامية بالمغرب فيما يخص تخطيط المساجد، وقد أعقب عصر الأشراف أصحاب الطبقة الثانية (بعد الأشراف الأدارسة) عصر المرينيين وأتباعهم بني وطاس، وقد تخلفت مآثر عديدة للمرينيين تستحق النظر فيها ضمن سلسلة التطور التاريخي للعمارة المغربية.

وإذا كانت مساجد المرينين تشتمل دون استثناء على بيت للصلاة يزيد عمقه عن طول جدار القبلة لأسباب سياسية ومعمارية أوضحناها بالجزء الرابع من كتابنا تاريخ العمارة الاسلامية والفنون[1] مع اتجاه عقود المسجد عمودية على اتجاه حائط المحراب والتفاف الأروقة الجانبية أو المجنبات حول الصحن، فإن تخطيط المسجد العلوي يؤكد اختلافه عن تلك القواعد حيث أنه يتميز بطول جدار القبلة عن العمق واتجاه العقود في موازاة حائط المحراب وخلو الصحن من المجنبات.

ولعل من اليسير كذلك النظر في تصميمات مساجد الأشراف السعديين كجامع باب دكالة بمراكش الذي أسسته السيدة مسعودة بنت أحمد والدة أحمد المنصور عام 965هـ (1557م). إن تخطيطه العام لا يختلف مطلقا عن تخطيط مساجد المرينيين حيث يزيد عمق بيت الصلاة عن طول جدار القبلة مع اتجاه عقود بيت الصلاة عمودية على اتجاه حائط المحراب ووجود الأروقة المحيطة بالصحن. وكذلك الحال في جامع المواسين المؤسس بمراكش بعد بناء جامع دكالة بنحو خمس سنوات (1652م) وهو يعكس نفس تقاليد جامع باب دكالة، محتفظا بمعظم مميزات مساجد المرينيين مع وجود المجنبات حول الصحن ووضع الصومعة خارجة عن مستوى الواجهة الرئيسية بنهايتها الشرقية. وفي زاوية سيدي ابن سليمان[2] الجزولي بعاصمة

(1) كتابنا تاريخ العمارة الاسلامية والفنون، ج 4 عصر المرينيين.

(2) جورج مارسيه : العمارة الاسلامية الغربية (بالفرنسية) شكل 239 ص 386.

الجنوب مسجد سعدي بنفس النظام المعماري وفق التقاليد المرينية العامة المشار إليها سابقا، والمختلفة مظهرا وجوهرا مع التقاليد المعمارية التي ترسم خطاها مهندسو العلويين.

ويوضح لنا الانتقال إلى عصر الأشراف العلويين المجهود الكبير في تطوير التقاليد الرئيسية لعمارة المساجد قصد العودة إلى الأصول المبكرة للعمارة الاسلامية التي وضعت نواتها الأولى بالمغرب منذ عصر الأشراف الأدارسة فيما يتعلق على الخصوص بنظام التخطيط في بيوت الصلاة واتجاه العقود الحاملة للأسقف بالاضافة إلى مميزات أخرى اقتضتها أساليب العمارة العلوية.

فمسجد للا عودة بمكناس (1672 ــ 1727م) يشتمل على أربعة أساكيب عقودها موازية لحائط القبلة أكثرها سعة أسكوب المحراب[1]، مع زيادة طول جدار القبلة عن عمق بيت الصلاة. وبمسجد الروا بمكناس من عصر مولاي محمد بن عبد الله (1762 ــ 1790م) أربعة أساكيب عقودها موازية لجدار القبلة مع زيادة طول حائط القبلة عن عمق بيت الصلاة. وبمسجد مولاي عبد الله بفاس الجديد ثلاثة أساكيب عقودها موازية كذلك مع زيادة طول جدار المحراب عن العمق. وبمسجد باب الجيسا بفاس القديم من عصر مولاي محمد بن عبد الله أو ولده مولاي سليمان أسكوبان فقط عقودها موازية لحائط القبلة الذي يزيد طوله عن عمق بيت الصلاة.

إن الوضع الجديد في التخطيط العام لاتجاه العقود وطول جدار القبلة الذي شاهدناه الآن في عمارة العلويين الدينية يتفق تماما مع ما نلاحظه بمسجد ملينة برباط الفتح الذي أفردنا له دراسة ميدانية خاصة لتحليل عناصره[2]، فبيت الصلاة بهذا المسجد يشتمل على أسكوبين اثنين فقط ويزيد جدار قبلته عن عمق بيت الصلاة وتسير العقود موازية لحائط القبلة. وتؤكد الدراسة المقارنة التي قمنا بها لمساجد العلويين أن جميع مساجدهم الجامعة وحتى مساجد الأحياء التي يؤسسها الخواص تتميز بقلة عدد الأساكيب وموازاة العقود للقبلة وطول جدار المحراب عن عمق المسجد ويعتبر ذلك كله إيذانا بظهور طراز جديد في تخطيط المساجد المغربية يقصد به على عصر الأشراف العلويين إحياء ذكرى التقاليد الاسلامية المبكرة التي أرست قواعدها طبقة الأشراف الأولى أيام الأدارسة بفاس والتي ترسمت خطو الفلسفة الأصلية لتخطيط مسجد الرسول عليه السلام بالمدينة.

---

(1) يزعم جورج مارسيه أن أسكوب المحراب المتسع في التخطيط الأرضي يصنع مع التغطية الهرمية لبلاط المحراب شكل حرف التاء اللاتيني (T)، انظر كتابه المذكور ص 388 وردنا عليه في : جريدة الأنباء الرباط 1975/3/3م بمقالنا (انتصار العمارة الاسلامية في عهد الحسن الثاني).

(2) بحثنا بمجلة الفنون الرباط أبريل/مايو 1975 ص 38 + 14 لوحة وتصميم بعنوان : مسجد ملينة برباط الفتح دراسة تاريخية وأثرية.

2 ــ أهم مميزات المساجد العلوية وخصائصها :

وبقصد تحديد تلك المميزات انفقت عدة شهور من عام 1975م خصصتها للدراسة الميدانية والمقارنة لمساجد العلويين، فإذا ما تواجدنا بمنطقة الرباط بالذات فإننا نستطيع أن ندرس على سبيل المثال (الآن) لا الحصر عددا من المساجد العلوية للوقوف على مدى الاتفاق بينها وحصر أبرز خصائصها.

إن زيادة طول جدار القبلة عن عمق بيت الصلاة نراها في جامع السنة[1] 1199هـ (1785م) وجامع مولاي سليمان[2] 1812م كما نراها في سيدي فاتح 1270هـ (1854م) وجامع النخلة[3] 1815م.

ونلاحظ قلة عدد الأساكيب داخل بيت الصلاة بمسجد السنة الذي يشتمل على الرغم من عظم مساحته على ثلاثة أساكيب، وجامع مولاي سليمان ثلاثة أساكيب، وجامع عطية[4] 1093هـ (1682م) ثلاثة أساكيب، وبجامع النخلة ثلاثة أساكيب، وسيدي فاتح أسكوبان اثنان فقط، وبمسجد ملينة الذي درسناه وأرجعنا تاريخه إلى العصر العلوي أسكوبان اثنان فقط كذلك.

ونرى العقود الموازية لجدار القبلة بجامع السنة ومولاي سليمان وجامع ملينة وجامع الجزارين[5] بشارع القناصل 1812م، وجامع الزاوية الناصرية[6] من القرن الثامن عشر م، وجامع عطية وجامع النخلة وسيدي فاتح.

كما لا يتميز بلاط المحراب سعة في جميع تلك الأمثلة عن بقية بلاطات المسجد.

ومن الجدير بالملاحظة أيضا أن محاريب تلك المجموعة من المساجد العلوية دون استثناء قد بنيت على هيئة التخطيط المضلع.

وقد استعملت الدعائم لحمل العقود (دون الأعمدة) بجامع السنة وجامع مولاي سليمان وجامع الجزارين.

ويخلو الصحن من الأروقة والمجنبات في جامع السنة وجامع عطية وجامع النخلة وسيدي فاتح[7].

---

(1) جاك كاييي : مدينة الرباط (بالفرنسية) ج 2 شكل 135.

(2) نفس المصدر شكل 153.

(3) نفس المصدر شكل 163.

(4) نفس المصدر شكل 162، وجميع تلك التخطيطات من وضع زميلنا السابق جان هينو بمصلحة المباني التاريخية بالرباط ولا زالت أصولها محفوظة بأرشيفات المصلحة.

(5) نفس المصدر شكل 158.

(6) نفس المصدر شكل 159.

(7) تغاضينا عن ذكر المساجد الخالية من الصحون والتي عرفت عدة إضافات تاريخية.

وإذا كانت معظم تلك المساجد قد أقيمت على مساحات صغيرة أو غير منتظمة تعرضت فيما بعد لعدة إضافات الأمر الذي لا يوضح حاليا عناصرها الأصلية، غير أن جامع السنة المنتظم الشكل الكبير المساحة يشتمل مثله مثل مسجد ملينة مثلا على عدد من الحجرات بأحد جوانب الصحن كمأوى للطلبة، وهو ما شاهدناه في مساجد فاس العلوية.

هذا ويتأكد الشبه بين تلك المجموعة المعمارية بالرباط من حيث المحافظة على التقليد العام في اختيار موقع الصومعة على غرار صومعة جامع السنة التي تحتل الركن الشمالي لتخطيط الجامع داخلة في زاوية الصحن. و لم يشد عن هذه القاعدة مهندس جامع مولاي سليمان الذي أراد تحقيق مساحة داخلية أكبر في حي كثيف السكان فوق مساحة غير منتظمة محاطة بعدة شوارع ومبان، فعمد إلى وضع الصومعة في المكان التقليدي[1] خارجة عن حدود جدران الصحن. وقد التزمت صومعة الزاوية الناصرية وجامع النخلة بنفس التقليد العلوي.

وفضلا عن هذا كله فقد لاحظنا ظاهرة معمارية خاصة أخرى بمسجد ملينة ومساجد السنة والنخلة وسيدي فاتح على سبيل المثال، ذلك أن واجهة بيت الصلاة تطل على الصحن في مسجد ملينة بثلاثة عقود فقط بينما سدت بقية الواجهة بحائط للفصل بين بيت الصلاة والصحن على جانبي الأقواس وفيما بينها وبين جدران المسجد الشرقية والغربية.

لقد لاحظنا نفس الفكرة بجامع السنة (ببيت الصلاة 15 بلاطا) حيث سدت واجهة بيت الصلاة من كل ناحية بما يوازي اتساع أربعة بلاطات وأشرفت على الصحن بسبعة عقود فقط، وقد تكررت تلك الظاهرة بعد الأسكوب الثاني بجامع النخلة، كما ظهرت في تخطيط وعمارة سيدي فاتح بوضوح بعد الأسكوب الثاني كذلك.

وفكرة الفصل هذه يمكن تفسيرها برغبة المهندس في تحقيق الهدوء داخل بيت الصلاة لوجود بيوت الطلبة على مقربة منه داخل نفس المبنى بصحن الواجهة الرئيسية بجامع السنة والواجهة الجنوبية الغربية بمسجد ملينة. ولكن ذلك التفسير يظل ناقصا بالنسبة لحالتين اخريين بجامع النخلة وسيدي فاتح حيث لا توجد بيوت للطلبة، ومن ثمة يرجح تفسيرها برغبة المهندس في خلق طراز يميز تخطيطه العلوي بجامع السنة ومسجد ملينة يتكرر فيما بعد بالأمثلة الأخرى مع الرغبة الحقيقية في تقوية البناء وزيادة قدرته على حمل أثقال السقوف نظرا إلى الظروف السياسية والحربية[2] التي تميزت بها تلك الحقبة. ويؤيد تلك الفكرة الأخيرة وجود الظاهرة المعمارية المذكورة بصورة أخرى حيث تعمد البنّاء زيادة المساحة المقامة فوقها الدعائم المتصلة

---

(1) جاك كايي، نفس المصدر ج 2 شكل 153.

(2) الزياني : الترجمانة الكبرى : تحقيق عبد الكريم الفيلالي ص 14/13 للوقوف على حالة الفوضى الفتن مستهل حكم محمد بن عبد الله.

بالجدران لحمل نهايات العقود الجانبية ومبالغته في ذلك لتحقيق نفس الغرض، الأمر الذي نشاهده في جامع مولاي سليمان وجامع الجزارين والزاوية الناصرية لصق الجدار الغربي على الخصوص، وجامع عطية، وجامع النخلة بطرفي الأسكوب الأول، ومثله تماما مسجد سيدي فاتح الذي بالغ في ذلك فزاد في مساحة الدعيمة حتى أصبحت حائطا بارزا بنهايتي الأسكوب الأول. وتتأكد تلك الفكرة بملاحظة سمك الجدران بالنسبة لمساحة المسجد، فسمك جدران مسجد ملينة يبلغ مترا كاملا مع أن مساحته لا تتعدى 23,65 × 23,50 مترا، ويقصد التقوية كذلك ظهرت واجهة أخرى لبيت الصلاة بجامع السنة مفتوحة البوائك على الصحن أمام الواجهة الأصلية المدعمة بالفاصل المذكور.

ومهما يكن أمر تلك الاجتهادات التي أوضحناها، والتي يمكن أولا وأخيرا تلخيصها في إمكان اعتبار تلك الظاهرة المعمارية مميزة لعمارة العلويين الدينية، فلعل متابعة تقصي بحث تلك الظاهرة يكشف لنا عن وضع نظرية جديدة في عمارة العلويين تمكننا من استخدامها في تأريخ المباني التاريخية المغربية غير المؤرخة قياسا على نظريتنا السابقة في العمارة المرينية[1] التي نشرناها منذ عام 1962م وهي نظرية القص المتماثل في تخطيط المباني الدينية والمدنية التي استخدمناها في تأريخ الجامع الكبير (جامع الخرازين) بالرباط.

وهكذا يمكن تلخيص مميزات المساجد العلوية على ضوء الأبحاث المعروضة الآن والتي توصلنا إليها بالدراسات المباشرة واعتمادا على المظاهر المعمارية ومميزات التخطيط في : استعمال مهندسي المساجد العلوية للعقود الموازية لجدار القبلة وطول جدار القبلة عن عمق بيت الصلاة، ثم قلة عدم عدد الأساكيب، وعدم تمييز بلاط المحراب في الاتساع، واستعمال الأكتاف والفواصل واستطالة الأكتاف الجانبية، وخلو الصحن من البوائك والاضافات، ووجود بيوت الطلبة بأحد جوانب الصحن في المساجد التي لا يشتمل تخطيطها على مدارس الطلبة، وأخيرا من حيث التقليد العام في اختيار وضع الصومعة.

---

(1) كتابنا حفائر شالة الاسلامية وكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش لمراجعة النظرية وتجاربها ونتائجها.

3 ــ إلغاء مسجد محمد الخامس لفكرة المجاز القاطع :

فكرة المجاز القاطع :

عندما لاحظ بعض المستشرقين اتساع بلاط المحراب بالأزهر الشريف قال هوتكور أنه يشبه فناء (NEF) البازيليكا المسيحية وقال كريسويل أنه كان أول مثال من نوعه في العمارة الاسلامية ويشبه ذراع الكنيسة (TRANSEPT)، وقال مارسيه عند دراسته لجامع القيروان أن بلاط المحراب المتسع يشبه فناء الكنيسة البازيليكية وأن المسجد مدين للكنيسة في ذلك التخطيط حيث يصنع البلاط الأوسط شكل حرف التاء اللاتيني (T) المستمد من البازيليكا، ثم عاد في كتابه عن العمارة الاسلامية الغربية وقال بأن تخطيط مسجد تنمل يؤكد نظام حرف (T) الذي ظهر بالقيروان وأن ذلك النظام نفسه يتضاعف في مسجد الكتبية، كذلك قرر لامبير أن البلاط الأوسط في مساجد قرطبة وتازا ومراكش وإشبيلية والرباط وفاس جعل لمساجد المغرب والأندلس نظاما خاصا وهو النظام الصليبي. وقال بروسبير ريكار أن مساجد المرابطين بفاس وتلمسان والبلاط الرئيسي المتجه نحو المحراب والأكثر سعة عن بقية البلاطات يصنع مع أسكوب المحراب شكل حرف التاء اللاتيني ويذكر بالصليب في الكنائس المسيحية وهكذا يبدو المسجد المغربي من فصيلة الكنيسة البازيلكية المسيحية، وهو نفس الادعاء الذي دعمه هنري تيراس كذلك[1].

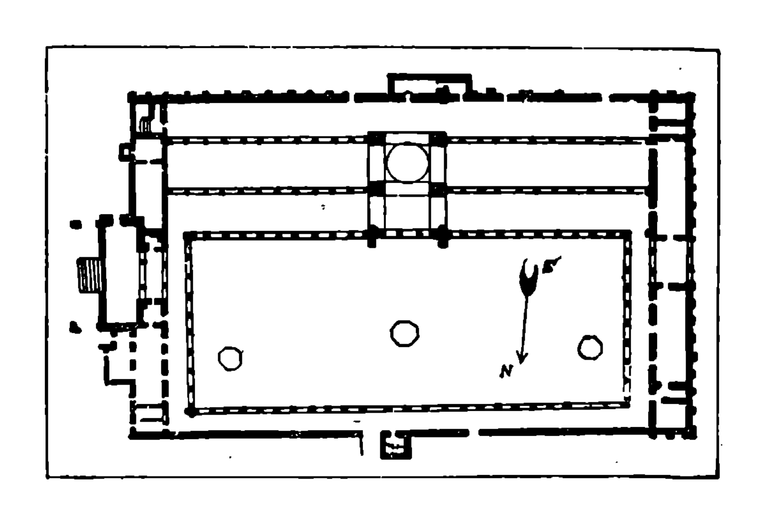
والواقع أن البازيليكا كانت بناء ذات فناء مستطيل ذي ثلاثة أقسام أي الصحن الأوسط المسقوف وهو أوسعها وأعلاها وعلى جانبيه فناءان أقل سعة وارتفاعا، وكان بناؤها طولا لا عرضا أي عمقا لا قبلة (شكل 113).

بينما يشتمل تخطيط المسجد على صحن مكشوف ينفتح عليه بيت للصلاة يزيد طول جدار قبلته على عمقه تمشيا مع فلسفة العقيدة، وهكذا يبتعد تخطيط المسجد عن تخطيط الكنيسة.

وقد بُنِيَ تصور هؤلاء المستشرقين في المرحلة الأولى على أن بلاط المحراب كان هو الأصل في تخطيط المساجد، وأنه تميز بسعته واعتراضه لصفوف العقود الموازية، وأسموه بالمجاز القاطع ليصنع مع أسكوب المحراب المتميز بسعته كذلك شكل حرف (T) التاء اللاتيني، ثم ارتقى بهم الوهم إلى تصوير تخطيط بيت الصلاة بنسر عظيم يمتد جسمه بطول البلاط المحوري واضعا رأسه في جفوة المحراب وناشرا جناحيه بأسكوب القبلة ليمثل صليبا ناتجا من تقاطع البلاط المحوري (NEF AXIALE) (بعد إضافة جوفة المحراب إليه) مع أسكوب المحراب.

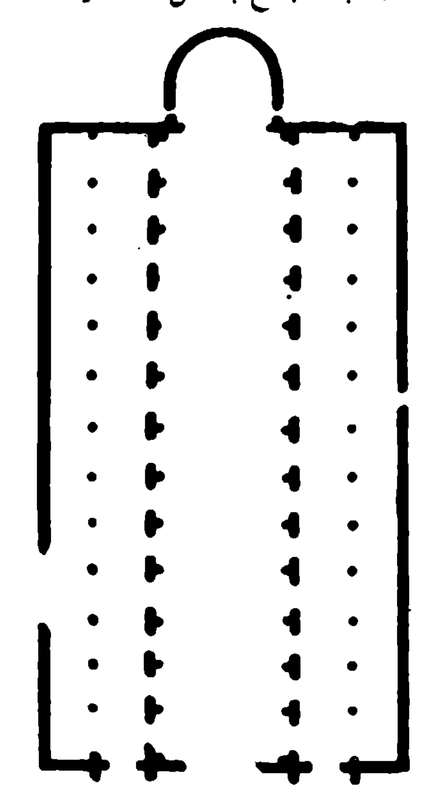
---

(1) H.TERRASSE : L'ART HISPANO - MAURESQUE



شكل 112

المسجد الجامع بدمشق، التخطيط



شكل 113

تخطيط البازيليكا

مصدر الفكرة ونقدها :

ونعتقد شخصيا أن مصدر هذا الادعاء مختلق من وصف ابن جبير لجامع دمشق الأموي (شكل 112) حيث يقول [1] القبة الرصاصية يشبه الناس منظرها بنسر طائر، كأن القبة رأسه والغارب جؤجؤه ونصف جدار البلاط عن يمين ونصفه الثاني عن شمال جناحاه فهم يعرفون الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه (شكل 114).

وسوف نقوض زعم المستشرقين وفهمهم الخاطىء لهذا النص بحجتهم، فقد جاء النص محددا لوصف جزء من مسجد واحد بذاته دون مساجد الاسلام جميعها، ومن جهة أخرى فإن هذا التشبيه يستمد قوته من المنظر الخارجي العلوي للبناء وهو مظهر السقوف ونظام التغطية وليس من التخطيط الأرضي الداخلي، فهو يُشَبِّه القبة الرصاصية التي تتوسط الهيكل الهرمي لسقف بلاط المحراب وتقاطعه مع الهيكل الهرمي لأسكوب المحراب بالنسر.

وقد فات هؤلاء المستشرقين أن نظام التغطية في المساجد لا يلتزم أسلوبا واحدا، كما أن تخطيط تغطية المساجد يستقل عادة عن نظام التخطيط الأرضي للبناء، فضلا عن اختلافه من منطقة لأخرى تبعا لاختلاف ظروف المناخ.

وخلافا لما ذكره كريسويل، ظهر أول بلاط محوري متسع بالمسجد الأموي عام 87هـ وليس بالأزهر وذلك لضرورة معمارية اقتضتها إقامة ثلاث قباب عليه. ويرجع أقدم مثال ثابت التاريخ إلى عصر زيادة الله الأغلبي عام 221هـ بالمسجد الجامع بالقيروان، لقد كان أسكوب المحراب في هذا المسجد أكثر سعة من بلاطه منذ أيام عقبة بن نافع، وقد تعود الرحالة والجغرافيون والمؤرخون العرب وصف المساجد المبكرة باعتبار الطول ممثلا للجدار المتجه من الشرق إلى الغرب وهو جدار القبلة[2]، واعتبار العرض ممثلا لعمق بيت الصلاة، كما كان أسكوب المحراب أكثر سعة منذ البداية لوضع المنبر والاحتفال بالصف الأول.

وعندما أراد زيادة الله إقامة قبة مربعة القاعدة أمام محراب سيدي عقبة (شكل 115) زاد في سعة بلاط المحراب بهدم صف الأعمدة المتوسطة لخلق مساحة مربعة أمام المحراب، ونتج عن ذلك اتساع بلاط المحراب الحادث لضرورة معمارية (شكل 116 و117) بالاضافة إلى اتساع أسكوب المحراب التقليدي في تخطيط المساجد المبكرة دون أن يكون لهذا التطور كله أية علاقة (وهمية) بين تخطيط المسجد وتخطيط الكنيسة البازيليكية (شكل 113).

---

(1) ابن جبير : رحلة ابن جبير، بيروت ص 238/237.

(2) يصف ابن جبير قياسات مسجد دمشق الأموية بقوله : ذرعه في الطول من الشرق إلى الغرب مئتا خطوة... وذرعه في السعة من القبلة إلى الجوف ـــ أي من الجنوب إلى الشمال ـــ مائة خطوة وخمس وثلاثين خطوة.

ثم نقل العبيديون معهم هذا النظام بعد ذلك من افريقية (تونس) إلى مساجدهم الجامعة بالقاهرة كمسجدي الأزهر والحاكم. ثم عاد هذا النظام إلى الظهور بمساجد المغرب والأندلس التي أريد فيها بناء قبة أو أكثر على بلاط المحراب.

تخطيط مسجد محمد الخامس يلغي فكرة المجاز :

ولمسجد محمد الخامس الذي يشغل قلب التخطيط العام لمجموعة مباني الضريح[1] بيت للصلاة يتميز بطول جدار القبلة عن العمق تمشيا مع خطة المساجد المبكرة للاسلام تبعا للتقاليد العلوية التي سبق شرحها وخلافا لتخطيط مساجد المرينيين.

ويتكون تخطيط بيت الصلاة من أسكوب للمحراب أقل سعة من بقية الأساكيب وهي ظاهرة جديدة وفريدة وجديرة بالتقييم لم يسبقنا أحد إلى إبرازها، ينتظم خلفه جهة الشمال (ناحية الصحن الرئيسي) أربعة أساكيب أخرى تمتد في موازاة جدار القبلة من الشرق إلى الغرب، أما بلاط المحراب فلا يكاد يزيد عرضه عن بقية البلاطات إذ يبلغ اتساعه أربعة أمتار وأربعين سنتيمتر بينما يبلغ اتساع كل من البلاطات الأخرى أربعة أمتار وعشرين سنتيمتراً. ويحف بكل من جانبي بلاط المحراب شرقا وغربا ستة بلاطات أخرى تتجه من الجنوب إلى الشمال.

فإذا ما ألقينا الآن نظرة نقدية منصفة وجريئة على تخطيط هذا البناء المعاصر الذي يدخل في عداد الآثار وفقا لمشروع قانون الآثار المقترح بالمؤتمر الثالث كما سبق أن أسلفنا، وجدناه ينهي في صراحة تامة تلك المشكلة المزمنة التي نادى بها المستشرقون حول المجاز القاطع ومحاولتهم إلصاقها بتخطيط المساجد تمهيدا لربط العلاقة بينها وبين تخطيط الكنائس، فبلاط المحراب هنا لا يتميز إطلاقا في السعة عن بقية البلاطات، بينما يبلغ اتساع ذراع الكنيسة عدة أضعاف اتساع الأروقة الجانبية.

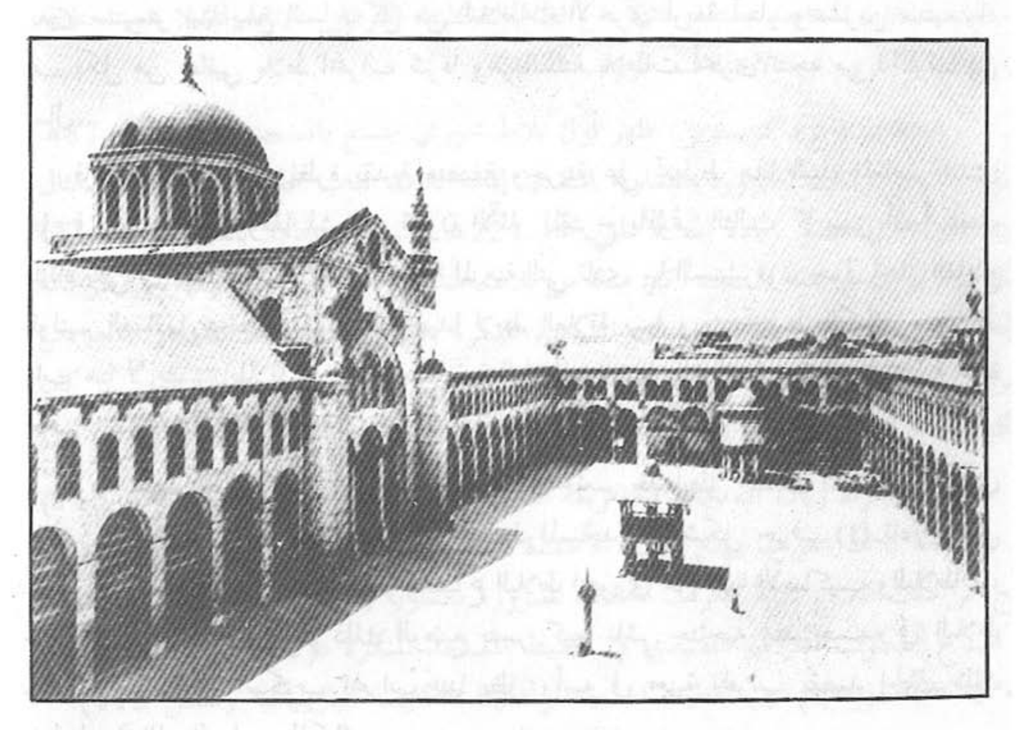
ومن جهة أخرى فإن تخطيط مسجد محمد الخامس قد أبطل كذلك الاصطلاح الذي طالما تغنى به المستشرقون وهو اصطلاح تخطيط المسجد على شكل حرف (T) تاء/اللاتيني المتحصل من اتساع أسكوب المحراب واتساع البلاط المحوري عن بقية الأساكيب والبلاطات، الأمر الذي أدى إلى تشبيههم ذلك الوضع بنسر كبير ناشر جناحيه يمتد جسمه في البلاط المحوري وجناحاه في أسكوب المحراب بينما يظل رأسه في حنية المحراب بقصد إلحاق ذلك التخطيط بالنظام الصليبي للكنائس.

---

(1) وهو رواق القبلة، حيث يشتمل تخطيط المسجد المذكور على صحن فسيح يتقدمه جنوبا بيت للصلاة وهو رواق القبلة، وله مؤخر ناحية الشمال ومجنبات وصحنان جانبيان.

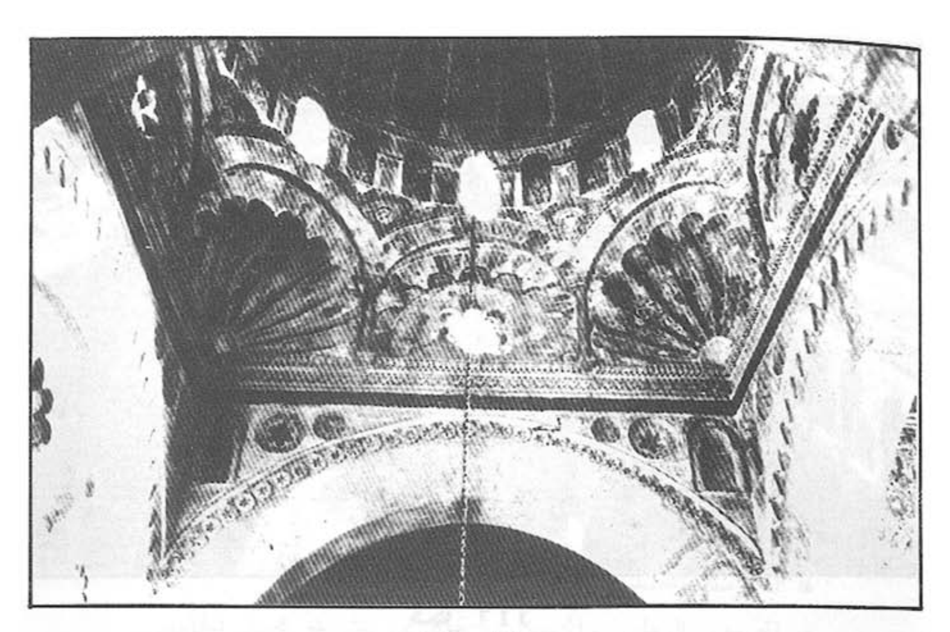
كما أننا نرى كذلك أن تخطيط مسجد محمد الخامس قد قوض تلك الحجج من أساسها بأسلوب آخر حيث أن أسكوب المحراب يقل اتساعا عن بقية الأساكيب، على غير المألوف في تاريخ العمارة الاسلامية. فإذا كان اتساع أسكوب المحراب في المسجد الاسلامي المبكر قد حدث كما أسلفنا لضرورات أشرنا إليها سابقا، فقد تغلب تخطيط مسجد محمد الخامس على تلك الضرورات بمحاولات أخرى حقق بها الاتساع لمطلوب لجوفة المحراب الخارجية ومكان المنبر وحجرة الامام في مساحة متماثلة ناتئة خارج جدار القبلة حقق بها غرضا آخر يتعلق بهيئة الهندسة الخارجية لجدار القبلة، وفي نفس الوقت ضاع اتساع بلاط المحراب الذي تتميز به المساجد المراد تزويدها بقبة أو أكثر على بلاط المحراب.

وبهذا نسخ تخطيط بيت الصلاة بمسجد محمد الخامس جميع محاولات المستشرقين فضاع وهم المجاز القاطع وسقط ادعاء التخطيط على هيئة حرف التاء اللاتيني (T) وانتهت أسطورة الصليب المزعومة.



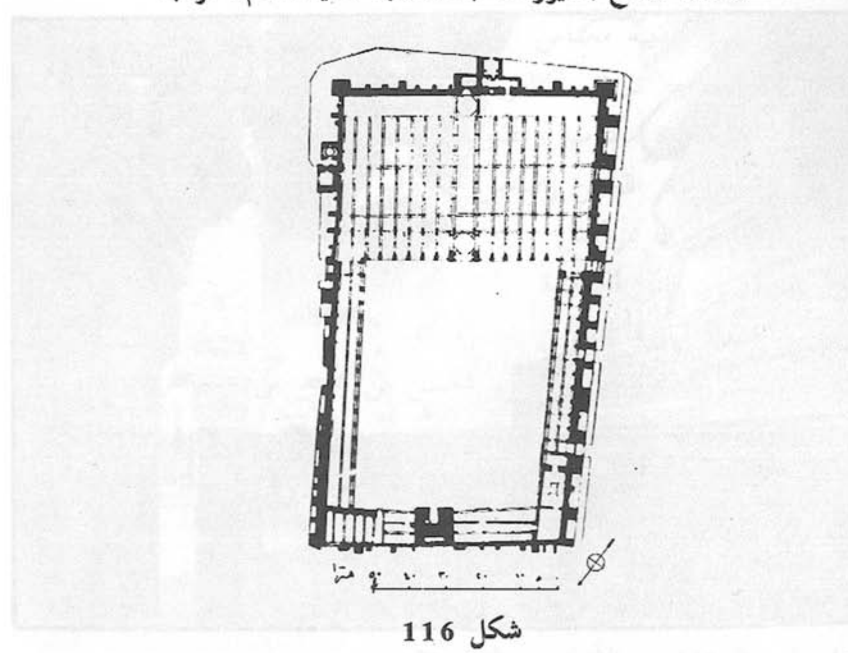
شكل 114

المسجد الجامع بدمشق، الواجهة الجنوبية حيث تظهر القبة وشكل النسر المزعوم



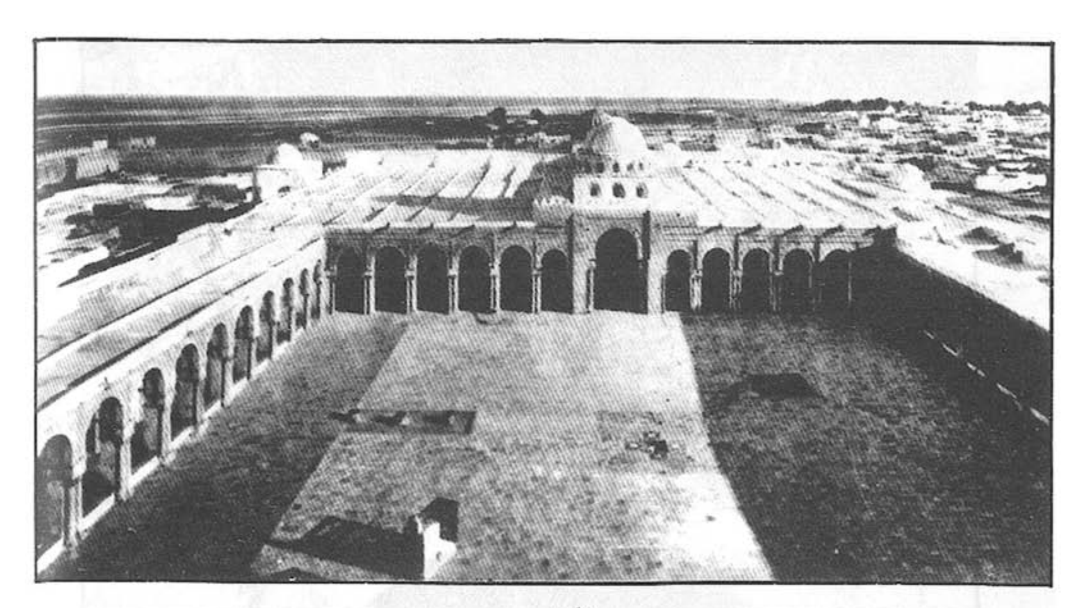
شكل 115

المسجد الجامع بالقيروان، قبة الأغالبة المشيدة أمام المحراب



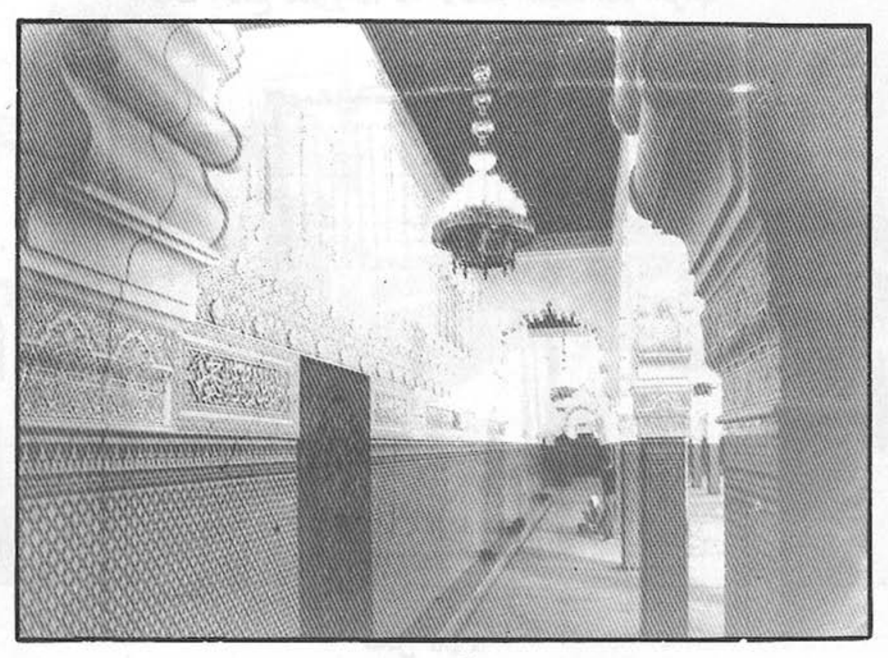
شكل 116

المسجد الجامع بالقيروان، التخطيط بعد أه هدم الأغالبة صف الأعمدة المتوسط



شكل 117

المسجد الجامع بالقيروان، قبة البهو على نهاية بلاط المحراب جهة الصحن



شكل 118

مسجد محمد الخامس، أسكوب المحراب أقل سعة من بقية الأساكيب

الفصل التاسع

عصر الأشراف العلويين
العمارة المدنية في عصر الأشراف العلويين

أبحاث هذا الفصل :

أولا : المدن المحصنة

ثانيا : المدارس العلوية والمتاحف :

- مدرسة الشراطين
- المدرسة العبدلاوية بفاس الجديد
- المدرسة المحمدية بفاس
- المتحف الوطني والمتحف التذكاري بضريح محمد الخامس.

ثالثا : القصور العلوية :

- قصور مدينة مكناس الأثر الفني النموذجي لعصر المولى إسماعيل
  موجز تاريخ مكناس إلى بداية عصر العلويين
  عمارة مكناسة وقصورها العمل الفني النموذجي لعصر المولى إسماعيل
- قصر عبد الله بن إسماعيل المعروف بدار دبيبغ بفاس
- دار المخزن بمراكش
- قصور فاس الجديدة
- قصر الباهية بمراكش
- مشور الدكاكين وقصور الحسن بن محمد بن عبد الرحمن
- قصر البطحاء بفاس
- قصور دار السلام بالرباط الأثر الفني النموذجي لعصر الملك محمد الخامس
- قبيبات ودويرات علوية

رابعا : المساكن والدور المغربية في العصر العلوي

خامسا : السقايات والأقواس والقناطر

سادسا : البساتين والحدائق والرياض :

- بستان السلطان عبد الله بن اسماعيل بدار دبيبغ
- أجدال مراكش
- بستان آمنة المرينية
- أجدال الرباط

سابعا : مجموعة السدود الحسنية

ثامنا : المنشآت المعمارية الحديثة لاستغلال الفوسفات.

الفصل التاسع

العمارة المدنية في عصر الأشراف العلويين

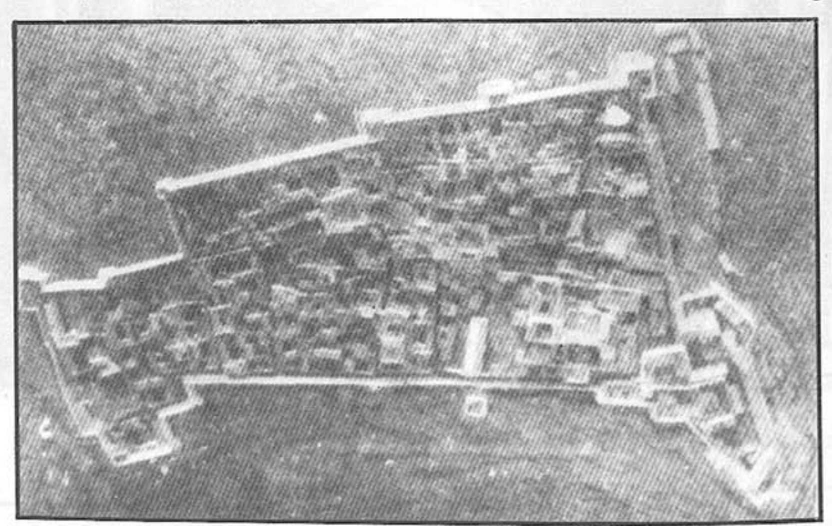
أولا : المدن المحصنة :

تبقت من العصر العلوي مدناً محصنة على غرار عمارة المدن المغربية من العصر الاسلامي الزاهر (العصر الوسيط) وهي عبارة عن مدن محصنة تمتد إلى المناطق الصحراوية حيث (القصور) والقرى المحاطة بأسوار (شكل 119).

ونحن هنا لسنا بصدد قصبة أو قلعة وإنما أمام سور يحيط (بالمدينة) وهذه الكلمة (المدينة) عبارة عن اصطلاح يطلق على التجمع البشري المحاط بسور يضم داخله المتاجر ومعامل الصناعة التقليدية والعمال والتلاميذ والصناع والأساتذة والطلاب ويشتمل على الحدائق والبساتين ومخازن البضائع الضرورية لسكان المدينة من القمح والزيتون والزيت والخشب وغيرها.

وتتخلل المدينة دربيات ضيقة بعضها مسقوف في أجزاء منه تعرف باسم (الساباط) ويكتمل عمران المدينة بدور السكنى والفنادق والمساجد البارزة بصوامعها التي تشكل علامات واضحة بالمدينة[1].

وفي قلب المدينة توجد (القيسارية) محاطة بجدران خاصة بها تحمي متاجرها وتصون حركة البيع والشراء في هدوء وأمان على نحو ما نراه بمدن المغرب الاسلامية إلى اليوم (شكل 120).



شكل 119

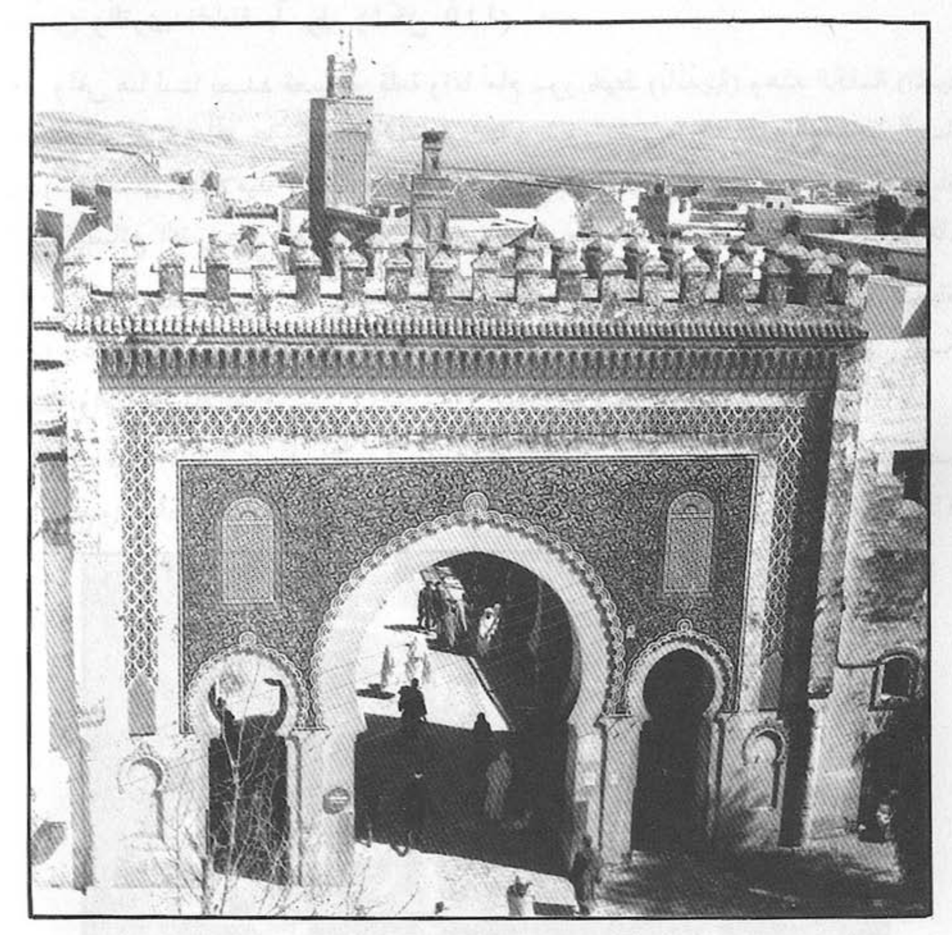
المدن المحصنة، قلعة أكادير

(1) P. Ricard : Pour Comprendre l'Art Musulman P. 236

ثانيا : المدارس العلوية والمتاحف :

مدرسة الشراطين بفاس (المدرسة الرشيدية)

شرع في تأسيسها المولى رشيد غرة شعبان سنة 1081 هـ (17 - 12 - 1670 م) بحي جامع القرويين إلى جانب بقية المدارس المرينية الثلاثة الأخرى في موضع مدرسة سابقة[1] تعرف بمدرسة اللبادين امتدت إليها يد التخريب، أو في موضع يعرف بدار عزوز[2] بشارع الشراطين.



شكل 120

باب بوجلود، مدخل المدينة بفاس

(1) G. Marçais : L'archit. Mus. P. 392/393

(2) جامع القرويين ج 3 ص 671 وتعليق رقم 94 ص 679 (ويقال أنها عوضت مدرسة كانت هي فندق الشماعين الحالي أو كانت فندق اللبادين بالقطانين.

يقول الشريف مولاي عبد الرحمن بن زيدان مؤرخ العلويين بدولة محمد الخامس في كتابه الدرر الفاخرة (قرأت في قناطر الخشب المحيط بمباحاتها بخط مشرقي بلغ الغاية في النفاسة والابداع : النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا الرشيد ابن مولانا الشريف أيد الله بعزيز نصره أوامره وظفر جنوده وعساكره...)

وقد أكمل تشييد المدرسة المذكورة المولى إسماعيل العلوي سنة 1089هـ، حسبما هو مسجل بالشعر ضمن قصيدة نقشت على لوح يوجد حاليا بالجامع الكبير بفاس الجديد نقرأ بنهايتها :

انظر لبهجة بيت الله يا رائي	**وسرح الجفن فيها بين أرجاء**
بيت الصلاة وايواء الطلاب وما	**يغشى من البر أو يرى من اهداء**
وقـد تانـق وشيها وطرزهـا	**حسن الزرابي في تحبير وشّاء**
أنوارها (تخطف) الأبصار مشرقة	**من أجل ذا (خطفت) تاريخ انشائي[1]**

وتبدو أهمية المدرسة التي أصبحت تعرف في الحوالات الاسماعيلية بالمدرسة الجديدة من دراسة حوالة إسماعيلية من عام 1115 هجرية تنص على ما حبس لصالح المدرسة من حوانيت ومعامل وفدادين وأراضي[2].

وندخل إلى المدرسة من الواجهتين الجانبيتين عن طريق بابين أحدهما على شارع الشراطين وباب آخر على محوره ينفذ من درب صغايرة. وتؤدي الممرات الواقعة خلف الأبواب إلى صحن يكاد يكون مربع التخطيط تتوسطه خصة ومحاط بكل جانب بمجموعة من ثلاثة أقواس يتوسطها عقد كبير من العقدين الجانبيين وترتكز تلك العقود على أكتاف ضخمة تحمل أسقف النبح (GALERIE). ويفتح بيت الصلاة على الصحن مباشرة كما هو الشأن في المدرسة البوعنانية ويتميز بزيادة السعة عن العمق حيث يتوسط جدار القبلة محراب للصلاة.

وتكاد تنفرد المدرسة بارتفاع حوائطها الملحوظ فوق العتبات الخشبية المحيطة بأسقف النبح والممرات السفلى حول الصحن. وتظهر صفوف الشبابيك بتلك الجدران لاضاءة بيوت الطلبة بالطوابق العليا حيث تبلغ الحجرات المخصصة لمعيشة الطلبة 232 حجرة بالطوابق الثلاثة مما يوضح أهمية هذه المدرسة التي يذكر وضعها المعماري وهندستها بمدرسة ابن يوسف بمراكش.

---

(1) عبد الرحمن بن زيدان نقيب العائلة المالكة ومؤرخ دولة محمد الخامس : الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين ط الرباط 1937م ص 14/12، وصف تاريخ وعمارة وزخارف المدرسة والنص الكامل للقصيدة المشتملة على التاريخ.

(2) جامع القرويين ج ص 671 وتعليق رقم 96 ص679.

المدرسة العبدلاوية بفاس الجديد :

وهناك مدرسة أخرى صغيرة بفاس الجديد بحي مولاي عبد الله من اثنى عشر بيتا، ويرى البعض أنها من تأسيس الشيخ محمد الحاج الدلائي وينسبها النقيب ابن زيدان إلى السلطان محمد بن عبد الرحمن. ولكن الدكتور عبد الهادي التازي[1] يرجح ارجاعها إلى سنة 1145 هجرية من عصر المولى عبد الله الذي أسس مدرسة مماثلة بدار الدبيبغ.

المدرسة المحمدية :

شيدها المغفور له سيدي محمد الخامس إلى جانب مدرسة الحلفاويين المرينية سنة 1359 هجرية كما هو منقوش على بابها (النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا السلطان سيدي محمد أمير المؤمنين عام 1359)[2] وتشتمل طوابق المدرسة على بيوت للطلبة ومرافق للمعيشة والدراسة.

المتحف الوطني بمجموعة مباني ضريح محمد الخامس :

يشكل مجموع الأبنية المتصلة بالمسجد غرباً عن طريق الصحن الجانبي الغربي للمسجد، ويتوسط تخطيط المتحف صحن مكشوف، يكتنفه شرقاً الصحن الجانبي للمسجد، وغربا تصميم آخر مربع الشكل، وتطل واجهة المسجد على هذا الصحن المفروس بالزليج بثلاثة عقود على فتحاتها أبواب من الحديد المضفر بتصميمات هندسية متقاطعة، ويوصل إلى الصحن الباب الأوسط عن طريق ثلاث درجات هبوطاً حيث ينخفض مستوى الصحن عن أرضية المتحف، ويتوسط واجهة المتحف المطلة على الصحن مدخل رئيسي خشبي يوصل إلى قاعة مستطيلة تفتح بعقود على مركز تخطيط بناء المتحف.

والصحن المكشوف المركزي بالمتحف مفروش بالرخام يتوسه صهريج مكسو بالزليج، وتدور بالصحن أعمدة مستديرة مكسوة بالزليج فوقها تيجان رخامية مستديرة، ويحيط بالصحن نبح من رواق واحد يسوده الرخام بقواعد وأرجل العقود والعقود والبنيقات وصفوف الكوابيل فوق الاطارات. وفوق ذلك ترتفع مباني المصلي العلوي المتخذ جميعه من الرخام كذلك. وتقع بين الصحن ورواقه الرخامي وبين الجدار الغربي لبناء المتحف قسم آخر مستطيل التخطيط تتوسطه قاعة مفروشة بالرخام مربعة الشكل تنخفض عن مستوى أرضية المتحف بقدر درجتين من الرخام حولها أعمدة من الزليج تعلوها تيجان من الجص فوقها روافع خشبية، وسقف القاعة الوسطى المفروشة بالرخام من الخشب المنقوش بأكمله.

(1) جامع القرويين ج 3 ص 671 وتعليق 97 — 98 ص 679.

(2) نفس المصدر ص 671.

وفوق مجموع مساحة المتحف يقوم التصميم الذي أسميتُه بالمصلى الصيفي يقابل في القطاع الرأسي المرحلة الثالثة لبناء قبة الضريح شرقاً، وهو عبارة عن ممر بين صفي أعمدة وعقود وحوائط رخامية تشرف من أعلى على الفراغ المركزي لمبنى المتحف وقاعة الرخام، وقد كسيت الواجهة الخارجية والداخلية فوق العقود بالرخام الأبيض المزدان بشبكة المعينات المتجاورة ثم ترتقي فوق الاطار المضفر شرفات مسننة من الرخام مرة أخرى.

المتحف التذكاري لصق صومعة حسان :

يقع على محور المحراب والصومعة وينخفض عن مستوى أرضية مسجد حسان الموحدي بكامل ارتفاعه، تتقدمه ساحة بيضية بدروج رخامية مقوسة التخطيط على هيئة المسارح الرومانية، وهو عبارة عن سلسلة من اللقاءات متساوية المساحة تفتح بينها أبواب محورية، ويقابل ذلك بالساحة الرئيسية جهة صومعة حسان بناء يطل على نفس الساحة قسمت مساحته الرئيسية إلى ثلاث قاعات كما يلي قاعة المدخل من كل جانب قاعة أخرى على نفس المحور، وقد جعلت جميع الأرضيات والواجهات بالساحة الكبرى والدروج وواجهات البنائين بالرخام وقد خصصت القاعات الداخلية للعرض.

ثالثا ـــ القصور العلوية

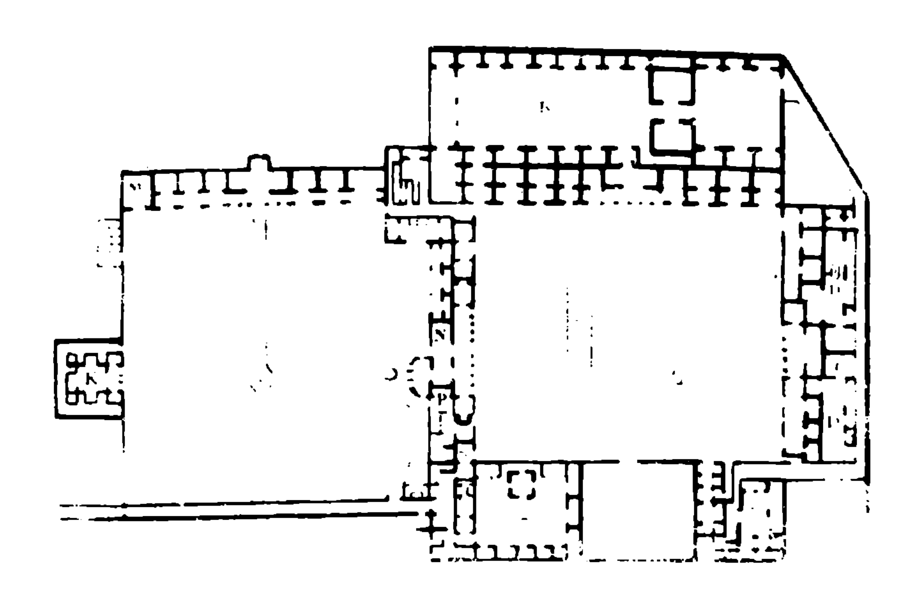
من المعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من بعدهم كانوا يؤثرون البساطة في حياتهم الخاصة أسوة برسول الله وخلفائه الراشدين إلى أن جاء الأمويون فشيدوا المباني والقصور حتى لا تظهر الدولة فقيرة المباني والمؤسسات إلى جانب منشآت البيزنطيين كما ظهرت بافريقية (تونس) الأغلبية قصور بالعباسية ورقادة والمنصورية وتبقى من عصر الأباضيين كثير من آثار القصور بتاهرت وسدراتة لا زالت قيد البحث.

وفي صقلية واصل النورمانديون تقاليد الفن الاسلامي في العمارة بحاضرتهم بالرم، وخلف عصر الخلافة الأموية بالأندلس قصورا زاهرة في الزهراء وغيرها توج بها القرن الرابع وجه العمارة الأوروبية وتلي ذلك قصر الجعفرية بسراقسطة وقصور ملوك الطوائف من القرن الخامس، فإذا رجعنا إلى المغرب العربي وجدنا ما خلفه الحماديون من قصور بالقلعة وبجاية.

وفي المغرب الأقصى، إن لم يكن الدهر قد بقي على آثار المرابطين وقصور الموحدين[1]، فإنه ابتداء من القرن السابع يبقى قصر الحمراء بغرناطة بعمارته وزخارفه من عصر بني نصر وما يوازيه بالمغرب الأقصى أيام معاصريهم بني مرين من المدارس والقصور شاهدا على نضج وسمو خصائص ومميزات الطراز المغربي الأندلسي في فن العمارة المدنية. وإذا كانت الأحداث التاريخية وعوامل الزمن تعاونت على تخريب قصر البديع العمل الفني النموذجي لعصر الأشراف السعديين، فإن قصور الأشراف العلويين التي شيدت خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة ظلت إلى اليوم غير معروفة معرفة كافية وإن كان تصميم دار المخزن بمكناس (شكل 121) يفصح عن بعض خصائصها، فبعد عناية مولاي إسماعيل العلوي بتشييد قصور الرياض بمكناس قام خلفه وولده مولاي عبد الله بتخريبها، هذا وتعتبر قبة النصر بفاس من روائع العمارة المدنية للقرن الثاني عشر بصهريجها المتوسط وسقوفها الخشبية ذات النقوش المحفورة والمدهونة ونبحها الخارجي (PORTIQUE) وكسوتها الرخامية وأشغال الجص الرائعة التي تزينها[1].

---

(1) بروسبيس ريكار : نفس المصدر ص 244.



شكل 121
دار المخزن بمكناس بعد الإصلاح والترميم (ق. 13 هـ)

قصور مدينة مكناس الأثر الفني النموذجي لعصر المولى إسماعيل

موجز تاريخ مكناس إلى بداية عصر العلويين :

تعتبر مكناسة الزيتونة إحدى أمصار المغرب القديم منذ عصر (البربر) عرب المغرب القدماء قبل[1] الاسلام حيث عرفت المنطقة عدة قرى لمكناسة إحدى قبائل زناتة.

وفي عصر المرابطين الصنهاجيين أصبحت مكناسة قلعة عسكرية عرفت أولا باسم تاجرارت التي معناها (المحلة) ضمن خطة المرابطين العسكرية التي اقتضت إنشاء عدد من القلاع والصحون على النحو الذي أسسوا به مراكش[2]. وبسبب تفاقم أمر الموحدين أحيطت المدينة بسور جعلها تبدو كقلعة حربية أيام الشريف الادريسي الجغرافي العربي الذي وصفها في منتصف القرن السادس الهجري.

ثم تحولت مكناسة ببناءات الموحدين إلى مدينة جليلة وصفها صاحب الاستبصار سنة 587 هجرية بعد أن اتسعت عمارتها وانتشرت أسواقها وعمتها الحضارة المعمارية تبعا لما سجله الزياني[3] في الترجمانة الكبرى حيث صرح مؤرخ العلويين أن الموحدين مدنوها وبنوا قلعتها. ويشير العلامة المحقق الأستاذ محمد المنوني إلى الثريا الكبرى التي صنعت بفاس أيام الأمير محمد الناصر الموحدي للجامع الأعظم بمكناسة وقد نقش عليها نص تاريخي يتضمن تاريخ الصنع سنة 604 هجرية نقرأه بدائرتها السفلى (صنعت هذه الثريا بمدينة فاس حرسها الله لجامع مكناسة شرفه الله بذكره وكان الفراغ من عملها في العشرين من شهر ذي القعدة عام أربعة وستمائة)[4].

وعندما اختار بنو مرين فاس عاصمة لهم أصبحت مكناسة القريبة منهم موضع عنايتهم فاهتموا بها وبنوا قصبتها وشيدوا بها المساجد والمدارس والزوايا والربط[5] وذكر الأستاذ

(1) الاستقصا ج 7 ص 48.
(2) محمد المنوني : التخطيط المعماري لمكناس، مجلة الثقافة المغربية ج 7 سنة 1972 ص 21.
(3) الترجمانة الكبرى نشر وزارة الأنباء الرباط تحقيق الأستاذ الفيلالي.
(4) محمد المنوني : نفس البحث ص 29.
(5) الاستقصا ج 7 ص 48.

المنوني في دراسة عن تاريخ مكناسة أن يعقوب المريني أسس القصبة المرينية خارج مكناسة سنة 674 هجرية وبهذا اشتملت على القصر والجامع المعروف بجامع للاعودة[1]. وقد زار لسان الدين بن الخطيب مكناسة المرينية مدة إقامته بالمغرب ووصفها وكان من أشهر معالمها المرينية مدرسة يعقوب المعروفة للآن بالفيلالية ومدرسة السلطان أبي الحسن التي تشتمل على لوح تأسيسي باسم أمير المسلمين أبي الحسن بن أبي سعيد عثمان وقد أتمها خلفه وابنه أمير المؤمنين أبو عنان فارس بن أبي الحسن فنسبت إليه منذ ذلك الوقت وعرفت بالعنانية[2]. كما أسست مدرسة مرينية أخرى قرب العنانية تعرف بمدرسة الخضارين لقربها من سوقهم بالاضافة إلى المارستان العناني وما شيده المرينيون هناك من زوايا.

عمارة مكناسة وقصورها العمل الفني النموذجي لعصر المولى إسماعيل :

كما احتلت روائع قصر البديع المعمارية والفنية مكانتها المرموقة في عصر السعديين وأصبحت العمل الفني النموذجي لدولة الأشراف السعديين الذي يمثل تقدم المغرب الاقتصادي والعمراني والفني ومقدرته الهندسية على الابتكار والخلق، فإن مكناسة بقصورها ومنشآتها المدنية والدينية في نطاق الأسوار المحصنة قد جعل منها العمل الفني النموذجي لعصر دولة الأشراف العلويين منذ تأسيسها إلى بداية عصر الاستقلال والانبعاث الذي قاده الملك المجاهد محمد الخامس وخليفته أمير المؤمنين الحسن الثاني صاحب عمارة مجموعة ضريح محمد الخامس التي أصبحت تمثل العمل الفني النموذجي في عهد الطفرة المعاصرة.

كانت فاس عاصمة للمملكة منذ أواخر عهد الأشراف السعديين إلى أيام المولى رشيد العلوي. ثم سلمت الخلافة مقاليدها إلى المولى إسماعيل بَنَّاء الأشراف العلويين دون منازع سنة 1082 هجرية وعلى طول سبعة وخمسين عاما تمكن خلالها من تطهير المملكة من الخصوم الخارجيين وتمهيد الأمن الداخلي.

وهكذا شرع المولى إسماعيل سنة 1084 هجرية في تشييد مكناسة كمفخرة معمارية وفنية جديدة للمغرب بعد توليه مقاليد الحكم بعامين اثنين فقد صمم منذ اللحظة الأولى على اتخاذها عاصمة للمملكة وتحويل قصبتها إلى مدينة عظمى محصنة بالأسوار[3].

ولهذا يقرر جوج مارسيه أن اسم المولى إسماعيل العظيم يفوق جميع أسماء كبار البنائين في عهد الأشراف العلويين فإليه يرجع الفضل في تحويل مكناسة إلى قصبة منيعة بأسوار دفاعية ذات قيمة كبيرة جعلت مكناس تعكس علينا أسلوب الطراز الخاص بقصبات المدن أو المدن المحصنة.

---

(1) محمد المنوني : نفس البحث ص 38.

(2) والبوعنانية بمكناس غير المدرسة البوعنانية بفاس التي فاقتها شهرة بحيث لا يعرف العامة غيرها.

(3) عزيز سلام : ثلاثة قرون وعشر سنوات، نشر وزارة الأنباء الرباط.

وهذا باب منصور العلج أعظم أبواب المدن المغربية هيبة وأكثرها ضخامة وجلالا وأهم أبواب العاصمة الاسماعيلية، شيده المولى إسماعيل العلوي أواخر القرن الحادي عشر للهجرة بإشراف مهندس أوروبي أضيف لقبه (العلج) إلى اسم الباب ليظل علما عليه إلى اليوم (أشكال 122 ـ 123).

وإذا كانت الأبواب المغربية البارزة (Munimental ENTERENCE) قد عرفت تطورا ملحوظا عبر تاريخ العمارة الاسلامية الدينية والمدنية، غير أن هيئة وتصميم باب منصور العلج تظل فريدة في الموضوع.

فلأسباب دفاعية عرف تطور الأبواب بروزين ناتئين عن مستوى حائط المدخل يحفان بفتحته، غير أن الوضع هنا يصل إلى غاية لم يبلغها مثال سابق أو لاحق إلى اليوم، فحول فتحة المدخل من كلا الجانبين تصميم معماري متكامل محمول على أقواس مستديرة ضخمة وأعمدة سميكة كبيرة المحيط ويضاف إلى كل من الوحدتين قرب النهاية المتصلة ببناء السور الخارجي تصميم آخر محمول على أعمدة شاهقة الارتفاع.

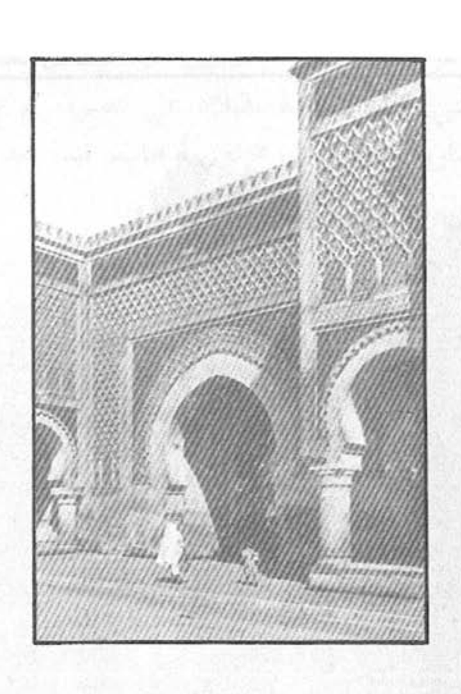
وتتأكد هيبة العمارة وفخامتها بفخامة الزخرفة المعمارية وجلالها بانتشار شبكات المعينات والأقواس والزخارف المتنوعة في الجص والزليج الملون والشرفات والكتابات والنقوش العربية والشعر المنقوش في الزليج الأحمر.

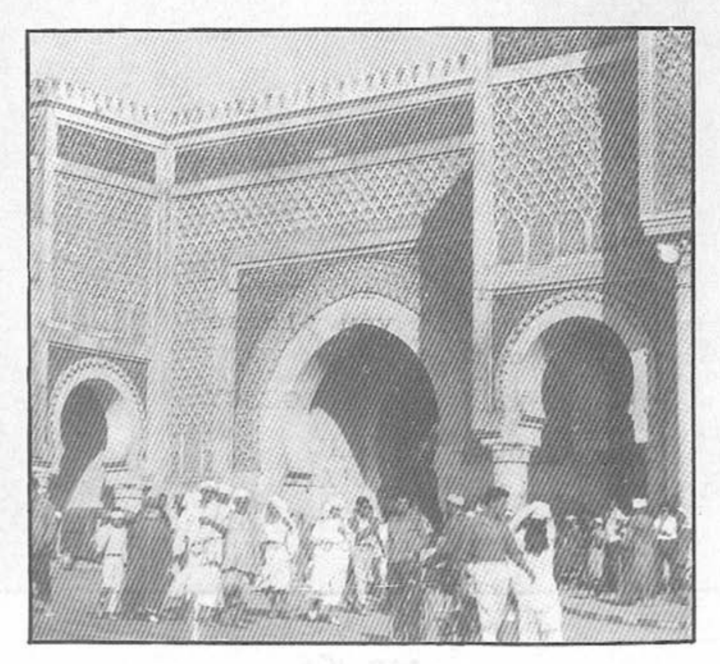
ومن نفس العصر ومن تاسيس المولى إسماعيل تبقى باب البرادعيين (1098 ـ 1107هـ) أحد أبواب العاصمة الاسماعيلية مكناسة بارتفاعه الشاهق وزخارفه المعمارية حول فتحة عقده الكبير (شكل 124).

ومن نفس العصر كذلك باب الخميس الذي يحتفظ إلى اليوم بثلاثة أبيات شعرية نقشت في الزليج مشتملة على اسم المولى إسماعيل وتاريخ التأسيس.

وفي الوقت الذي كان يشرف فيه لويس الرابع على بناء قصر فرساي رمز الملكية المطلقة بفرنسا ليتخذه حصنا يحميه من المتآمرين الباريسيين، نهض المولى إسماعيل العلوي لبناء عاصمته الجديدة مكناسة وسط شعب مملكته الملتفة حول نظام الخلافة مؤكدا بذلك تنمية الوحدة الوطنية.

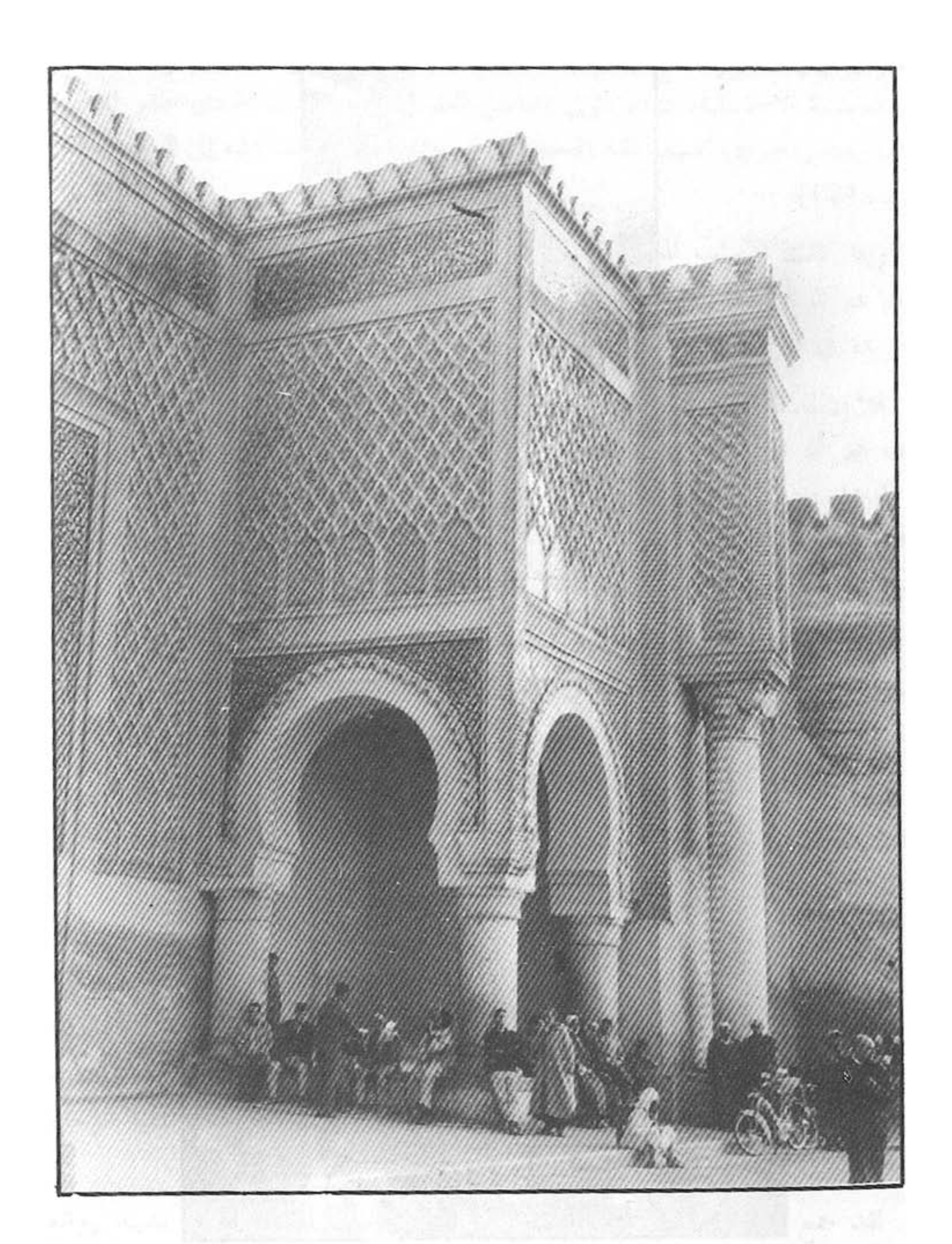
لقد جمع المولى إسماعيل مهرة الصناع من أنحاء المغرب للمشاركة في تشييد روائع العمارة المغربية بعاصمته الجديدة كما كانت سجونه تشمل حسب أقوال المؤرخين على أكثر من خمسة وعشرين ألف سجين من الأسرى كانوا يعملون جميعا في بناء قصوره فقد كان منهم الرخامون والنقاشون والنجارون والحدادون والمهندسون الذين لم تسمح له نفسه بفداء





شكل 122

أسوار مدينة مكناس العلوية، باب منصور العلج أكبر وأوسع أبواب المغرب



شكل 123

باب منصور العلج، تفصيل العمارة والزخرفة

أحد منهم. ولاشك في أن هؤلاء الأسرى من الفنيين سيعملون في نطاق رغبات الأمير المغربي وانسجاماً مع الأساليب التي كانت سائدة بالبلاد على عصره، ثم عن طريقهم تنتقل تلك التأثيرات والاتجاهات المعمارية والفنية الى مختلف أوطانهم فيما بعد بانفتاح هندسة وفنون المغرب على العالم الخارجي.

وهكذا شرع في بناء أسوارها وأسس المسجد الأعظم داخل القصبة البعيدة عن المدينة ثم أسس الدار الكبرى وأضاف مسجدا مساعدا للجامع الأعظم سماه المسجد الأخضر وجعل للقصبة بحيرة تمخرها المراكب والسفن الصغيرة والزوارق وبنى مخزنا هائلا كان يسع زرع أهل البلاد كلها وأقواتها لاختزانها احتياطيا لمواجهة عناء القحط والجفاف.

وشرع المولى اسماعيل في تشييد ملحقات مباني مكناسة فزودها باسطبل عظيم لخيله مسقف الجوانب بالبرشلة على أساطين وأقواس عظيمة في كل قوس مربط فرس وبين الفرس والآخر عشرون شبرا[1] (شكل 125). وكان يتسع لاثني عشر ألف فارس بخيولهم، ومع كل فارس خادم من أسرى النصارى يتولى خدمته. وكان بوسط الاسطبل قباب معدة لوضع سروج الخيل على أشكال مختلفة. وكان به كذلك هرى عظيم مربع الشكل مقبو الأعلى على أساطين عظيمة وأقواس هائلة لوضع سلاح الفرسان. وكان الضوء ينفذ اليه من شبابيك في جوانبه الأربعة بكل شباك وزن قنطار من الحديد وابتنى فوق هذا الهرى من أعلاه قصرا كان يسمى قصر المنصور بلغ ارتفاعه مائة ذراع خمسون في الأسفل وخمسون في الأعلى وفيه عشرون قبة بكل قبة طاق عليه شباك من حديد يشرف منه أهل القبة على بسيط مكناسة. وكانت كل قبة مسقفة بالبرشلة والقرمود وغير ذلك، وكانت أربع قباب منها متقابلة سعة كل واحدة منها سبعون شبرا في مثلها وباقي العشرين قبة سعته أربعون.

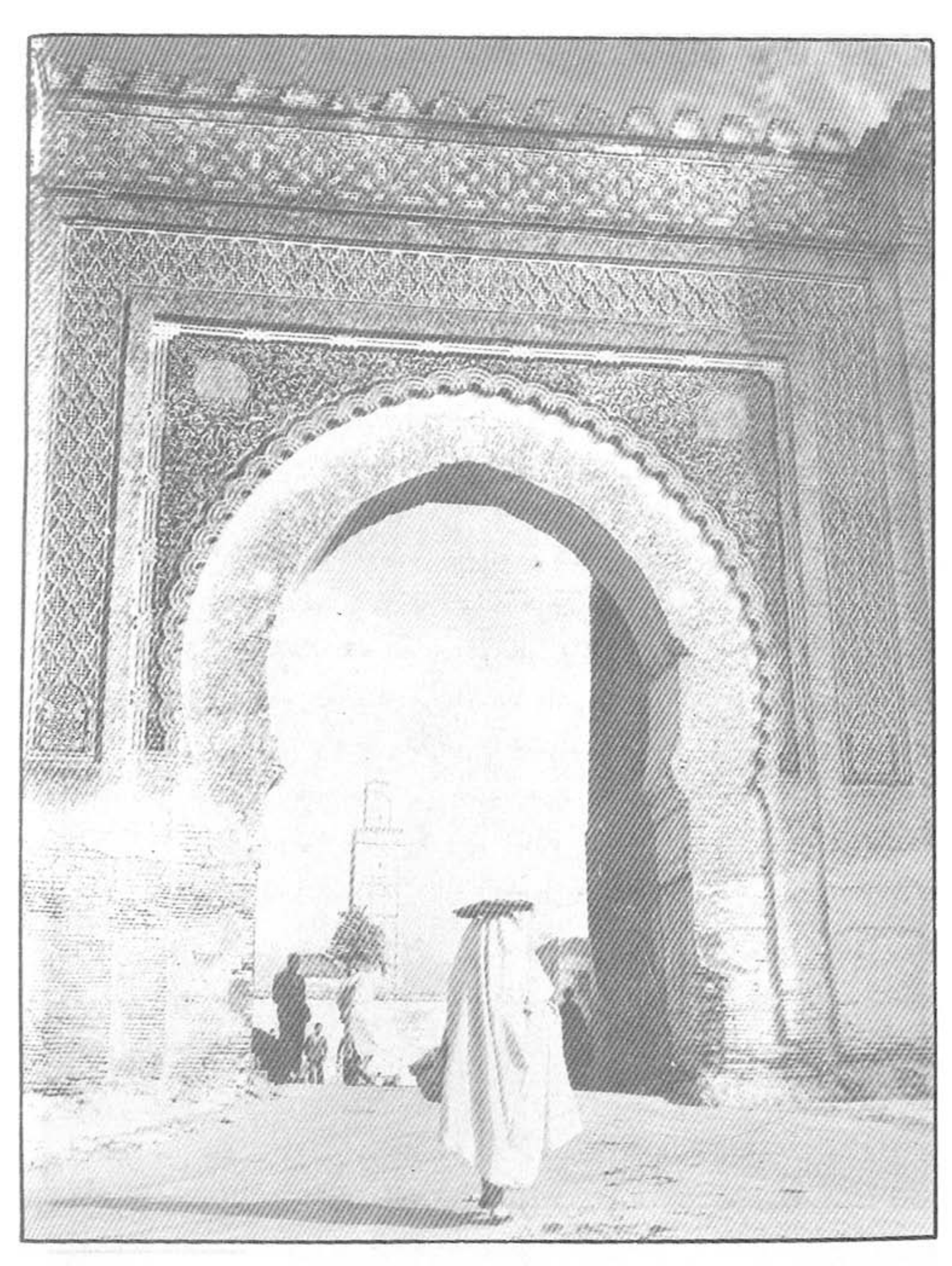
ويجاور هذا الاسطبل بستان على قدر طوله فيه من شجر الزيتون وأنواع الفواكه كل غريب طوله فرسخ وعرضه ميلان. ويتخلل هذه القصور التي في داخل القلعة شوارع مستطيلة متسعة وأبواب عظيمة فاصلة ورحاب مربعة.

ولا زالت جدران تلك العمائر باقية إلى الآن على الرغم من نقل انقاضها بعد وفاة المولى اسماعيل من خشب وزليج ورخام وقرمود ومعدن وغيرها لاستخدامها في عدد من المباني الأخرى بمدن المغرب المختلفة لمدة قرن كامل من الزمان[2].

---

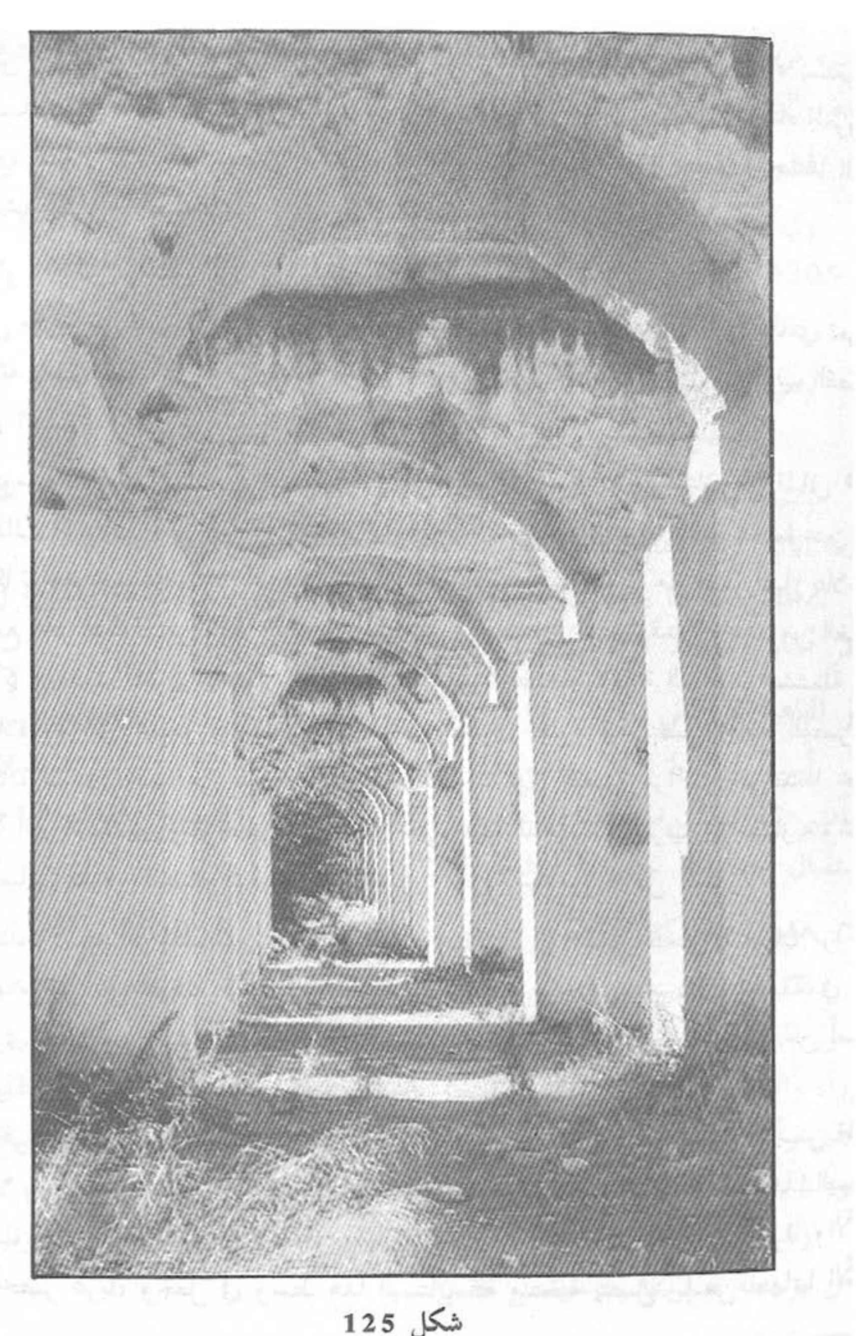
(1) انظر ما نقله جورج مارسيه عن المؤرخين العرب في وصف قصور المولى اسماعيل، العمارة الاسلامية الغربية ص 396 ــ 397.

(2) الاستقصا ج 7 ص 40 ثم ابتداء من ص 54، وعزيز سلام : ثلاثة قرون وعشر سنوات ص 40.



شكل 124

باب البرادعيين بمكناس



شكل 125

مكناس، ملحقات مدنية، الإسطبل العضيم بعمارته واتساعه من تشييد المولى إسماعيل العلوي

السلطان عبد الله بن إسماعيل باني القصر المعروف بدار دبيبغ :

ومن خلال ذكر مولاي عبد الرحمن بن زيدان لقصور العلويين بفاس نجده يستعرض منشآت السلطان عبد الله بن اسماعيل فيقول (ومن آثاره بفاس القصر المؤسس لسكناه المعروف بدار دبيبغ، تشغل بقية هذا القصر الآن إدارتا المالية والمدفعية العسكرية، ومسجدها الذي هو الآن محل سروج العسكر).

دار المخزن بمراكش :

على مقربة من قصر البديع مفخرة عصر السعديين بمراكش يقع دار المخزن الذي تعرف أهم وحداته باسم قصر النيل وهو يعكس علينا بمجموع منشآته وفنونه طراز وأسلوب القصور المغربية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري.

ويتوسط القصر بستان يعرف بعرصة النيل وتقوم مجموعتان رئيسيتان من المباني شمال وجنوب ذلك البستان. ففي الشمال ترتفع قبة ضخمة تعرف بالستينية محاطة بمجموعتين من المساكن كما توجد مجموعتان أخرتان من بينها دار الحاجب. وفي الجنوب من قصر النيل يتلاحظ وجود مجمع آخر يتكون من الدار الكبرى المشتملة على صحن مربع وقبتين وعدد من الغرف والمرافق. كما وجدت بطول الأسوار تجاه الغرب المباني المخصصة لاقامة السلطان مشتملة على بيت للصلاة ومرافق مختلفة كما يظهر باب ناحية الشرق تعلوه قبة يتصل بجامع القصر[1].

وكان سيدي محمد بن عبد الله بعد مبايعته قد نزل بقصبة مراكش فوجدها خرابا ليس بها إلا آثار السعديين والموحدين قبلهم قد أخنى عليها الدهر... فضرب بها مضاربه وشرع في حفر أساس داره بالفضاء البعيد عن القصور الخربة بها من داخل السور[2].

وعندما آسفه أمر المشاغبين هناك انتقل من مراكش إلى آسفي فلحق به أعيان مراكش واسترضوه وألحو على عودته فرجع إلى نزوله بالقصبة... واجتهد بعد ذلك الخليفة في بناء داره الكبرى بقصبة مراكش إلى أن أكملها وسكنها، ثم شرع في بناء ما تلاشى من أسوار القصبة وركب أبوابها وأفردها عن المدينة.

ثم غرس بستانا عظيما متصلا بداره الكبرى على جهة الغرب سماه النيل، وأسس قصرا آخر متصلا بغربي هذا البستان سماه القصر الأخضر ويسمى أيضا المنصور، وجعل لهذا البستان أربعة أبواب في زواياه الأربع... وجعل له بابين آخرين أحدهما للدار الكبرى شرقا والآخر للقصر الأخضر غربا، وجعل في وسط هذا البستان قبة منتخبة يتصل بها من جهاتها الأربع

---

(1) G. Marçais : L'archit. Mus. P. 397

(2) الاستقصا ج 7 ص 193 ـــ 194.

مماشي تمضي إلى قباب أخر منتخبة أيضا، وطول هذا البستان ينيف على مائتي خطوة تقريبا وعرضه قريب من ذلك، وهذا القدر هو مساحة ما بين القصرين أعني الدار الكبرى والقصر الأخضر[1].

قصر مولاي يزيد بابي الجنود :

وفي سيرة مولاي يزيد يقول مولاي زيدان في الدرر الفاخرة (وأسس قصره بابي الجنود عام 1205... فقد قرأت على بابه في نقش دائرة بزليج أسود يمين الداخل :

ماذا راى من لم يشاهد قصراليزيد ابن الأماجد

وعن يسار الداخل :

فبديع حسنى ساحـــر تاريخه في رمز (راشده)

وجعل بذلك القصر قببا وصروحا فاخرة وغرس بستانه الرائق بالأشجار المثمرة ونمق أرضه بالأنوار والأزهار المختلفة الألوان المزينة بمبثوث الزرابي.

وأسس صرحا بجنان (بوطاعة) خارج باب عجيسة أعده للتفسح والنزهة زمن الربيع وحفر أساس مسجد الرصيف...)

قصر الباهية بمراكش :

أسسه في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي الوزير أبا أحمد بن موسى مشتملا على عدة منشآت هامة غطيت صحونها بالرخام وزود القصر بالحدائق والبساتين وأماكن الراحة وقاعات للاستقبال وحمامات خاصة[2] (أشكال 126 ــ 128).

مشور الدكاكين وقصور الحسن بن محمد بن عبد الرحمن :

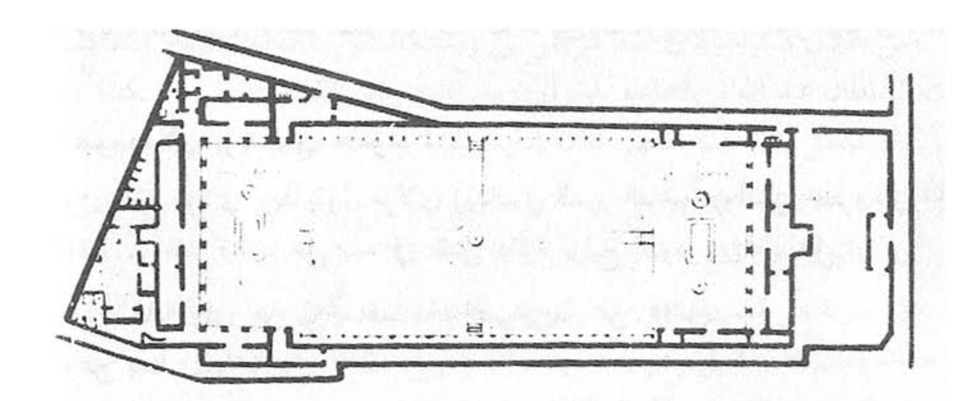
ذكر مولاي زيدان في الدرر الفاخرة ضمن منشآت مولاي الحسن بن محمد (تجديد القصور الملوكية الفخيمة بفاس وتأسيس مشور الدكاكين بها وتحصينه وجعل قباب به لجلوس الوزراء والأمناء ومباحات وبنائق، وأسس بالجانب الجنوبي منه صرحا أنيقا وبالجهة الشمالية سقايتين وأخرى بهما الماء وأنشأ الكنيف الحاوي لعدة بيوت بوسط صحنه صهريج مستطيل للمتوضئين وإنشاء المنتزه الأنيق وشيد منارة المدرسة هناك...

وشيد مشور ابى الخصيصات... وبنى مسجدا ومنارة وعدة قباب وبيوتا ومباحات وجعل بوسطه صهريجا به خصص خمس...

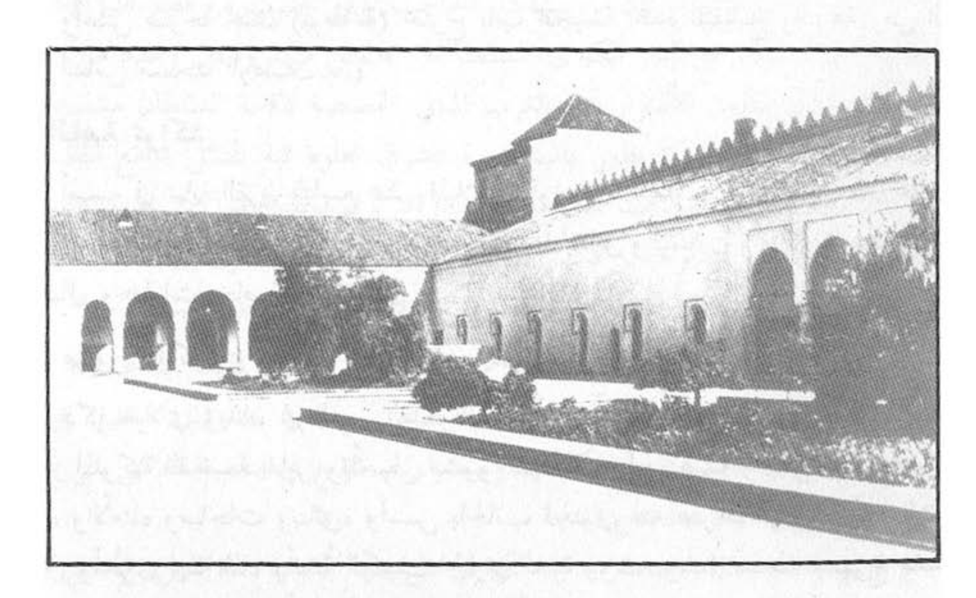
---

(1) الاستقصا 7/ 195 ــ 196.

(2) G.MARCAIS : L'archit Mus. P. 397



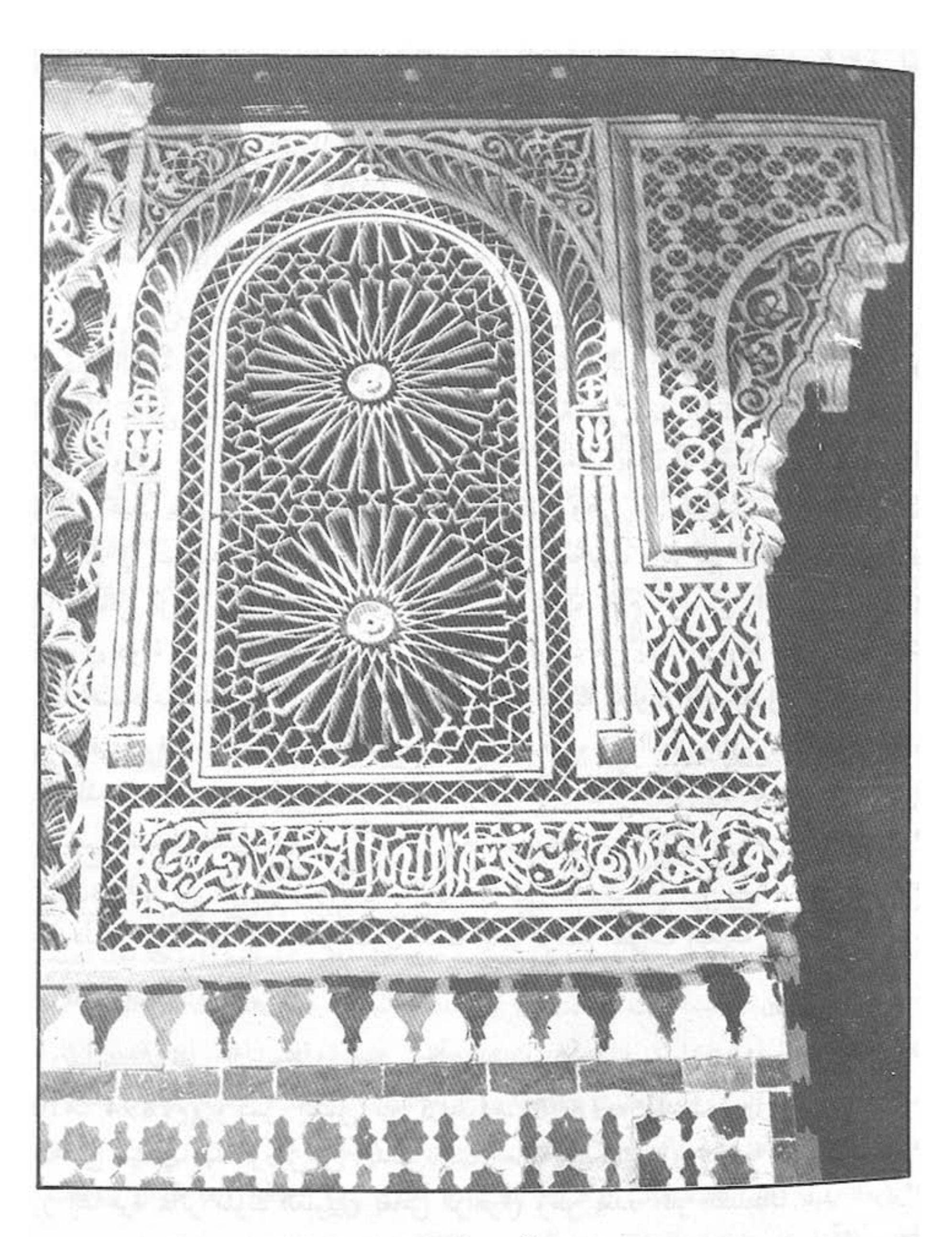
شكل 126
قصر الباهية بمراكش، (ق 19م) التخطيط



شكل 127
قصر الباهية بمراكش، منظر عام لصهريج وقباب وأجدال القصر

شكل 128

قصر الباهية، تفصيل الزخارف المعمارية



شكل 128

قصر الباهية، تفصيل الزخارف المعمارية

كما اتخذ دورا وقصورا بالدار المرينية وبالأخص من الجهة الموالية لجامع الزهر الشريف بفاس الجديد.

وكان من آثاره العظيمة بفاس تجديد دار القيطون وهي التي كانت محل سكنى المولى ادريس باني مدينة فاس وكان المكلف بالوقوف على بنائها نقيب الأشراف العلويين مولاي المامون البلغيثي... وذلك سنة 1305 للهجرة.

قال السلاوي في الاستقصا :

شرع المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمن في مستهل القرن الرابع عشر الهجري[1] في بناء داره العالية بالله العامرة المزرية بمصانع المعتمد وقباب الزهرة وذلك في البستان المعروف ببستان آمنة داخل فاس الجديد عمد أعزه الله إلى ناحية من ذلك البستان فقطع ما كان بها من الشجر وبنى فيها قبة فارهة فائقة الحسن بديعة الجمال يقال أنه ضاهى بها بعض قباب المعتمد بن عباد بإشبيلية، ثم بنى الدار الكبرى بازائها وهي من عجائب الدنيا حسبما بلغنا بالغ أيد الله في تنجيدها وتنميقها وأودعها من النقش العجيب والترخيم البديع والزليج الرفيع المزرى بخمائل الزهر وقطائف الهند وبديع الطوس بحيث جزم كل من رأى ذلك بأن مثله لم يتقدم في دولة من دول المغرب وجلب لقبابها الأبواب من بلاد الاروام يقال أن ثمن أحد الأبواب خمسة عشر ألف ريال مسامره من الفضة المذهبة وعوده من أفضل أنواع العود لا تعرف له قيمة وفيه من التخريم والنقش ما يدهش الفكر ويحير النظر وباقي الأبواب من البلور الصافي المذهب المودع فيه كل نقش غريب، وبها خوخات مركبة بهيئة بديعة كل ذلك قد عمه الذهب النضار الذي يدهش الأبصار، وجلب لذلك من الأثاث الرومي ما قيمته ألوف من الريال، وفيها من الفرش والحائطيات المزخرفة ما لايدري ثمنه ولا يعرف معدنه وموطنه إلى غير ذلك من المقاعد الحسنة والمنازل المستحسنة الرائقة الطرف البديعة الصنعة والرصف.

قصر البطحاء بفاس :

بدأ تشييد قصر البطحاء في عهد مولاي الحسن الأول (بيعته 1296هـ 1873م، وفاته 1311هـ 1894م) وكمل العمل فيه 1315هـ 1898م، ولنستمع إلى تاريخه ووصف تخطيطه من سيدي عبد الرحمن بن زيدان نقيب العائلة المالكة ومؤرخ دولة العلويين في كتابه (الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة) وهو يعدد آثار السلطان عبد العزيز بن الحسن (بويع 1311هـ 1894م وتنازل 1326هـ 1908م) فهو يقول : (ومن آثاره بفاس أيضا اتمام قصر البطحاء الذي كان انشأه والده على يد أمينه المقرى الصدر الآن، ذلك القصر

(1) الاستقصا 145/9.

البهى الذي صار اليوم محلاً لوضع الآثار القديمة من سلاح ونقود ذهبية وفضية ومنسوجات وحلي وخزف وغير ذلك من الصنائع البلدية التي يقصد زيارتها الرحالة والسواح الباحثون... (شكل 129)

وبهذا القصر من الجهة الجنوبية قبب ثلاث في صف أمامها مراح ذو أقواس عشرة، أمام ذلك المباح خصتان بديعتان يتوسطهما صهريج لطيف بوسطه خصة أيضا وفي الجهة الجنوبية قبة أمامها مباح ذو أقواس ثلاثة ومثل ذلك في الجهة الشمالية ومثل ذلك في الجهة الغربية، وبين الجهتين يمتد روض باسق الأشجار، متناسق الأزهار، ذو مماش في وسطها خصة، ويمتد بامتداد الروض المستطيل مباحان أحدهما يمينا والآخر شمالا محمولان على أعمدة خشبية من أبهى وألطف ما يرى الرائي، وقد كمل العمل في هذا القصر عام 1315هـ حسبما ذلك منقوش في جبس بأعلى باب القبة الوسطى بالجهة الشرقية ويتوفر القصر مقر المتحف على قاعات فسيحة تضم مجموعات تاريخية فنية كاملة تحكى تعاقب الأسرات الحاكمة بالمغرب، كما يعتبر أغنى متاحف المغرب بآثار وفنون مدينة فاس ومميزاتها الحضارية عبر العصور الاسلامية مشتملا على مختلف أنواع التحف المرتبة حسب المواد من كتب ومخطوطات وطرز ونسيج وسجاد وزليج وعملة بالاضافة إلى الأزياء التقليدية.

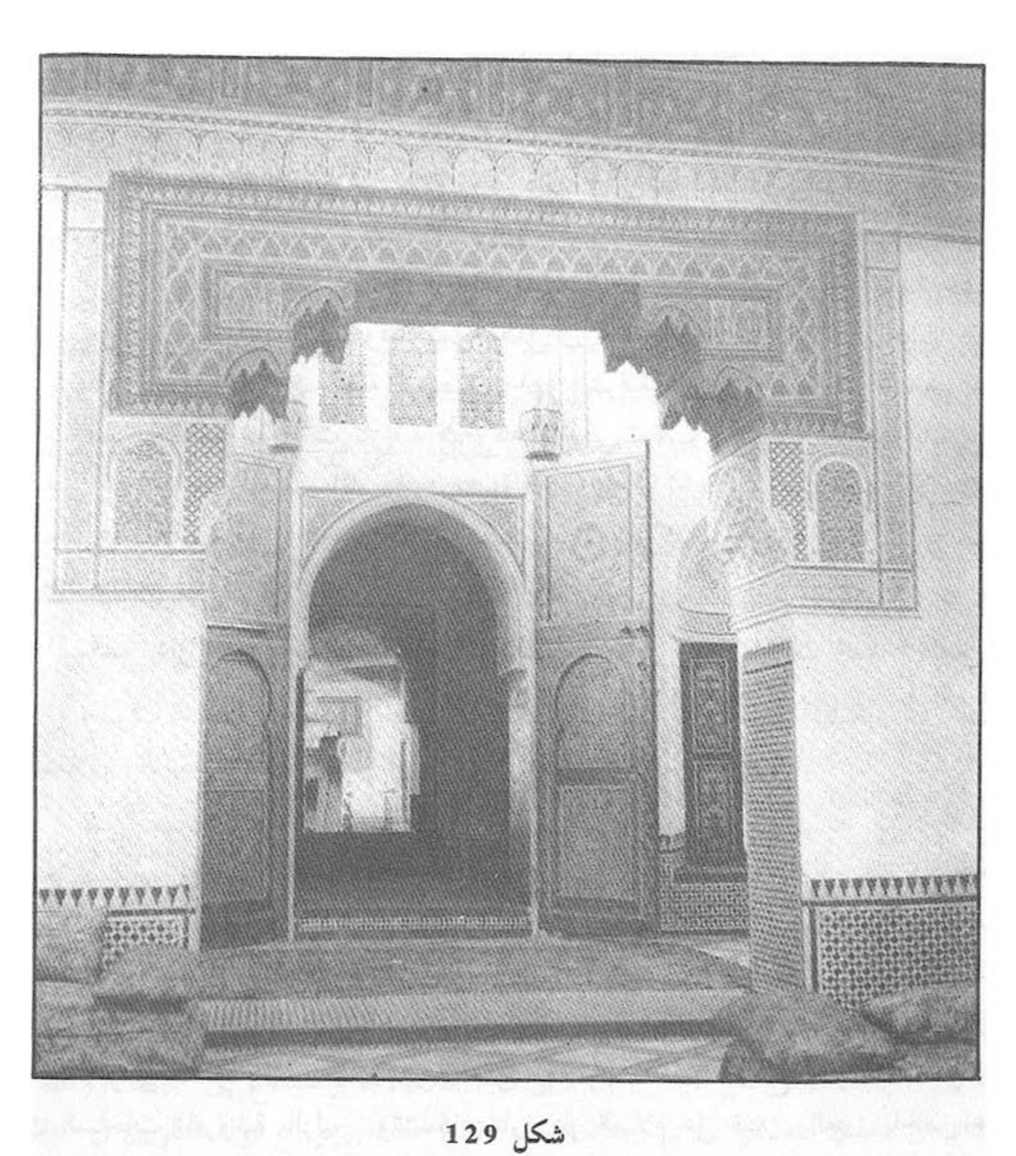
قصر دار السلام برباط الفتح الأثر الفني النموذجي لعصر الملك محمد الخامس :

وسوف نختصر الآن على بعض النماذج لروائع العمارة والفنون التطبيقية من عصر الاستقلال والانبعاث ذلك العصر المجيد في تاريخ الدولة العلوية الشريفة.

فمن عصر محمد الخامس طيب الله ثراه تبقى لنا فيما تبقى من مآثر دار السلام الذي وضع تصميمه وتخطيطه على الطراز المغربي الأندلسي الذي ورثت تقاليده الفنية المملكة المغربية. وفي دار السلام التي لا تبعد عدة كيلومترات عن قلب عاصمة المملكة نجد تصميمات للحدائق والبساتين ثم مساحات فرشت بالزليج الملون البديع حيث نسقت التركيبات الهندسية والأشكال النجمية في تناسق وتناسب بديع يعكس صورة قصر الحمراء وقصور المرينيين. كما نجد أقواس النصر وقد غطيت جميعها بالزليج الملون المذهب البديع تبدو كمداخل إلى تلك الساحات المفروشة بالزليج. وتشمل عمارة دار السلام على قبتين رائعتين بالجص على عدة مراحل زودت بتصميمات الاضاءة الصناعية بحيث يبدو جمالها رائعا طوال ساعات الليل والنهار اعتمادا على تحقيق التباين بين الضوء والظلام.

قباب ودويرات علوية :

في عصر السلطان عبد العزيز بن الحسن (بويع 1311 وتنازل 1326هـ) تأسست



شكل 129
قصر البطحاء بمدينة فاس

القبة العزيزية ببستان آمنة بالقصور الإمامية من الحضرة الفاسية، وصفها عبد الرحمن بن زيدان فقال (عديمة النظير زخرفة واتقانا وسعة اكناف وضخامة، الدالة على علو كعب الفنانين الفاسيين ونبوغهم في الاختراع الهندسي والابداع والاتقان واحكام الصنعة، جعل هذه القبة كمدرسة صناعية لاحياء الحضارة العربية الأندلسية وقاموسا لرقة النقش وتنسيق الوشي.... والبراعة في التناسب... مما شئت من حفر في الخشب وتلوين وتذهيب... ونقش وتخريم ووشي في جبس الجدران وترصيعا بالزليج الفاسي المختلف الألوان المحكم الصنع والتنسيق ارتفاعه نحو المترين وما شئت من ترخيم تلك القبة التي أصبحت محل اعجاب الفنانين وعشاق الآثار...[1]

منقوش في جبس بهوها بحروف بارزة مغشاة بالأوراق الذهبية (النصر والتمكين. والفتح المبين. لمولانا عبد العزيز أمير المؤمنين)

كما أسس مولاي عبد العزيز القبة التوأمية وهي قبب ثلاث متصلة يجمعها باب واحد احداها متوسطة بمثابة براح دار وواحدة يمينا وأخرى شمالا على القبة الوسطى مقابلة لها.. والأبواب مرصعة بالعاج منقوشة بالخشب... وأمام المباحين روض بهيج تتوسطه خصة فوقها قبة كالسقف لها محمولة تلك القبة والحنايا على أربع سوار من النحاس... وطرق الأرض مرصعة بالرخام الأبيض والزليج الفاسي[2]...

ومن آثار مولاي عبد العزيز أيضا تأسيس الدويرة الفاسية ببستان آمنة جعل بها قببا أربعاً متقابلة ذات أبواب منقوشة مزوقة بألوان متناسبة دالة على حسن الذوق العربي مرصعة الجدران بأبهى طرز من عمل الزليج الفاسي مفروشة الأرض بقطع منه... وبكل قبة سرجبان عليهما شبابيك نحاسية ذات تخريم بديع... وجدرات المباحات مزركشة بالزليج (بالدرهم والقضيب)... وجعل فوق القبب السفلية قببا علوية تحيط بجميع تلك القبب والبيوت المصطفة شرقا وشمالا وجنوبا وغربا مباحات محمولة على عشرين أسطوانة كلها مرصعة بالزليج الفاسي المحكم الصنع والوضع مفروشة أرض تلك المباحات بالرخام الأبيض والأسود وبساحتها الوسطى... خصص من المرمر، وجعل فوق تلك المباحات والقبب مباحات أخرى وقببا يصعد لذلك بعدة درج لطيفة لا تعب يلحق راقبها... خططت تلك الأبنية على شكل هندسي بديع[3]...

---

(1) مولاي زيدان : الدرر الفاخرة ص 41.
(2) نفس المصدر ص 113.
(3) نفس المصدر ص 112/113.

المساكن والدور المغربية في العصر العلوي

إن الملاحظة المباشرة لتصميم وهندسة المساكن العلوية تؤكد احتفاظ تلك العمائر بتصميم وهندسة المساكن المغربية التي استقر عليها المغرب منذ عصر المرينيين وعلى الخصوص عصرهم الزاهر في القرن الثامن الهجري.

ولا تخلو الدار المغربية اليوم من ساحة داخلية أو بهو مستطيل غالبا تحيطه أروقة مكشوفة على الصحن محمولة على أعمدة دقيقة تفتح عليها قاعة مستطيلة التخطيط من كل جهة بواسطة باب كبير عملت فيه يد النقاش بالأصباغ والحفر تعلوه شمسية مفرغة وعلى جانبي الأبواب تنتظم النوافذ الجانبية في تقابل هندسي.

وقد قسم جورج مارسيه المساكن العلوية إلى ثلاثة طرز : مدرسة الرباط وسلا ومدن الساحل، ثم مدرسة مكناس وفاس، ومدرسة مراكش ومدن الجنوب.

ومن الطبيعي أن تتفق تلك الطرز من حيث التخطيط الهندسي بينما قد يختلف الهيكل العام والزخرفة المعمارية من إقليم لآخر حسب مقتضيات عدة. وبهذا يتلاحظ غلبة الفن الموحدي في مباني المذن ذات الطابع الأندلسي حيث تحيط الحنايا الحجرية بساحة الدار الوسطى، وفي فاس حيث استمرار التقاليد الفنية الموروثة من عصر بني مرين تتكون الدار من طابقين أو أكثر مع الاسراف في الزخارف والنقوش المميزة لعصر المرينيين، بينما تعكس مدن الشمال باستثناء تطوان — أحد المراكز الكبرى لاستقبال المهاجرين الأندلسيين — بساطة الأسلوب[1].

ومن هذا العرض يتضح لنا أن خصائص الفن المعماري فيما يتعلق باقامة القصور والعمائر المدنية قد ظل في عصر الأشراف العلويين ينهج نفس النسق التقليدي المعروف سابقا بالطراز المغربي الأندلسي مع التحول إلى استخدام الآلات والتقنيات الحديثة. أما فيما يتعلق بالهندسة العسكرية، فقد مر بنا أن الملابسات العصرية وتطور الأسلحة النارية قد غيرت الهيئة العامة في الحصون نظرا إلى ظهور استخدام المدفعية وما يتبع ذلك حتما من تغيير في استخدام مواد البناء، حيث لا يتسع الوقت لاقامة الجدران الضخمة المتحملة لتلك الأوزان الثقيلة من الحجر المنحوت الذي بدأ يقل استخدامه فيما عدا الواجهات كما قل استخدام الأعمدة المرمرية

(1) عبد العزيز بن عبد الله : بحثه أمام مؤتمر الأثار السابع أبو ظبي 1974.

التي سبق استيراد الأشراف السعديين لها من الخارج. في حين استمر استخدام الجص، والسقوف الخشبية المطعمة، والأقواس والحنايا المنوعة، والتلاعب بالزليج الملون في كافة أجزاء العمارة المدنية فيما عدا استخدام الزليج في الصوامع العلوية الذي قل عما كنا نراه شائعا خلال العصر المريني[1].

المنازل الخاصة :

درس بروسبير ريكار أمثلة من المنازل الاسلامية من عصر الدولة العلوية[2] ترجع إلى القرن الثاني عشر (ق.18م) وقال بان الصحن المكشوف إلى السماء يمثل قلب المنزل العربي، ويحاط الصحن برواق ذي بوائك (PORTIQUE) من جانب واحد أو جانبين متقابلين أو ثلاثة أروقة يعرف واحدها باسم (النبح) عقودها على هيئة حدوة الفرس (Fer à cheval).

وخلف النبح توجد الغرفات وهي قليلة العرض كثيرة الطول[3] وتفتح الحجرات في وضع محوري على الصحن بينما يوجد في ركن التخطيط العام موضع الدروج للصعود للطابق العلوي. وحرصا على صون اسرار الحياة المنزلية فقد راعى التخطيط وضع دخلة أو ممر ضيق (Vestibule) منحني الشكل يوصل إلى الشارع دون أن يكشف داخل المنزل للمارة (شكل 130 أ وب).

ويتضح من تخطيط بعض المنازل أن الممر الكائن وراء المدخل يشتمل على سلم يؤدي إلى الطابق العلوي المخصص للضيوف دون المرور داخل المنزل، وتشتمل اقامة الضيوف تلك على قاعة استقبال تواجه الحديقة الكبيرة ويكون طولها مناظرا لطول القاعة السفلى بينما يزيد عرضها بقدر مساحة النبح السفلى (شكل 131).

فندق النجارين بفاس :

كان من أجمل وأجل آثار مولاي إسماعيل بن الشريف بناء فندق التجارة بحومة النجارين بفاس عام 1123هـ ذكر مولاي زيدان نقشه التأسيسي في الزليج بأعلى بابه :

بمولاي ادريس الرضى نلت رفعةوفضلا فاسعدني بمجد مؤثـل
فيا طالبا أمنـا وحفظـا لمالـهوجدت الذي تهوى رويدك فانزل
باسعد وقت قد نشأت مؤرخا(بشعبان)[4] في حسن وصنع مكمل

---

(1) مظاهر الحضارة المغربية ج 2 ص 60 ــ 61، وراجع العمارة الاسلامية لمارسيه ص 398 ــ 403.

(2) بروسبير ريكار : نفس المصدر ص 239/237 وشكل 450 ص 451.

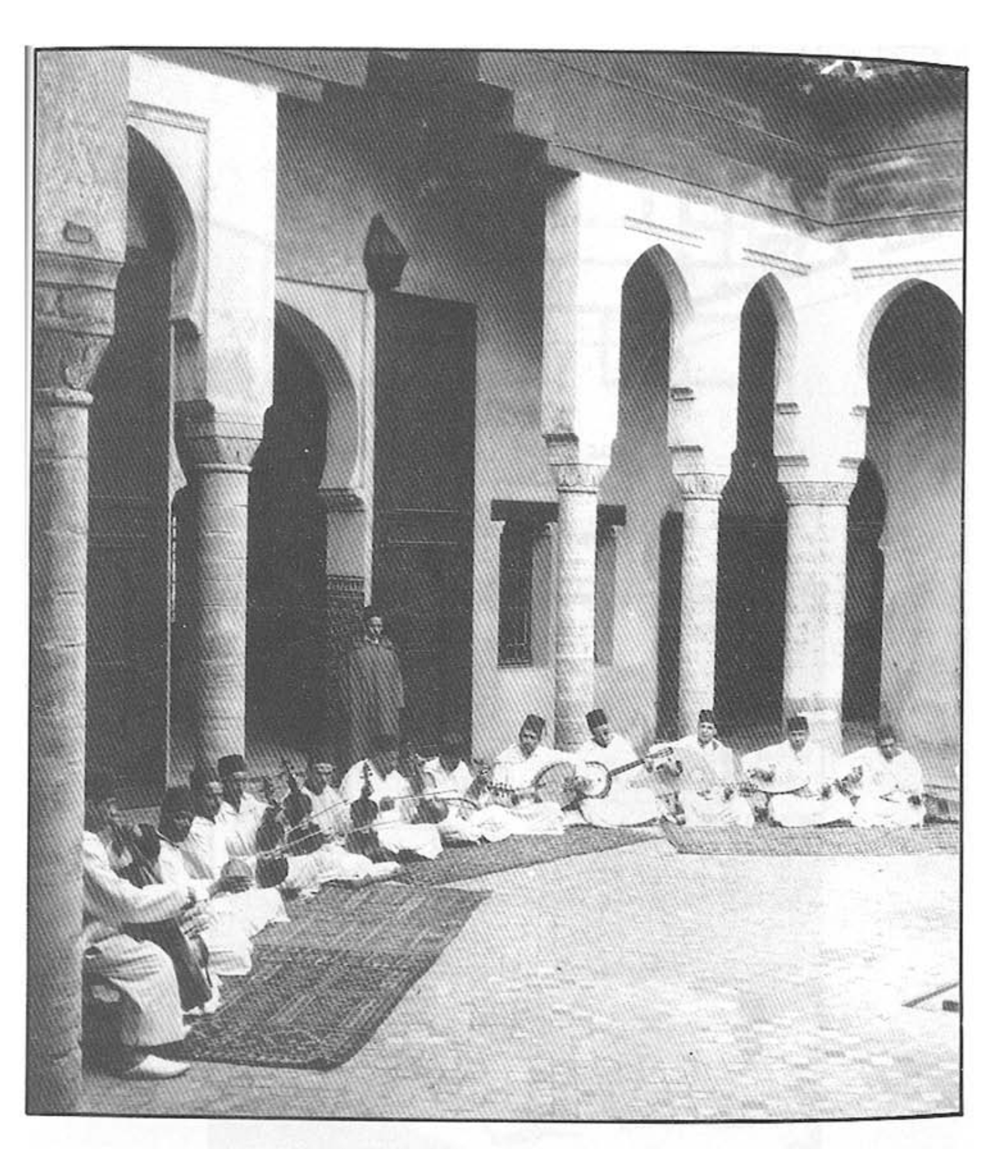
(3) يعلل ذلك بضعف وسائل حمل السقف وهو اجتهاد غير موفق بل انه تخطيط أصلي تقليدي مع توفر الأخشاب ذات الاطوال الكافية.

(4) تساوي 1125.

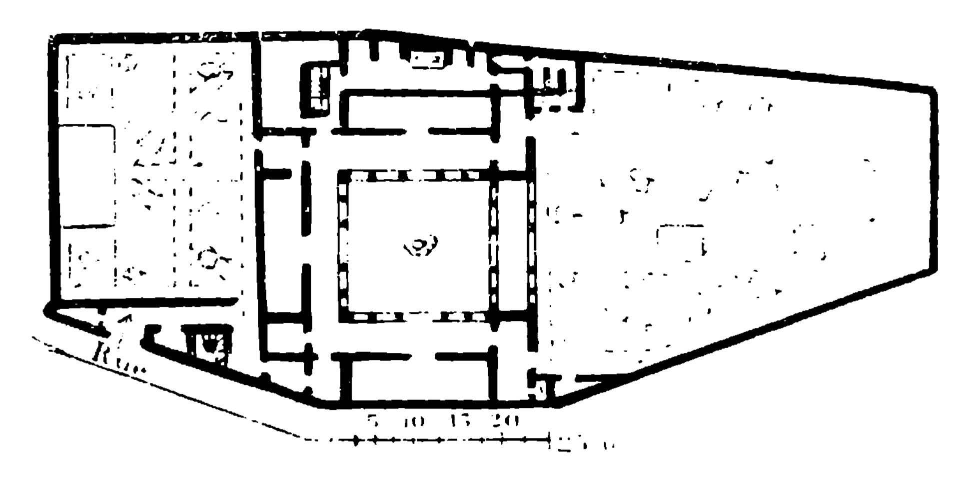
وقد درسه بروسبير ريكار وفال بأنه تأسس إبان القرن (18م) ويتصدره مدخل بارز (PORTE MONUMENTALE) زخرف بالجص والخشب المنقوش يؤدي إلى طريق سهل الولوج والخروج للحيوانات الواردة مع أصحابها على الفندق الذي يصفه ريكار بأنه مستودع جمركي، والسقف مغطى بخشب مزين بزخارف مدهونة ومنقوشة[1] (شكل 132).

ويفتح المدخل على المحور الطولي للفناء الداخلي المحاط بدعائم (PILIERS) ترتفع إلى مستوى السقف تحصر بينها وحدات المأوى من طابق سفلي وطابقين علويين، وذلك بالاضافة إلى ملحقات أخرى منها السقاية (FONTAINE)والمراحيض (LATRINES) كما يتوفر الفندق على بيت للصلاة ومحرابه، وليس بخاف أن الفنادق مثلها مثل الحمامات تكون من ممتلكات الأحباس، كما توجد مؤسسات أقل شأنا تعرف بدار السلعة.

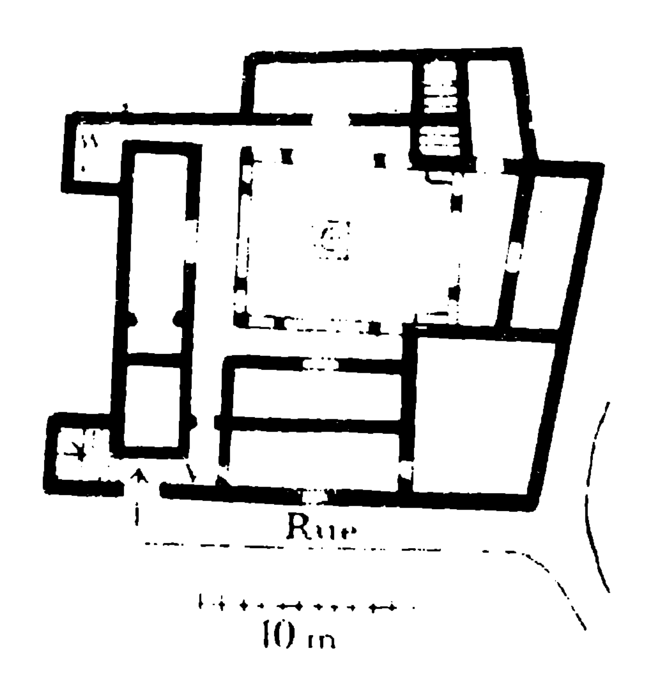
(1) نفس المصدر ص 226 وشكل 486.



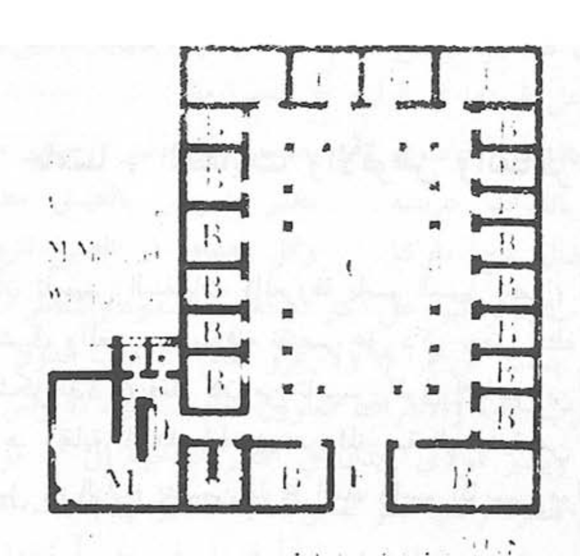
شكل 130 أ
منزل علوي معاصر



شكل 130 ب
تخطيط منزل عربي معاصر بمدينة فاس

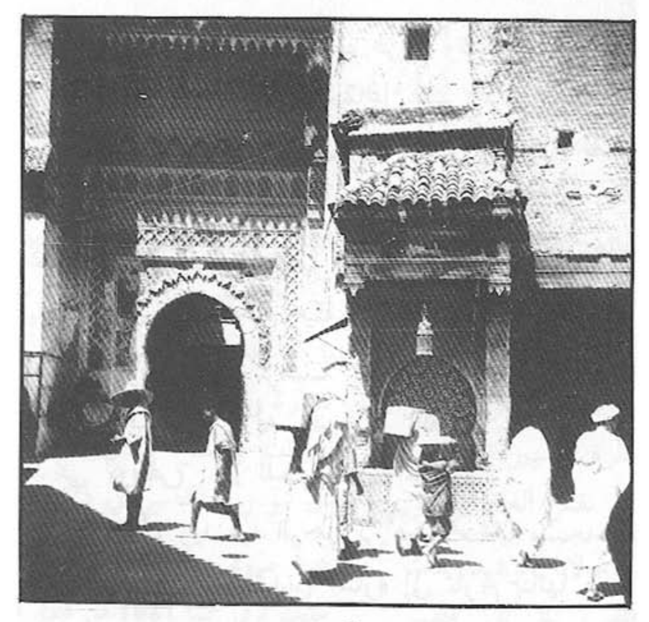


شكل 131
تخطيط منزل مغربي بمدينة فاس (ق 12 هـ)



شكل 132

فندق النجارين بمدينة فاس (ق 12 هـ)



شكل 133

سقاية النجارين بمدينة فاس، أشغال الزليج والجص والخشب المنقوش والقرمود الأخضر

خامسا : السقايات والأقواس والقناطر

من المعلوم أن تأسيس السقايات (المعروفة باسم السبيل بمصر) أمر شائع على طول عصور الاسلام بالمشرق والمغرب، وسوف نقتصر على ذكر بعض أمثلة من عصر الأشراف العلويين بالمغرب (شكل 133) فقد كان من تأسيس المولى إسماعيل بن الشريف بتاريخ ذي القعدة سنة 1127هـ سقاية بالجدار الجنوبي من المدرسة الرشيدية من جهة نهج الشراطين بأعلاها نقش تأسيس في الزليج يتضمن تاريخ البناء واسم المؤسس مولاي إسماعيل ويقول النقش :

انظر بدائع صنعي   هل البديع نظيره
بأمر مولاي إسمـ   اعيل (جاء غزيره)

وهكذا أشار النص التأسيسي إلى سنة البناء (جاء غزيره وتساوى سنة 1127هـ) هذا وقد حبس مولاي إسماعيل ماء سقاية المدرسة الرشيدية على نفس غرض تحبيس ماء سقاية الضريح الادريسي أواسط عام 1127هـ وجمع الحبسين في عقد واحد أورد نصه صاحب الأزهار العاطرة الأنفاس[1].

أما السلطان محمد بن عبد الله بن اسماعيل فقد أسس سقاية عين البغل من حومة العيون عام 1196هـ وعليها نقش في الزليج على هيئة البيضة قرأه مولاي زيدان منه :

شاد حسني وجمالي   نزهة للناظرينا
ماء واد من نداه   به قد زان العيونا
نقش تاريخي (ويغفر)   للذي قال آمينا[2]

وكان من آثار السلطان أبو زيد عبد الرحمن بن هشام سقاية مسجد الشرابليين وباعلاها نقش التأسيس بالشعر يتضمن لفظة (رشدنا) اشارة إلى تاريخ بنائها سنة 1255هـ[3].

---

(1) الدرر الفاخرة ص 46/45

(2) الدرر الفاخرة ص 58/57 (ويغفر) تساوى 1196 هـ

(3) الدرر الفاخرة ص 88/87

وهذا السلطان عبد الرحمن بن هشام هو نفسه باني سقاية السبيل بحومة النجارين من فاس حيث نقش بأعلى قوسها في الزليج ما نقتبس منه :

خليلي مر بالسبيل لترتوي — بعذب معين من رحيق معتق
هنيئا مريئا بالفرات شربته — بثغر عروس بالعتيق مطوق
وبالسرى المفضال تاج ملوكنا — ونجل (هشام) ذو الصنيع المرونق[1]

وإذا كان المغرب يتوفر اليوم على أكبر شبكة من السدود والقناطر معروفة باحد البلدان النامية، فان ذلك لم ينبعث من فراغ، ولا غرو فقد كان دأب الدول والملوك على امتداد عصور الاسلام بالمغرب عامة والأشراف العلويين خاصة تشييد الأقواس والقناطر والجسور وتحصينها وترميمها، ويشير مولاي زيدان في الدرر الفاخرة إلى أن مولاي الرشيد أسس الأقواس الأربعة من قنطرة وادي سبو لفاس عديمة النظير في بناءات أهل المغرب الأقصى (أنفق في بنائها اثنين وخمسين قنطارا...) وبدأ العمل في حفر أساسها 15 جمادى الثانية 1081هـ وفيها أنشد أبو علي اليوسي :

وأشادها حسناء ترفل في حلا — ورق على در من الامواه
عاما (شفا) فيه النفوس من العنا — وأجارها من جائر محياه[2]

ومولاي الرشيد هو مجدد قنطرة ابن طاطو الشهيرة خارج باب بنى مسافر المعروف اليوم بباب سيدي ابى جيدة ويعطينا مولاي زيدان مؤرخ العلويين قراءة نقش التأسيس في الزليج الأسود بأعلى قوسها :

أبدى الصنائع حضه مقدورة — للخلق في صنعي وفي تجديدي
في عام شاف 1081 قد شفيت بطبه — في مطلع وافى يلوح سعيد

وكان من أعمال مولاي الرشيد أيضا تجديد قنطرة الرصيف الموصلة إلى جزاء ابى برقوقة من عدوة الأندلس نفس العام وتجديد قنطرة وادي فاس المعروفة اليوم بالقنطرة الطويلة، وهو مؤسس القنطرة الشهيرة خارج باب البوجات وقنطرة وادي النجا وقنطرة باب الجديد أحد أبواب فاس في نفس العام المذكور، ويقول أبو زيد الفاسي في ذكر إحدى هذه القناطر :

هاذى مآثر مولانا الرشيد بدت — عن سيرة سار فيها أحسن السير
تاريخها (ظفر) لما تلى ظفر — جاءت ترى ثمما 1081 من ذلك الظفر[3]

---

(1) الدرر الفاخرة ص 84.
(2) الدرر الفاخرة ص 15. (شفا) تساوي 1081 هـ
(3) الدرر الفاخرة ص 18/16.

أما مولاي إسماعيل بن الشريف فقد أتم قنطرة وادي النجا كما جدد قنطرة الرصيف سنة **1115** هـ وجاء دور السلطان محمد بن عبد الله بن اسماعيل فجدد بعض حنايا قنطرة سبو العديمة النظيرة عظما وفخامة ومتانة واتقان صنع، قرأ مولاي زيدان بأعلى أحد أقواسها في الزليج الأسود :

شيـــدني معظـــم ودود	**أمام غرب فضله معهـود**
محمد ابن من له صعـود	**عبد الالـه الملك السعيـد[1]**

(1) الدرر الفاخرة ص. 64.

سادسا : البساتين والحدائق والرياض

بستان السلطان عبد الله بن اسماعيل بدار دبيبغ بفاس (شكل 134) :

وكان من آثار السلطان عبد الله بن اسماعيل بمدينة فاس البستانان اللذان بدار دبيبغ احدهما خارج القصر متسع الأكناف فيه من الأشجار المثمرة بمختلف الفصول عدد كثير، وثانيهما داخل القصر أقل من الأول مكتوب بخدي سكنى الملك في نقش زليج ما لفظه :

تأمل بهجتي وبديع حسنى — وما رقمته ايدي الراقمينا

بناني من له رتب المعالي — وحامي الحي آمرنا رضينا

وعلى خد القبة الشرقية :

هذه الدار أضاءت بهجة — واستنارت بأمير المؤمنينا

وعلى خد القبة الغربية :

ألا يا داخلا باليمن أبشر — وبالاقبال في وقت سعيد

أجدال مراكش[1]

لما صفا للسلطان المولى عبد الرحمن أمر المغرب شرع في غرس أجدال[2] غربي مراكش، وهو بستان عظيم جدا يشتمل على جنات كثيرة معروفة بحدودها وأسمائها وأكرتها، وتشتمل كل واحدة منها على نوع أو أنواع من الأشجار المثمرة، وفي وسطه برك عظام تسير فيها القوارب والفلك وتصب فيه العيون كأمثال الأنهار لسقي تلك الجنات وعليه من الأرحاء شيء كثير وتلك البرك منها ما ضلعها الواحد يكون مائتين خطوة وأقل وأكثر، وفي داخله أيضا من المنتزهات الكسروية والقباب القيصرية والمقاعد المروانية ما يستوقف الطرف ويستغرق الوصف مثل دار الهناء، والدارالبيضاء، والصالحة، والزاهرة وغير ذلك. ويتصل به جنان رضوان الفائق بحسنه وقبابه ومقاعده البهية على ذلك كله... ولما شرع السلطان رحمه الله في غرس هذا البستان جلب له العين الآتية من بلاد مسفيوة المسماة بتاسلطانت وهي من أعذب العيون ماء وأخفها وأنفعها للبدن،... وفي ذلك يقول الوزير أبو عبد الله محمد بن ادريس رحمه الله :

---

(1) مارسيه : العمارة الاسلامية ص 404، كلمة أجدال تعني في الرباط (العاصمة) الأرض غير المزروعة حيث يمكن أن يتجمع الجيش بينما تعني في مراكش موضع الاقامة الفسيح المزروع المتوفر على مجاري المياه والأروقة والحوانيت.

(2) الاستقصا ج 9 ص 13 ـــ 14 نقلا عن اكنسوس.

وردت وكان لها السعود مواجها والحسن مقصورا على مواجهـا
هبطت اليك من الجبال وطالما تعبت ملوك الأرض في اخراجها
وافتك وافدة وقد صبغ الحيا وجناتها وجرى على أدراجهـا
فكأنها بلقيس جاءت صرحهـا لكنـه صرح بـغير زجاجهـا
لبتك اذ سمعت نداك وأقبلت مرهوية تستن مـن ازعاجهـا

ثم جاء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن فقام بتكملة غرس أجدال بحضرة مراكش[1] وكان في زمان الصيف يناله الجدب من قلة الماء لأن بركه التي كان يختزن بها الماء كانت قد تعطلت بامتلائها بالتراب والطين الذي تجلبه السيول اليها وأعظمها البركة الكبرى التي بدار الهناء، وكان يقال لها : البحر الأصغر وطولها اثنتا عشرة مائة قدم، وعرضها تسعمائة قدم... وكان تربيعها بمنزلة سور قصبة فجاء من بنى في وسطها قرية بدورها وأزقتها وأسواقها، فجاء السلطان سيدي محمد رحمه الله أيام خلافته فأمر باخراج ما في تلك البرك والصهاريج كلها وتنقيتها من الطيون المتحجرة فاجتمع على ذلك عالم من الناس فكنسوها وعادت إلى حالها الذي بنيت لأجله وهو اختزان الماء لوقت المصيف وبذلك كمل المراد من أجدال وصار آمنا من العطش والامحال.

بستان آمنة المرينية[2]

وكان من آثار المولى عبد الرحمن بحضرة فاس العليا تجديد بستان آمنة المرينية، قال السلاوي : قال أكنسوس : وكان هذا البستان خرابا تألفه الوحوش مع أنه بباب دار السلطان وفي سرة الحضرة، وقد كان في الدولة المرينية على هيئة بهية فيه ظهرت زينة تلك الدولة وضخامتها، وفيه مقاعدهم ومنازلهم العالية ومجالسهم المشرفة على بساتين المستقى إلى أن قال : وبالجملة فقد كانت تلك العرصة منية من زينة الحياة الدنيا، وجنة حائزة من البهجة المرتبة العليا، ثم أخنت عليها الأيام بصروفها ومحت من تلك الرسوم جميع حروفها، فرآها الملوك قبل مولانا المؤيد فلم يرقوا لحالها ولا أنقذوها من أوحالها، مع أنها في جوارهم وعقر ديارهم، فعطف الله عليها هذا السلطان المبارك فأعاد بعد الممات محياها وأبرز من ظلمات العدم جميل محياها.

أجدال الرباط[3] :

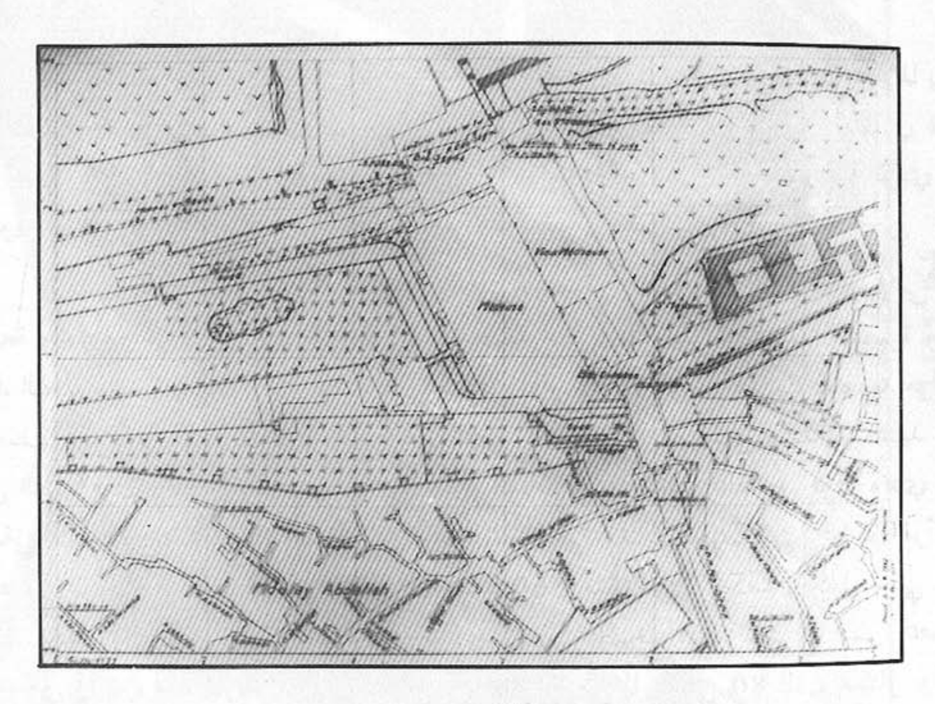
نزل سيدي محمد بن عبد الله برباط الفتح وأمر بقطع جنات أجدال الذي بظاهر البلد،

---

(1) نفس المصدر ص 125 ــ 126.
(2) وانظر مارسيه نفس المصدر ص 404 والاستقصا ج 9 ص 79 وص 80.
(3) الاستقصا ج 8 ص 35 + ج9 ص 127.

وأنزل العبيد به وبنى لهم الدور والمسجد والمدرسة والحمام والسوق، وزاد عليهم ألفين وخمسمائة من الودايا جلبها من القبائل، وكتب الجميع في الديوان وجعلهم في مقابلة عبيد مكناسة والودايا الذين بها، وأفاض فيهم العطاء الكثير لسكناهم بثغر من ثغور الاسلام.

وجاء سيدي محمد عبد الرحمن فأمر ببناء داره الكبرى بأجدال رباط الفتح والسور الكبير المحيط ببسيطها، وجلب الماء إليها بعد أن صير عليها أموالا كثيرة، وأحيى جامع السنة قربها وكان بائدا يعشش فيه الصدى والبوم وأقام فيه الصلوات الخمس والخطبة كل جمعة، وأحيا المسجد الصغير هناك المسمى بمسجد أهل فاس واعتنى به وزخرف سقوفه.



شكل 134
حي مولاي عبد الله (والناعورة) بفاس

سابعا : مجموعة السدود الحسنية

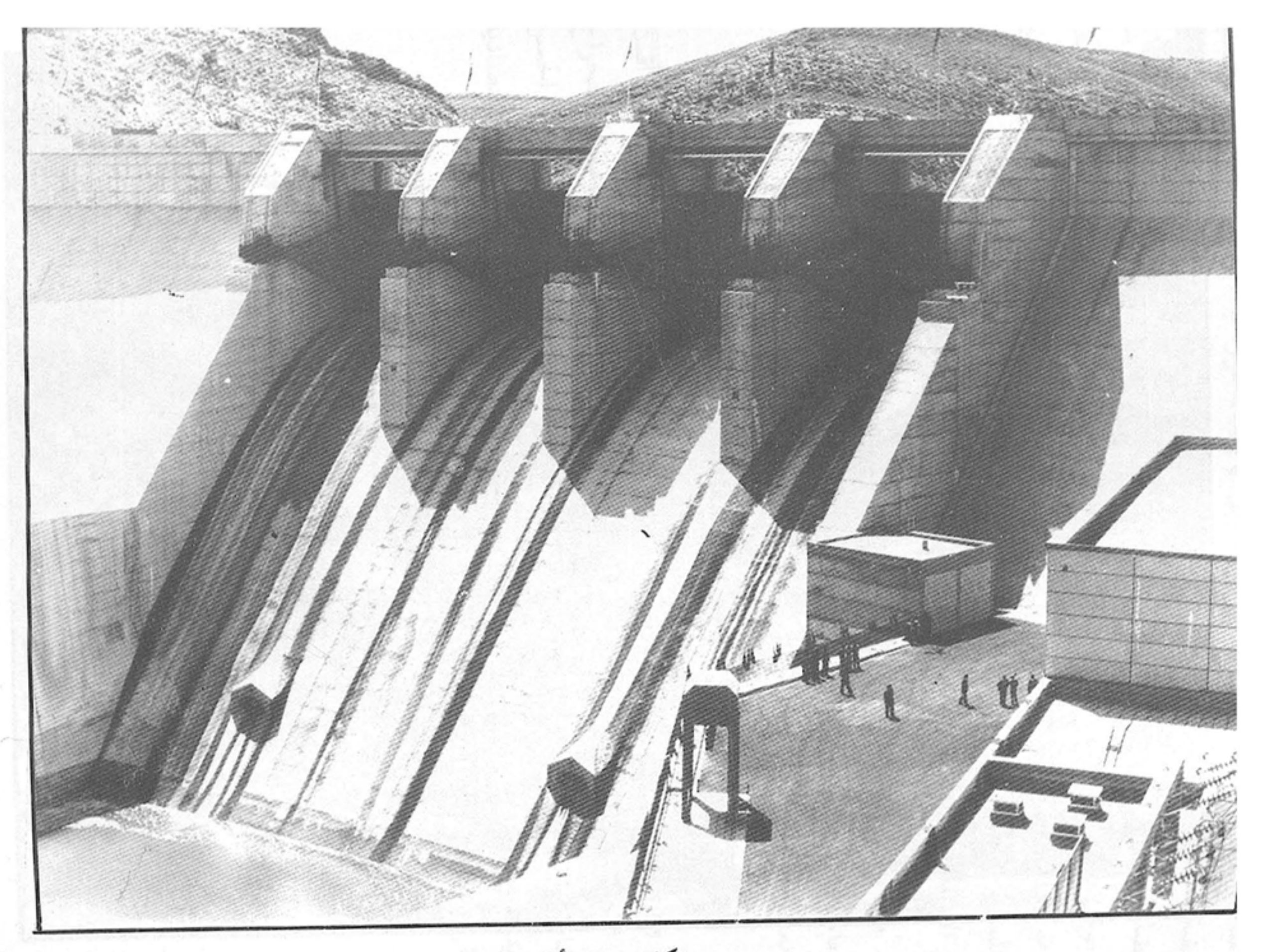
وسوف يظل بدون شك ولا ريب من أبرز معالم المنجزات المعمارية في فن العمارة المدنية على طول ذلك العصر، تلك المجموعة من السدود المائية الهائلة التي عرفها المغرب منذ أوائل عصر الاستقلال وعلى الخصوص ابتداء من تاريخ البدء في تنفيذ التصميم الخماسي لعام 1968م.

إن تخطيط المغرب وتصميمه للمحافظة على ثروته المائية وصيانتها وحسن استغلالها يوفر لذلك المخطط المدروس المعد سقي مليون هكتار في سنة 2000 للميلاد ولا شك في قيمة ما تضيفه هذه الطاقة الضخمة على الفلاحة وما يترتب عليها من صناعات وطنية تؤدي إلى تطوير وانعاش المستوى الاجتماعي الذي هو هدف كل تخطيط إنساني.

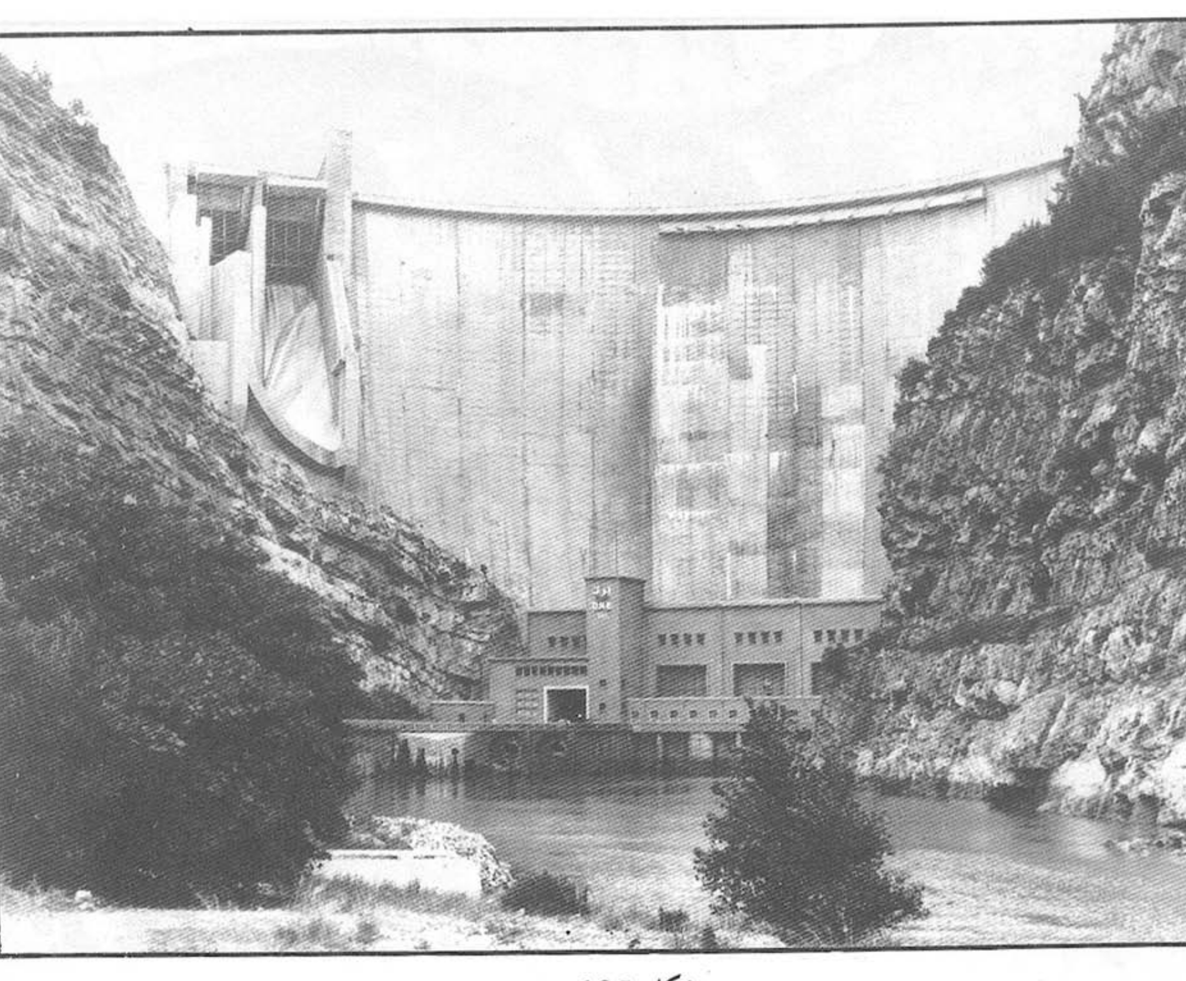
ويبلغ مجموع السدود المغربية اليوم[1] على غير مثال آخر في بلد عربي أو إسلامي نحو سبعة وعشرين سداً أقيم منها بعد الاستقلال سبعة عشر سداً منها تعلية سد القنصرة وبناء سد النخلة وسد آسفي قبل تنفيذ التصميم الخماسي لعام 1968. وبعد ذلك تم بناء سد مولاي يوسف على وادي تساوت الواقع على بعد سبعين كيلومتر من مراكش وكذلك تشييد سد من الطين فوق وادي كرو بالقرب من مدينة الرباط وسد الحسن الداخل فوق وادي زيز لسقي 19 ألف هكتار بتافيلالت وحماية هذا الاقليم من مغبات الفيضانات. ثم بناء مركب المنصور الذهبي فوق وادي درعة ويبلغ حجمه 560 مليون مترا مكعبا ويكفل سقي 19 ألف هكتار وحماية واحات النخيل المنحدرة من آفات تضخم المياه. وشرع نفس التصميم الخماسي في بناء سد إدريس الأول فوق وادي ايناو ويرمي إلى سقي 80 ألف هكتار بوادي سبو ثم سد يوسف بن تاشفين الذي تبلغ طاقته 310 مليون مترا مكعبا يستهدف أساسا سقي 19 ألف هكتار. أما سد أبي رقراق فإنه يستطيع ادخال 500 مليون متر مكعب ويستهدف تزويد المنطقة الساحلية الممتدة من القنيطرة إلى الدارالبيضاء بالماء العذب (أشكال 135 أ وب).

---

(1) انظر السدود الكبرى بالمغرب لوزارة الأشغال العمومية والمواصلات ـــ ديسمبر 1973 ـــ سلسلة المطبوعات المتعلقة بالسدود لنفس الادارة.



شكل 135 أ
سد مشروع قليلة



شكل 135 ب
سد بين الويدان

ومن بين السدود الكبرى في تصميم 1973 ــ 1977م يوجد اثنان منها ذات طابع فلاحي وهي كدية الغرفة فوق نهر اللوكوس وسد آخر في أعلى نهر سوس ومن شأنهما أن يزيدا في المساحة المزروعة بالسقي نحو 50 ألف هكتار كما يلعبان دورا هاما في حماية واديهما الأسفلين من مغبة الفيضانات المترتبة عن تضخم المياه. أما السد الثالث فهو سد أبي رقراق الذي يساهم في مضاعفة توفير حجم الماء الصالح للشرب في المنطقة الساحلية المذكورة، وأخيرا فإن سد تنين موتين فوق نهر تساوت سيختص بدور كبير في طاقة الصرف يعتبر بمثابة حوض تعويض لسد مولاي يوسف. وان حرص جلالة الحسن الثاني على التعمير المدني جعله يصر على تدشين سد المسيرة في نفس الوقت الذي جرت فيه أحداث معجزة العصر المسيرة الخضراء فضرب أروع الأمثلة للقادة التاريخيين على التوازن الفكري في مضمار الحضارة الاسلامية المتكاملة.

ولا شك أن مثل تلك الشبكة الضخمة الهائلة من السدود المائية التي تهدف أولا وأخيرا إلى انعاش الفلاحة وتطوير الصناعة وتشغيل الأيدي العاملة وتحقيق الرخاء تعتبر معلمة من أبرز معالم العمران المدني في العصر الحديث.

ثامنا : المنشآت المعمارية الحديثة لاستغلال الفوسفاط :

ومن قبيل العمارة المدنية ذات المنافع العامة كذلك تلك المنشآت والمؤسسات التي أقيت بباطن الأرض وفوقها في اليوسفية وخريبكة وغيرها وهي تجمعات صناعية لاستخراج الفوسفاط واستخلاصه وتصنيعه وتصديره الذي بلغ حدا من العناية به جعل جلالة الحسن الثاني يدشن خلال عام 1974 للميلاد ميناءً خاصاً صمم وأعد لتصدير تلك المادة الاقتصادية الوطنية.

الفصل العاشر

الفنون التطبيقية في عصر الأشراف العلويين

أبحاث هذا الفصل :

أولا : الخشب
ثانيا : الحجر
ثالثا : الجص
رابعا : الزليج والخزف والرخام
خامسا : الزخرفة المعمارية بضريح محمد الخامس
سادسا : المعادن :

- العملة
- السلاح
- الساعات والأسطرلاب
- الثريات
- الحلي
- فن الترصيع
- آلات النحاس وتوفر الفضة

سابعا : الصاع والأمداد النبوية العلوية
ثامنا : النسيج
تاسعا : السجاد
عاشرا : فن الكتابة والنقوش العربية

العمارة الاسلامية والفنون في الشعر العربي

الفصل العاشر

الفنون والصناعات التطبيقية في عصر الأشراف العلويين

نستعرض الآن في هذا المجال بعض الصناعات والتحف ونماذج الفنون الاسلامية التي ترجع إلى عصر الأشراف العلويين ممثلة في صناعة الخشب، والمعادن من العملة والسلاح والساعات والثريات وصناعة الحلي، ثم صناعة الزليج وفن الخزف والرخام، فالنسيج والسجاد المغربي، إلى أن نصل أخيرا إلى فن الكتاب والنقوش العربية.

أولا : الـــخـــشـــب

ساعدت وفرة الأخشاب وتنوع مصادرها وأنواعها بالمغرب كبلد فلاحي تغطي الغابات مساحات شاسعة من أراضيه في الجبال والنجود والسهول، على اقبال الصانع المغربي لاستغلال خاماته المحلية في شتى مجالات الحياة العمرانية من عمارة وفن.

ولا شك أن الأخشاب المغربية لعبت أدواراً كبيرة في العمارة الاسلامية لتغطية الأسقف وتأسيس القباب وتشييد العمائر قبل اختراع الخراسانة المسلحة المعروفة اليوم. كما دخلت الأخشاب في صلب أنواع من الصناعة تتعلق بالحياة اليومية المنزلية وعالم الزينة والزخرفة لأنواع الأثاث المغربي التقليدي الذي يعيش على نفس النمط إلى اليوم.

وقد برز من بين أهم أنواع الخشب المغربي العرعار والأرز وأخشاب شجر اللوز وغيرها. ويختص خشب العرعار بسبب متانته ومقاومته للتسويس بصنع الموائد والتحف المنزلية المطعمة بخشب الليمون أو الأصداف والعاج والأسلاك الفضية أو النحاسية وأبواب المنازل المنقوشة وجوائز الأسقف والقباب ومنابر المساجد وكراسي الفقهاء والشبابيك ذات خشب الخرط (Bois TOURNE) وصناديق الملابس.

وتعتبر مدينة الصويرة ومدينة سلا ذات شهرة واسعة في استخدام خشب العرعار في انتاج التحف المتنوعة التي يبدو فيها التناسق والتركيب الجمالي في النقش والتطعيم والطلاء الذي يضفي على المنتجات ألوانا زاهية لا تتعارض مع طبيعة الخشب الأصلية.

غير أنه نظرا لعدم سهولة النقش والترصيع في خشب العرعار لصلابته، وبسبب الانتاج العصري الذي يتسم بالسرعة، فإن المنافسة القوية من جانب أخشاب الصنوبر واللوز بحاضرة

مكناس المشرفة على سفوح الأطلس المتوسط حيث أشجار الآرز والصنوبر أعطت مكناس مكانتها الأولى في المنتجات الخشبية المتخذة من خشب الصنوبر بالذات كما منحت صناعة فن النقش على الخشب بعدا جديدا يتسم بالدقة والاتقان والأصالة بحيث أصبحت مكناس زعيمة هذا الفن دون منازع ومركز تصدير روائعه إلى شتى أنحاء المغرب.

أما تطوان فتتميز بالرسم على المصنوعات الخشبية بألوان لامعة لعمل أشكال نباتية وزهرية ورسومات هندسية. كما تخصصت تاغزوت بترصيع أنواع الخشب الصلبة بالنحاس والفضة وتطعيمها بالعاج وانتشر انتاجهم المتنوع وصناعتهم الخاصة بهم إلى مدن الرباط وفاس وتطوان.

كما تنفرد الصناعة في مدينة آزرو بقلب الأطلس بتناول قطاع دائري من جزع الشجرة ونحته بطريقة يدوية لتكوين تحف على أشكال حيوانات المنطقة وعمل سلسلة خشبية متداخلة الحلقات من قطعة خشبية واحدة.

وفي الجنوب المغربي بمنطقة طاطا وفم زكيد وورززات وأرفود تصنع السقوف من خشب النخيل[1] مدهونة بالرسوم والألوان التي تجعل منها لوحات فنية تثرى زخارف المساكن المحتفظة بزينتها التقليدية.

وتظهر عناية ملوك العلويين بفنون الخشب من مبادرة المولى إسماعيل بتجديد عنزة جامع القرويين وتركيب عنزة للمسجد الأعظم بفاس الجديد تلك التي نقش عليها أبياتاً شعرية تسجل تارخ صنعها :

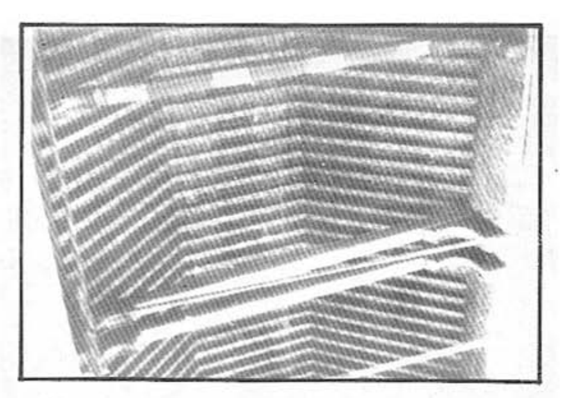
تهدى حِلَى قارئها من شمائلهـا فتحسب الزهر ناجت ذات أنداء
أنوارهـا تخطـف الأبصار مشرقـة من أجل ذا (خطفت) تاريخ انشائي[2]

وحساب (خطفت) هو (600 + 9 + 80 + 400) وهي سنة 1089هـ، كما أمر المولى إسماعيل نفسه بصناعة منبر فاخر لمسجد دار الخلافة بمكناس المسمى حاليا مسجد للاعودة وتم صنعه في جمادى الثانية عام 1090هـ.

وقد عنى المولى عبد الرحمن بعنزة المسجد الأعظم بفاس الجديد وسجل ذلك بنقش في واجهتها، ونشير أخيرا إلى نصب المولى يوسف ثلاث عنزات جديدة بجامع القروين بمدخل باب الشماعين وباب الورد وباب الخصة.

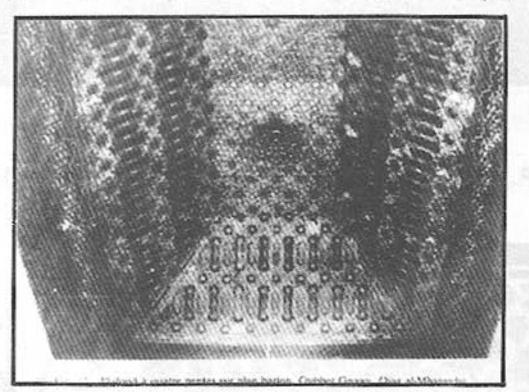
وفي مجال العمارة المدنية درس الأستاذ باروكان (BARRUCAND) نظام تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في عمارة الأشراف العلويين (أشكال 136 – 140) بعدد من

(1) فن الخشب : بحث بمجلة الفنون، الرباط/يناير 1975 ص 27 — 30.
(2) جامع القرويين ج 3 ص 659 وتعليق رقم 17 ص 673.



شكل 136

تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في العصر العلوي



شكل 137

تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في العصر العلوي

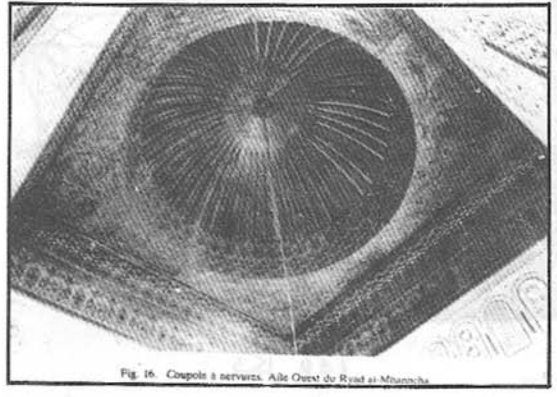
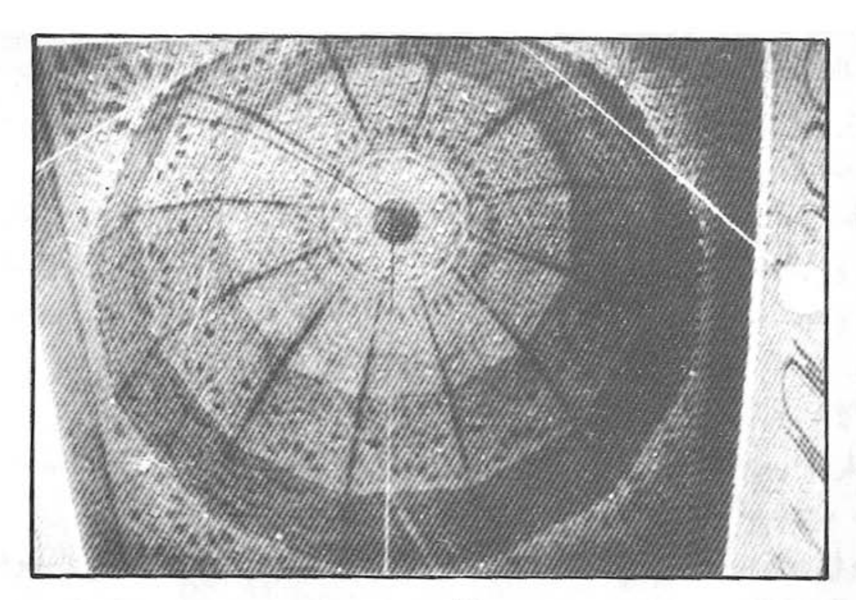


Fig. 16. Coupole à nervures. Aile Ouest du Ryad al-Mnanncha

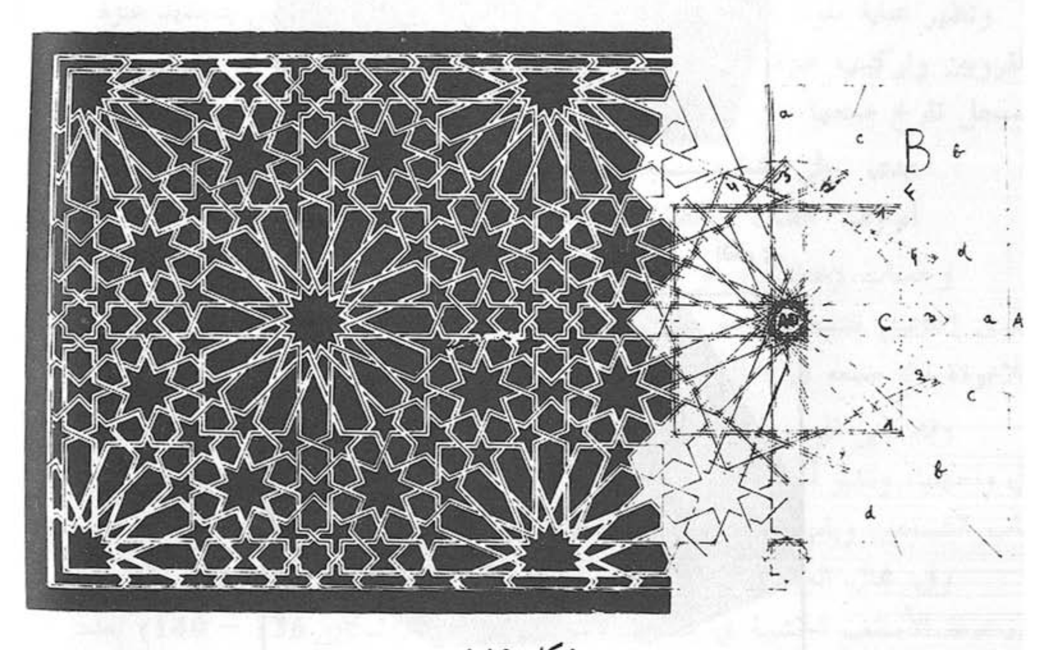
شكل 138

تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في العصر العلوي



شكل 139

تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في العصر العلوي بمدينة مكناس، دراسة باروكان



شكل 140

تركيب وزخرفة الأسقف الخشبية في العصر العوي بمدينة مكناس، دراسة باروكان

المنشآت المعمارية بمدينة مكناس ونشر نتائج بحثه في النشرة الآثارية المغربية (B.A.M) سنة 1978م[1] وقال بأن (الأسقف المائلة في المغرب احتفظت بالاسم اللاتيني BARCELLA) والواقع أن المعماريين التقليديين لا زالوا ينطقونها إلى اليوم هكذا (برشلة BARCHLA).

(1) الدراسة المفصلة

Structures et décors des charpentes Alaouides à partie d'exemples des Meknes, P. 115 - 149 at fig).

فن صناعة الخشب بضريح محمد الخامس بالرباط

1 - أسقف المسجد :

سوف نتناول فنون صناعة الخشب بالمسجد مبتدئين بدراسة الأسقف أو التغطية الداخلية وبعدها مقصورة النساء يليها المنبر ثم العنزة وأخيرا أبواب بيت الصلاة التي تفتح على الصحن الرئيسي بالاضافة إلى ذكر الأبواب الخشبية الصغيرة على جانبي المحراب.[1]

أسقف مسجد محمد الخامس (شكل 141) :

عرفنا من دراسة تخطيط المسجد أنه يشتمل على بيت للصلاة من خمسة أساكيب وثلاث عشر بلاطا، وزيادة شرقية من بلاطين وأخرى غربية باتساعها وإن كانت تشغل بعض مساحتها بعض المرافق، ثم زيادة شمالية بطول جدار القبلة.

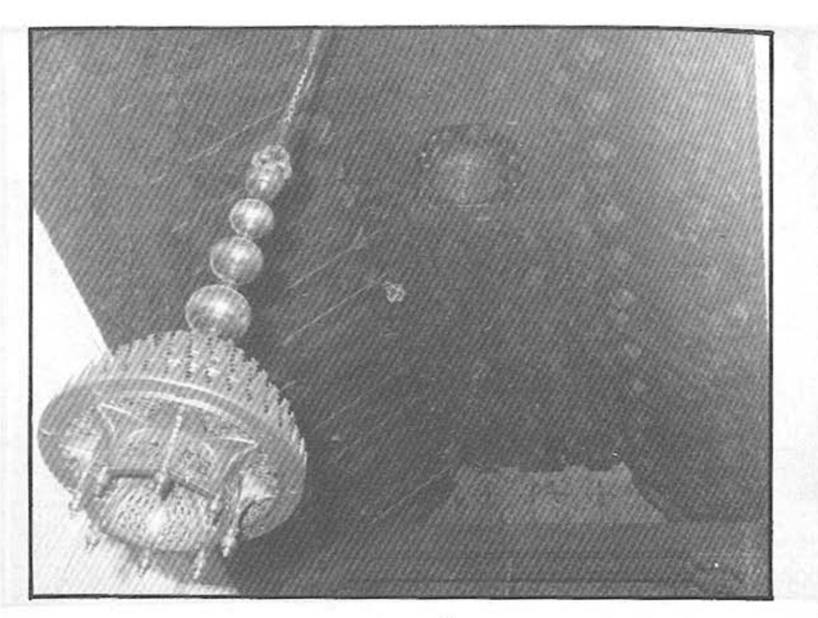
وبالنسبة للأسقف فإنها جميعا مبطنة بالداخل بالخشب ومن إنتاج وتنفيذ تعاونية مدينة مكناس. ولدراسة صنعة الخشب بمسجد محمد الخامس عقدت عدة جلسات عمل مع المعلم المتفنن المقتدر الخبير السيد (بن سالم اليازغي)[2] صاحب معمل نجارة فنية كبير الشأن داخل باب البردعين بمدينة مكناس أشهر مراكز صناعة الخشب وفنونه بالمملكة المغربية. التقيت بالمعلم اليازغي في مصنعه بمكناس ثلاث مرات خلال عام 1983 ومثلها بالرباط بعين المكان داخل مجموعة ضريح محمد الخامس. واطلعت في مصنعه على التصميمات والأدوات والخامات ووسائل العمل وأسلوب التعامل مع الصناع وتوجيههم أثناء تنفيذ التصميم. درست معه مباشرة عدة تصميمات زخرفية نفذها بالمسجد والمتحف قبل الدراسة المباشرة معه بالمسجد والمتحف.

ومن تفاصيل المصطلحات الفنية الوطنية في الصناعة المغربية نعرف من المعلم اليازغي الذي تتوج فنونه عدة معارض ومنشآت بأوروبا وأمريكا ومنجزات كبرى بالمغرب، أن الأسقف الخشبية بأساكيب المسجد عبارة عن (برشلا) والجمع (براشل) وقد تعمدت إثبات مصطلحات كل فنان ولو بصدد عنصر واحد لما قد يكون في الاختلاف المحلي من فائدة.

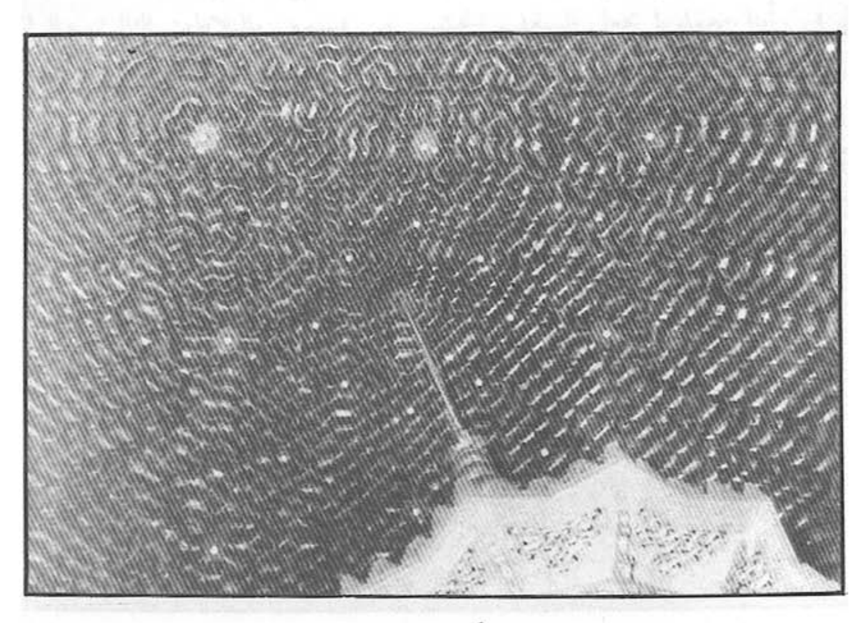
---

(1) دراستنا بمجلة دعوة الحق الرباط مايو 1985 عدد 248 ص 84 وما يليها.

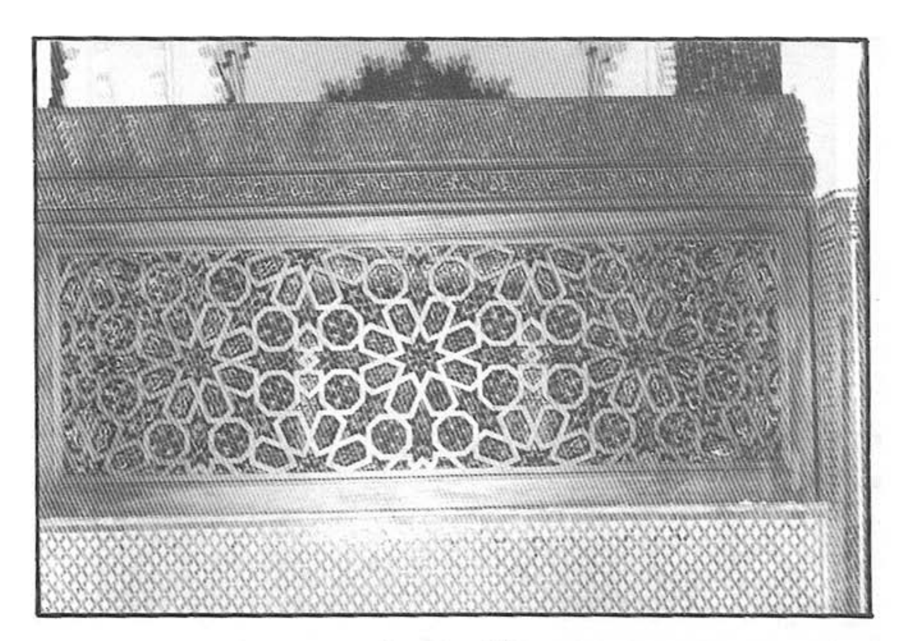
(2) ترفاه الله قبل ظهور الكتاب



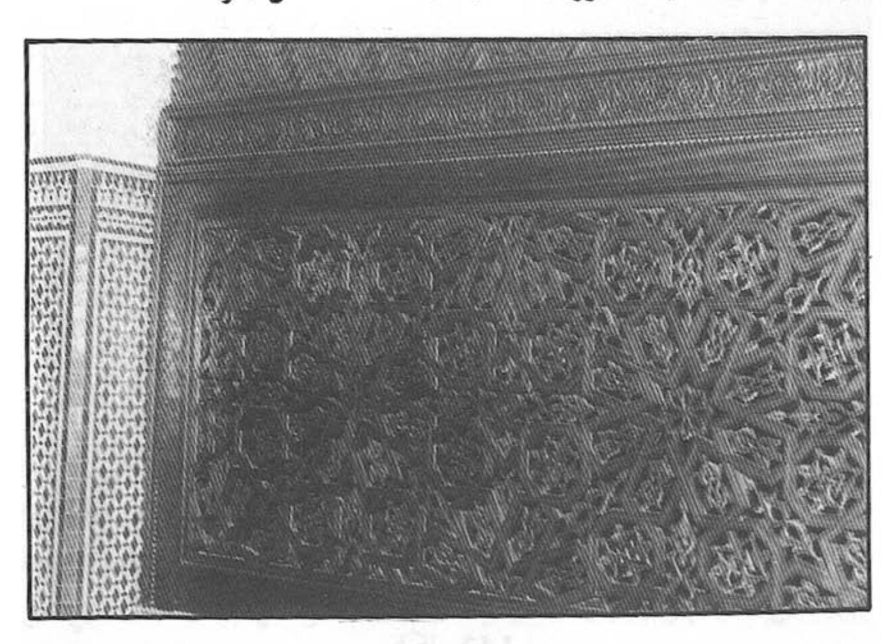
شكل 141
الأسقف الخشبية بمسجد محمد الخامس بالرباط



شكل 142
القباب الخشبية بمسجد محمد الخامس بالرباط



شكل 143 أ
خشب مقصورة النساء بمسجد محمد الخامس بالرباط



شكل 143 ب
تفصيل خشب مقصورة النساء

ويقول المعلم اليازغي أن (البرشلا) هي التصميم الهرمي المغطى من الخارج بالقرمود بينما يزدان من الداخل بفنون صناعة الخشب، ويسمى السقف المسطح في الصنعة التقليدية باسم (جالس)، وقد صنعت (البرشلا) في سقف المسجد (كم وجبن) والجمع (كم وجبان)، والبساط مثمن، (والأزار) بالزخرفة والنقش، و(الجوايز) صنعة (وترات منقوشين). وأوضح لي المعلم اليازغي بسؤاله عن نوع الأخشاب أن جميع ذلك جاء باستخدام خشب الأرز المطعم بخشب الأكاجو وهو الخط (الأكحل) يعني الأسود، وقد تم التنفيذ في جميع ذلك تبعا لقواعد الطراز الوطني التاريخي كما يوجد بالمنشآت الأثرية دون أي تطوير حرصا على الصيغة التاريخية للبناء.

ومن الجدير بالملاحظة أن التخطيط المنشور عن السقف المذكور أوضح اختلاف تغطية السقف في الجانب الشرقي المذكور لبيت الصلاة بالبلاطين الثالث والرابع شرق المحراب عن نظير ذلك غربا، ففي الجهة الشرقية سقف مستقل لكل من البلاطين الثالث والرابع بينما جهة الغرب سقف واحد يرتقي البلاطين المناظرين غربا، لقد كان من الممكن اعتبار ذلك سهوا حدث في التخطيط على الورق لكنه من المسقط الرأسي والقطاع الطولي، وإذا كانت مقصورة النساء تحتل مساحة ببيت الصلاة تشتمل على سعة البلاطات الثلاث الغربية حيث ترتفع الأرضية عن بقية أرضيات المسجد لوجود مرافق (المراحيض ودورات المياه) أسفلها، فإن ذلك لا يرتبط في رأينا معماريا بجعل السقف الخشبي من قسمين بالبلاطين الثالث والرابع غرب المحراب والاخلال بقانون التماثل والتناظر الذي التزمه البناء باختلاف ذلك الوضع عن نظيره بالقسم الشرقي لأسقف بيت الصلاة.

والمهم بالنسبة لعملنا هو تصحيح الخطأ الوارد بالرسم المنشور لتخطيط الأرضي والقطاع الطولي[1] والتأكيد هنا على ضوء الدراسة الميدانية أن تغطية أسقف أساكيب بيت الصلاة تسير في الواقع متناظرة في جانب بيت الصلاة وبدون اختلاف أو إخلال بمبدأ التناظر والتقابل في الهندسة وهيئة البناء.

(1) الخطأ بتصميمات مهندس الضريح وكتابه المنشور عن الضريح.

قباب بلاط المحراب (شكل 142)

تغطي أسطوانة المحراب قبة خشبية تليها شمالا (تجاه الصحن) أربع قباب أخرى تغطي كل منها أسطوانة من أسطوانات بلاط المحراب المتبقية حيث يشتمل بيت الصلاة على خمس أساكيب.

قبة أسطوانة المحراب :

هي القبة الأولى جهة المحراب وتتصدر صفا من خمسة أسقف خشبية على البلاط المحوري، وهي قبة خشبية على مقرنصات من جهاتها الأربع ويبدو عليها عدم الاتقان الهندسي معماريا وبالمثل من حيث فنون النجارة أو الفنون الزخرفية أو الرسم والطلاء الذي يضعها في مرتبة فنية لا تساير مرتبة المحراب وزخارفه وعمارته.

بقية قباب بلاط المحراب :

قلنا أن هناك أربع قباب على بلاط المحراب تلي قبة أسطوانة المحراب شمالا، وكل من تلك القباب التي تحمل الاسم تجاوزاً عبارة عن (برشلا) مربعة فوق كل أسطوانة من أسطوانات بلاط المحراب.

2 ـ مقصورة النساء (شكل 143)

تقع مقصورة النساء داخل بيت الصلاة بالناحية الغربية منه مشتملة على مساحة البلاطات الثلاث الغربية ابتداء من حائط القبلة إلى حدود واجهة بيت الصلاة على الصحن أي بامتداد خمسة أساكيب مع ملاحظة أن البلاطين الأول والثاني غربا يمتدان جهة الشمال باتساع اسكوب آخر بحيث يفتح عقد البلاط الثاني غربا على الصحن الرئيسي مباشرة.

وقد روعي الارتفاع بمستوى أرضية تلك المساحة عن بقية أرضية المسجد للأسباب الواردة سلفا، وخشب المقصورة نفسه الذي يصنع ساترا بين الرجال المسلمين ببيت الصلاة وبين الرؤية للنساء المصليات داخل المقصورة يمتد من جدار القبلة جنوبا إلى حائط بيت الصلاة المطل على الصحن الرئيسي شمالا.

وهكذا يبلغ طول المقصورة الخشبية من الجنوب إلى الشمال قدر عمق بيت الصلاة نفسه، وقد قسمت تلك المسافة إلى خمسة أقسام منها قسم مجاور للمحراب أقلها اتساعا لأنه يمتد بقدر اتساع أسكوب المحراب الذي صمم أقل سعة من بقية الأساكيب يلي ذلك شمالا أربعة أقسام متساوية كل منها يساوي اتساع اسكوب من الأساكيب الأربعة.

وبالنسبة للزخرفة وفنون الخشب يشتمل كل قسم من أقسام المقصورة على زخارف خشبية مخرمة ومزخرفة وعينات من خشب الخرط (Bois tourné)، ويعلو جميع الساتر الخشبي من الجنوب إلى الشمال نماذج من شرفات خشبية يبلغ عددها اثني عشرة (شرفة أفقية) بأعلى كل قسم، وهذه الشرفة الهرمية الشكل تتكون من ست درجات وبداخلها (توريق أندلسي) عبارة عن ورقة نخلية مزدوجة بالتصبيغ. وبداخل الوحدات الرئيسية للشرفات توجد مساحات بنفس زخارف الشرفات من الداخل.

ونرى أسفل خط الشرفات وبنفس الطول ابتداء من جدار القبلة جنوبا إلى حدود حائط بيت الصلاة المطل على الصحن شمالا إطاراً مقسماً إلى أربعة أقسام متساوية يتسع كل

منها باتساع الأسكوب المقابل بالاضافة إلى قسم جنوبي أول باتساع اسكوب القبلة الضيق، وقد خصص هذا الأخير للزخارف الخشبية بينما خصصت الأقسام الأربعة لنقش خشبي لبيتين من الشعر العربي يشغل كل شطر قسما من الأقسام.

وقد أفادني المعلم اليازغي فنان الخشب أنه هو الذي اختار البيتين من الشعر ونفذ نقشهما بما في ذلك من صناعة وذلك داخل معمله بمدينة مكناس، ثم قام بتنزيل ذلك جاهزاً بنفس مكان ساتر المقصورة المذكورة موضوع دراساتنا. لقد قرأ لي البيتين مبتهجا شارحا عمق إحساسه بما يتضمنه البيتان من حب لهداية الله وسعادة بعبادته وهذه هي قراءة البيتين :

البيت الأول، الشطر الأول : فإذا حلت الهداية قلباً (بالقسم الأول جهة الصحن الرئيسي).

البيت الأول، الشطر الثاني : نشطت للعبادة الأعضاء (القسم الثاني جهة الصحن الرئيسي).

البيت الثاني، الشطر الأول : وإذا سخر الاله أُناسا (القسم الثالث جهة الصحن الرئيسي).

البيت الثاني، الشطر الثاني : لسعيد فإنه سعداء (القسم الرابع جهة الصحن الرئيسي).

ثم يلي ذلك أسفل إطار الشعر العربي أربعة أقسام بالاضافة إلى القسم الأول جهة المحراب وكلها من فنون الخشب المخرم الصنع تعرف في الصنعة باسم (مثمن بالنقش مثقوب داخله توريق) وبين الوحدات الرئيسية أشغال أخرى من (التوريق).

هذا هو الوصف المجمل لمقصورة النساء وليس بالمسجد مقصورة للسلطان لأن مؤسس المجموعة المعمارية جلالة الحسن الثاني ووالده المقدس الملك المرحوم محمد الخامس الذي أسس المبنى لتخليد ذكراه تعودا الصلاة مع الجماعة بين عامة المسلمين دون مقصورة، وداخل مساجد الأحياء الشعبية لا يحجبهم حاجز عن مواطنيهم، فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وقد قال الحق سبحانه وتعالى لرسوله الكريم : ﴿والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ صدق الله العظيم.

3 - المـــــنـــــبـــــر

1) تاريخ صنع المنبر والشروع في استخدامه :

تبعا للمعلومات الصحيحة التي استقيتها من المرحوم المعلم محمد بن عبد الكريم الفنان المغربي الفذ المشرف الفني العام على أشغال المشروع، فإن المعلم محمد بن عبد الله الكريم نفسه هو الذي كلف المعلم (الخضيري) معلم فن النجارة بتنفيذ صناعة المنبر، وقد استمر هذا الأخير مدة عامين كاملين يعاونه خمسة من مهرة الصناع وحذاق الفن يعكفون على صنع المنبر في معمل المعلم (الخضيري) بحي مرس السلطان بالدارالبيضاء بميزانية تكاليف إجمالية بلغت مائة وعشرة ألف درهما.

وبعد انتهاء أشغال المنبر وتمام صناعته تم حمل جميع أجزائه وأطرافه المفصلة إلى موقع المسجد بالمجموعة المعمارية بالرباط، وحفظت جميع عناصر المنبر داخل مبنى المتحف الوطني لصق المسجد بإشراف المعلم (الخضري) الوافد من الدارالبيضاء يوم السبت العاشر من شهر مايو عام خمس وسبعين وتسعمائة وألف (1975/5/10م) موافق 28 ربيع الثاني عام 1395 هجرية.

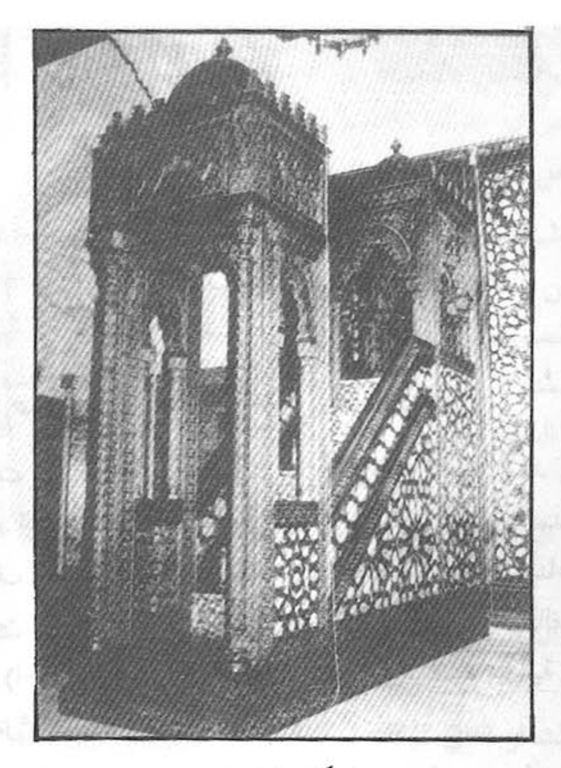
ثم بعين المكان تم تركيب المنبر جزءا جزءا تمهيدا لتثبيته بإزاء المحراب لصق جدار القبلة في الموقع الذي لازال يشغله إلى اليوم.

وقد وقف المنبر في مكانه هذا بعد تمام صنعه بالدارالبيضاء ووصوله إلى المسجد وتمام تركيبه وجمع أجزائه في هيئته الراهنة يوم الخميس 29 مايو 1975 موافق 18 جمادى الأولى عام 139د هجرية[1].

هذا، وكانت أول خطبة شرفت المنبر يوم الجمعة التالي مباشرة 30 مايو 1975 موافق

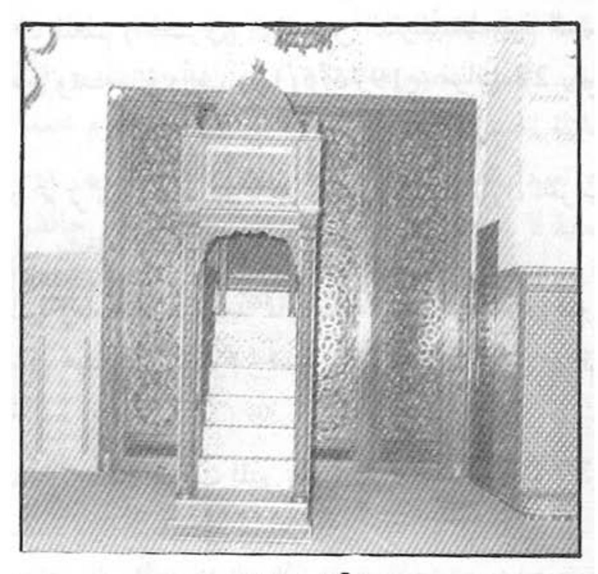
---

(1) بعد تمام صنع ونقل وتركيب المنبر الأصلي نقل المنبر الأول إلى مسجد سمارة : بعد استرجاع الأقاليم الصحراوية بالمسيرة الخضراء.



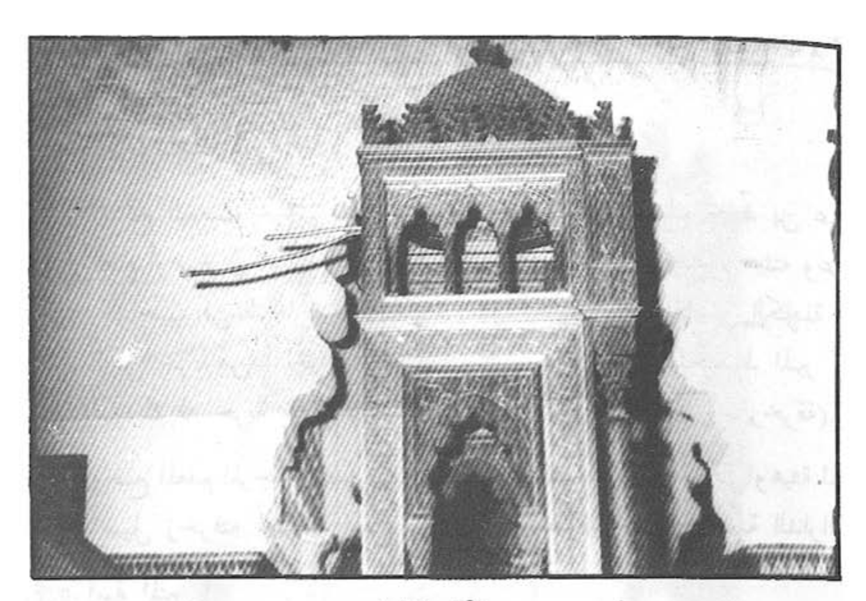
شكل 144

منبر مسجد محمد الخامس بالرباط، العمارة و الهيئة العامة

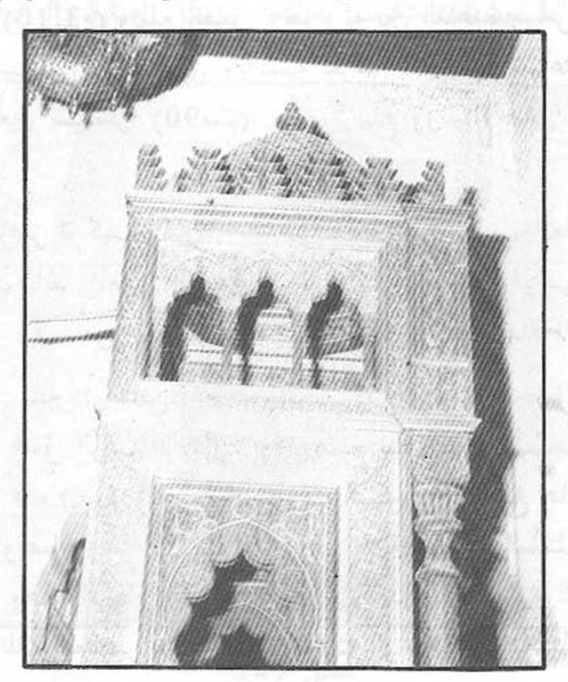


شكل 145

منبر مسجد محمد الخامس، المدخل



شكل 146
منبر مسجد محمد الخامس بالرباط، تفاصيل العمارة والزخرفة



شكل 147
منبر مسجد محمد الخامس بالرباط، تفاصيل العمارة والزخرفة

جمادى الاولى 1395 هجرية القاها الخطيب المعين بأمر أمير المؤمنين الحسن الثاني وهو فضيلة الأستاذ العالم الجليل، الشيخ محمد المكي الناصري[1].

2) تصميم وتنفيذ المنبر :

على إثر نتائج البحث خلال لقاءات عديدة مع المرحوم المعلم محمد بن عبد الكريم المشرف الفني العام أوضح لي أنه قام شخصيا بوضع تخطيط المنبر وتصميم هيئته وعرضه على المعلم الخضري صاحب فن النجارة مرسوما على الورق بتفاصيل المقاييس الكاملة وتفاصيل أنواع الخشب لكل جزء من الأجزاء كما سلمه رسما على الخشب بتخطيط المنبر وأوصاف مراحل صنعه ثم ترك له حرية عمل (الرشم والنقش وكل شيء يتعلق بالزخرفة).

وهكذا وضع المعلم المرحوم محمد بن عبد الكريم التصميم العام لهيكل وهيئة المنبر وترك تنفيذ بنائه وتفاصيل زخرفته لعبقرية المعلم الخضري ومعاونيه بمعمله بمدينة الدارالبيضاء.

3) دراسة المنبر :

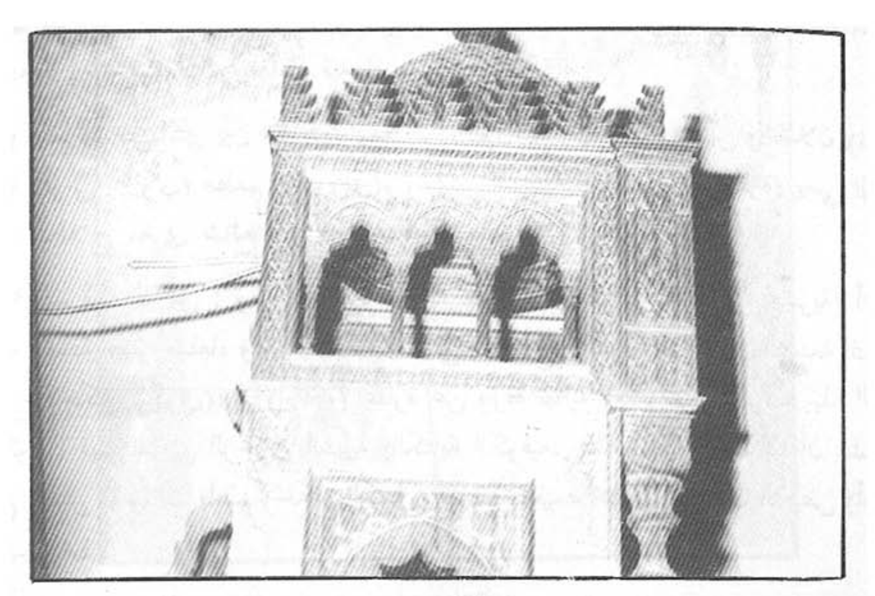
أبعاد المنبر ووزنه : يبلغ طول المنبر ابتداء من المدخل إلى الظهر الخلفي ثلاثة أ متار وعشرة سنتيمترات (3.10م) ويبلغ أقصى ارتفاع له بين القاعدة ورأس القبة الخلفية مقدار ثلاثة أمتار وستين سنتيمترا (3.60م). وبالنسبة لعرض المنبر أي اتساعه فنجده من الخارج إلى الخارج يبلغ تسعين سنتيمترا (90سم)، وأخيرا يبلغ وزنه الاجمالي طنين كاملين (شكل 144).

مراحل وعناصر تركيب المنبر : تبدأ مراحل تركيب المنبر، تبعا لما أفادني به صانعه المباشر والنجار الفنان المنفذ المعلم الخضري، تبدأ بالأساس وفوقه الجوانب والدروج ثم الباب والتربيعة والشواف. ولا بأس من القيام الآن بالتعرف على خلاصة تلك العناصر.

1 ـــ أساس المنبر : أساس المنبر هو الاطار الأول السفلي الحامل لمجموع الهيكل فهو إذن القاعدة الأولى لحمل الوزن الاجمالي. وقد صنع أساس منبر مسجد محمد الخامس من خشب الأرز المغربي لأنه (يصبر ويصمد ضد آفات التسويس). ويبلغ سمك هذا الأساس ثمانية سنتيمترات (8سم) ويصل ارتفاعه إلى ما يقرب من ثلاثة أضعاف السمك وبالتحقيق عشرين سنتيمترا (20سم)، وهذه الأبعاد أذكرها اعتمادا على الدراسة الميدانية التي قمت بها بنفسي بعين المكان، وكل تلك العناصر منقوشة بالوحدات الزخرفية النباتية المعروفة بالفن المغربي.

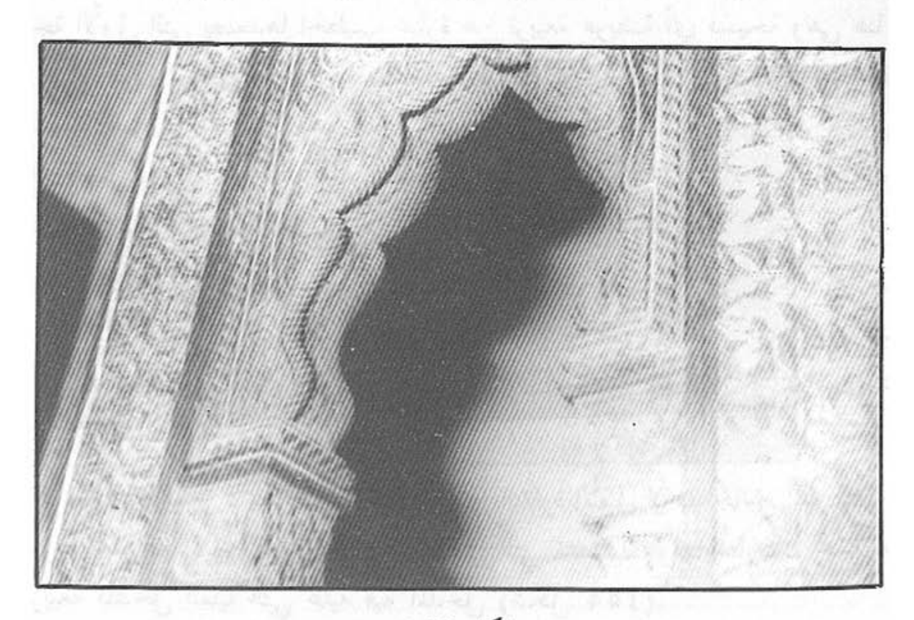
---

(1) رئيس هيئة علماء المغرب خريج جامعة فؤاد الأول بالقاهرة، لي شرف العلاقة الودية والعلمية المباشرة معه، 1973 كان وزيراً للأوقاف والشؤون الثقافية وكنت مفتشا عاما للآثار بالوزارة.



شكل 148

منبر مسجد محمد الخامس بالرباط، تفاصيل العمارة والزخرفة



شكل 149

منبر مسجد محمد الخامس بالرباط، تفاصيل العمارة والزخرفة

2 ـــ **باب المنبر** : وباب المنبر هو مدخله بما في ذلك السواري (الأعمدة الخشبية المحيطة به)، ومن فوقها التربيعة ثم قبة المدخل (شكل 145).

ويفتح مدخل المنبر بين ساريتين يبلغ طول الواحدة منهما قدر مترين ويحملان (تربيعة) نقش بها (قوس رخوي) مطعم (بالتوريق)، وبنفس التربيعة خيطان من (النقرة) يعني الفضة، والنقرة اصطلاح مغربي شائع غير معروف بالمشرق.

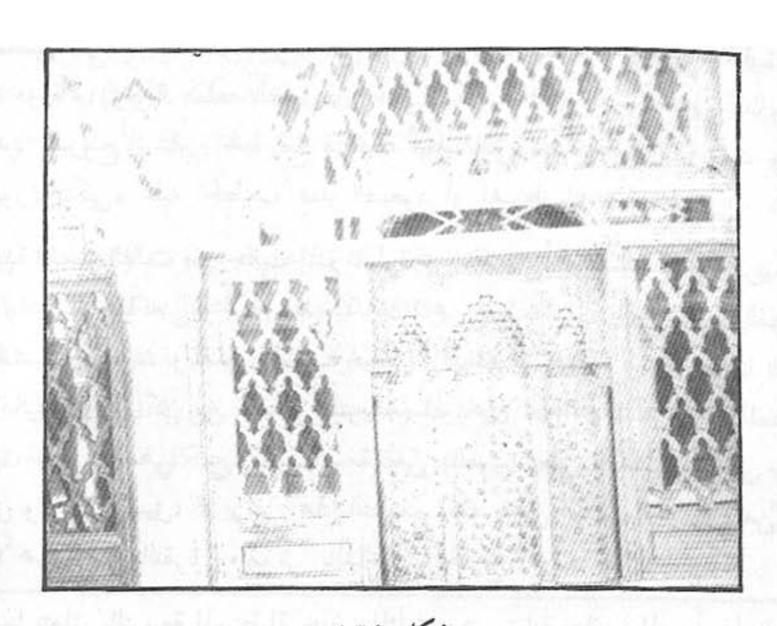
3 ـــ **قبة المدخل** : وقبة مدخل المنبر تعرف في الصنعة باسم (ست عشرية) أي أنها تتكون من ستة عشر ضلعا، وقد نقشت بالداخل والخارج بزخرفة تعرف في الصنعة التقليدية باصطلاح (حكة بالكوفي)، و (الحكة) عبارة عن ورقة نباتية (مشرشرة) تعرف بهذا الاسم، أما (الكوفي) فهو النقش الزخرفي الشبيه بالكتابة الكوفية، هذا وجدير بالذكر أن نشير إلى أن جميع النقش المعروف باسم (حكة بالكوفي) قد تم تطعيمه بخشب الليمون الأبيض (أشكال 146 ـــ 149).

4 ـــ **دروج المنبر** : (الدروج في عرف المغاربة هي (السلالم) في المشرق فهي درجات ارتقاء المنبر التي يصعدها الخطيب. وعندما نتعرف عليها هنا بمنبر مسجد محمد الخامس نجد أن الدرجة الأولى التي يصعدها الخطيب عبارة عن تربيعة عريضة أي فسيحة وهي هنا مربعة المساحة يبلغ طول ضلعها ستة وسبعين سنتيمترا (76 × 76سم)، يلي ذلك مباشرة ثماني درجات يبلغ عمق الدرجة منها وهو ما يعرف في فن العمائر باسم (الراقد) وهو النائم (الذي يطؤه قدم الصاعد) خمسة وعشرين سنتيمترا (25سم) في حين يبلغ (الواقف) وهو الجانب القائم اثنين وعشرين سنتيمترا (22سم)وهو يمثل ارتفاع الدرجة.

وفي الختام توجد (تربيعة علوية) بنفس اتساع (تربيعة المدخل) غير أنها أكثر عمقا إذ جاءت مستطيلة الشكل يبلغ قياسها (76 × 90سم) فعرضها يبلغ ستة وسبعين سنتيمترا ويصل عمقها إلى تسعين سنتيمترا، وقد زخرفت درجات المنبر (الراقد) و (الواقف) بتسطير بدون نقش محكوك مثل شغل الزليج (شكل 145).

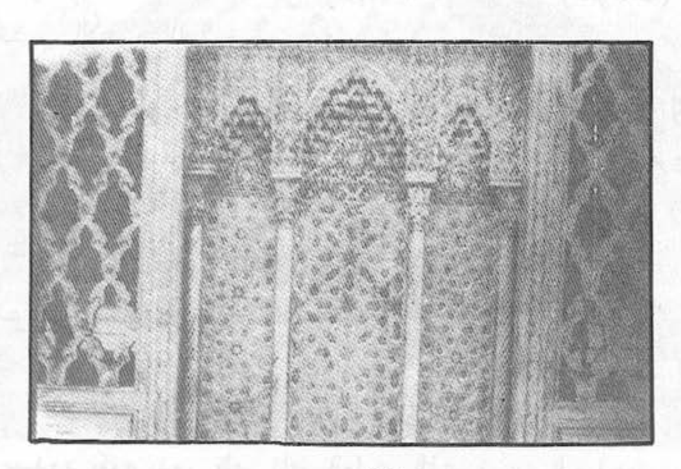
5 ـــ **جانبا المنبر** : يمكن للملاحظ أن يميز بالنظرة الأولى لأحد جانبي المنبر ثلاثة أقسام متميزة أولها مجموعة المدخل فوق التربيعة السفلى التي تنتصب فوقها ساريتان تحملان عقدا يحمل تربيعة المدخل العليا التي عليه قبة المدخل (شكل 144).

وفي مؤخر المنبر (والمشاهد مقابلا لجانبه) توجد مجموعة أخرى متميزة تقوم فوق (الأساس) بمساحة مستطيلة قائمة على جانبها الضيق فوقها ساريتان تحملان قوس (الشواف) العلوي، وبين الكتلتين الأولى بالمقدمة والثانية بالمؤخرة يمتد جانب المنبر في تقسيم هندسي



شكل 150

عنزة مسجد محمد الخامس بالرباط، منظر عام للعمارة والزخرفة جهة الصحن



شكل 151

عنزة مسجد محمد الخامس بالرباط، بفصيل الزخرفة والنقش

منطقي يتناسب مع طبيعة بناء المنبر ونظام دروجه الصاعدة، وهكذا نراه عبارة عن مثلث كبير المساحة قائم الزاوية ضلعه الطولي إلى أعلى ليكون متكأ الصاعد على الدروج فإذا ما اكتمل عدد الدروج يستقيم الخط مع التربيعة العليا التي يجلس فوقها الخطيب ويكون على هيئة (دربوز) يتكىء عليه الخطيب عند الصعود أو الهبوط.

وهذا القسم الثالث من جانب المنبر عبارة عن خشب أحمر يشتمل على (تربيعة) و(جوز انصاف)، والتربيعة هنا تعني زخرفة هندسية عبارة عن (اثنا عشري بالقطيب)، والقطيب مطعم رسطه بالخشب الأسود، وبنفس الجانب خيطان (نقرة) أي فضة. ويتكرر هذا النظام المنفذ في التربيعة الرئيسية في كل من نصفي (التربيعة) الموزعين على الجانب العلوي للمثلث. هذا، وقد صنعت (الفرم) وهي جمع كلمة (فرمة) من (العود) يعني الخشب الأبيض بنقش دقيق من التوريق والحفر العميق، ثم يرتقي هذا التصميم كله بأعلى الجانب (دربوز) من نفس نوع الخشب الأحمر مزين بالنقرة ومنقوش بالداخل والخارج.

وفيما يتعلق بالتربيعة المستطيلة خلف المثلث وهي نهاية جانب المنبر أسفل قبته الخلفية، فقد صنعت من نفس نوع الخشب وبها تربيعتان (جوز ديال ناعورات) يعني (ناعورتان)، والناعورة هنا معشرة (بالمخمسات)، وداخل تلك المخمسات توجد (الفرمات) مطعمه (بعود أكحل) وهو الخشب الأسود اللون.

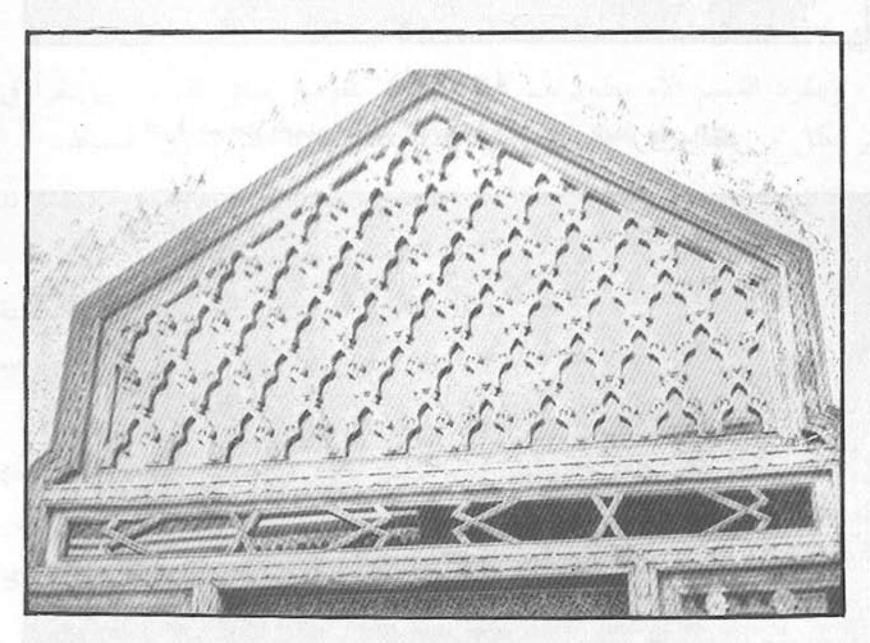
وتعرف (التربيعة) وهي (الحشوة) في مصطلح الفنون الاسلامية المعروفة بالفرنسية باسم (PANNEAU) والموجودة هنا على شكل مثلث وكذلك جارتها المستطيلة المعروفة في الصنعة المغربية بمصطلح (العمل)، وحول (العمل) يدور إطار (ساير داير) منقوش (بحكة ضفيرة) ومطعم بقطيب الليمون الكوفي.

6 ـــ **الشواف** : والشواف اصطلاح مغربي معناه الجزء الأعلى من جسم المنبر، وينتصب الشواف فعلا فوق التربيعة المخصصة لجلوس الخطيب بنهاية درجات المنبر، وهو في الواقع عبارة عن أربعة (شوافات) منها ثلاثة مفتوحة بقوس وهي بالجوانب الثلاثة، بينما (شواف) واحد مسدود يقوم بدور ظهر المنبر العلوي الذي يستند إليه الخطيب عند الجلوس (شكل 144).

ويبدأ مجموع ذلك القسم اعتبارا من مستوى الدربوز وقمة المستطيل الجانبي القائم على رأسه حيث تنتصب السواري المنقوشة ومن فوقها الأقواس التي استفرغت الصنعة المقربصة فيها جهدها، ثم التربيعة العلوية الحاملة للقبة التي يقف أمامها الخطيب ويكون تحتها أثناء الجلوس.

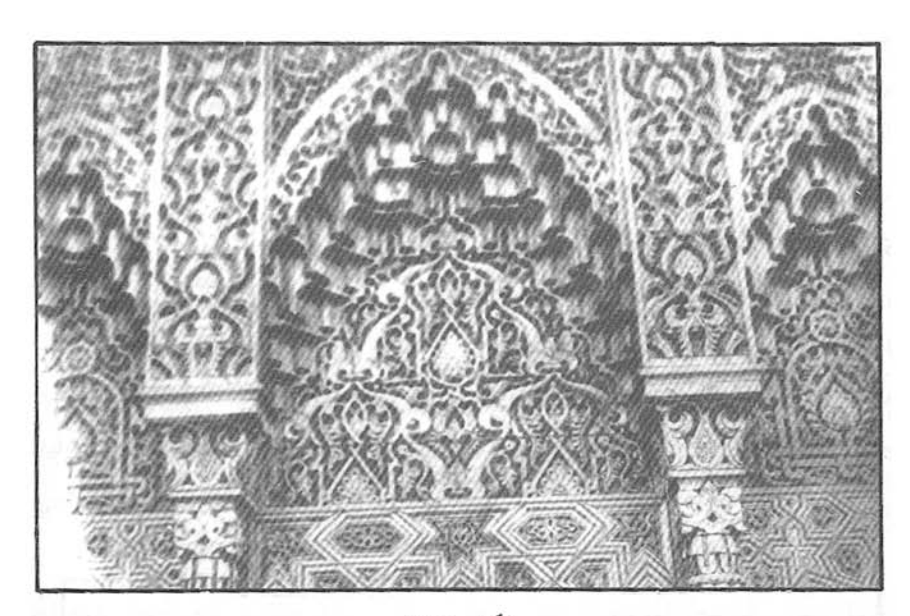
7 ــ **القبة العلوية** : والقبة العلوية غير قبة المدخل وقد حددنا موقعها من المنبر، وتتميز هذه القبة بالنقوش المحفورة حفرا عميقا بالصنعة المسماة (حكة بالكوفي) التي تعني شكل أقواس نباتية تتخللها زخرفة تقليدية تقلد هيئة الكتابة الكوفية، وبهذا الأسلوب الزخرفي تبدو القبة مغشاة من الداخل والخارج.

وتتعلق الملاحظة الأخيرة بخلو المنبر (على كثرة زخارفه ونقوشه وتنوعها) من أي نقش عربي كتابي قرآني أو دعائي أو تأسيسي، وذلك بالاضافة إلى إغفال ذكر اسم الصانع المبدع، حيث اقتصرت الزخارف الخطية والكتابية على عبارة واحدة فقط نقشها النجار نفسه، ودون معرفة مسبقة بطراز وأسلوب الخط المراد تنفيذه حسبما علمت من أبحاثي المباشرة معه، وتوجد هذه العبارة بواجهة الشواف العلوي أسفل القبة مباشرة وهي كلمات البسملة ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.



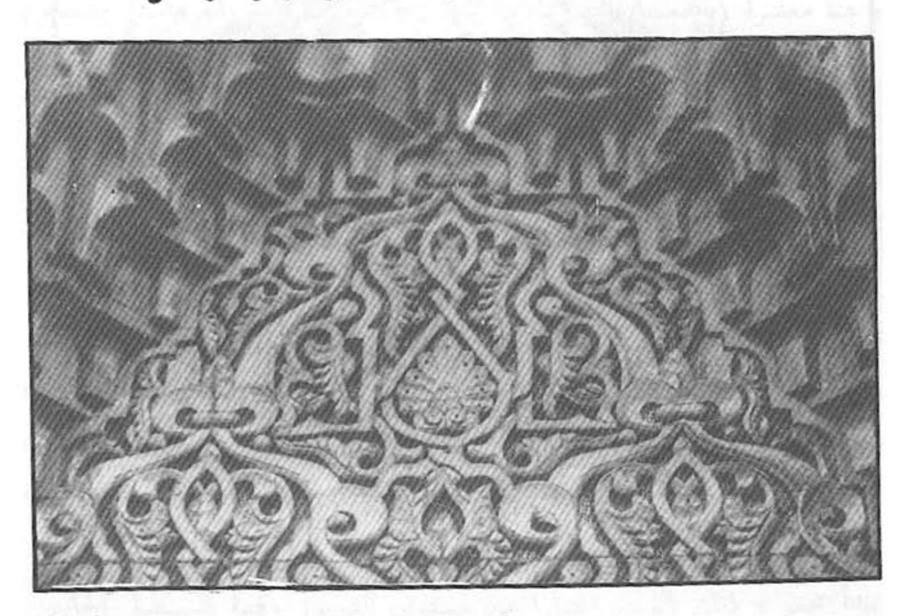
شكل 152

عنزة مسجد محمد الخامس بالرباط، بفصيل الزخرفة والنقش



شكل 153

عنزة مسجد محمد الخامس بالرباط، بفصيل الزخرفة والنقش



شكل 154

عنزة مسجد محمد الخامس بالرباط، بفصيل الزخرفة والنقش

4 – العنزة

العنزة هي المحراب الصيفي الذي يشغل فتحة بلاط المحراب على صحن المسجد، ونراها بمسجد محمد الخامس منقوشة الوجهين على الخشب من الداخل والخارج.

ويشتمل الوجه الخارجي المطل على الصحن على ثلاث وحدات كل منها عبارة عن قوس مقربص فوق السواري المزخرفة بالخطوط الحلزونية. ونلاحظ أن لكل من سواري العنزة بهذا الوجه قاعدة تسمى (كرسي السارية) كما نجد بأعلى بدن العمود تاجا مزخرفا بنوع من زخرفة (التعريج النهري) سألت عن إسمها في الصنعة المغربية فأفادني المعلم اليازغي فنان ومبدع صنعة الخشب بمدينة مكناس بأنه لا يوجد لديه اصطلاح لها وإنما يقدم التصميم مرسوما إلى الصانع لتنفيذه (أشكال 150 ــ 151 ــ 152).

وينفرد القسم الأوسط برسم محارة كبيرة منقوشة أسفل القوس بينما نقرأ في المكان المناظر بكل من القوسين الجانبيين كلمة (الله) منقوشة بالخط الكوفي البسيط.

كما نرى أسفل المحارة بالقسم الأوسط (زواقة) تعرف في الصنعة باسم (مثمن ندريسية) بنقوش دقيقة.

وتتوسط الوجه الداخلي ثلاث وحدات رئيسية تتوجها أقواس (مخرصنة) فهي (مسننة ــ فستون ــ FESTON) منقوشة بنقوش أندلسية أسفلها حشوة كبيرة مستعرضة داخل إطار هندسي يتوسطها رسم وردة (أشكال 153 ــ 154).

ويشغل محيط أو جوانب العنزة زخرفة (بالطبيع) تسمى (عُقْدة ومْحَبْرة معصرة)، ويعلو بدن العنزة إطار خشبي ترتقي فوقه الشرفات العليا وكل منها يتكون من أربع درجات.

5 ــ أبواب بيت الصلاة على الصحن وأبواب المسجد الداخلية (شكل 155) :

يتصل الصحن الرئيسي للمسجد ببيت الصلاة والمجنبات عن طريق فتحات وضعت بها أبواب خشبية يبلغ عددها في الناحية الشمالية (جهة المجنبة الشمالية أي تجاه صحن مسجد حسان) أي بالجانب الطويل لمستطيل الصحن تسع فتحات يقابلها نظير لها جهة بيت الصلاة مع ملاحظة وجود العنزة بالفتحة المتوسطة التي تشغل موقع اتصال بلاط المحراب بالصحن، بينما في الجانب الضيق من المستطيل توجد ثلاث فتحات بأبوابها الخشبية.

وينقسم تخطيط كل من الأبواب إلى قسمين متميزين الأعلى منهما على هيئة نصف دائرة والأسفل مستطيل الشكل منتظم التخطيط من أربع وحدات طولية.

ويشغل جميع تلك الأقسام والوحدات زخرفة واحدة متكررة بانتظام وعلى نسق واحد وهي عبارة عن تقسيم زخرفي يعرف باسم (حكة) سبق شرحه في الأبحاث السابقة وهذا التقسيم الزخرفي المعروف باصطلاح (حكة) عبارة عن وحدة متكررة من أوراق نباتية تشكل هيئة معينات هندسية يتكون كل منها من أربعة أجزاء تجمع إلى بعضها عند التركيب في الاطار العام مع وضع وحدة من (كوز الصنوبر) تعرف في الصنعة المغربية باسم (صنوبرية) وذلك في موضع التقاء أطراف المعين (الشكل الهندسي المذكور) بقصد تغطية موضوع (اللحام).

ثم يلي ذلك أسفل تلك المجموعات بالقسم الأدنى من الباب حشوة مستقلة من (التسطير العربي).

أما داخل المسجد فيوجد باب بكل من جانبي دخلة المحراب كمدخل للخطيب وهو من صناعة المعلم اليازغي فنان مكناس. ويشرح لي المعلم اليازغي عمله هنا بأنه جاء صنعة وزخرفة من النوع المسمى (ندريسية) مثل صنعة زخارف العنزة من الخارج.

ويقول المعلم اليازغي أن فروق الصنعة تبدو من الفارق بين دقة هذا الباب وباب خزانة الكتب المجاورة وباب مقصورة النساء وكلاهما من صنعة المرحوم المعلم الغوات.

ثانيا : فن صناعة ونقش الحجر بضريح محمد الخامس

تتجلى أشغال الحفر والنقش في الحجر بمسجد محمد الخامس أكثر ما تتجلى في موقعين بارزين : الأول، وهو الواجهة الشمالية للمسجد، والثاني هو واجهات الصحن الرئيسي للمسجد وهي حائط بيت الصلاة الشمالي (من الخارج) وحائطي الزيادتين الشرقية والغربية وحائط الزيادة الشمالية، وجميعها واجهات متميزة بنقوشها الحجرية المنحوتة مباشرة بعين المكان.

ويضاف إلى ذلك واجهات الصحون الجانبية للمسجد بينه وبين الضريح شرقا ثم بينه وبين المتحف الوطني غربا، وتبقى بعد ذلك واجهة المسجد الجنوبية خلف جدار القبلة وتستمد حليتها من التردد في خط التنظيم الهندسي (أشكال 155 ــ 157).

الواجهة الشمالية للمسجد :

إنها الواجهة الرئيسية لعمارة المسجد الخارجية وزخرفتها وهي المطلة على صحن مسجد حسان العتيق.

وبناء على الدراسة الميدانية بنفس المكان صحبة المعلم (الباديشي محمد) المتخصص في فن البناء والنقش في الحجر، وبنفس الموقع الذي عمل به بنفسه مع معاونيه بناءً وزخرفة توصلنا إلى تمييز نوعين من الحجر بتلك الواجهة وعرفنا خصائص كل نوع وموضع استخدامه ونعني بذلك حجر سلا وحجر الرباط.

ويبلغ طول الواجهة الشمالية للمسجد في أقصى اتساعها ابتداء من حدود الحائط الذي يفصلها عن واجهة الضريح شرقا والحائط الذي يفصلها عن واجهة المتحف الوطني غربا (95م) خمسا وتسعين مترا، مع ملاحظة وجود تراجع طفيف في تلك الواجهة يبلغ طوله (12م) إثني عشر مترا من كل جانب من جانبي الواجهة شرقا وغربا، وبذلك يظل القسم الرئيسي الأوسط بطول (71م) واحد وسبعين مترا.

وتتميز هذه الواجهة بالتناسق المعماري والتقابل والتناظر الهندسي، إذ يشغل القسم الرئيسي المتوسط البالغ طوله (71م) مكان الصدارة ويشتمل على ثلاثة أبواب بارزة بارتفاع واحد أوسطها على محور العنزة والمحراب ثم باب عند طرف القسم الأوسط من جهة الشرق وآخر من جهة الغرب وتتصل جميعها بالزيادة الشمالية للمسجد.

ويشتمل هذا القسم المركزي على ثلاث دخلات (RECESS) شرقا بين المدخل المحوري والمدخل الشرقي أوسطها سقاية مزلجة، ونرى مثل ذلك بالجهة الغربية كما نجد دخلة واحدة بين المدخل الشرقي ونهاية القسم المتوسط شرقا ومثل ذك تماما يوجد جهة الغرب.. وبالاضافة إلى هذا، يجدر بنا ملاحظة وجود ثلاث سقايات تتوسط القسم المتراجع شرقا تتميز أوسطها بكبر المساحة عن الأخرتين ويوجد مثل ذلك جهة الغرب ناحية المتحف الوطني.

وتتفق جميع مواد بناء هذه الواجهة الرئيسية للمسجد في لون الحجر الوردي، غير أنها تختلف في مادته ومصدره، وهكذا يوجد حجر سلا بالمواقع ذات الزخرفة المعمارية المنحوتة في الحجر، بينما يوجد حجر الرباط في (المدات المسرحة) وهو اصطلاح في الصنعة المغربية يعني المواقع العاطلة من الزخرفة المعمارية التي يستمر فيها تركيب الحجارة المنجورة تركيبا معماريا مجردا من النتوءات أو البروزات الزخرفية.

ولهذا السبب يمكن تعليل وجود حجر سلا في (الشواوف) أو (الشّوافات) ومفرده (شواف)، والشواف هو الدخلة الهندسية المزخرفة على جانبي السقاية المزلجة.

وتكمن العلة في استخدام حجر سلا في تلك الشوافات في كونه (رطب) بمعنى (ناعم) سهل النقش والنحت بخلاف حجر الرباط فهو (حرش) بمعنى صلب لا يصلح للنقش والحفر، ولهذا نراه يستخدم في (المدات المسرحة) كما أسلفنا.

ونتعرف الآن على وصف بعض هذه العناصر وهي المدخل والسقاية والشواف :

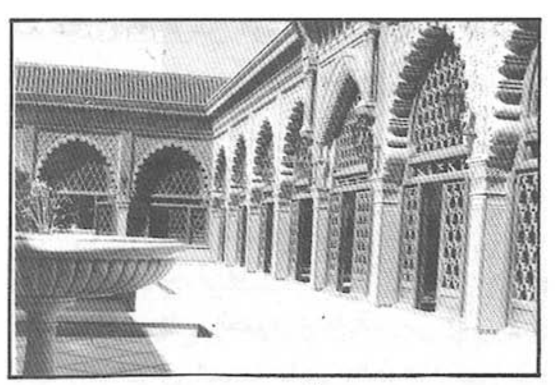
1 ـــ المدخل الرئيسي ومثله المدخلان الجانبيان :

تتفق الأبواب الثلاثة بالواجهة الرئيسية المطلة على صحن مسجد حسان في الارتفاع والعمارة والنظام من القاعدة إلى القمة وهي الشرفات العليا. وكل هذه المداخل من النوع البارز عن مستوى الجدار وقد نفذت بالبناء من الحجر الوردي المجلوب من الرباط في (المدات المسرحة) ومن حجر سلا في مواقع الزخرفة المعمارية مثل البنيقات بأعلى فتحة المدخل.

ويعرف قوس الباب في الصنعة المغربية باصطلاح (سداسي مشوك) ويعلوه البناء بحجر سلا لسهولة نقشه بزخارف التوريق بينما نجد بجانبي الباب شبكات المعينات التي تعرف في هذه الصنعة باسم (كتف ودرج).

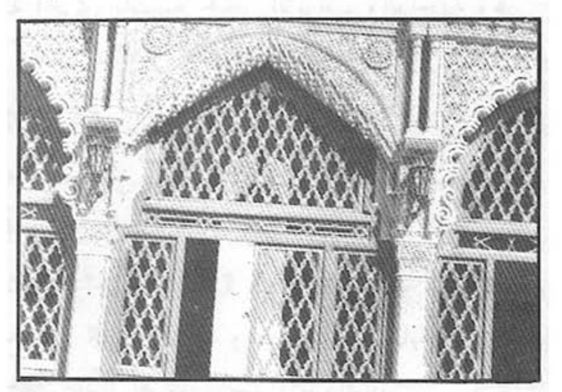
وترتكز رجل العقد في كل من الجانبين على نموذج من العنصر المعماري أصلا المتطور إلى الغرض الزخرفي والمعروف عند مؤرخي الآثار باسم (العنصر الثعباني) وأصله هنا (حنش) يعرف جزؤه الأسفل باسم (غلالة) ويظهر أعلاه على هيئة (رأس الحنش).

يقول المعلم باديشي محمد صاحب الاختصاص ومنفذ زخرفة الباب إن هذا العنصر هو (تمام الخرسنة بالمهماز) و(الخرسنة) هي فصوص العقد المفصص (Lobée) و(المهماز) هو ازدواج الفصوص.



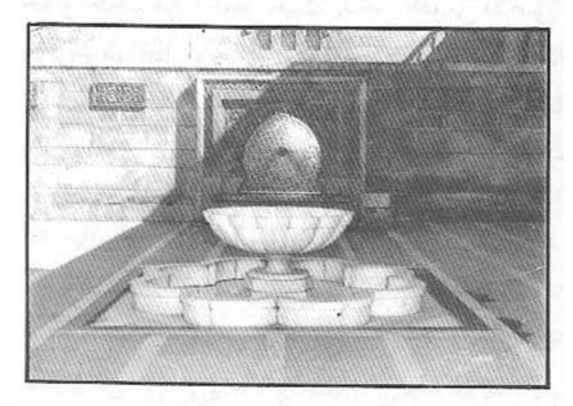
شكل 155

أشغال النقش في الحجر بمسجد محمد الخامس بالرباط



شكل 156

أشغال النقش في الحجر بمسجد محمد الخامس



شكل 157

أشغال النقش في الحجر بمسجد محمد الخامس

أما التوريق فنلاحظ فيه هنا زيادة عرض الورقة لتملأ الفراغ وتتحمل المقاومة لعوامل التعرية على مر الزمن بالنسبة لكونها زخارف مكشوفة للشمس والهواء لا غطاء لها كما أنها ليست زخارف منفذة على جدران داخلية.

وتعرف القوقعة باسم (الكُفّ) مثل (كُفّ السبع) وهي اليد، كما مر تعريف زخرفة المعينات المتجاورة باسم صنعة (كتف ودرج).

ولعمود هذا المدخل زخارف نراها هنا في (قاع السارية) وهي عبارة عن زخارف نباتية على هيئة (الموزات) ويحمل تاج العمود زخارف من الأوراق الأندلسية.

أما الشرفات العليا وتعرف في الصنعة باسم (الشّرافة) فهي نوع من الشرفات يعرف لدى المهتمين بالصنعة التقليدية باسم (شق منشار).

وتبقى ملاحظة أخرى بالنسبة لحجر الأبواب والواجهة وهي كون الواجهة كلها لم يكن يصلح لها حجر وادي عكراش لأنه متخصص في حمل الأثقال وليس بجميل المنظر، وإذا كان حجر الرباط ومثله حجر سلا يعيبهما شرب الماء خاصة وأن المحل مكشوف، غير أنهما بعد شروق الشمس يجفان ولا ضرر من جراء ذلك.

2 ــ السقاية :

نعرف من تصميم الواجهة الرئيسية سواء بالرسم أو المعاينة وجود سقايتين على جانبي المدخل المتوسط الواقع على محور المحراب وتفصل كل سقاية عن المدخل المذكور مساحة من الزخرفة المعمارية بدخلة غائرة تعرف باسم (الشواف).

وهذه السقاية قد فرشت وزينت بأنواع وألوان الزليج لكن تصميمها العام يدخل تحت إطار متميز كبير المساحة والحجم من الحجر بحيث يدخل القوس الأصلي لواجهة السقاية المزلجة داخل هذا الاطار الحجري وهو إطار زخرفي عبارة عن مثال من الزخرفة المعروفة باسم (شبكة المعينات المتجاورة) منقوشة في الحجر وتغلف عقدا كبيرا من الحجر ينقسم بدوره إلى دلايات حجرية تلفت النظر بحجمها على غير المألوف في الدلايات المعروفة في الجص أو الخشب حيث تكون عادة دقيقة ورقيقة ورشيقة.

3 ــ الشواف :

يسيطر على تصميم الشواف قوس رخوي والجوانح (معمر كتف ودرج) ولا يمكن زخرفته بالمقرنصات لأن المحل متسع ومكشوف.

والشواف كله أرضية وعقدا هو عبارة عن دخلة في الواجهة اتخذت جميعها من الحجارة المتجانسة مع حجارة الواجهة الرئيسية.

4 ـــ السقاية الجانبية :

نلاحظ بالحائط الخارجي الفاصل بين عمارتي المسجد والضريح شرقا ومثل ذلك غربا ناحية المتحف الوطني وجود سقاية جانبية متناظرة مع مثيلتها بالجهة المقابلة، وهذه السقاية الجانبية أصغر حجما وأقل زخرفة بالنسبة لموقعها الجانبي، وتتلخص زخرفتها المعمارية في إطار حجري مربع داخله إطار من زخرفة نباتية محورة عن الطبيعة ثم إطار عريض داخله بالوسط عقد أرضية زليج، وحول الزليج المذكور عقد مفصص من الحجر وهو مزدوج في نفس الوقت وتظهر بالبنيقات زهرة حجرية وزخارف نباتية كبيرة الوحدات.

5 ـــ الحجر بالصحن الرئيسي والصحون الجانبية :

المعلوم لدى المشتغلين بالآثار والفن الاسلامي أن باب بلاط المحراب المطل على صحن المسجد يعرف بالعنزة التي تشير إلى المحراب الخشبي الصيفي الذي يوضع بهذا الموضع من البناء، لكن المعلم الباديشي محمد صاحب أشغال الحجر، أدلى أثناء دراستنا الميدانية في عين المكان بمفهوم آخر حيث يعتبر هو أن الباب الخارجي للمسجد الواقع على محور المحراب بالواجهة الرئيسية هنا وهي الواجهة الشمالية المطلة على صحن مسجد حسان يعتبر هو موضع العنزة وليس موضع فتحة بيت الصلاة على الصحن بالبلاط المحوري وهو بلاط المحراب، ليس ذلك فحسب، بل إنه يسمى بلاط المحراب باسم (العنزة) وقد أوجبت الأمانة العلمية إثبات ذلك.

ويشير المعلم الباديشي محمد إلى أهمية النقش في الحجر الذي نفذه في باب الزيادة الشمالية المطلة على الصحن الرئيسي، وهو باب منقوش في الحجر من الخارج أي اتجاه الصحن وهذا طبيعي وضروري لمقاومة عوامل الطبيعة من شمس ومطر بينما نراه منقوشا في الجص من الداخل جهة بيت الصلاة، ويقول المعلم الباديشي أنه (لم يسبق له أن صنع مثل تلك النقوش على طول حياته الفنية وكثرة إنتاجاته التقليدية، لأن مثل تلك الزخارف لا تكون إلا في الخشب لكنه نفذها هنا في الحجر لأول مرة نظرا لأهمية العمل الفنية والتاريخية وما استلزمناه من تضحيات بالوقت والمجهود الفني...)

ويلفت نظرنا هذا الصانع الفنان المبدع إلى أن الورقة النباتية هنا توجد بأجنحة العقد (مكرشة) بمعنى أنها (مشرشرة) فهي ليست (مطلوقة) أي (بسيطة أو سادة) مثل أوراق الباب الخارجي المطل على صحن مسجد حسان.

أما بالنسبة لسوء زخرفة الجص بالصحن الجانبي على الحائط الذي يفصل بيت الصلاة عن ذلك الصحن فمرده إلى وجود اتساع في المساحة المراد زخرفتها مع عدم وجود ارتفاع مناسب لتصميم الأشكال الزخرفية وتنفيذها على الوجه الأمثل.

ثالثا : الجص

لا زال الجص في طليعة المواد التي تحظى بزخارف فنية شديدة التنوع بجميع العمائر العلوية (شكل 158) كما نرى في ضريح محمد الخامس، وقد رسمت العقود وتنوعت عن طريق أشغال الجص التي غطت نماذج متساوية من الأقواس المصممة بالملاط المسلح على هيئة النوع المتجاوز المنكسر الذي نفذه مهندس الضريح (شكل 159 ب).

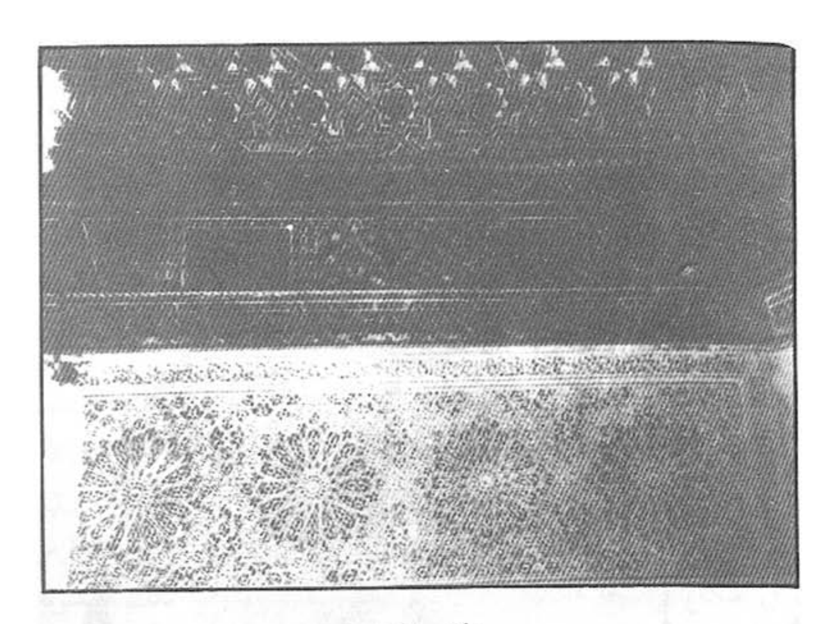
وهكذا وجدنا القوس الرخوي بواجهة المسجد المطلة على الصحن الرئيسي بزخارف تقليدية تعرف في الصنعة المغربية باسم (كتف ودرج بالقوقابة)، والعقد الرخوي المقربص ببلاط المحراب، والعقد المفصص بالهمزة والبوجا والعنقود، وقوس يعرف بالقوس (الرخوي بعنق مشقوق) بالبلاطات الجانبية، والقوس الرخوي (بالنصاص) بالعقود الموازية للقبلة بالمجنبات، وقوس رخوي (ومعكوف وخرسنة) بالمؤخر أو الزيادة الشمالية، وقوس (كتف ودرج) وجميعها أنواع تميزت عن بعضها البعض بكسوة الجص التي ركبت فوق جسم متشابه من الملاط المسلح[1]، وإن نظرة متأنية إلى عقود أسطوانة المحراب وواجهته لتعكس بكل يقين منظر لوحات رائعة لاشغال الجص وتفاصيل زخارف الدلايات الدقيقة أعلى فتحة المحراب وبالأفاريز والأرضيات النباتية والبنيقات ذات الكتابة العربية والتضفيرات الهندسية والأعمدة الدقيقة بتيجانها وقواعدها بجانبي الفتحة العليا لعقد[2] المحراب، وتفصح زخارف طاقية المحراب عن تنوع العناصر الزخرفية ودقتها فنرى المقرنصات المعمارية الزخرفية وانقسامها وسقوط الدلايات الجصية الدقيقة والقواقع الهندسية[3] الاشعاعية في أركان متناظرة عند تقابل أرجل العقود التي انقسمت إليها جوفة المحراب العليا، ثم زخرفة التوريق المعروفة عند الأوروبيين باسم (أرابسك) نراها تملأ المساحات المعقود أعلاها بأقواس تنقسم بدورها إلى دلايات هندسية.

ويعلو القسم الأسفل من جدار القبلة المغطى بالزليج شريط من الكتابة بالخط النسخي عبارة عن نص قرآني يشتمل على جزء من سورة الاخلاص : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ والنقش

(1) اللوحات ص 127، 128، 133. كتاب فوطوان : ضريح محمد الخامس.

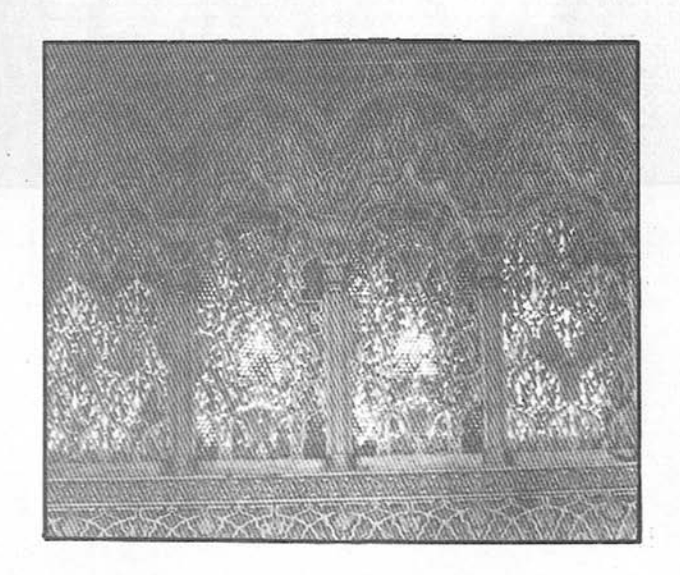
(2) لوحات ص 124، 125. نفس المصدر

(3) نفس المصدر لوحات ص 125.

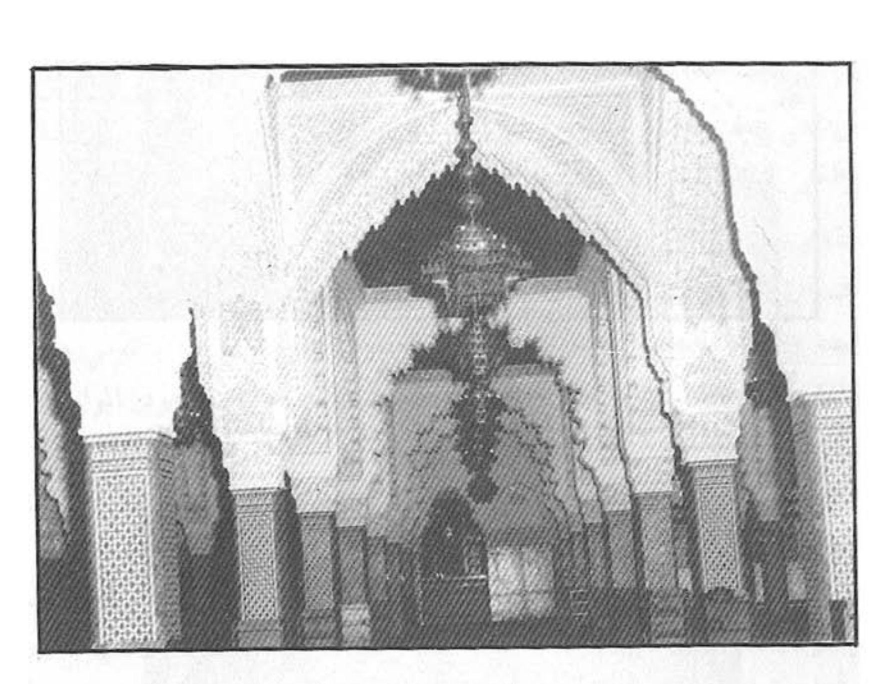


شكل 158

جامع الأندلسيين بفاس، زخارف الأسقف وأفاريز الجص



شكل 159 أ



شكل 159 ب

أشغال الجص بعقود مسجد محمد الخامس

الكتابي محفور في الجص يتكرر تسع مرات بكل من جانبي المحراب ابتداء من المحراب إلى نهاية حائط القبلة شرقا وغربا، لقد جاء كل ذلك بالجص الذي يسير أعلاه شريط من تقليد الكتابة الكوفية المضفرة في الجص، ثم تنقسم الواجهة أعلى ذلك بكل من الجانبين ابتداء من المحراب إلى نهاية الجدار شرقا وغربا إلى سبع حشوات زخرفية مخرمة في الجص : أولها : حشوة جهة المحراب بزخارف مخرمة في الجص يتخللها الزجاج الملون، تليها حشوة جص مخرم دون زجاج، ثم حشوة صماء تماما دون حفر أو نقش، والرابعة جص مخرم بزجاج ملون، والخامسة حفر مخرم دون زجاج، والسادسة صماء دون حفر والسابعة جص مخرم دون زجاج.

ومن جهة أخرى نلاحظ بنفس واجهة محراب المسجد فيما بين المحراب وبين المجموعات الزخرفية المذكورة وبالتحديد فوق جدران المحراب بكل من الأسطوانتين المتجاورتين للمحراب شرقا والمناظرتان غربا عدد سبع حشوات تتألف الوسطى منها من شكل زخرفي في الجص الملون داخل مساحة زخرفية مضفرة، وحول هذه الحشوة من كل جانب حشوة من زخارف الجص الملون في شكل ترصيع هندسي على غرار نماذج الزليج، ويلي ذلك حشوتان من كل جانب بالجص المخرم المطلوق (السادة) دون ألوان، أما الألوان المستعملة فهي الأزرق والأخضر والأحمر. وداخل بيت الصلات تعلو السواري المغطاة بالزليج تيجان من الجص المنقوش بالعناصر النباتية، وبالصحن الرئيسي رسمت السواري بالجص بين كل قوسين من أقواس الصحن ونقشت بها زخرفة تعرف باسم (توريق لحكة) وهي ورقة نباتية كبيرة مزدوجة كانت معروفة أيام المرينيين ومن قبلهم الموحدين.

رابعا : الزليج والخزف والرخام

عرف فن الزليج أو الفخار المزلج أي المزجج والمموه استمرارا ورواجا في عصر الأشراف العلويين على النحو الذي بدأت مسيرته الكبرى منذ عصر الدولة المرينية.

فإلى يومنا هذا يلعب الزليج المغربي دورا بارزا في الحياة الاجتماعية المغربية وبالتالي في النشاطات الاقتصادية. ولعلى لا أتجاوز الحد إن قلت بأن المغرب ينفرد جاليا بين جميع دول الاسلام بالمحافظة على جميع القيم الموروثة لفن صناعة الزليج والخزف الاسلامي التي استقرت خلال عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية.

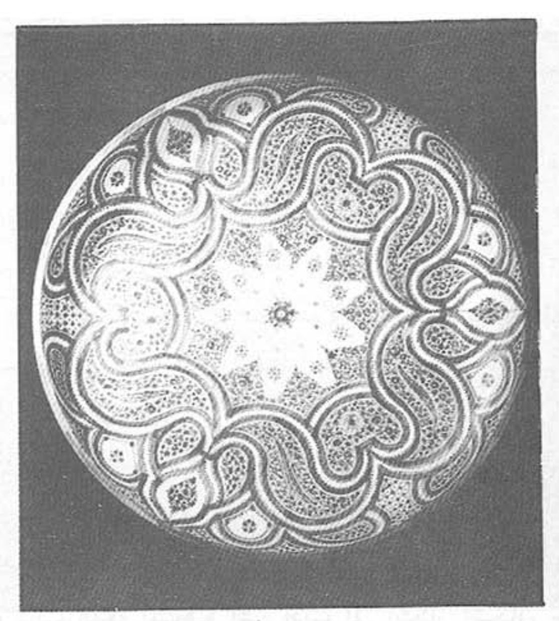
إن المعايشة المباشرة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والفنية بالمغرب اليوم تؤكد أن جميع المؤسسات الرسمية للدولة وجميع قصور الأغنياء ودور متوسطي الحال والفنادق الوطنية والحمامات والمنشآت العامة لا زالت محتفظة لفنون الزليج بمكانها التاريخي الفني والمعماري سواء بالواجهات الخارجية أو داخل تلك العمائر في الجدران السفلى التي يعلوها فن الجص ثم الأخشاب المنقوشة بالأسلوب المحلي. على أن شيوع استخدام الزليج واستمرار تنظيم إنتاجه العصري يعكس من جهة أخر المكانة الاقتصادية لتلك الصناعة وانتشار مصانع الزليج وتطورها الجديد باستعمال الأصباغ والألوان الكيميائية والآلات الحديثة[1] وتأسيس النقابات الخاصة بعمال تلك المصانع وسهر إدارة الصناعات التقليدية على مراقبة ذلك الانتاج الوطني.

ومن دلائل رواج ذلك الفن في العصر العلوي وحركته الدائبة نحو تصدير الصناعة ومنتجاتها للخارج ما ذكره المؤرخون أن صانعا فاسيا كان يوقع منتجاته باسم عبد الكريم الززيح الفاسي خلال المائة الهجرية الثانية عشرة بالقاهرة حيث قاد هناك فن صناعة الخزف منذ ذلك التاريخ. وقد امتاز مصنعه بإنتاج تربيعات الزليج المعروفة في مصر بالزليزلي[2] تأثرا بالاسم المغربي كما تعرف باسم القاشاني نسبة إلى قاشان لتغطية جدران العمائر وكذلك صناعة مختلف أشكال الأواني الخزفية .

---

(1) أنظر نتائج دراساتي بعدد من مصانع الانتاج بالرباط وولجة سلا وفاس ومراكش وتامصلحت وأساليب الانتاج المحلية وأسماء المنتجات وطرق الصنع بكتابنا دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى.

(2) عن اشتقاق التسمية المصرية من التسمية المغربية راجع كتابنا المذكور سابقا.



شكل 160 أ
خزف أزرق اللون من مميزات إنتاج مدينة فاس



شكل 160 ب
نماذج من (الفخارين) بفاس مغطى بطبق زجاجية زرقاء vernissé bleue

ولا زالت مصانع فاس محافظة على إنتاج الأشكال التقليدية (أشكال 160 أ – 160 ب) بينما تطور الصناع الآسفيون بأشكال منتجاتهم وتفضيل اللون الأزرق المستخرج من الكوبلت في مصانعهم المنتشرة بتل الفخارين من مدينة آسفي. وقد بدأت مصانع آسفي بنهج الأساليب التقليدية للزخرفة التي عرفتها صناعة فاس العريقة ثم تطورت في عدة مراحل. فكانوا أول الأمر يصنعون الألوان بأنفسهم بمواد محلية حيث تركزت في عدة أساليب مثل النوع الفاروزي الذي يعرض الزخارف ببساطة على واجهة الاناء بلون نصف أخضر وآخر أصفر إلى جانب تلوين يعرف بالجرمل يتكون من تتابع خطوط صغيرة مفروقة بخطوط متقطعة، وتلوين يسمى بالسوقي يشتمل على خطوط صغيرة مستقيمة أو أقواس منحنية ثم رسومات مستوحاة من فن العمارة الاسلامية كمحراب الصلاة المفضل في زخرفة الكؤوس. ثم تطورت عناصر الزخرفة إلى شكل يعرف بالدرج وتجميل معرش بعناصر مختلفة منها اللوز وتجميل آخر يعرف باسم التوريق يذكر بزخرفة الأرابيسك[1] الشهيرة في الجص والخشب الاسلامي المغربي كما تظهر النباتات والعناصر الحيوانية في نطاق الأساليب المعروفة في الفن الاسلامي إلى أن ظهرت أخيرا الرسوم الهندسية ذات الدقة المتناهية التي أدت إلى ابتكار أشكال جديدة. ويغلب على التجميل المعروف بالزاياني اللون البني ويستوحي زخارفه من الزرابي البربرية كما يستوحي التجميل الريفي عناصره من زخرفة زرابي الريف ويتكون أصلا من اللونين الأبيض والأسود وأخيرا ترسم زخارف تجميل الخيدوش باللون الأبيض على سطح أسود[2].

وتتجلى روعة فن الخزف والزليج المغربي المعاصر ممثلة لجميع مناطق المغرب الحالية في شتى أقسام مجموعة ضريح محمد الخامس بالرباط حيث الزليج والخزف المموه والمذهب داخل قبة الضريح والتربيعات الزرقاء التي تغلف دعائم بيت الصلاة والخزف المذهب بقبة محراب المسجد والنماذج العديدة المنتشرة بكل ناحية داخل وخارج المجموعة المعمارية التي نعرضها مفصلة بدراستنا الخاصة عن ضريح محمد الخامس حيث ابتكرت أشكال وأنواع زخرفية جديدة لم تكن معروفة من قبل كتلك التي ابتكرها المعلم محمد بن عبد الكريم فنان المغرب المعاصر وأسماها نظر الملوك[3] (أشكال 161 أ – 161 ب).

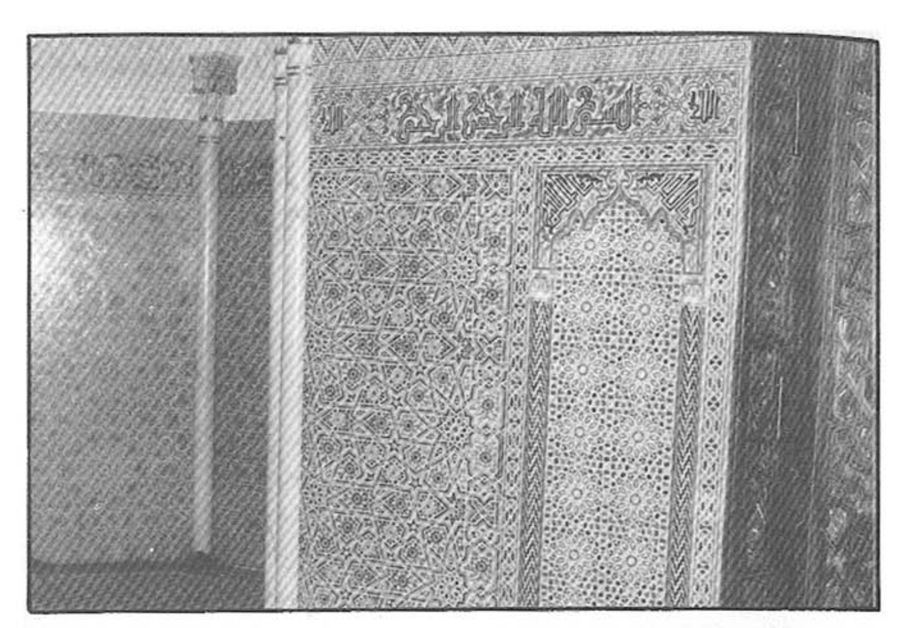
وبالنسبة لمآثر العلويين في فن الرخام، فقد كان صحن جامع القرويين بدون خصة إلى أواخر عصر دولة الموحدين فلم يكن يشتمل من هذا النوع من التحف الرخامية على

---

(1) (والأرابيسك أشكال مشجرة مغصنة يليها مثل ذلك بعينة من الأشكال كأنها مقوسة فلو انطبقتا لعاد كل شكل يصافح شكله فكل واحدة شقة الأخرى) انظر رحلة ابن جبير ص 71 عند وصفه للرخام الطبيعي على شكل التوريق. والتوريق هو الاسم العربي المغربي لما يعرفه الغربيون باسم الأرابيسك نسبة إلى مبتدعيه العرب.

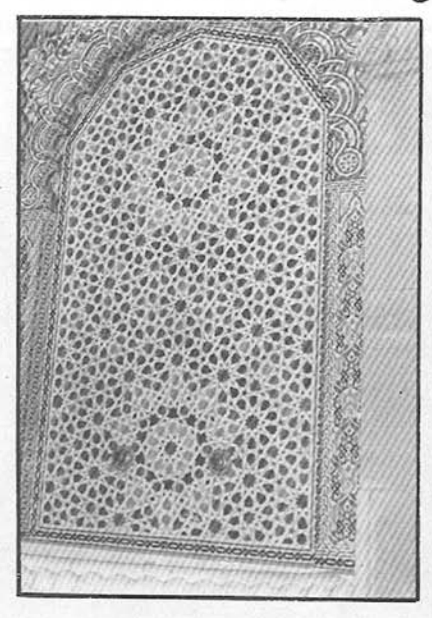
(2) الخزف الآسفي مقال بقلم الأستاذ الوزاني بالأنباء الرباط 1976/1/2.

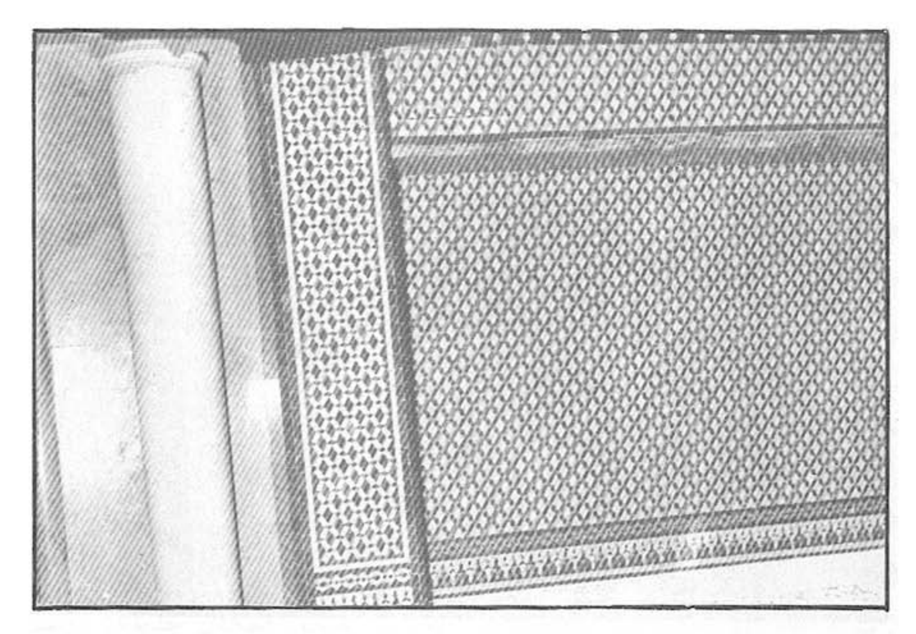
(3) ندرس ذلك مفصلا بكتابنا ضريح محمد الخامس دراسة تاريخية وأثرية.



شكل 161 أ

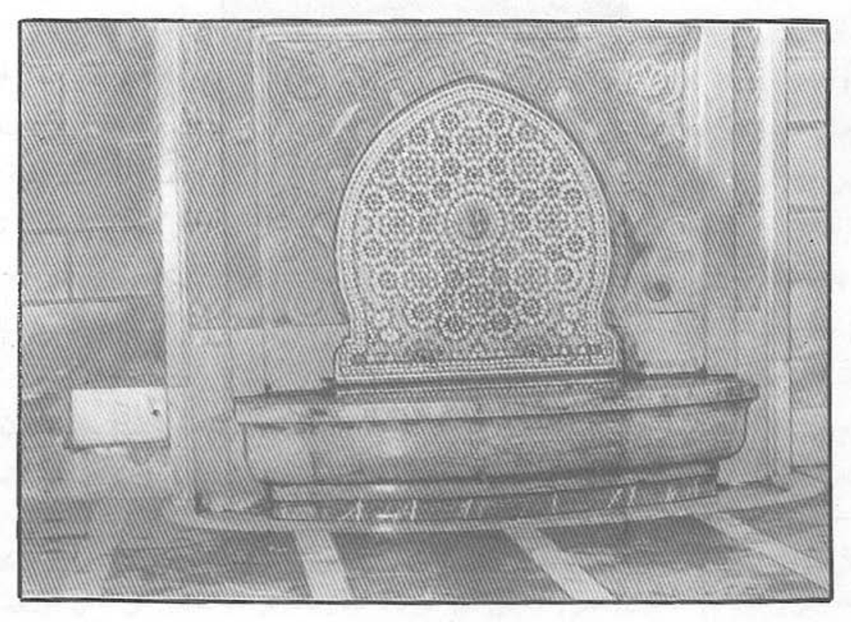
زليج بجوفة وجاني المحراب بمسجد محمد الخامس





شكل 161 ب

زليج الجدران الداخلية والسواري داخل بيت الصلاة بمسجد محمد الخامس



زليج وحجر ورخام بسقاية بالواجهة الشمالية بمسجد محمد الخامس

غير البيلة[1] التي نصبت بباب الحفاة أيام المظفر بن المنصور ثم جاء السعديون فاستبدلوا خصة الموحدين بالجانب الشرقي من الصحن بأخرى جديدة وأقاموا فوقها قبة ثم أقاموا خصة أخرى بالجانب الغربي وفوقها قبة تناظرها حتى كانت أيام المولى إسماعيل العلوي فأسس خصة الصحن الوسطى بالقرويين كما أسس خصة أخرى في نفس الوقت بجامع الأندلس سنة 1093[2]هـ وقد وصف أبو العباس أحمد الصبيحي السلاوي خصة الصحن الوسطى بالقرويين في قصيدة جاء فيها :

وجاريــــــة بضة غضة ملازمة الرقص في الجامع
يراهـــا الأفــاضل باديــة ولا إثم في الكل يا سامعي

كما نقش على خصة الأندلس[3] :

مولاى اسماعيل البسنى اليها فسحبت ذيلي فوق كل نفيس
زهوت ببيت الله حسبي مفخرا في عام (يجمل شاهد) تأسيسي

ومن التحف الرخامية من العصر العلوي قياس قالة (COUDEE ROYALE) من عصر السلطان مولاي سليمان نقشت عام 1234هـ درسها الفرد بل في الجريدة الأسيوية وهي رخامة مستطيلة طولها 0.55سم وعرضها 0.015 وهي أطول بقدر 0.10 عن طول الذراع المريني وذراع بني عبد الواد، ولهذا لم تعد تستخدم في قياس الأقمشة الصوفية وانما فقط في قياس القماش المصنوع من القطن أي القطنيات، ولهذا تسمى قالة كتانية (نسبة إلى الكتان) (شكل 162 أ).

ومن الملاحظ أننا وجدنا في هذا لنص كلمة (قياس) وكلمة (قالة) كما كانت في الحالات السابقة ولكننا من الآن سوف لا نعثر على كلمة (ذراع) وأن اصطلاح (الحضرة الادريسية) لا نجده في المغرب بطبيعة الحال قبل عهد الأسرات الشريفة[4].

وبضريح محمد الخامس الذي أسسه برباط الفتح خلفه الحسن الثاني نماذج عديدة من التحف الرخامية التي تمثلها الأعمدة وتيجانها الرخامية بالمتحف القائم غرب المسجد وأعمدة الرواق المقام فوق المتحف وكسوته الرخامية ذات الزخارف المنحوتة على شكل شبكات المعينات والرواق المحيط بقبة الضريح المنتصبة في تنسيق متقابل أمام الواجهة الرئيسية لمجموعة مباني الضريح[5] (أشكال 162 مكرر).

---

(1) (البلة حوض متسع يتوضأ الناس فيه) أنظر رحلة ابن جبير ص 175 والبيلة كلمة معربة، نفس المصدر ص 175 هامش رقم 2.

(2) جامع القرويين ج 3 ص 660 وقد اعتمد الدكتور عبد الهادي التازي في تأريخه للقبة الوسطى بصحن القرويين على خلو الحوالات الدقيقة للقرويين من ذكر الخصة الوسطى قبل المولى إسماعيل العلوي.

(3) نفس المصدر هامش 19 ص 674.

(4) Journal Asiatique Mars/Avril 1917 T.X P. 311 et fig.3

(5) عثمان عثمان : ضريح محمد الخامس دراسة تاريخية وأثرية.

الرخام والزليج بضريح محمد الخامس[1]

وإذا كان الرخام يلعب هنا دورا ممتازا غير أنه لا يبلغ أهمية فنون الرخام بمساجد المماليك المعروفة بالقاهرة، ذلك أن الأرضيات والجدران هناك تكون وقفاً على أشغال الرخام بينما تتنوع أساليب الزخرفة المعمارية بالمغرب حيث يشارك الزليج والجص بالجدران الداخلية وينفرد الحجر بالجدران الخارجية.

ويمكن حصر مواضع الرخام داخل مسجد محمد الخامس في أعمدة المحراب الجانبية والداخلية ثم الأعمدة القائمة على جانبي المدخل الرئيسي المحوري بالواجهة الشمالية والمدخلين المماثلين شرقا وغربا، بالاضافة إلى خصتي الصحن الرئيسي وصهريجي الخصتين المذكورتين وأرضيات الصحن الرئيسي ورخام الصحون الجانبية. وفيما يتعلق بمواقع الرخام خارج البناء نشير إلى الخصات المنتصبة أمام الواجهة الرئيسية وصهاريجها وبقية الرخام خارج هذه الواجهة المطلة على صحن مسجد حسان العتيق.

الأعمدة الرخامية بجانبي وداخل المحراب (أشكال 162 ب) :

يحف بفتحة المحراب مجموعة من ثلاثة أعمدة رخامية من كل من الجانبين ثم أربعة أعمدة أخرى توجد موزعة على جدران المحراب الداخلية وجميعها رخام أبيض اللون إيطالي الأصل ويبلغ مجموعها عشرة أعمدة متجانسة.

وقد تم اختيار الرخام الايطالي لمؤهلات خاصة يتميز بها تتعلق بنقاء وخصوصية مادته وتفوق واتقان صناعته. لقد ثبتت سلامة ذلك الاختيار بعد أن أرسلت جميع تفاصيل الزخرفة والقياسات والمواصفات على نماذج مغربية من الجص وعادت جميع تلك العينات بذاتها منحوتة في الرخام أعمدة وقواعد وتيجان كاملة الصناعة والزخرفة حسب المواصفات والنماذج المطلوبة بحيث لم يبق إلا فن التذهيب الذي نفذ بكامله هنا بالمغرب في المواضع المقررة لذلك من قبل.

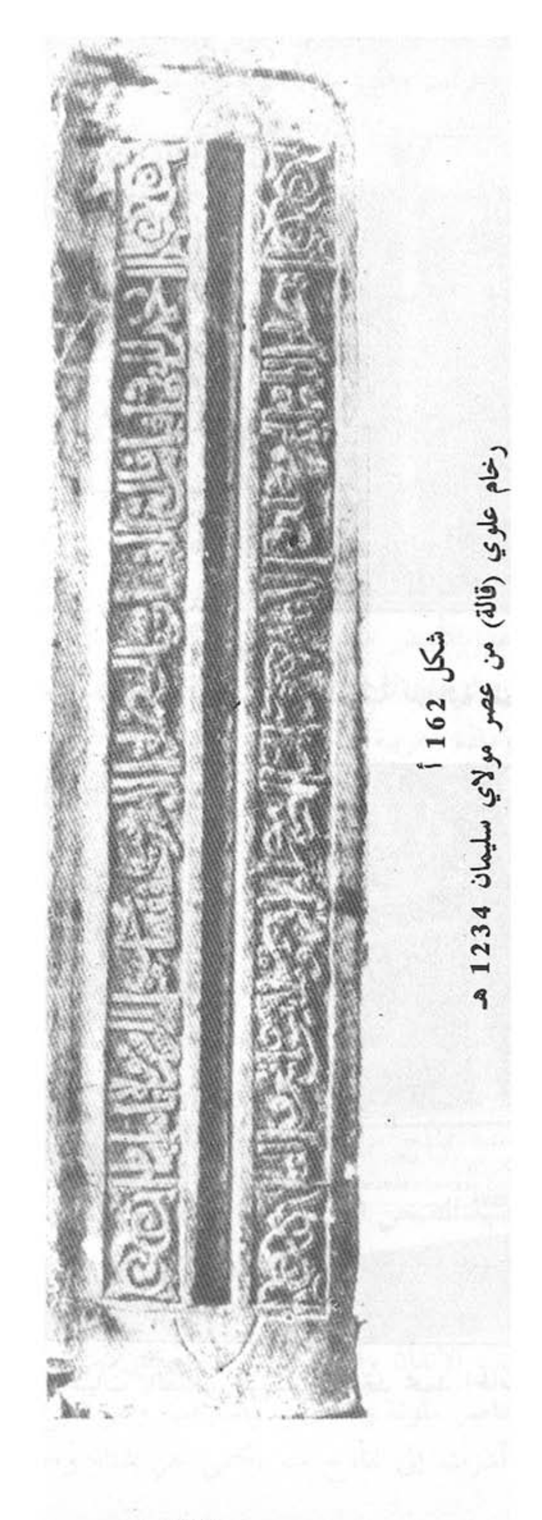
وتبعا لمصطلحت الصناعة التقليدية السائدة اليوم يبدأ العمود من أسفل بما يسمى (قاع) والقاع هو عبارة عن قاعدة العمود. ويعلو (القاع) مباشرة (سارية) والسارية هي بدن العمود الأسطواني المرتفع، وفق السارية تأتي مجموعة من ثلاث وحدات تعرف أوسطها باسم (رأس) وهو تاج العمود، وأسفل الرأس يوجد (عنق)، وفوق العنق توجد (لحية).

الأعمدة الرخامية بجانبي أبواب الواجهة الرئيسية :

يحف بالأبواب الثلاثة بالواجهة الشمالية للمسجد نماذج من الأعمدة الرخامية، فيحف

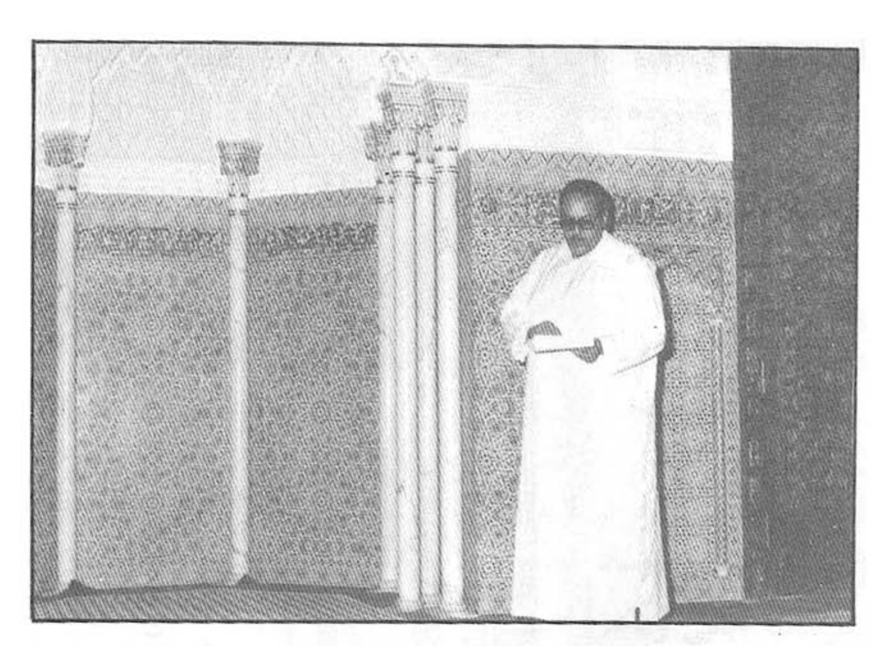
---

(1) مقالنا بمجلة دعوة الحق الرباط أبريل 1985 عدد 247 ص 72 وما بعدها.



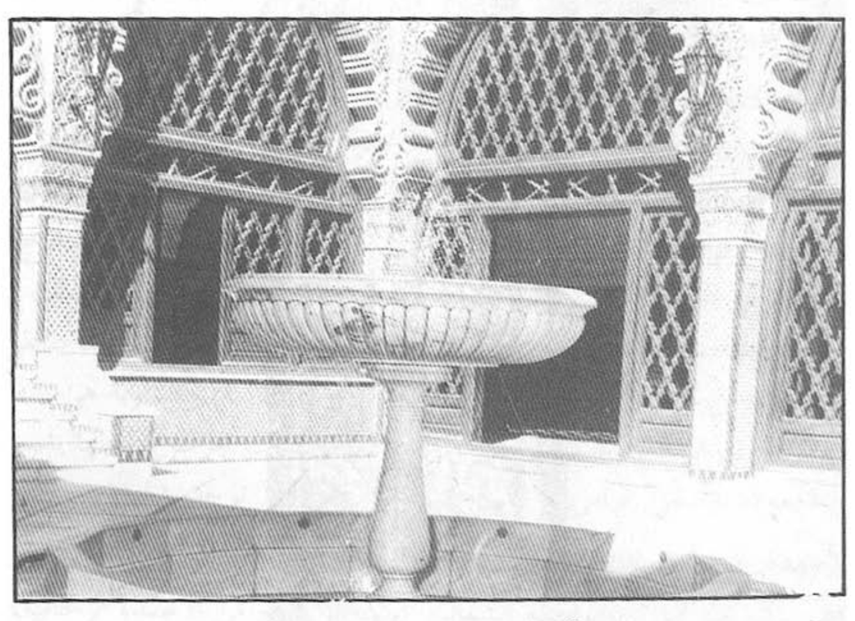
شكل 162 أ

رخام علوي (قالة) من عصر مولاي سليمان 1234 هـ



أشكال 162 ب

رخام أعمدة محراب مسجد محمد الخامس والدراسة الميدانية للمؤلف



رخام الخصة والأرضيات بالصحن الرئيسي بمسجد محمد الخامس

بجانبي كل باب من الداخل عمود رخامي من نفس طراز وصناعة الأعمدة المشار إليها آنفا حول فتحة جوفة المحراب والموزعة بداخله مع فارق واحد أنها هنا بجانبي الأبواب الرئيسية أكبر حجما وأكثر غلظا وهو أمر طبيعي بسبب اختلاف الموقع والغرض.

وتبدأ هذه الأعمدة كما ذكرنا بالقاع وهو القاعدة وفوقه سارية وهي أسطوانة العمود أي بدنه ثم تبدأ المجموعة العليا وأولها (عنق الرأس) وتعرف زخرفته هذه باصطلاح (عنق الرأس بالمحنشة)، وفوق العنق تأتي (الرأس) وتعرف هنا باصطلاح (الرأس بالتوريق) وبعد ذلك نجد (اللحية).

الرخام بالصحن الرئيسي (أشكال 162 ب) :

1 ـ خصتا الصحن : يتوسط الصحن الرئيسي صهريج مستطيل يوازي ضلعه الطويل جدار القبلة ويقابل الضلع القصير للصهريج من كل جهة خصة تتوسط صهريجا صغيرا قليل الغور. والصهريج الصغير يتكون من (16) ستة عشر ضلعا مفروشة بالرخام المغربي الملون (صنع الزليج) ما عدا الأبيض منه وهو الذي يكون (القطيب) فهو إيطالي وليس محليا. ويدور بالصهريج حزام من الرخام الأحمر المستورد من البرتغال حوله رخام (أكحل) يعني أسود وهو من صنع مغربي ومادة مغربية.

أما الخصة القائمة وسط الصهريج فهي من رخام أبيض بأسلوب يعرف في الصنعة باسم (خصة بالريشات)، والريشات هي الضلوع التي ينقسم إليها جسم الخصة من الخارج بينما يسمى البدن الأسطواني الذي يحملها فوق القاعدة باسم (العجلوج).

وقد أفادني المعلم (بريك) في عين المكان أن أشغال الرخام في السقايات أو الخصص أو الأرضيات كان هو بصفته الفنان المغربي معلم صنعة الرخام بأشغال الضريح يقوم بمناقشتها مع المعلم محمد بن عبد الكريم (رحمه الله) المشرف العام على الأعمال الفنية ومع مهندس الضريح ثم يقدم عدة نماذج من تصميمه ليقع اختيار أحدها عند التنفيذ.

2 - أرضية الصحن الرئيسي (أشكال 162 ب) : اتخذت أرضية الصحن الرئيسي لمسجد محمد الخامس من رخام أبيض (طلياني) بالقطيب والدرهم، وعلى هذا النحو نجد أن الصحن الرئيسي قد فرش بالرخام الأبيض المستورد بعد أن ألصق بانتظام بديع وتأليف معجز الصنعة غريب الاتقان رائع الترصيع رائق التركيب والرصف انعطفت حول وحداته الرئيسية البيضاء عناصر ملونة (بالقطيب والدرهم) وهو النوع المشهور في الصنعة المغربية منذ أيام المرينيين وقد أشرت إلى نماذج منه بكتبي عن شالة وحفائرها الأثرية وفنونها الزخرفية.

الرخام بأرضية الصحن الجانبي وخصتي الواجهة وصهاريجها والسقايات :

لقد فرشت أرضية كل من الصحنين الجانبيين بالرخام الأبيض وقد جعلت فواصل بالرخام الأسود بين المربعات الرخامية الكبيرة القائمة على رأسها. وتقف أمام الشواف الأول شرق وغرب الواجهة الرئيسية خصة رخامية من الرخام الأبيض الضارب إلى السمرة وبوسط الخصة قوقعة أشعاعية مفتوحة لأعلا تتوسطها نافورة نحاسية، ويتكون جسم القوقعة من (14) أربعة عشر فصا وترتفع فوق قائم رخامي قصير أسفله قاعدة رخامية تشكل من طابقين مثمنين بعدهما قاعدة مستديرة فوقها العمود القصير الحامل للقوقعة. والصهريج المحيط بالخصة يتكون من ثمانية فصوص وأرضيته رخام من نفس النوع وحول ذلك اطار رخام أسود يحيط بالمجموع، وبالاضافة إلى ذلك يوجد الرخام كحوض أسفل كل سقاية من سقايات الواجهة وهو حوض رخام أبيض حافته مشرشرة ومقسم خارجه إلى ضلوع إشعاعية بنفس الأسلوب.

الزليج :

يبرز فن الزليج بالمسجد في دوره الطليعي التاريخي الذي احتله منذ عصر المرينيين بشهادة صاحب روض القرطاس حسبما شرحت مفصلا بكتابي دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى. ونرى الزليج بمسجد محمد الخامس في جميع حوائط وسواري بيت الصلاة وفي جدار قبلة المسجد بصفة خاصة كما نراه في صهريج الصحن الرئيسي وجدران الصحون الجانبية بين المسجد والضريح من جهة وبينه وبين المتحف الوطني من الجهة الأخرى.

1 ــ زليج الحوائط والسواري :

تعرف الصناعة التقليدية هذا الأسلوب من الترصيع بالزليج في حوائط وسواري بيت الصلاة باسم (صنعة شعاير) وتسود بهذه الصنعة هنا الألوان الأبيض والأزرق المعروف في فن الزليج باسم (برايا) ثم اللون الأصفر المسمى (خابوري).

وتجدر أثناء دراسة الروافع ودراسة العمارة بالمسجد الاشارة إلى أن سواري المسجد الحاملة للعقود ليست أعمدة رخامية مستديرة وإنما هي دعائم مربعة المقطع (50 × 50 سنتيمترا) شيدت من الملاط المسلح وكسيت بالزليج وهذا هو تفصيل زخرفة السارية بالزليج : يبدأ العنصر الأول من أسفل بدون قاعدة وإنما بقسم أسفل يسمى (الجنار) في موضع قاعدة العمود، وتكسو بدون السارية حلة من (صنعة شعاير) وهي المحلاة باللونين الأزرق والأبيض كما مر بنا، ويعلو الاطار العام المحيط بكسوة بدن السارية زخرفة تعرف باسم (الضفيرة) وتأتي فوق الضفيرة (شرافة) فوقها (حزام علوي) يختم مراحل صنحة الزليج بالسارية من الأرض إلى بداية أشغال الجص التي تغطي موضع التاج الحامل لرجل العقد.

2 ــ زليج جوفة وواجهة المحراب :

وعلى الرغم من أهمية الدور الكبير الذي يلعبه فن الزليج في جنبات ووسط بيت الصلاة، فإن الصنعة التي ظهرت في جوفة المحراب وواجهته كانت أحفل، بل أن صنعة زليج المحراب المذكورة قد طغت بروعتها على بقية أشغال الزليج بمجموع أركان المسجد.

لقد تفنن المرحوم المعلم أحمد العلوي رئيس تعاونية الزليج بمدينة فاس في إبداع تلك النماذج المنسجمة التي جاءت منمقة مرحلة تلو مرحلة من الأرض إلى بداية أشغال الجص الموجود بجوفة المحراب بنفس ارتفاع نظيرتها بجدار القبلة.

ونظرا لتراجع كتلة المحراب وملحقاته عن مستوى حائط القبلة لأسباب تتعلق بالتخطيط والهندسة المعمارية لملحقات المحراب في التقليد المغربي، لهذا نجد أن زخارف المحراب الداخلية بجوفته ترتبط ارتباطا عضويا مع واجهة المحراب المعمارية من كل من الجانبين بقدر المساحة التي تشغل اتساع بلاط المحراب، وهكذا أصبح أمامنا ثلاث وحدات واضحة وهي : جوفة المحراب محور التخطيط والبناء ثم كتلة من كل جانب تشكلان مع كتلة المحراب تصميما معماريا وزخرفيا واحدا يتصدر البلاط المحوري وهو بلاط المحراب.

وتعرف صنعة الزليج داخل جوفة المحراب في الصنعة المغربية باسم (معشر بالقطيب مقسوم على ثلاثة) يعلوها (ضفيرة) فوقها كتابة ثم شريدا من كتابة أخرى (توريق مؤلف) إلى أن يتوج ذلك كله (شرافة) عليا أخيرة.

وهذا النظام نفسه يستمر بواجهتي المحراب الجانبيتين على نفس النسق والصنعة والألوان بحيث يبقى الاختلاف الوحيد بدخلة المحراب المسطح الذي يحف بالمحراب الرئيسي من كل جانب، وهذه الدخلة التي تمثل المحراب المسطح بكل من جانبي المحراب المجوف قد غشيت مساحتها بزليج من الصنعة المعروفة باسم (إثني عشرى بالقطيب).

3 ــ زليج الصحن الجانبي بين المسجد والضريح :

تتفق كسوة حائط الضريح المطلة على الصحن الجانبي وكسوة حائط بيت الصلاة في وجود (حزام مثمن بلا قطيب).

أما السقاية الموجودة بالجانب الضيق لمستطيل ذلك الصحن فقد جعلت جوفتها من زليج (معشر بلا قطيب)، في حين جعلت السقاية الأخرى وهي الصغرى الجانبية (معشر بلا قطيب مقطوع بالزقاق) ويستمر الحزام العلوي (إثني عشرى بالقطيب).

وبالنسبة لمتصميم العام لزخارف الحائط الشمالي ونظيره الجنوبي بالصحن الجانبي نجد بالوسط عقدا كبيرا حوله عقد من كل جانب أصغر مساحة وقد غطى الزليج بتراكيبه الهندسية

وألوانه المتعددة خلفيات العقود والمساحات المحيطة بها بل أن السواري الفاصلة بين العقود والمساحات المحيطة بها جعلت كلها من الزليج كذلك، وإذا تخطينا شريط الحجر المزين بزخارف مضفرة أعلى عقود الزليج نصل إلى شريط أعلى من الزليج هو الآخر.

ولعلها على غير العادة تبدو ظاهرة الإطار الزخرفي (إطار الزليج) هنا جديدة وذات ثراء زخرفي معماري كبير حيث يدور إطار مزلج بجميع وحدات الواجهة تتعدد أشكاله الهندسية وفنون التسطير من خلاله بدون قطيب.

وما دمنا بصدد زليج الصحن الداخلي نذكر بمثال آخر من الزليج يدور بكل من خصتي الصحن الرئيسي صانعا أرضية متعددة الألوان بالقطيب.

4 ـــ زليج السقايات بالواجهة الرئيسية :

مر بنا في دراسة فنون الحجر وجود سقايتين بالواجهة الرئيسية شرق وغرب الباب المحوري يفصل بين الباب وبين كل منها (شواف) وينطوي داخل القوس الحجري الكبير عقد من الزليج مزدوج مفصص نادر المثال نصف دائري يرتكز منبته من الجهتين على عنصر ثعباني (ملفوف) غريب الهيئة والتصميم يكاد يكون مرسوما في عكس الاتجاه المألوف. ويضم العقد المزلج أرضية من الزليج بالقطيب، وقد استخدمت الألوان الأزرق والأخضر والقهوي في وحدات التركيب المعروف باسم (معشر بالقطيب) بينما استخدم اللون الأبيض للقطيب. وتدور بأرضية الوحدة الزخرفية الرئيسية بمجموع السقاية زخرفة معمارية عبارة عن حزام مضفر من مربعات ومعينات بالقطيب. ويرتكز العنصر الأساسي بالجانبين على خد بتوريق مولف وهو كتلة مستطيلة (بدل السواري) يتوسطها حشوة من زليج مورق حوله إطار من زخرفة هندسية، هذا، وأعلى القوس الرئيسي يوجد توريق مولف بالزليج كبير المساحة يذكر بزخارف الموحدين والمرينيين وبالسقايتين الجانبيتين صنعة 24 بلا قطيب.

5 ـــ زليج النقوش العربية :

وإذا كان الزليج يلعب دوره التاريخي في أساليب الزخرفة النباتية كالتوريق والهندسية كالتسطير ويتحاشى التشبيه بالخالق في عدم رسم الأشكال الآدمية والحيوانية، فإنه لا يغفل فن الكتابة العربية ويمنحنا مثالين في نقوش الزليج الكتابية بالمحراب، الأول عبارة عن شريط من الكتابة المؤلفة بالزليج يدور بجوفة المحراب وجانبيه بنص قرآني هو عبارة عن نقش بالخط الكوفي المورق نقرأ فيه ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا...﴾، أما الثاني فهو طراز من الخط الكوفي المربع يدور بنفس الموقع من المحراب ونقرأ فيه عبارة (بركة محمد) مكررة.

خامسا : الزخرفة المعمارية بضريح محمد الخامس[1]

1 ـــ شبكات المعينات (Les Réseaux des Losanges)

درست في أبحاث سابقة ذلك العنصر المزدهر من عناصر الزخرفة المعمارية، إذ تعتبر شبكة المعينات عاملا مشتركا وبارزا بمختلف إنتاجات الطراز المغربي الأندلسي الذي شمل عصور المرابطين والموحدين وبني مرين بالعدوتين المغرب والأندلس، وعلى وجه الخصوص ضمن عناصر العمارة الزخرفية وعلى مختلف مواد الفنون التطبيقية.

فبالمساجد كما هو الحال في تينمل والكتبية وغيرها توجد شبكات المعينات ببواطن العقود وعلى سطوح الجدران بصحون المدارس المرينية وقاعات قصر الحمراء كما ازدهرت على واجهات الصوامع الشهيرة بالكتبية وقصبة مراكش وحسان والجيرالدا باشبيلية، بل انها شاعت في تصميم الزخرفة المعماريةلجميع الصوامع المغربية إلى القرن الحادي عشر على أقل تقدير ولا زلنا نراها على جدران الصوامع الخارجية إلى يومنا هذا. لقد بلغ من انتشار ذلك العنصر أن تفنن المزخرفون المعماريون في أساليبه وتنوعها فنراه قائما على الوحدات النباتية كما نراه منفذا على شكل تصميمات هندسية أو كتابية.

وسبق لعلماء الآثار والفنون الإسلامية دراسة ذلك العنصر ومحاولة التوصل إلى أصوله التاريخية، وفي هذا الصدد اعتقد جورج مارسيه بأن شبكة المعينات المتجاورة نشأت من تقاطع وتداخل عقود مسجد قرطبة، وقال ريكار بأن التضفيرات الهندسية عكست أشكال زخرفية ظهرت أشكالها البدائية بواجهة مسجد باب المردوم بطليطلة، وأرجعها هنري تيراس إلى الفن الإسلامي المبكر بالعصر الأموي بإسبانيا. ثم توصلنا بعد الدراسات المقارنة المفصلة إلى أصول تلك الزخرفة المغربية الأصل، والذيوع والانتشار،[2] منذ عرفها الفن المغربي القديم (البربري) ابتداء من الزخارف الهندسية والنباتية على مختلف المواد والمصنوعات، كما أوضحنا أسباب ازدهار ذلك العنصر على الخصوص إبان عهود التقدم السياسي والحضاري بالعدوتين المغرب والأندلس، وهو بحث نوجزه في دراسة الأصول التاريخية ببحث قادم.

وهذا العنصر الرئيسي من عناصر الزخرفة المعمارية نراه في فنون المجموعة المعمارية يحتل نفس المساحة التاريخية بين الفنون الزخرفية المعمارية وفي موضع الصدارة منها فنراه منقوشا على الحجر والجص والخشب والرخام والزليج بوحدات البناء الرئيسية.

(1) مقالنا بمجلة دعوة الحق الرباط عدد يناير 1985 برقم 244 ص 52 وما بعدها.
(2) كتابنا دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى.

وأيسر ما يجلو علينا ذلك الأسلوب الزخرفي المعماري التصميم الذي نلمسه في خشب أبواب الصحن الرئيسي للمسجد بضريح محمد الخامس، وهو التقسيم الزخرفي المعروف في الصنعة التقليدية باسم (حكة) تلك الوحدة المتكررة من أوراق نباتية تشكل هيئة معينات هندسية بتكون كل منها من أربعة أجزاء هي عبارة عن زوج، من ورقة نباتية كبيرة مزدوجة معروفة منذ أيام الموحدين وقد أصاب ذلك العنصر تطورا ورواجا كبيرين أيام المرينيين، كما نجد نماذج أخرى من شبكات المعينات المتجاورة منقوشة في الحجر بواجهتي البابين الكبيرين بالصحن الرئيسي للمسجد في عمارة ضريح محمد الخامس.

2 ـــ العنصر الثعباني (Motif Serpentiforme)

وهو العنصر الذي أسميته في أبحاث سابقة مفصلة بكتابي تاريخ العمارة الأثرية[1] والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى باسم (العنصر الملفوف). ويرجع أصل العنصر تاريخيا إلى عصر المرابطين إذ ظهر لأول مرة بالمغرب بعمارة جامع القرويين ضمن الأشغال المرابطية.

وكان الأصل في استخدامه الحاجة إليه بالنظر للأغراض المعمارية البحتة فكان يقوم بوظيفة حمل رجل العقد قبل ارتكاز العقد فوق السارية. لكن الفنان المسلم كعادته التاريخية لا يلبث أن يتناول العناصر المعمارية العاطلة من الزخرفة فيحورها ويتطوربها نحو الأغراض الفنية التي تحقق المتعة إلى جانب القيمة العملية، لهذا تطور استخدام العنصر (الثعباني) أو (الملفوف) لتحقيق أغراض معمارية وزخرفية نفس الوقت، بل أنه أصاب تطوراً مستمراً إلى أن وصل مرحلة فقد فيها أهميته المعمارية في إطار تطور التصميمات الهندسية، ومنذ ذلك التاريخ أصبح يحتفظ بذكريات معمارية إلى جانب الوظيفة الزخرفية.

ويثبت العنصر الثعباني وجوده ضمن الزخارف المعمارية بمسجد محمد الخامس حيث نراه منفذا هنا في الحجر في طراز يعرف في الصنعة المغربية باسم (حنش تمام الخرسنة مغلل)، فهو بالفعل يمثل رسم ثعبان يأتي في نهاية رجل العقد ليشغل الفص الأخير، الذي يرتكز مباشرة فوق قمة السارية أو العمود، وقد مر بنا أثناء دراسة العقود أن (الخرسنة) تعنى (التفصيص) أي الفصوص المعروفة بالمصطلح الأوروبي (LOBES)، كما أن ذلك العنصر يتخذ هنا شكل غلالة حقيقية كانت مصدر الاسم المصطلح عليه في الصنعة المغربية.وسوف أقتصر هنا على ملاحظتين اثنتين، الأولى جديرة بالاشارة إليها وهي تمثل نوعا من العنصر المعماري الزخرفي نراه في تصميم غير سابق المثال مرسوما بالزليج نجده بالحائط الشمالي المزلج بالصحن الجانبي، أما الملاحظة الثانية فتتعلق بنفس العنصر منحوتا في الحجر بواجهة الأبواب الرئيسية بالواجهة

---

(1) الجزء الثاني الخاص بعصر المرابطين.

الشمالية وفي منابت عقود الشوافات والسقايات بنفس الواجهة مع فارق واحد، وهو كون ذلك العنصر جاء أكبر حجما في الباب. وتتميز تلك النماذج المنحوتة في الحجر بدقتها واكتمال هيئة الثعبان وتفاصيل رسمه بشكل يجعله مثيرا للانتباه أكثر من نماذج عديدة بمواقع معمارية أخرى.

3 ــ الإطارات والمساند (الكوابيل) والشرفات :

الإطارات : تتعدد أنواع الاطارات وموادها وزخارفها ونقتصر على بعض الأمثلة للتعرف على أسلوبها، فابتداء من داخل بيت الصلاة نجد بحائط المحراب نفسه شريط من الجص مخرم بزخارف هندسية مضفرة يدور بأسطوانة المحراب كما نلاحظ بأعلى كل أسطوانات المسجد شريط من الزخرفة النباتية المحورة عن الطبيعة، وإذا رجعنا إلى حائط القبلة نجد حول تقسيمات الحشوات الزخرفية الجصية الرئيسية سلسلة من ورقة نباتية مشرشرة تصنع مع نظيرتها شكل تضفير زخرفي.

وبالصحن الرئيسي نجد الاطارات المربعة الشكل حول الأقواس الرئيسية ويحد كل إطار شريط من زخرفة منقوشة في الحجر بتوريق بارز الحفر.

وبالصحنين الجانبيين بين المسجد وكل من الضريح والمتحف الوطني إطارات هندسية تتركب من معينات مستطيلة مضفرة تدور حول الوحدة الرئيسية لزليج الجانب الشمالي ونظيره الجنوبي للصحن وهذه الاطارات ذاتها نقشت بالزليج الملون بدون قطيب.

المساند أو الكوابيل : نشير إلى مثالين منها، الأول بالصحن الرئيسي للمسجد والثاني بالمداخل الرئيسية بالواجهة الشمالية.

ففي الصحن الرئيسي نجد بكل واجهة داخلية على الصحن بالبابين المحوريين زوج من الأعمدة عن اليمين واليسار وكل منها محمول على مسند عبارة عن ربع أسطوانة نائمة دائرتها للخارج تشغلها كتابة نسخية، بالاضافة إلى أن جميع الأعمدة الحجرية القصيرة بأعلى واجهات الصحن ترتكز على مساند حجرية ناتئة هندسية التصميم.

وبكل من الأبواب البارزة بالواجهة الرئيسية وعددها ثلاثة أبواب يوجد عمود حجري (سارية) بكل من جانبي القسم العلوي وترتكز هذه السارية على مسند عبارة عن نصف كرة مقسمة إلى فصوص صماء تعلوها قاعدة مربعة تجلس فوقها السارية.

الشرفات : سوف ندرس مقصورة النساء مع فن الخشب في الحلقات التالية وبها تفصيل عمارتها، لكننا نشير الآن إلى الشرفات الخشبية التي تعلو المقصورة وتتركب كل شرفة منها من ست درجات مسننة، وتنطوي جوانح الشرفة على شكل تعريشة نباتية مشرشرة تملأ المساحة الزخرفية المخرمة.

فإذا انتقلنا من الخشب إلى الحجر أشرنا إلى مثال بالباب المحوري بالواجهة الرئيسية ومثله البابين المتناظرين بنفس الواجهة إذ يعلو كل باب منها[1] شرفة حجرية من أربع درجات تتكرر ست مرات وتبدأ وتنتهي بنصف شرفة بكل من الجانبين[2].

وفضلا عن هذا توجد نماذج مما يسمى (LES CORNICHES) بواجهات الصحن الرئيسي والواجهة الرئيسية نظراً للحاجة إليها لحماية البناء من أخطار المطر وهي عبارة عن بروزات معمارية واقية.

4 ـ الخطوط العربية :

إن نظرة عابرة بقوائم المصادر والمراجع التي أوردتها بكتابي دراسات جديدة في الفنونالاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى ابتداء من صفحة (276) للمصادر العربية وصفحة (248) للمصادر الأجنبية تكفي لدلالة على اعتبار فن الخطوط والنقوش العربية عاملا مشتركا بين جميع عناصر الفنون الاسلامية سواء بالعمارة الثابتة أو الزخارف الملحقة بالمرافق والملحقات كما تغطي جميع مواد التحف المنقولة من عاج وخزف وخشب وغيرها من المواد الصلبة وكذلك الورق والنسيج والسجاد وغيرها من المواد اللينة، ولهذا كان لزاما الإشارة إلى عدم كفاية الدور الذي تمثله الخطوط العربية بمؤسسة لها اعتبارها الحضاري وأعني بها التحفة المعمارية المتمثلة في مسجد محمد الخامس.

ومع هذا سنشير إلى دور الخط العربي بالمسجد على عدة مواد يمثلها في مقصورة النساء والزليج بجوفة وواجهة المحراب والجص بجدار القبلة وأخيرا الحجر بمساند معمارية بالصحن الرئيسي.

وعندما نبدأ بالخشب نشير إلى بيتين من الشعر نقشا بالخط النسخي الممتلىء بواجهة المقصورة على الصحن تم اختيارهما وتصميم زخارفهما بواسطة المعلم الفنان في صناعة الخشب السيد اليازغي الشهير بمدينة مكناس، ولعدم التكرار نشير إلى الدراسة المفصلة لذلك المثال عند الحديث على فن صناعة الخشب بمقصورة النساء.

وقد نقش في الزليج نموذج من الخط الكوفي المورق يدور بجوفة المحراب وجانبيه وهو نص قرآني يبدأ بالآية الكريمة ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا...﴾.

---

(1) P.RICARD : POUR COMPRENDRE L'ART MUS. P. 163

(2) كتاب ريكار المذكور : الفن الاسلامي ص 137 وأشكال 229 + 230.

ثم يأتي بأعلى ذلك الشريط الكتابي نقش آخر في الزليج أيضا يشتمل على زخرفة كتابية بالخط الكوفي المربع نقرأ به العبارة المتكررة على طول الشريط وهي (بركة محمد).

ولمعرفة نوع صنعة الزليج في النقشين يجب الالمام بأن هناك طريقتين للكتابة المزلجة حيث تنقسم زخرفة الزليج بوجه عام إلى نوعين، فإما أن يكون الزليج منقوشا وإما أن يكون مقشرا، والزليج المنقوش هو الذي يقطع ويقص على هيئة الحروف أو الزخارف المطلوبة ثم يركب أثناء العمل بتثبيته على سطح (المرطوب) وهو لين قبل جفافه ويتطلب ذلك نوعين من الصناع الأول لقطع الزليج وقصه حسب الزخارف أو حروف الكتابة المطلوبة في التصميم المعد لذلك ويعرف هذا الصانع بالنقاش، ويخص الصانع الثاني بتركيب عناصر الزخرفة وفرشها فوق (المرطوب) اللين ولهذا يعرف بالفراش الذي يفرشها بمواضعها. وتنقسم أساليب الزليج المنقوش إلى ثلاثة[1] أنواع يهمنا منها الآن المتعلق بالزخرفة الكتابية وفي هذه الحالة يعرف ذلك الأسلوب باسم (كتابة مولفة). أما الزليج المقشر فيتم بفرش الزليج ذي اللون الواحد فوق السطح المراد وضع النقش فوقه وترسم نماذج الحروف أو الزخرفة فوقه ثم يقوم الصانع بتقشير المواضع التي رسمها الخطاط فيزيل من الزليج طبقته اللامعة داخل حدود الرسم ليظهر لون طينة الزليج الأصلية ويحدث التباين بين السطحين اللامع ولون العجينة السفلى، يسمى هذا النوع من كتابة الزليج باسم (كتابة مقشرة). وهكذا نترسم مراحل تنفيذ النماذج المشار إليها في الزليج بمحراب المسجد وهي نماذج من (الكتابة المولفة).

وبالنسبة للخط النسخي لدينا مثال منه في الجص منقوشا برشاقة ودقة كبيرتين نراه في جدار قبلة المسجد يأتي مباشرة فوق إزار الزليج الذي يدور بالجدران السفلى للمسجد وهو شريط من الكتابة النسخية عبارة عن نص قرآني نصه ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. ويتكرر النص بنفس أسلوب الخط تسعة مرات فيما بين المحراب إلى الجدار الشرقي لبيت الصلاة، ويلي ذلك الشريط بأعلى المساحة شريط من زخرفة معمارية عبارة عن تقليد للخط الكوفي المضفر تظهر فوقه مباشرة الحشوات الجصية المخرمة بأعلى جدار القبلة.

وفي الحجر بالصحن الرئيسي للمسجد نجد مساند أسفل الأعمدة المحيطة بالبابين المحورين وقد نقشت بها كتابات دينية بالخط النسخي.

---

(1) كتابنا المذكور ص 196 199.

سادساً : المعادن والحلي

1 - العملة

ظهر منذ عام 1971م عن بنك المغرب مؤلف بالغ الأهمية لزميل سابق لنا بادارة الآثار المغربية وهو الأستاذ دنييل أوسطاش بعنوان الجامع في الدراهم الادريسية والدراهم المعاصرة لها[1]، وهو لا يقتصر على وصف النقود فحسب بل ينطلق في دراسة شمولية تتخذ من المعطيات الاقتصادية والظواهر الاجتماعية والحقائق التاريخية أساسا يلقي أضواء جديدة على ظاهرة الاصدار النقدي في عهد أول دولة إسلامية بالمغرب وذلك في نطاق خطة متكاملة تهدف إلى دراسة النقود المرابطية وتاريخ المغرب عبر النقود والجامع في النقود السعدية.

وبناء على أوليات معاصرة اقتصادية واجتماعية وسياسية أيضا على مستوى الداخل والخارج ظهر منذ وقت قريب (الجامع في المسكوكات العلوية)[2] مشتملا على قوائم بالمراجع والمصادر والدراسات التخصصية ومدخل تاريخي لدولة الأشراف العلويين ودراسة تاريخية ونقدية باللوحات والجداول لعهد كل ملك من ملوك العلويين ابتداء من مولاي رشيد بن الشريف إلى أمير المؤمنين الحسن الثاني (ولايته 1380هـ 1961م) (أشكال 163 ــ 171).

وصدر عن جامعة القاضي عياض بأجادير (مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر) وهي رسالة جامعية للأستاذ عمر آفا درس خلالها صناعة النقود المغربية وتنظيمها وتجهيزها، وكذلك درس صناعة النقود المغربية بأوروبا والأسباب الاقتصادية والسياسية التي أدت إلى ذلك كما درس الظواهر التي ترتبت عليها ووسائل الدولة المغربية لحماية ذاتها.

وقد علق على هذه الدراسة متخصص متميز وهو الأستاذ العجالاوي الموساوي[3] في عرض جيد ومفيد لا بأس من تقديم خلاصته.

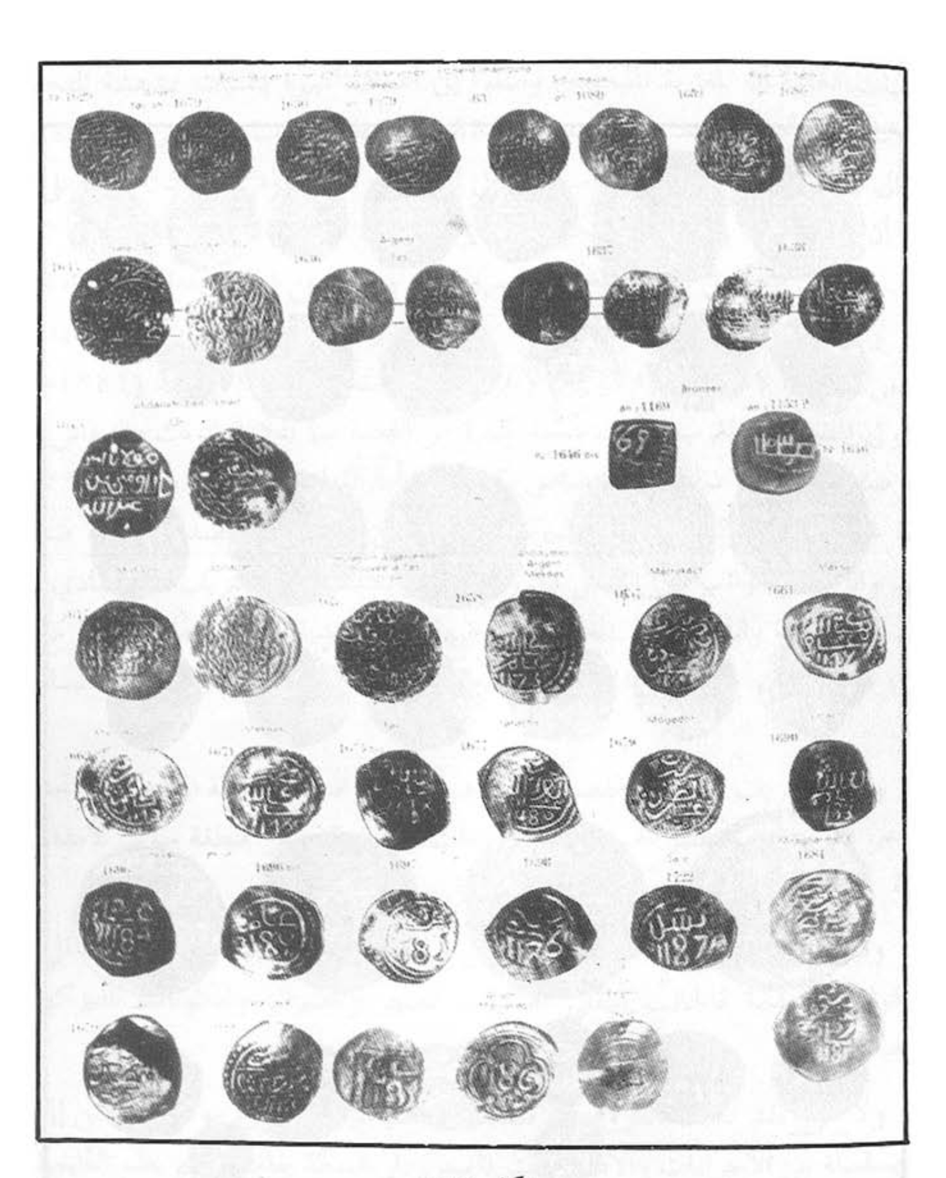
أوضح الأستاذ الموساوي أهمية قراءة الوثيقة القطعة النقدية وتأويل القراءة وأهمية التحليل المخبري للنقود لاستخراج معطيات مرتبطة بتقنيات الضرب ومنابع السبك.

---

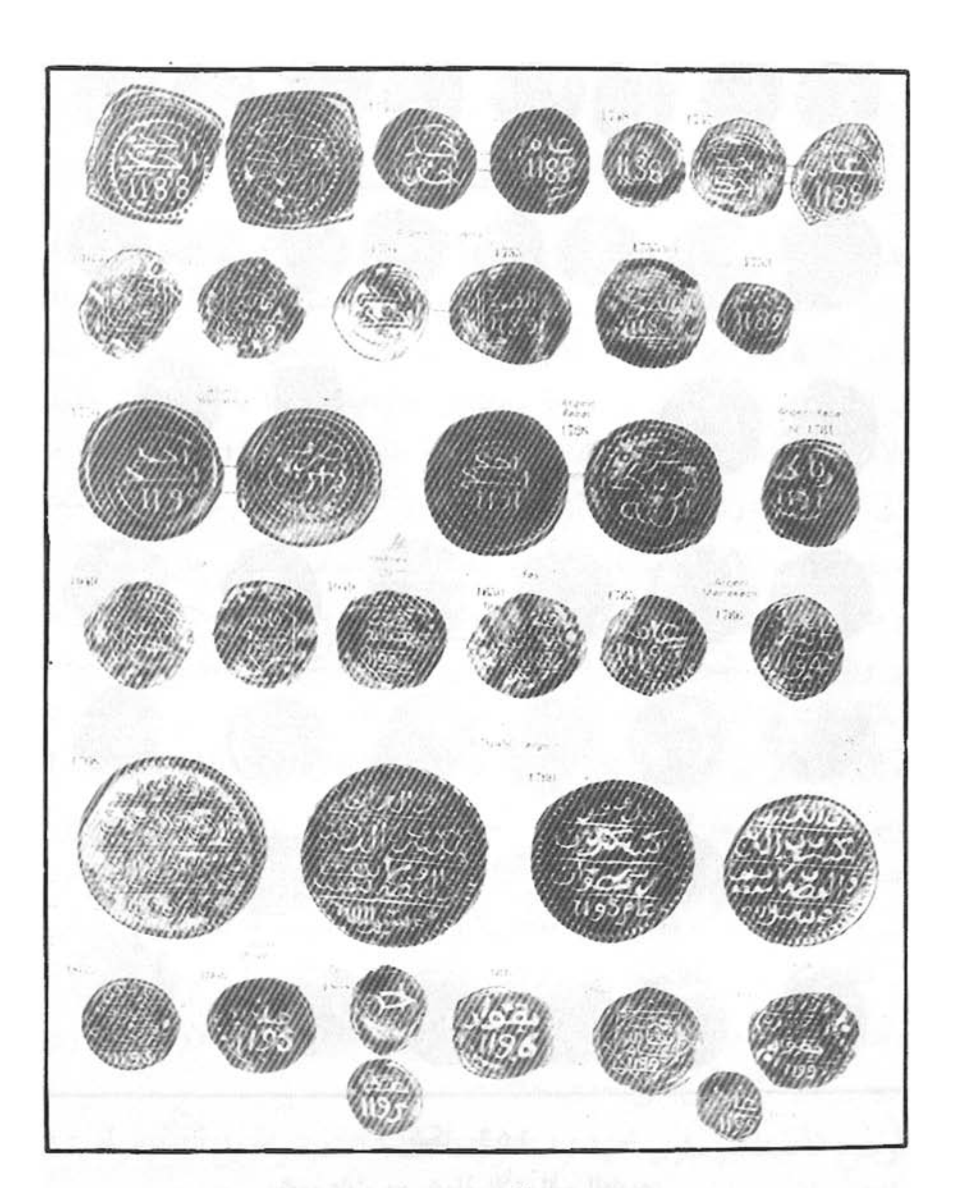
(1) Daniel Eustache : Corpus des dirhams Idrisites et Contemporains, Rabat 1971.

(2) Corpus des monnaies Alaouites

(3) جريدة الاتحاد الاشتراكي، الملحق الثقافي، الرباط 88/8/21 وعدد 1988/8/28.



شكل 163
مجموعات من عملة الأشراف العلويين



شكل 164

مجموعات من عملة الأشراف العلويين

وأوضحت الدراسة أن الانتاج وإن كان قد توقف أيام العلويين في بعض مناجم الفضة التي كانت مزدهرة أيام الأدارسة ثم المرابطين، فقد ظلت مناجم النحاس نشيطة حيث أثبتت الدراسات الحالية أن المغاربة المنجميين وصلوا إلى أعماق كبيرة بتقنيات مدهشة للتخلص من المياه الباطنية وتحت ضغط مؤتمر مدريد 1880م اضطر المغرب إلى ضرب نقوده بأوروبا (أشكال 171/163) التي اتجهت سياستها إلى استنزاف العملة المغربية، فكان لزاماً على المغرب وقتئذ أن يسلم قدر وزنها على شكل لويز أو ريال أو درهم مغربي أو قدراً من الفضة أو الذهب في حين لا تحمل العملة المغربية المضروبة في أوروبا ربع قيمتها الفعلية من المادة الثمينة.

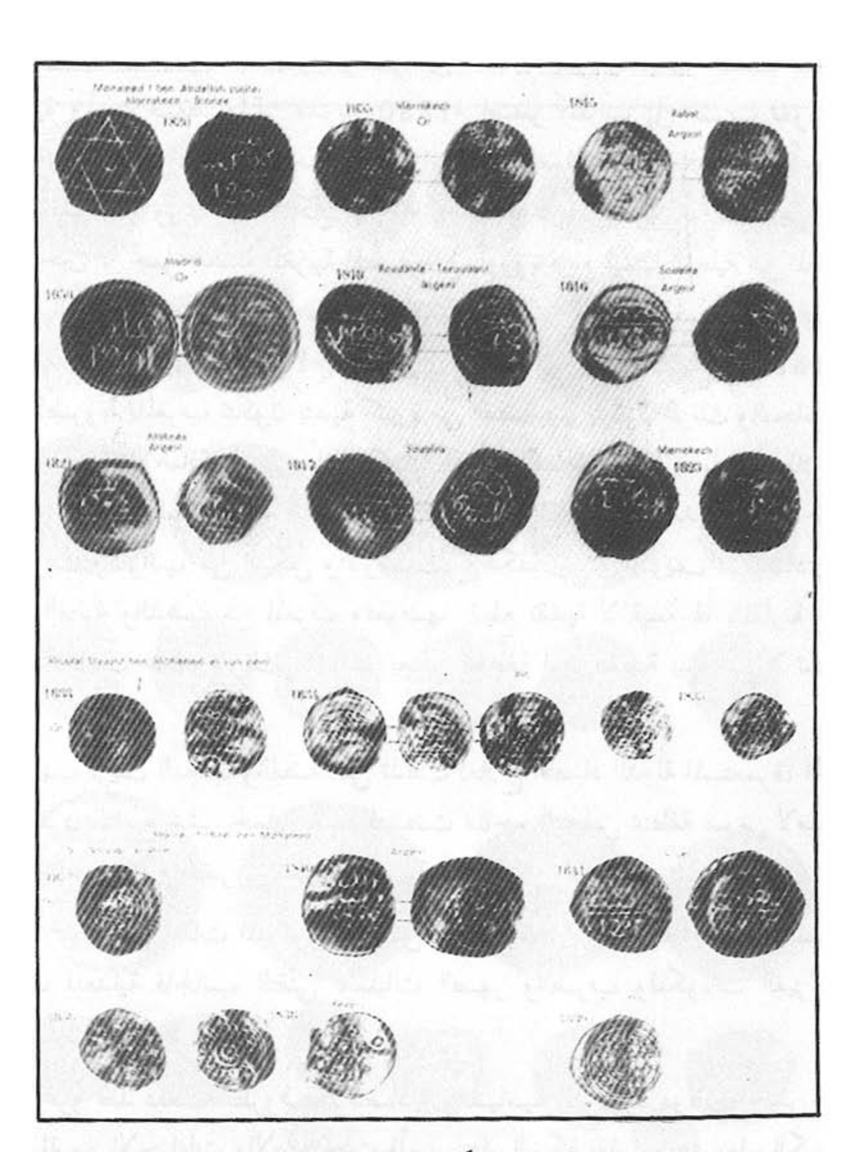
وأن الدراسة التحليلية لقطعتين من الفضة ضربت أولاها بالمغرب على عهد سيدي محمد بن عبد الله 1188هـ (1774م) والأخرى ضربت بباريس 1299هـ (1881م) اتضح أن الأولى المضروبة بالمغرب تتكون بنسبة كبيرة من الفضة بينما يتكون الزنك والنحاس والحديد بنسبة ضئيلة جدا بالاضافة إلى الرصاص كشائب، أما القطعة المضروبة بفرنسا فلا تملك من الفضة غير الاسم وتكون النسبة الكبيرة من الرصاص والزنك والقصدير ونسبة ضعيفة من الحديد والزنك وشوائب من النيكل والارسنيك، وهكذا يسري النزيف الاقتصادي بحصول فرنسا على الفضة والذهب من المغرب وتعوضها بقطع نقدية لا قيمة لها بالمقارنة مع المعدن الثمين، فقد أضيف عنصر الزنك كشائب يعطي القطعة لون الفضة بينما هي لا تساوي ربع قيمتها.

وبسبب نزيف الذهب والفضة التي تذهب لعلاج اقتصاد الدولة المستعمرة، اتجه المغرب في أواخر القرن التاسع عشر لحماية نفسه فنشطت مناجم النحاس بمنطقة سوس لامداد الخزينة المغربية بالنحاس اللازم لضرب السكة المغربية.

وقد شملت الدراسات المذكورة مقاييس قراءة النقود من حيث الجانب الجمالي للقطعة ثم المكونات المعدنية فالجانب التقني لعمليات الصهر والضرب والمكونات الفيزكو شيمية المصاحبة لذلك.

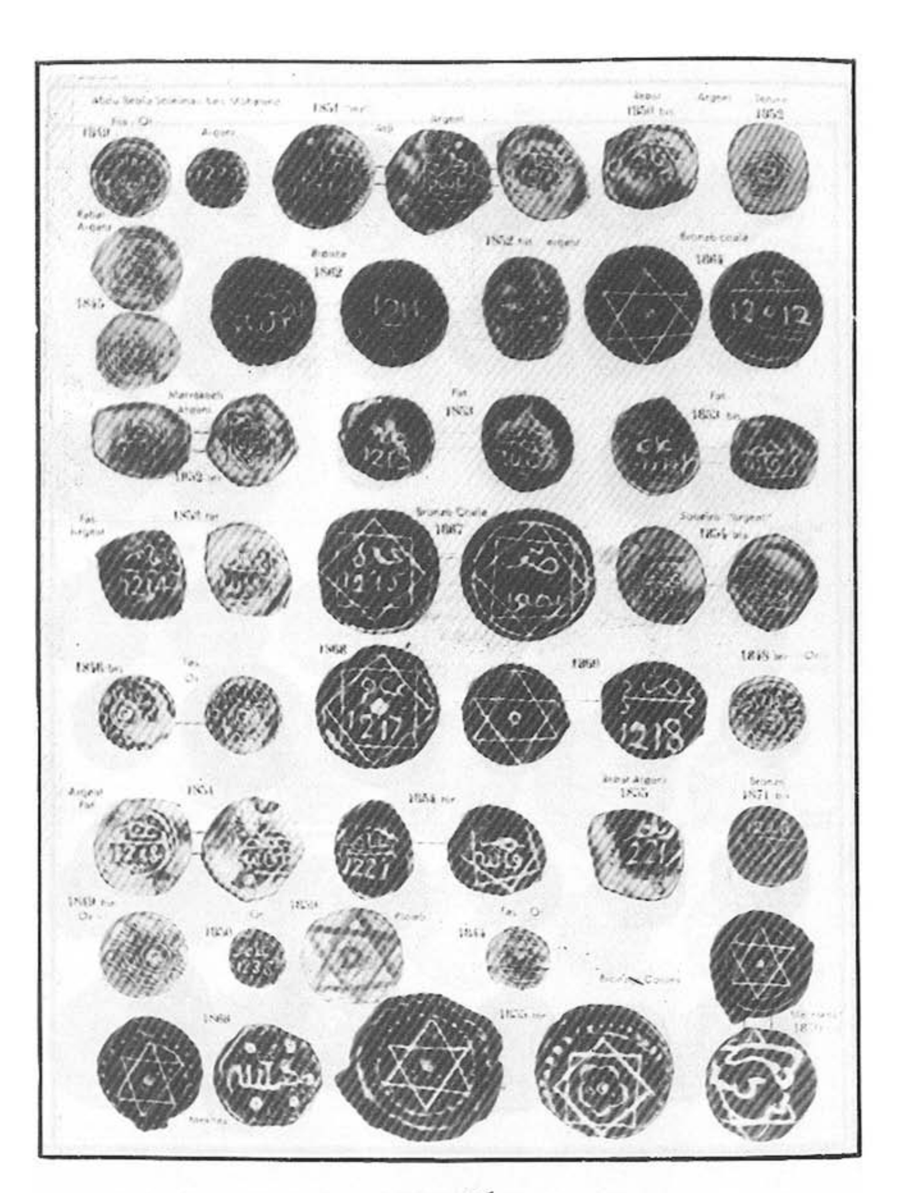
ولا غرو فقد دفعت الظروف الاقتصادية والسياسية المذكورة مولاي الحسن إلى تدارك الأمر بسلسلة من الاجراءات والاصلاحات فأسس دار السكة بفاس واهتم بعلم الكيميا لتزويد البلاد بعملة جيدة تضع حدا لتدهور العملة وارتفاع الأسعار، وكانت تعرف عملة مولاي الحسن الأول المضروبة بفاس باسم الصولدي واستمر استخدامها في عهده وعهد خلفه من بعده.

وقد ذكر السلاوي في الاستقصا أن المولى رشيد باني الدولة العلوية قد أمر بسك العملة الرشيدية منذ عام 1079هـ بعد أن كان المغاربة يتعاملون بالنقد الأجنبي بقصد توحيد

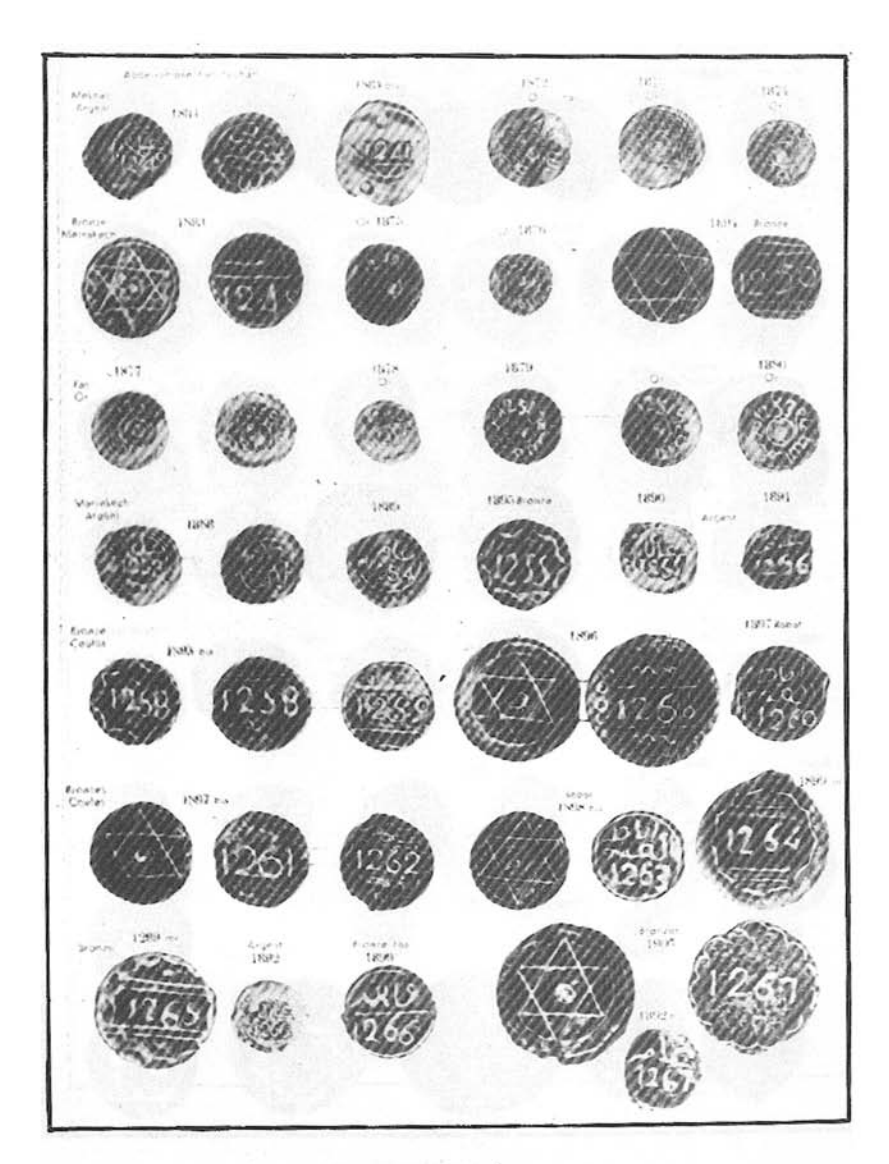


شكل 165

مجموعات من عملة الأشراف العلويين

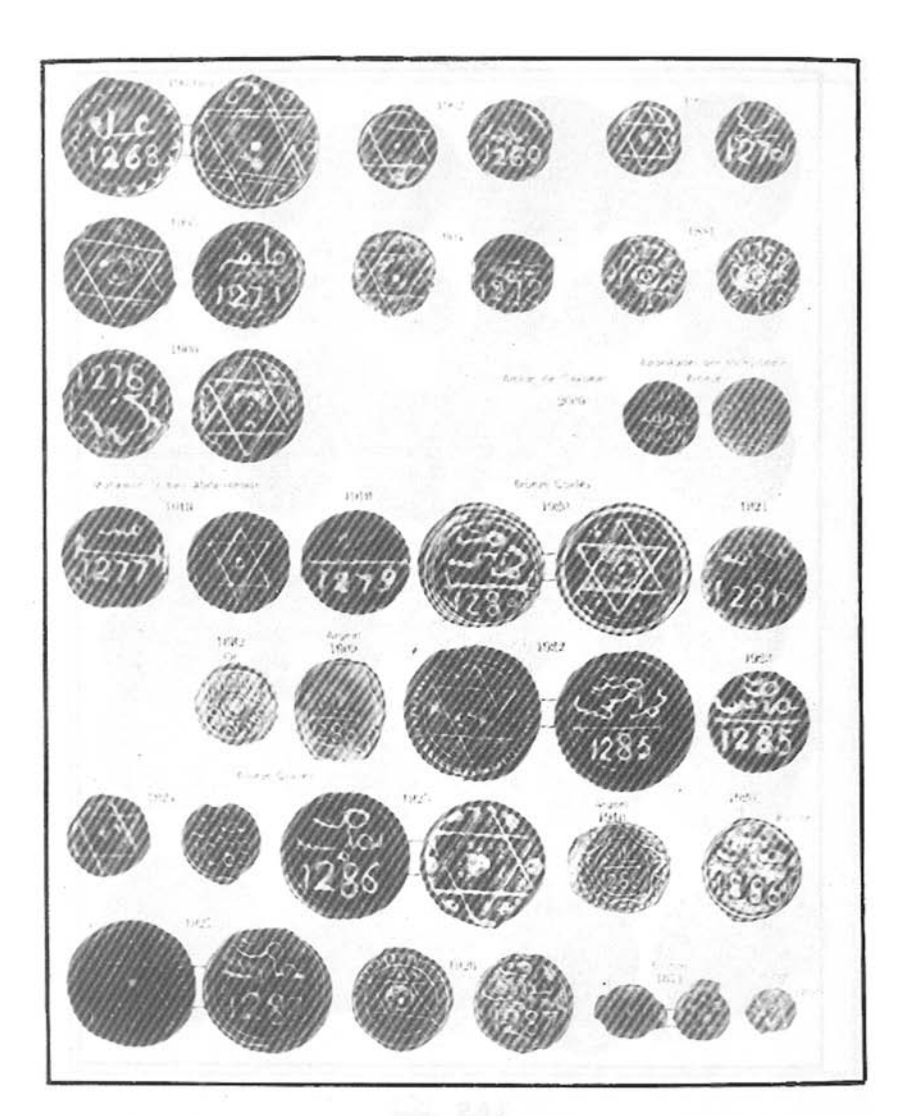


شكل 166
مجموعات من عملة الأشراف العلويين



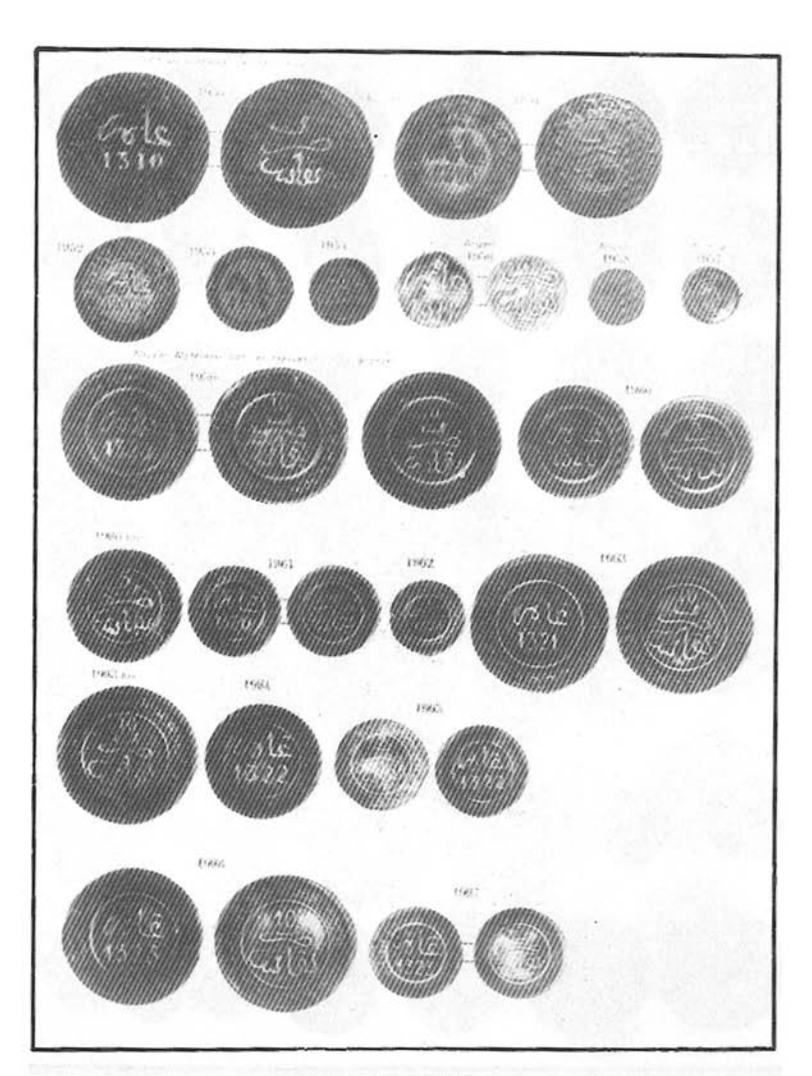
شكل 167

مجموعات من عملة الأشراف العلويين



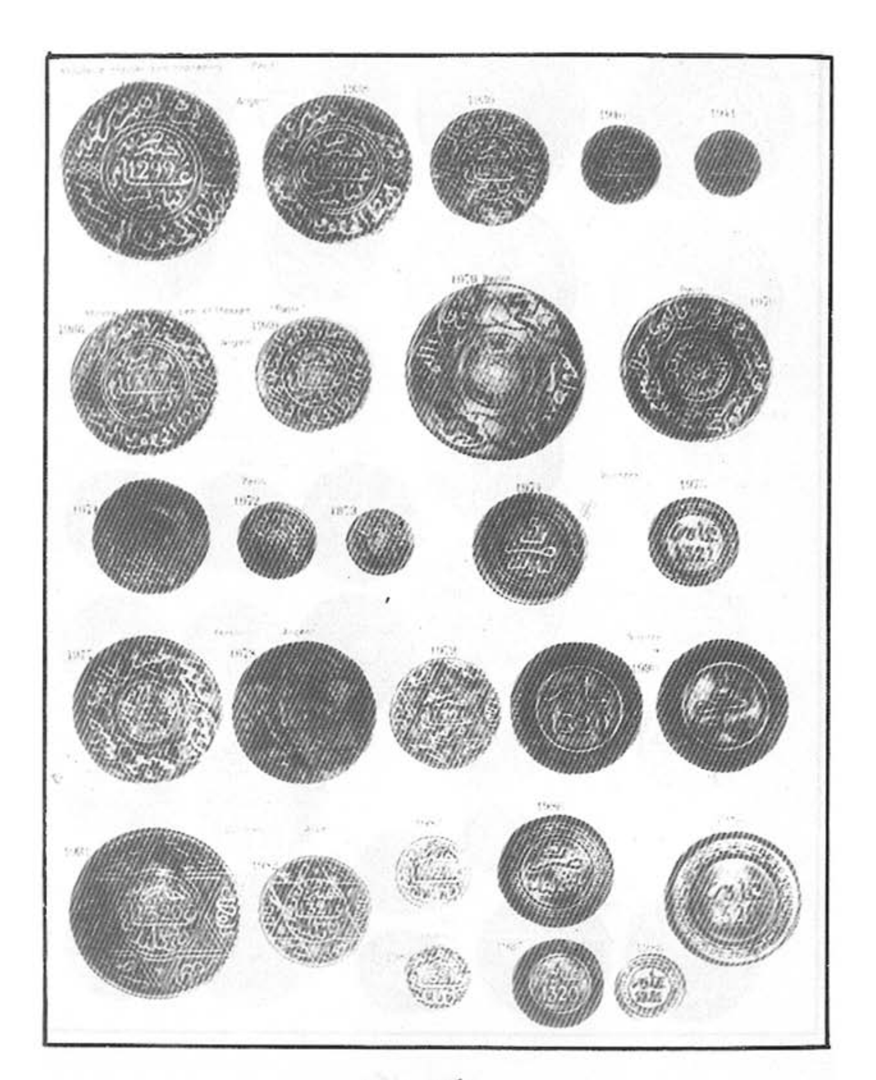
شكل 168

مجموعات من عملة الأشراف العلويين



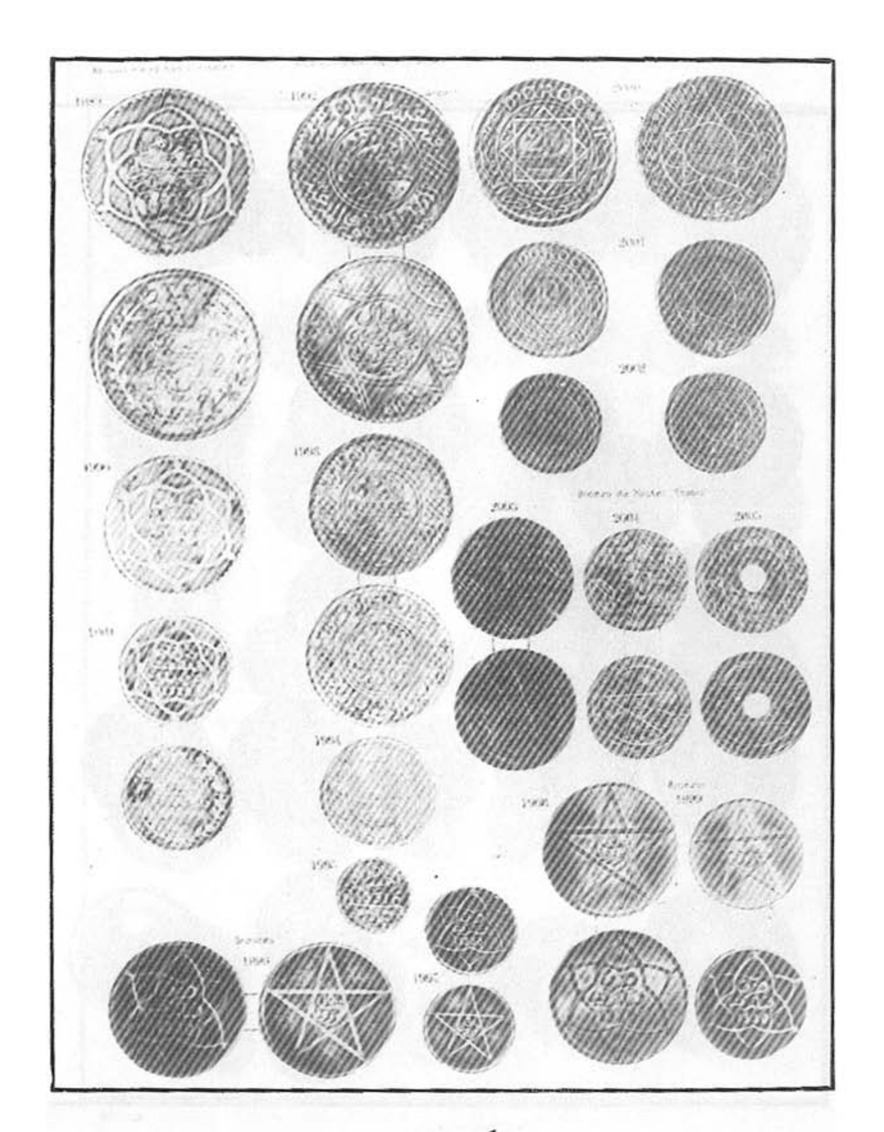
شكل 169

نماذج من عملة الأشراف العلويين المضروبة في بلنسبة



شكل 170

نماذج من عملة الأشراف العلويين المضروبة في باريس ولندن وبرلين



شكل 171

نماذج من عملة الأشراف العلويين المضروبة في مصنع باريس

المعاملات الداخلية، ويذكر أن المولى الرشيد أمر بضرب فلوس النحاس المستديرة وكانت قبل ذلك مربعة وهي (الأشقوبية)، وقد جعل أربعة وعشرين في الموزونة وكانت قبل ذلك ثمانية وأربعين[1].

وذكر مولاي زيدان في الدرر الفاخرة أن سكة المولى الرشيد في إحدى جهاتها (الله ربنا، محمد رسولنا، الرشيد إمامنا) ونقش بالأخرى (لاحول ولا قوة إلا بالله)[2].

---

(1) الاستقصا 41/7

(2) الدرر الفاخرة ص 23

2 ـ الســــــلاح

ومن أخبار التحف المعدنية المتعلقة بالسلاح أن مولاي إسماعيل اتخذ دورا للسلاح وأودعها كل نفيس تحتوي على آلاف من المكاحل والمدافع والمهاريس والسيوف، وقد تواتر عن ذلك (واشتهر في المشارق والمغارب وتحدث به الرحالون... حتى قال جون وندروس الانجليزي في رحلته المعنونة بالسفر إلى مكناس... وذلك في عام واحد وعشرين وسبعمائة وألف مسيحية بعد ما شاهد دار السلاح الكائنة في الهرى أسفل المنصور بالحضرة المكناسية ما ترجمته :... فرأينا هناك عددا كثيرا من السلاح المخزون في الصناديق... مع عدد كثير من السيوف وغيرها من مصنوعات الحديد...)[1]

ويذكر مولاي زيدان أنه كان من آثار السلطان محمد بن عبد الله بن اسماعيل جلب الآلات الحربية من مختلف بلاد أوروبا من ذلك المهراس الموجود بدار الآثار بالبطحاء بفاس وقد قرأ في نقشه ما نصه (الحمد لله وحده هذا المهراس المبارك صنعوه في الوندريس على أمر سيدي محمد بن عبد الله سلطان المغرب نصره الله عام 1183) ويضيف مولاي زيدان قائلا وكم جلب برد الله ثراه من مهارس ومدافع ملأ بها ثغور الايالة وحصونها[2].

وعندما يذكر مولاي زيدان تفاصيل أنواع الآلات الحربية من أوروبا ومصدرها والهدف من جلبها وتاريخ ذلك فإنه يذكر المدافع المنقوشة فيها (الحمد لله وحده أمر مولانا أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين سيدي محمد المهدي اليزيد الحسنى على هذه المدافع العشرة التي أتى بهم جنس من النصارى وهم دنمارك وجعلهم حبسا على باب الجهاد تقبل الله من سيدنا عمله في الدارين آمين في 20 ذي القعدة الحرام عام 1205)[3].

وكان من آثار السلطان بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام (معمل السلاح وكان تأسيسه له عام 1308 بتخطيط المهندس لوطرى الايطالي، ذلك المعمل الذي يعد من أكبر المعامل وأفخمها وأكثرها اتقانا... بديار المغرب احياء لما كان أسسه جده الأعلى المولى إسماعيل...)،

---

(1) الدرر الفاخرة ص 100

(2) نفس المصدر ص 56

(3) نفس المصدر ص 66

وكان من أعمال هذا السلطان جلب أنواع المدافع من مختلف بلاد أوروبا ومن ذلك المدفع الموجود بدار الآثار بفاس المحفور فيه ما لفظه : هذه صنعت للامام العالي المنصب، السلطان المؤيد الهمام بالمغرب المحلى بالعز والتمكين، والظفر المتين، أمير المؤمنين الحسن بن محمد ابن أمير المؤمنين[1].

وبكتابه مظاهر يقظة المغرب الحديث ذكر الأستاذ المحقق محمد المنوني[2] أن المغرب شهد نشاطا كبيرا في بناء المصانع الحربية ابتداء من عصر مولاي الحسن الأول، فقد أسس الملك محمد الرابع مصنعا للبارود بموضع السجينة قرب جامع الفنا بمراكش لصنع البارود المزدوج عرف باسم (فابريكة الحبة) ويقصد بالحبة كرات الرصاص الصغيرة، ولا زالت أطلال معمل صنع القرطاس الذي أنشأه السلطان الحسن الأول قائمة بمراكش وقد حفظت أخباره خمس رسائل تتعلق ببناء المعمل وتكليف محتسب مدينة مراكش بالاشراف على البناء الذي اتصل العمل فيه ما بين عامي 1304 و1310 هجرية.

وبمدينة فاس أنشىء معمل السلاح المعروف باسم (مكينة العدة) وكذلك (دار السلاح الكبرى) داخل باب السالة (1305 ــ 1308هـ) التي ذكرها مولاي زيدان بالدرر الفاخرة وقد كتب بأعلاها (دار السلاح منشئها الأمير مولاي الحسن) افتتحها السلطان الحسن الأول بمناسبة الاحتفال بعيد المولد النبوي سنة 1309هـ وتشتمل على ثلاثة مصانع لصنع البنادق والقرطوس وضرب السكة المغربية.

ومن الجدير بالذكر أن متحف البرج الشمالي بفاس المخصص حاليا للأسلحة التاريخية التي أمر بجمعها جلالة الملك الحسن الثاني وأضاف إليها كل تراث أسرته الخاص يشتمل الآن على مجموعات كبيرة من السلاح المغربي الاسلامي والسلاح الأجنبي المتنوع يحمل معظمها نقوشا تاريخية توضح مكان صنعه وتاريخه يمكن أن تفرد لها دراسة خاصة تستهدف تصنيف أنواع السلاح المحلية وتطورها ومقارنتها بالأسلحة الأجنبية التي صنعت خارج البلاد بطلب من المغرب أو التي غنمها المغاربة في الحروب المتعاقبة ومنها أنواع تحمل نقوشا بصنعها في ألمانيا أو انجلترا أو ايطاليا وغيرها من الممالك والدول الشهيرة بصنع الأسلحة وتصديرها وهي مجموعات كبيرة ومتنوعة ذات أهمية تستلزم دراستها دراسة علمية ونشرها وقد تقدمنا بتقرير مفصل عن ذلك إلى الجهات المعنية بعد دراسة ميدانية في عين المكان.

وفيما يتعلق بصناعات الحديد والمعادن فقد كان الحديد متوفرا في فاس يرد على أسواقها

---

(1) نفس المصدر ص 102.

(2) محمد المنوني : بظاهرة يقظة المغرب الحديث ص 65 ومايليها + 72/71.

من معدن (عوام) الشهير وغيره ويقال أن (باب الحديد) في فاس عرف بدخول معدن الحديد منه إلى داخل المدينة حيث أسواق الحدادين.

وتبعاً للطريقة التقليدية استمر الحداد في العصر العلوي يستعمل الكير والسندان والمطرقة لإنتاج السكاكين والسيوف وركاب الخيل ومختلف الأدوات الحديدية للاستعمال المدني والعسكري.

وإلى جانب صناعة الحديد يوجد النحاسون والصفارون وصائغو الذهب والفضة بسوق الصاغة و(سويقة الذهبان) التي أشار الأستاذ عبد القادر زمامة[3] إلى أصلها المعجمي المستمد من كلمة (ذهب).

---

(1) فاس وصناعاتها التقليدية : فصلة مجلة كلية الآداب بفاس 1980/1981 عدد 4 و5 ص 470.

3 ـــ الساعات والأسطرلاب

نسج العلويون على غرار المرينيين في تزويد جامع القرويين بعدد من الساعات الشمسية، وهكذا وجدت ساعة شمسية قبالة الداخل إلى السطح من باب الغريفة بالقرويين صنعها الفقيه المؤقت محمد الحبابي حوالي عام 1220 هجرية بأمر السلطان المولى سليمان. كما تبقى من عصر مولى الحسن الأول (1290 ـــ 1311هـ) ساعتان شمسيتان بصحن القرويين من صنع المؤقت المعدل الجيلالي الرحالي المكناسي وقد نقشت على إحداهما أبيات شعرية نذكر منها :

ياداخلا بيت الالاه تؤمه   لا تنسى رفع الطرف نحو سناء

حقق جديد الوقت من ساعتنا   عندي المراد وعزة الأمراء

ان الأمير أدام ربي ملكه   من أمره الأسمى بلغت سنائي

كما أمر السلطان مولاي عبد العزيز بنصب مزولة دقيقة كان المؤقتون يحققون الساعات الأوروبية الصنع عليها[1]. وكان السلطان محمد عبد الله ضليعا في فن التعديل والتوقيت فقد وقف الدكتور عبد الهادي التازي على وثيقة مسجلة في الحوالات الاسماعيلية من أيام سيدي محمد بن عبد الله حفيد المولى إسماعيل بتاريخ محرم 1177 هجرية لتحبيس منجانة سيدي محمد بن عبد الله على غريفة جامع القرويين بمقتضى اشهاد عدلي.

فقد استعار السلطان محمد بن عبد الله أسطرلاب جامع القرويين وصنع عليه نموذجين أهدى أحدهما إلى جامع الأندلسيين والآخر إلى جامع فاس الجديد ورد الأصل إلى جامع القرويين مصحوبا بمنجانة (ذات نقاش ـــ جمع نقشه وهي الآلة في المصطلح المغربي العلمي[2] ـــ أربع، تضرب كل ربع، وتضرب الآلة على الأثاث، وعدد صنائعها اثنتا عشرة صنعة، وفيها سير القمر وعدد أيام الشهر العجمي والشهر العربي وعليها تاج تكون حبسا على جامع القرويين) أرسلها مع مؤقت الدولة علي بن يوسف فتسلمها القاضي عبد القادر بوخريص والمحتسب الحاج عبد الحكيم ودفعاها لمؤقتين بصومعة القرويين كما حازا الأسطرلاب المعار في عاشر ربيع الثاني عام 1177 هجرية[3].

---

(1) دكتور عبد الهادي التازي : جامع القرويين ج 3 ص 660 ـــ 661 والمصادر التي أشار إليها ص 674 وعن الساعات التي صنعت بمختلف عواصم أوروبا بأمر الملوك العلويين راجع نفس المصدر ص 661 ـــ 663.

(2) نفس المصدر هامش رقم 32 ص 674.

(3) نفس المصدر ص 662 ـــ و663.

ومن آثار العلويين في هذا الباب أربع كرات فلكية بأثاث غريفة القرويين اثنتان منها سماويتان يرجع تاريخ أحدها إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله وتحمل تاريخ صنعها 1183 هجرية[1].

4 ـــ الثريات :

وكان من أنواع التحف المعدنية كذلك الثريات العديدة التي أنتجها فنانو العصر العلوي بالاضافة إلى تعهدهم آثار السابقين بالاصلاح والترميم. فقد أصدر المولى إسماعيل أوامره بانزال ثريا الموحدين الشهيرة بجامع القرويين المصنوعة من البرونز وذلك سنة (1203م) بأمر الأمير الموحدي أبو عبد الله الناصر. ومراجعتها بالاصلاح والصيانة وتعويض مافقدته بفعل الزمن وأعادها إلى موضعها بعد أن سُجل عليها نقشٌ متضمن اسم الملك العلوي مولاي اسماعيل إلى جانب اسم السلطان الموحدي تقديرا لعمل السلف واحترامه فلم يتعود العلويون إزالة أسماء الملوك السابقين وخطوا بذلك سياسة ثابتة على العمائر والمنابر والمآثر باختلاف أنواعها.

وهكذا نقش على ثريا الموحدين بأمر المولى إسماعيل العلوي (تجددت هذه الثريا السعيدة عن أمر أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين مولانا إسماعيل الشريف الحسني أيده الله ونصره[2] مشفوعا ذلك برسم التاريخ بأسلوب الخط الفلكي المغربي الذي يقابل عام 1120 هجرية.

وكانت تلك الثريا في الأصل تحمل 509 مصباحاً وذات صفائح من البرونز مزخرفة محفورة بزخارف زهرية (décor floral) تتخللها كتابات كوفية مضفرة (confique entrelacé) ومزهرة (fleuri). وبالاضافة إلى ذلك تظهر الحروف النسخية لتملأ أشرطة مسطحة وإطارات (encadrements) بينما لا تشغل الزخرفة الهندسية سوى مساحة متواضعة.

ثم قام السلطان محمد الخامس بعد تربعه على العرش بمراجعة جميع ثريات القرويين خاصة بعد أن دخل نظام الاضاءة بالكهرباء بدل الزيت منذ أيام المولى عبد العزيز. وقد نقش اسم محمد بن يوسف على ناقوس إحدى ثريات القرويين ببلاط المحراب (الحمد لله قد جرى الاصلاح في جميع الثريات وادخال الضوء الكهربائي بأمر من جلالة السلطان سيدي محمد نصره الله على يد ناظر القرويين السيد الحاج عبد المجيد الجاي عام 1349) ثم خصص خلفه أمير المؤمنين الحسن الثاني باب المحراب في القرويين بثريا مغربية الصنع ذات خمس حاملات للقناديل صنعت على غرار الأسلوب التقليدي المزدهر منذ عصر المرينيين[3]. كما صنع ثريا نحاسية كبيرة الأبعاد جليلة النقش لضريح والده محمد الخامس بالرباط.

---

(1) نفس المصدر ص 663 ـــ 664.

(2) P.Richard : Pour Compr. P. 298/299

(3) جامع القرويين ص 655.

الحلي

كشأن جميع الصناعات والفنون المغربية عرفت صناعة الحلي كثيرا من التأثيرات الشرقية التي مزجتها بتقاليدها العريقة إلى جانب تأثير المهاجرين الأندلسيين الذين حملوا معهم إلى المغرب بقايا تراث عصر الخلافة بالأندلس بالاضافة إلى التأثيرات المتبادلة في هذه الصناعة بين أقاليم المغرب الجنوبية وبلاد السودان عبر الصحراء الجنوبية للمغرب.

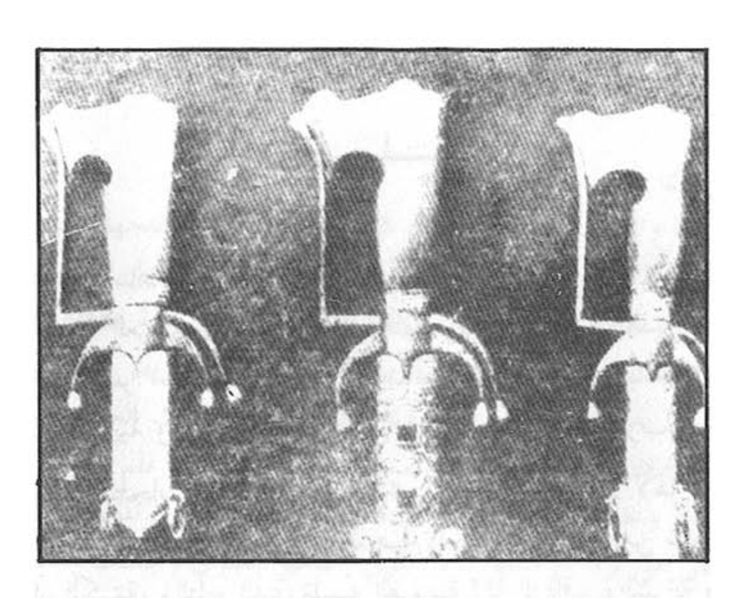
ويمكن حصر منتجات الحلي المغربية في مجموعتين من الذهب لأهل المدن ومنتجات فضية أخرى لأهل القرى. فمن حلي الرأس الذهبية (الحنش) ويتكون من سبعة صفائح ذهبية مرصعة بالأحجار الكريمة، والتاج الذي تلبسه العروسة ليلة الزفاف والشرابة وهي عبارة عن جوهرة تتدلى من القرط، كما تعرف الحلقة الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة باسم الحجر أما الكباش فهو حلقة كبيرة ذات أحجار كريمة. وأما حلي العنق التي تمثل المجموعة الثانية فمنها الحبة وتكون مرصعة باللؤلؤ، والمدجة وهي عقد من اللؤلؤ مركب في أشكال هندسية ذهبية، والشعيرة وتتكون من صفائح صغيرة تحمل كل منها كرة ذهبية، واللبان ويتشكل من حبات العنبر تلصق بها قطع ذهبية. كما عرفت من حلي الصدر (التاجرة) وهي عبارة عن صفحة ذهبية بها أحجار متنوعة. وتأتي بعد ذلك المضمة ذائعة الصيت وحي حزام ذهبي مرصع بالجواهر ثم النبائل وهي الأسورات الذهب والدملج وهو سوار من ذهب مرصع.

ومن أشهر الحلي الفضية التي يقبل عليها القرويون الأبزيم لجمع لباس المرأة عند الكتف، وأحزمة الوسط، وأحزمة الرأس (تلغرش) التي تدعم الجوهر المتدلى على الجبهة. وكل تلك الانتاجات من صفائح الفضة الثقيلة ذات القطع الزجاجية الملونة.

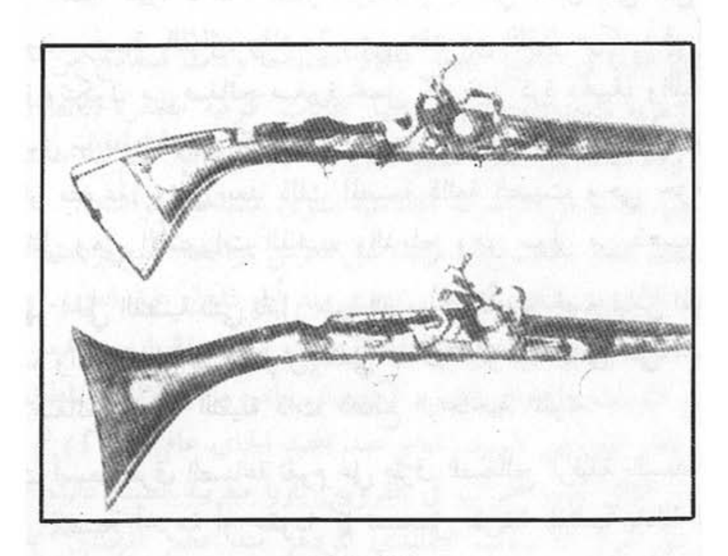
ولا زالت أبسط طرق الصناعة تقوم على طرق الصفائح الرقيقة بالسندان ثم جمع القطع المختلفة بسلاسل لتصبح أحزمة أو عقودا كما تستعمل طريقة القالب باذابة المعدن في، قالب به رمل مبلل ثم إفراغه في ماء بارد ويحمى من جديد لتنظيفه واعداده للحفر والنقش والزخرفة بأشكال هندسية متعددة ونماذج الزهور الدقيقة مع شيوع رسم الكف الذي يعرف بالخمسة وعدد كبير من الرموز المحببة لأهل البدو وسكان القرى[1].

---

(1) الحلي المغربية : تعريب محسن المريني، مجلة الفنون الرباط نوفمبر 1973.

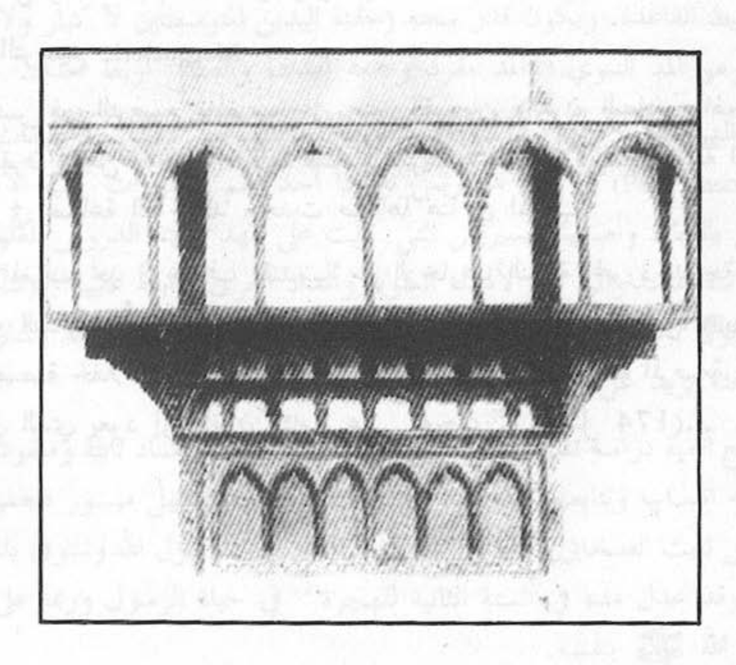


شكل 172
أسلحة مغدنية علوية محفوظة بمتحف البطحاء بفاس



شكل 173
أسلحة معدنية علوية محفوظة بمتحف البطحاء بفاس

وضمن دراسته للحلي والمعادن النفيسة في العصر العلوي قال بروسبير ريكار أنه يبدو بعد حركة الردة المسيحية بالأندلس تدهور واضح بعد الازدهار الطويل للفن المغربي الأندلسي، وإن كانت قد ظهرت أعمال الأبهة والبهرج أيام السعديين وعلى الخصوص في عصر المنصور السعدي الملقب بالذهبي غير أن سلاطين العلويين كانوا أكثر بساطة في حياته فلم تعرف من عصرهم سوى بعض الجواهر والحلي من الذهب والفضة وكذلك الفضة المذهبة (ARGENT DORE) وبعض المقابض (Poignards) من الذهب والفضة مرصعة باحجار عادية، وسيوف ذات أغماد منقوشة (شكل 172)) وبنادق مرصعة بالعاج والفضة فوق ماسورات (CANONS) معرقة بالذهب (شكل 173).



شكل 174
فن الترصيع في الخشب برف علوي من القرن (12 هـ)

صناعة آلات النحاس الكبيرة لحمل الشموع الضخمة وتوفر مادة الفضة :

قال المقري في روضة الآس العاطرة الأنفاس (ومن عاداته ــ المنصور السعدي ــ في الميلاد النبوي أنه تصنع له شموع أعظم من الأسطوانات يطاف بها في البلد... وقد اتخذت لها آلات عظيمة من النحاس المحكم الصنع فتجعل على تلك الآلات فترى صعدا في السماء كالمنارة...)

وعن توفر مادة الفضة قال المقري (وفي سابع الميلاد يذهب بتلك الشموع إلى ضريح والده أمير المؤمنين المهدي بالله... ثم يدعو المسمعين... إلى قصره مع خواصه، فإذا فرغوا مما هم بصدده نشر عليهم الفضة فيتناهبونها... فمنهم من نهب ما يكون فيه غناه... ثم يأمر نصره الله لكل واحد منهم بكساً وجوائز...)[1].

فن الترصيع Marqueterie

لايقتصر فن الترصيع بالمغرب على منبر القرويين (القرن السادس الهجري) ومنبر البوعنانية (القرن الثامن الهجري)، فإن صناديق الزينة وحفظ الأدوات الثمينة التي اشتهرت بها الأندلس في صناعة العاج قد وجدت صداها هنا في المغرب.

ففي المغرب نجد الزخارف الهندسية مع الزخارف النباتية المحورة لدرجة كبيرة (très stylisé) تتابع التقاليد الأولى في صناعة الصناديق المغربية والكراسي الفاخرة (fauteuil) وهي الكراسي المخصصة لحفلات الزفاف وكذلك الأرفف (étagères) الأنيقة المرصعة على نحو هذا المثال العلوي الذي يعود إلى القرن الثامن عشر الهجري[2] (شكل 174).

(1) المقري (أحمد بن محمد) : روضة الاس العاطرة الأنفاس، طبعة ثانية نشر مؤرخ المملكة المغربية الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط 1983م صفحات 3 و4

(2) انظر P.Richard : Pour Comp. P 276/277 et fig. 498.

سابعا ــ الصاع والأمداد النبوية

المد العلوي (Mesure d'aumône) قياس الصدقة

تعريف المد :

المد وحدة قياس من المعدن، غالبا ما يأخذ شكل أسطوانة أو مخروط ينقص محيط فتحته عن محيط القاعدة، ويكون قدر سعته (حفنة اليدين المتوسطتين لا كبار ولا صغار وإنما المتوسطين) وهو المد النبوي. والمد مفرد وجمعه أمداد، والصاع أربعة أمداد.

وقد ظهر عام 1975م بحث ودراسة موثقة بنصوص وصور وتحقيقات بقلم بول باسكون (Paul Pascon) في مجلة هسبريس تامودا أحد أهم منشورات كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط وأصلها الهسبريس التي كانت على عهد معهد الدروس العليا المراكشية، وتتناول الدراسة عددا وافرا من الأمداد العلوية وأمداد أخرى سابقة عليها[1] (شكل 175).
ذكر بول باسكون في البحث المشار إليه أن عدد الأمداد المعروفة بالمتاحف المختلفة وقت نشر بحثه يزيد على الثلاثين وربما أربعين مُداً.

وتتضح أهمية دراسة تلك الأمداد من كونها تحمل سلسلة إسناد ثابتة ومنقوشة في المعدن تسمح بصحة انتسابها وتتابعها التاريخي، كما أن نظام فهرستها سهل ميسور فجميعها تنتسب إلى مد زيد بن ثابت الصحابي الجليل كاتب الوحي بين يدي رسول الله والمتوفى بالمدينة المنورة عام 45هـ، وقد عدل مده في السنة الثانية للهجرة[2] في حياة الرسول وربما على أساس مد عدله رسول الله ﷺ بنفسه.

وتشهد سلسلة الاسناد بدقة الرواية الاسلامية الدينية والتاريخية مما يجعلها مفتاحا للكشف عن حقائق تاريخية وحضارية لا مجال لحصرها الآن، ويكفي أنها تحمل تاريخ الصنع واسم الآمر بالصنع مع ألقابه بالاضافة إلى اسم الصانع وتاريخ الصنع لكل مد سابق على المد المذكور في سلسلة تاريخية تصل بنا إلى المصدر الأول والينبوع الأصلي.

---

(1) Paul Pascon : description des Mudd et SA Maghrebins, hesperis Tamuda 1975 T.XVI P.25/88 et 7 PL.

(2) نفس المصدر ص 81.

وتفصح هذه الأشعار الواردة عن ابى العباس أحمد بن عاشر السلاوي المغربي عن الهدف الديني للأمداد[1].

فضائل ما حوى مد النبي	فلا يخفى على فهم الذكي
وذلك أن هذا المد أعني	بـه مـد النبـي الزمزمـي
فأربعة به في الفطر تجزى	بحكم الشرع في نص جلي
وعن كفارة الايمان عشرا	إذا أقسمت بـالله الـعلي
فهذا مستفـاد العلـم منـه	عظيم القدر مكيال النبـي

ملاحظات على النصوص ومواقعها على البدن :

الملاحظ وجود بعض التفاوت في قراءة بعض الأسماء الواردة بالنصوص المنقوشة في المعادن لأسباب عدة منها ثقافة الكاتب ومدى حذق الصانع النقاش ثم طبيعة الاسم نفسه الذي يحتمل أكثر من قراءة بسبب اختلاف أوضاع النقط.

على أن دراسة نقوش الأمداد الواردة بدراسة الأستاذ بول باسكون توضح مواقع النقوش العربية والنصوص وتوزيعها على البدن (شكل 176)، فقد تتوزع على بدن المد في وضع دائري وقد تكون حلزونية الوضع أو تكون ضمن منطقة زخرفية متوسطة أو على هيئة أعمدة رأسية (اللوحة المنشورة أمام 87 باسكون).

وهذه نماذج للصاع والأمداد العلوية :

1 ــ وأول صاع ندرس هنا نصه وننشر صورته يرجع إلى عصر مولاي إسماعيل بن الشريف العلوي صنع بمكناس الزيتون (عاصمة المملكة المغربية على عصر المولى إسماعيل) صنعه المعلم البوعناني عام 1050هـ (1640/1641م) (شكل 177 أ)، وهو صاع مخروطي الشكل على هيئة القمع يدور بحافته العليا شريط من الخط النسخي البسيط أسفله شريط آخر مزدوج الخط، ويدور بالبدن مناطق زخرفية محصورة بين أقواس متعددة الفصوص تشغل خمس مساحات منها نصوص تأسيسية بالاسناد وهي تتناوب مع خمس مساحات أخرى تشغلها زخرفة نباتية وتبدو تقاليد الكتابة المغربية في وجود النقطة تحت الفاء ووجود نقطة وحدة فوق القاف، وفتحة الصاع 13.7 س وتبلغ سعته 3.750 لترا، درسه بول باسكون بالبحث المذكور ص 43 (شكل 177 ب).

---

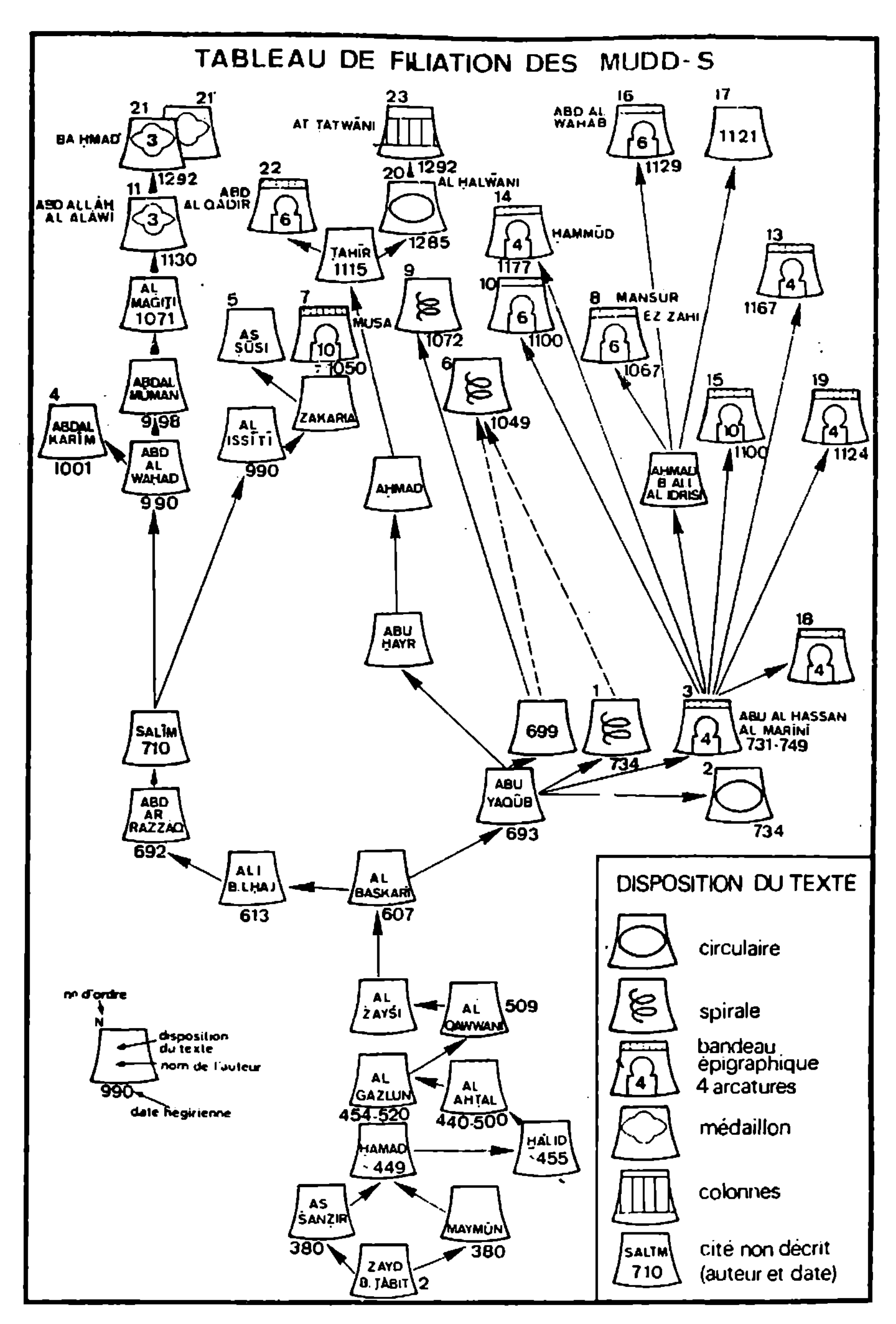
(1) نفس المصدر ص 37، وقد نقشت نفس الأبيات على مد صنع للناصر بن عبد الكريم بن عبد الله بن الشيخ عام 1001هـ وهو معدل على مد مفتي مراكش ابى محمد عبد الواحد ابن أحمد الشريف...، تراجع بقية السلسلة بنفس المصدر ص 37.

Mesures d'aumône — Tableau synoptique

N°	Code génétique	Décrit par / Cité par	Dates	Dépôt Musée n° ...	Date création	Capacité (litres)	Disposition du texte	Métal	Ordonnateur
1	ABC	Vicaire	1944	Oudaya, Rabat Fès-Batha 411.317	Rağab 734 Fès	0,795	spirale	laiton	Abū al-Ḥasan al-Marīnī
2	AB^2	Vicaire Kettani	1944 1927	Kettani ?	2 Žum. II 734 - Fès	0,796	circulaire	laiton	Abū al-Ḥasan al-Marīnī
3	ABA	Dessus-Lamare Pascon !	1920 1971	M.N.Antiquités Alger	731-749 Fès	0,733	bandeau 4 arcs	laiton	Abū al-Ḥasan al-Marīnī
4	A^2B	 Kettani	 1927		1001				En-Nāṣir ibn ᶜAbd el-Karīm
5	A^4BA^2	 Kettani	 1927		après 990				Al-Huḏaykī as-Sūsī
6	ABCA	Bel Wiet	1905 1932	M. de Tlemcen Le Caire, n° 75 ?	Raž. 1049	0,800	spirale	bronze	
7	?	El Habib	1969	M.N.A.A.Oc., Paris 1967-5-5	1050	3,750	2 bandeaux 10 arcs	cuivre laiton	
8	ABA^3	Bel Wiet	1907 1932	Musée Fès, 1916 Le Caire, n° 65 ?	1067	0,730	6 arcs	cuivre	Qā'id Manṣūr az-Zāhī
9	ABDA	Pascon !	1971	Pascon	Žum. I 1072 Marrakech	3,005	spirale	cuivre	Muḥammad b. Mūsa b. al-Ḥasan b. Yaᶜzza
10	ABAD	Vicaire Pascon !	1914 1970	Oudaya, Rabat 471-490	Rmḍ. 1100 Fès	0,732	bandeau 6 arcs	laiton	
11	A^8	Bel Wiet	1917 1932	Si Mḥd b. Haj Mḥd Bennani en 1914. Le Caire	1130	0,760	3 médaillons	cuivre argent	Mawlāy ᶜAbd Allāh b. Ismāᶜīl al-ᶜAlāwī
12	$A^{8'}$	 Kettani	 1927	cf. 11 ?	1135 ?				Mawlāy ᶜAbd Allāh b. Ismāᶜīl al-ᶜAlāwī
13	ABAF	Pascon	1971	Batha, Fès 431-382	18 Žum. II 1167	0,765	bandeau 4 arcs	laiton	
14	ABAG	El Habib	1969	M.N.A.A.Oc., Paris M.N.A.M. 1967.5.6	1177	0,750	4 arcs	laiton	
15	ABAC	Bel	1917	Kettani ?		2,750	bandeau 10 arcs	laiton	Sulṭān Sīdī Muḥammad...
16	ABA^1	Pascon Vicaire	1971 1944	1970. Oudaya, Rabat Batha, Fès, 411.319	20 Žum. II 1209	0,815	bandeau 6 arcs	laiton	Al-Murābiṭ al-ᶜArbī b. ᶜAbd al-Wahāb ad-Daᶜāwunī
17	ABA^2B	 Kettani	 1927		1211 Fès				
18	ABAB	Vicaire	1944	Oudaya, Rabat n° 417 (1944) abs. en 1970		0,836	bandeau 4 arcs	laiton	
19	ABAE	Pascon	1971	Batha, Fès 451-442	25 muḥar. (1)121	3,004	bandeau 6 arcs	laiton	Abū ᶜAbd Allāh S. Mḥ. al-Hāšmī al-ᶜAlāwī
20	$ABEA^1$	 Wiet	 1932	M.N.A.A., Le Caire n° 81/3313	1285		circulaire		Aš-Šayḫ al-Ḥasan Ḥalwānī
21	A^9 (cf. A^8)	Pascon	1976	M. Oudaya 1967.2.1 Coll. Oustry	121.	0,812 0,780	3 médaillons	laiton	Ba Ḥmad
22	$ABEA^2B$	Pascon	1976	Coll. Thau	128[5]	0,710	6 arcatures	cuivre	Aš-Šayḫ ᶜAbd al-Qādir
23	$ABEA^4$	Pascon	1975	Coll. Pascon	1292	(0,8) ?	8 colonnes	laiton	Aṭ-Ṭiṭwānī

شكل 175

بيان النماذج التي درسها بول باسكون



شكل 176

لوحة توضح توزيع النص على بدن المد أو الصاع

2 ـــ مد مصنوع من البرونز خال من الزخرفة قطر فتحته 8.5 سم وسعته 0.8 لترا وقد وضع النقش الكتابي على هيئة حلزونية بخط مغربي نسخي. ومن النقش ما نصه (... صنع تعديله مقابلة ووزنا بالمد المحبس على مدينة فاس المعروف بمد أمين القبابين الذي اتصل سند تعديله إلى مد زيد بن ثابت رضي الله عنه صنع في شهر رجب بتاريخ عام تسع وأربعين وألف)[1].

3 ـــ مد من النحاس (Cuivre) وزعت حوله ستة أقواس تشتمل على النص الكتابي بخط مغربي ردىء، الفتحة 8.4 سم والقاعدة 11 سم والارتفاع 9.5 سم والسعة 0.73 لترا وعلى هذا المد العلوي نقش كتابي طويل منه (... حقق عليه هذه سنة أربع وثلاثين وسبع مائة وهذه سنة 1067 وصانعه المعلم الأديب الفقيه... عبد السلام جلو بن الغزاني...)[2] (شكل 178).

4 ـ مد نحاس مصنوع بفاس أواخر رمضان عام 1100هـ، قطر الفتحة 8 سم والقاعدة 11.2 سم والارتفاع 10 سم والسعة 0.732 لترا، وهو مد مخروطى الشكل[3] حول فتحته دائرة من النحاس الأصفر للتقوية (شكل 179أ) وتحيط بالبدن ستة أقواس منفرجة ترتقي أكتافاً قصيرة سميكة وتغطي الزخارف النباتية المساحات المحصورة بين اكتاف الأقواس (شكل 179ب).

5 ـــ المد النبوي المبارك المعدل (1130هـ) لمولانا ابى محمد عبد الله ابن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل الحسني سنة 1130هـ (1717/1718م) حول قاعدته دائرة من معدن الفضة لتقويتها ومثبت إلى جانبه حلقة ذات عنصر نباتي (Palme d'acanthe)وتبدو بالزخارف تأثيرات فارسية، ويبلغ قطر الفتحة 9.1 سم والقاعدة 12 سم والسعة 0.761 لترا[4] (شكل 180).

كما عدل مد نبوي آخر باسم الأمير مولاي عبد الله بن السلطان مولاي اسماعيل العلوي (وهو عدله بمد ابى سعيد المرغشي السوسي...)[5].

---

(1) نفس المصدر ص 41 والنص منقول بأخطائه الأصلية ورقم المد بالبحث المذكور (6 ABCA) ومصادر الدراسة ص 40 (متحف تلمسان 1905 ودراسة الفرد بل).

(2) كان في ملكية عائلة أقصبي بفاس اشتراه القبطان G. Mellin سنة 1916م وأعطي لمتحف البطحاء بفاس نفس العام ودرسه ألفرد بلAlfred Bel ص 44.

(3) نفس المصدر ص 49 ولوحة 4 أعلى وقد دخل متحف الودايا بالرباط برقم 41 سنة 1944م درسه Marcel Vicaire بمجلة هسبريس 1944 وأعاد دراسته بول باسكون 1970م بصفحة 48.

(4) كان في ملكية محمد بن الحاج محمد بناني خليفة المحتسب بفاس 1914م، أعاد دراسته ألفرد بل في Bulletin: Archeologique, Paris 1917 P, 35 انظر ص 50 من دراسة باسكون

(5) نفس المصدر ص 53/52.



شكل 177 أ

صاع صنع بمكناسة الزيتون بأمر مولاي إسماعيل العلوي

TEXTE

ISNAD

B 1
صنعه بى (1) مكناسة الزيتونه (2) حبوس على العموم تحت رياسة الملك

B 2
مولاي اسمعيل (3) صنعه المعلم البوعنانى (4) تريخ عـ1050ـام بى مكناس

ابو عنانى
(؟)
↑
داود
↑
ادريس الحسنى
الامير الزرهون
↑
صلح الدين الايوبى
504 587
↑
ابو يزد
↑
حلود
↑
ادريس الازهر
192 213
↑
رشيد
175 186
↑

A 2
صنعة
العلم
داود
هاد صاف (5)
سوى العشيه
فيه اربعة
صاف من
المد الصغير

A 4
نقلا
عن ادريس
الحسنى
الامير
بى زرهون
نقله المداد (6)
على الصنع (7)
الامير صلح
الدين الايوبى

A 5
نقله
على المد
عن ابى يرد
......
وكـذالك
عز العالم
العلمة الا
سعد ......
حلود هو

A 7
كدلك
نقله الامير
المومنين
ادريس
الازهر الولى
الصالح بقا (8)
بى براكهم
اجمعين
توفى عـ1000ـام

A 8
تريخه
ازداد
ملكا فوقه
رسمه (6)
صاحب الازهر
حتى جاء الملك
اسماعيل (3) اعزه
وانصره توفى
عـ1050ـام
هو.........

شكل 177 ب

النص التأسيسي التاريخي على بدن صاع مولاي إسماعيل 1050هـ

6 ــ مد نبوي من تاريخ 18 جمادى الثانية 1167هـ (12 أبريل 1754م) محفوظ بمتحف البطحاء بفاس منذ سنة 1971م تحت رقم 431382 ولم يسبق نشره قبل دراسة بول باسكون. حافة المد مقواه بحاشية إضافية وتحيط بالبذن أربعة أقواس دون زخارف. قطر الفتحة 9.2 سم والقاعدة 11.5 سم والارتفاع 11سم، وقدر السعة عن طريق الحساب 0.92 لترا (شكل 181 أ).

ويدور النص الكتابي داخل شريط يحيط بالحافة العليا وكذلك داخل الأقواس بخطوط بسيطة للطراز المغربي مع ملاحظة زيادة فتحة حرف الميم كما نلاحظ رداءة الصنع والخط، وصانعه هو الحاج علي بن الحاج أحمد بن جلون (شكل 181 ب).

7 ــ ويرجع إلى العصر العلوي مد عدل على يد الفقيه عبد الله حمود الشيخ سنة 1177هـ (1763/1764م) يوجد بالمتحف الوطني للفنون الافريقية والمحيطية بباريس منذ عام 1967م درسه الأستاذ مصطفى الحبيب بمجلة هسبريس تامودا (ج 10 ص 263) (شكل 182 أ).

والمد مصنوع من النحاس الأصفر (Laiton) مقوى بشرائط مضافة إلى الحافة العليا والقاعدة، وعلى البدن أربعة أقواس بينها زخارف نباتية وزهرية، قطر الفتحة 8.9 سم والقاعدة 10.4 سم والارتفاع 10.7 سم والسعة 0.75 لترا، وحروف الكتابة بخطوط مزدوجة وطريقة تنقيط الفاء تتبع القاعدة المشرقية[1] (شكل 182 ب).

8 ــ وهذا مثال لمد نبوي من العصر العلوي توجهت لدراسته دراسة تطبيقية بمتحف البطحاء بمدينة فاس حيث يوجد بالقاعة الثالثة تحت رقم 411319 منذ عام 1944م وقد نشر الأستاذ فيكير دراسته بمجلة هسبريس تامودا[2] دون نشر نصه العربي ونقشه التأسيسي.

ونقدم الآن خلاصة دراسة هذا المد الذي اختتم نقشه التاريخي بعبارة (من صنعة مبارك الزيات في موفى عشرين من جمادى الأخير عام تسعة ومائتين وألف) (شكل 183 أ).

وهذا المد المؤرخ 1209هـ مخروطي الشكل تضيق فتحته عن قاعدته وينقسم البدن رأسياً إلى ثلاثة أقسام أوسطها القسم الرئيسي، ارتفاع المد 7.7سم ويشتمل على ستة أقواس موزعة على البدن من النوع المتجاوز كامل الاستدارة ترتكز أرجلها على سوار (أعمدة) ذات زخرفة هندسية مجدولة وتحتضن الأقواس وحدات النص العربي التأسيسي بإسناده الكامل.

(1) نفس المصدر ص 57.
(2) هسبريس تامودا جزء 13.

8. ABA[3] (*mudd*) — 1067 (1656-1657)

- Forme tronconique, bandeau et plinthe ; dix arcatures épigraphiques.
- Six arcatures épigraphiques.
- Ouverture : ø 8,4 cm ; base : ø 11 cm ; hauteur : 9,5 cm intér.
- Capacité : 0,73 litre.
- Cuivre.
- Ecriture maghrébine maladroite.

TEXTE

A 1

الحمد لله
حقق هذ المـد
المبارك على مد مولانا
احمد بنمولانا على الا
دريسي ناقلا له على
مد امير المومنين ابى
الحسن (1) امير المؤ
منين ابى يوسف بن عبد
الحق ناقلا له على مد
مولانا ابى يعقوب ناقلا
له على مد الحسن (2) بن يحيى

A 2

يحيى (3) البسكري
على مد ابراهيم بن عبد
الرحمان (4) ناقلا له
على مد الشيخ ابى علي
منصور بن يوسف القو
اس (5) ناقلا له على مد
الفقيه ابى
جعفر احمد بن على
بن كزلون (6) ناقلا له على
مد الفقيه القاضى
ابى جعفر احمد بن الا
خطل ناقلا على (7)

A 3

بن
اسماعيل نقلا
له على مد ابى بكر
احمد بن حنبل (8) ونقل
ابن حنبل على مد ابى اسحاق
ابراهيم بن الشنظير وعلى
مد ابى جعفر بن ميمون
كلاهما نقلا
على مد سيدنا وبركتنا و و
سيلتنا الى ربنا صاحب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم زيد بن ثابت رضي الله
عنه وكان تاريخ ٢ له خقق

A 4

حقق
عليه هذا
سنة اربع وثلاثين
وسبع ماية وهذه
سنة ١٠٦٧ وصانعه
المعلم الاديب الفقيه
الى رحمه ربه الراجي
عفوه عند
انقضاء اجله عبد
السلام جلو بن
الغزاني بمده اله
برحمته وادخله
جنته بفضله وكرمه

A 5

وعامله
القائد منصو
ر بن الزاهي
الباشا صنع
هذ المـد
المبارك تبركا
على منهاج تبينا
محمد صلى الله عليه
وسلم

A 6

الحمد لله

ISNĀD

مولانا الادريسي
1067
↑
ابو الحسن المريني
734
↑
ابو يعقوب المريني
↑
الحسن (2) البسكري
↑
عبد الرحمن (4)
↑
القواس (5)
↑
كزلون (6)
↑
الاخطل
↑
اسماعيل (7)
↑
حنبل (8)
↑
الشنظير وميمون
↑
زيد بن ثابت

(1) rajouter ابن .
(2) mis pour الحسين .
(3) répétition de يحيى .
(4) manque الجايشي .
(5) mis pour القوامي .
(6) lire غزلون .
(7) manque محمد خالد .
(8) mis pour حمد .

شكل 178

النص التأسيسي التاريخي على مد نبوي من النحاس صنع سنة 1067هـ



شكل 179 أ

ـزرة مد نحاس أصفر صنع سنة 1100 هـ

TEXTE

BANDEAU

الحمد لله وحده صلى الله على مولانا محمد المصطفى الكريم وعلى آله

A 1

الله
الحمد وحده
امر بعمدوني عدا
المد المبارك مولانا
امير المسلمين ابو
الحسن ابن مولانا
امير المسلمين ابي سعيد
ابن مولانا امير المسلمين
ابي يوسف ابن عبد الحق

A 2

ايده الله
وبعده على المد الذي
امر بعدبله مولانا
ابو يعقوب رحمه الله
على المد الذي عدله
الحسين بن يحيى
البسكري بمد ابراهيم بن
عبد الرحمان الجايشي
الذي عدله بمد الشيخ

A 3

ابي علي
منصور بن يوسف
القواس (1) وكان ابو
علي عدل مده بمد
الفقيه ابي جعفر احمد
ابن علي بن عزلون وعدل
ابو جعفر مده بمد
الفقيه القاضي ابي
جعفر احمد بن الاخطل

A 4

وعدل ابو
جعفر مده بمد
خالد بن اسماعيل
وعدل خالد بن اسما
عيل مده بمد ابي
بكر احمد بن حنبل (2) و
عدل ابو بكر مده بمد
ابي اسحاق ابراهيم بن

A 5

الشنظير
وبمد ابي جعفر بن
ميمون وكانا عدلا
مديهما بمد زيد
ابن ثابت صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم
وشرف وكرم عن دوام

A 6

وعدل
الان هذا المد
المبارك تبركا بالنبي
صلى الله عليه وسلم واحيا لسنته
وفي اواخر رمضان المعظم
عام مائة والف
بفاس المحروسة بالله

ISNAD

1100

ابو الحسن المريني
↑
ابو يعقوب المريني
↑
الحسين البسكري
↑
الجايشي
↑
القواس (1)
↑
عزلون
↑
الاخطل
↑
خالد
↑
حنبل (2)
↑
الشنظير وميمون
↑
زيد بن ثابت

شكل 179 ب

النص التأسيسي التاريخي الموزع على بدن المد المصنوع 1100هـ

TEXTE

M 1 هذا

المد النبوى المبرك

على صاحب الصلاة والسلام

عدل للسيد الاصيل ابي محمد مولانا عبد الله بن

امير المومنين مولانا اسماعيل الحسنى سنة ١١٣٠

بعد عدل للفقيه سيدي محمد بن سعيد المرغتني السوسي سنة

١٠٧١ بعد عدل لعبد المومن بن عبد المومن سنة ٩٩٨ بعد عدل

للفقيه القمي عبد الواحد بن احمد الحسنى سنة ٩٩٠ بعد عدل

للفقيه ابي محمد عبد الله بن سالم سنة ٧١٠ بعد عدل للفقيه ابي

محمد عبد الرزاق سنة ٦٩٢ بعد عدل للفقيه ابي الحسن

على بن الحاج سنة ٦١٣ بعد

عدل الحاج الحسن (3) بن يحيى

البسكري

M 2 بعد

ابي اسحاق ابرا

هيم بن عبد الرحمن الجكجكى (4)

بعد عدل للشيخ منصور بن يوسف القواس (5) بعد (6) بن عزلون

بعد عدل للفقيه ابي جعفر احمد بن الاحطل بعد عدل

لخالد بن اسماعيل بعد عدل لابي بكر بن حميل (7) بعد عدل

لابي اسحاق ابراهيم بن شبطير (8) بعد ابي جعفر احمد

بن ميمون بعد الصحاب (9) زيد بن ثابت الانصاري

بعد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام

واضبر بدرهم الكيل السنى موافقه لله

الحمد وله المنة

M 3 ميابان

واربعون وسبعهم وذلك ستون صاعا عند

لسان وفي آقل لوضوء مد و اربعة عسل

عشر به تكفين ايمان منه بعدل هذا

وكيل به ابدا (10) وتبركا في سروء اعلاء

بن الحاج عبد الرحمن بن ابراهيم المراكشي

ISNĀD

مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل

1130

↑

المرغتني السوسي

1071

↑

عبد المومن بن عبد المومن

998

↑

عبد الواحد بن احمد الحسني

↑

عبد الله بن سالم

710

↑

عبد الرزاق

692

↑

الحسن على بن الحاج

613

↑

الحسن (1) بن يحيى البسكري

↑

ابراهيم الجكجكي (2)

↑

ابو منصور القواس (3)

↑

ابو جعفر عزلون

↑

ابو جعفر الاخطل

↑

خالد بن اسماعيل

↑

ابو بكر احمد بن جميل (5)

↑

شبطير (6) و ميمون

↑

زيد بن ثابت

(1) fils de Mawlāy Ismaʿīl qui devait régner neuf ans plus tard

(2) Avec la capacité donnée et les diamètres annoncés, la hauteur devrait être de 2,77 cm ?)

(3) mis pour al-Ḥusayn.

(4) mis pour al Žazūlī

(5) mis pour al-Qawwām

(6) manque : Abū Žaʿfar Aḥmad b. ʿAlī

(7) mis pour Ḥammād

(8) manque [illegible]

(9) mis pour aṣ-ṣāḥib

(10) manque : bihi

شكل 180

النص العربي بالإسناد المحفور في معدن المد النبوي المؤرخ 1130هـ

والقسم العلوي شريط يدور بحافة المد بارتفاع 3 سم ويتصل به خاتم من النحاس، وقوام زخرفة هذا الشريط خطوط متوازية رأسية تعلو أخرى أفقية تكون الخلفية الزخرفية لهذا الشريط وقد كتب فوقها بالخط النسخي (بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله)، أما القسم الثالث الأسفل فيبلغ ارتفاعه 0.9 سم وتدور به زخرفة محدولة أفقية، وهكذا يبلغ ارتفاع المد في دراستنا المباشرة 11.6سم بينما قدره في دراسة باسكون[1] 11.8سم، وهذه هي قراءة النقش التاريخي كما درستها وراجعتها على دراسة باسكون فيما بعد (شكل 183 ب).

9 ــ والمثال الأخير صاع من العصر العلوي بتاريخ المحرم 1124هـ قادني إليه محافظ متحف البطحاء بفاس لاطلاعي على (مد نبوي مصري) كتب على بطاقته (المد المصري)، وقد لفت نظري طراز الكتابة وأسلوب النص فأكدت له أن في الأمر لبس وأن (المد) مغربي وليس (مصرياً) فبادر باصلاح البطاقة (شكل 184 أ).



شكل 181 أ

صورة المد النبوي المؤرخ 1167هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على [illegible] [illegible]

1

المبارك
مولاى امير المسلمين
ابو الحسن بن مولانا
امير المسلمين ابي سعيد
مولانا امير المسلمين
[illegible] الحق [illegible]

2

[illegible]
[illegible] على الله
[illegible]
[illegible]
[illegible] على الله [illegible]
[illegible] الحسين بن يحيى العسكري
[illegible]
[illegible] عداله [illegible]
[illegible] على منصور بن يوسف

3

الدوام
وكان ابي على عدل
مده بمد الفقيه احمد بن على
عرلون وعدل ابو جعفر مدد بمد
الفقيه القاضي ابي جعفر احمد بن الاحطل
وعدل ابو جعفر مدد بمد خالد بن اسماعيل
وعدل خالد مده بمد ابي بكر احمد بن حنبل (3)
وعدل ابو بكر مده بمد اسحاق ابراهيم بن
المسعد (4) [illegible] ابي جعفر بن ميمون و
[illegible] عدلا [illegible] زيد بن ثابت (5)

4

صاحب
رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعدل
[illegible] الله المبارك تبركا
[illegible] الله عليه وسلم و
[illegible] وكان الفراغ منه
[illegible] (7) الثامنة
[illegible] (8)
[illegible] الحاج احمد [illegible]

ابو الحسن [illegible]
↑
ابو يعقوب [illegible]
↑
العسكري
↑
الحايسي (1)
↑
القواس (2)
↑
[illegible]
↑
الاحطل
↑
خالد بن اسماعيل
↑
ابو بكر احمد بن حنبل (3)
↑
المسعد (4) و ميمون
↑
زيد بن ثابت (5)

(1) [illegible] الحايسي
(2) [illegible] القوامي
(3) [illegible] حنبل
(4) [illegible] المسعد
(5) [illegible] زيد بن ثابت
(6) [illegible] السنة
(7) [illegible] جمادى
(8) [illegible] الف

شكل 181 ب

النص العربي بالإسناد المحفور على بدن المد المؤرخ 1167هـ

وقد وجدنا بالبطاقة التقنية أن الأستاذ فيكبر كان قد اشتراه من الرباط ورقمه بالمتحف 451442، وكالعادة تدور بالبدن ستة أقواس تشتمل على النصوص التاريخية والاسناد، والقسم الأول منها (... أمر بتعديل هذا الصاع النبوي المبارك... العلامة... أبو عبد الله... الهاشمي ابن مولانا محمد بالفتح بن مولانا عبد الله بن مولانا عبد المالك العلوي الحسني السجلماسي...)

وفي النص السادس (ابن ابى سعيد... الفاسي داراً ومنشأ في الخامس والعشرين من محرم الحرام فاتح عام 123...)[2] (شكل 184 ب).



شكل 182 أ
صورة المد المؤرخ 1177هـ

(1) دراسة بول باسكون المذكورة في الهسبريس تامودا ص 61.
(2) نفس المصدر ص 67.

14. ABAG (*mudd*) — Ordonné par le faqih ʿAbd Allāh b. Ḥammud aš-Šayḫ
1177 (1763-1764)

- Forme tronconique, feuille de laiton avec bandeau et plinthe rapportés postérieurement semble-t-il.

  4 arcatures avec des motifs végétaux et floraux inter-arcature.

  Le bandeau rapporté comporte, en bas, des festons, mais n'est pas décoré.
- La plinthe est ornée de chevrons.
- Ouverture : ø 8,6 cm ; base plate : ø 10,4 cm ; hauteur : 10,7 cm ; contenance : 0,75 l.

  Inscriptions dans les 4 arcatures : écriture à double traits, diacritées mais non vocalisées ; [illegible] du *ṭa* et du *qaf* oriental.

ISNĀD

نعمه عبد الله بن حمود الشيخ
↑
[ابو الحسن المريني]
↑
ابو يعقوب المريني
↑
الحسن البسكري
↑
الجابسي (1)
↑
الغواص (2)
↑
عرلـون
↑
الاحطـل
↑
خـالد
↑
حنبل (3)
↑
الشنظر وميمون (4)
↑
زيد بن ثابت

TEXTE

1

امير
المسلمين
ابى سعيد بن مولانا
امير المسلمين ابى يوسف
ابن عبد الحق على مد
الذي امر بتعديله مو
لانا ابو يعقوب رحمه الله
على المد الذي عدل الحسين ابن يحيى
البسكرى بمد ابراهيم بن عبد الرحمان

2

الجابسى (1)
الذى عدله بمد
الشيخ ابى على منصور
ابن يوسف الغواص (2)
وكان ابو على عدل مده
بمد الفقيه ابى جعفر
احمد ابن على ابن
عرلون وعدل ابى جعفر

3

مده
بمد الفقيه
القاضى ابى جعفر
احمد ابن الاحطل
وعدل ابى جعفر مده
بمد خالد ابن اسماعيل
وعدل خالد ابن اسماعيل
مده بمد الامام ابى بكر احمد ابن حنبل (3)

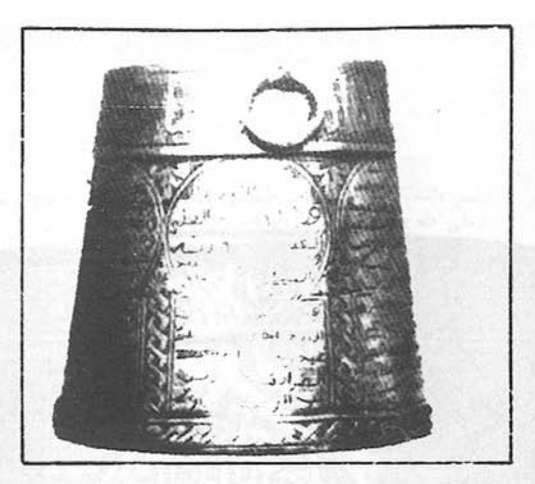
4

وعـدل
ابى بكر مده
بمد ابى اسحاق ابرا
هيم ابن الشنظر (4) وبمد
ابى جعفر ابن ميمون وكـانا
عدلا مديهما بمد زيد
ابن ثابت صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا تبركا
بسنته على يد الفقيه عبد الله حمود الشيخ
(بن) سـ١١٧٧ـنة

(1) mis pour الجابشي .
(2) mis pour القوامي .
(3) mis pour حمـد .
(4) mis pour الشنظير .

شكل 182 ب

النص التاريخي المحفور على بدن المد المؤرخ 1177هـ



شكل 183 أ

المد النبوي المؤرخ 1209 هـ

الاحطل

خالد بن اسماعيل

حنبل (3)

على
شعبه العمى
ابي جعفر احمد بن
الاحطل نافلا الى مد
ابي خالد اسماعيل
نافلا علي مد ابي بكر
احمد ابن حنبل (3) نافلا
علي مد ابي اسحاق
ابراهيم بن ......
المنتظم نافلا على مد (4)
ابي جعفر بن ميمون
كلاهما نافلا على مد
سيدنا ... كسنا
ووصلتنا الى الله

... رضي الله عنه
صاحب رسول
الله صلى الله عليه
... وعظ
... احلا و
... لسنة
النبي عليه السلام
واتباع ما كان بعمله
صلى الله عليه وسلم
... الوضوء والطهارة

العظ ...
... التاريخية
... سبحانه الهي من
... بالصلاة
... الله ذنوبه وستر ...
ذنوبه امس في يوم (9)
عشرين من جماد الاخير
سنة 1209 تسعة ومائتين
... الحمد لله وحسب

(1) mis pour الحسن
(2) mis pour القوامي
(3) ...
(4) ...
(5) في يوم ...

شكل 183 ب

نص النقش التأسيسي التاريخي على بدن المد المؤرخ 1209 هـ



شكل 184 أ

صورة الصاع المؤرخ 1124هـ

BANDEAU بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم وعلى اله وصحبه افضل الصلاة والتسليم

1

لله
الحمد
امر بتعديل هذ الصاع
النبوى المبارك الشريف
الجليل الماجد الاصل العالم
العلامة الدارك الفهامة
ابو عبد الله سيد محمد الهاشمي
الله
ابن مولانا محمد بالفتح بن مولانا عبد
ابن مولانا عبد الملك العلوي
الحسنى السجلماسي كان الله له
وليا وعديا اسعاء مرضات الله

2

ومحبة
فى سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ما
احضر لديه ستة امداد
نبوية من عند اناس افاضل
الناس من محروسة فاس
امنها الله مرسومة الاسانيد
وابذل الجهد فى تحقيق ذلك
وتدقيقه وتعديله والبحث فى
اسانيده حتى جاء والحمد لله مع الامداد

3

حذو
النعل بالنعل
بحسب اربعة امداد
فى الصاع المذكور
والكل انتهى سنده الى تعديل
مد امير المومنين ابى الحسن المرينى
ابن امير المومنين ابى سعيد بن امير
المومنين ابى يوسف بن عبد الحق
المرينى وهو أمر بتعديله على
مد امير المومنين ابى يعقوب المنصور

4

الموحدى (sic)
وهو عدله على مد
الحسين بن يحيى السكري
وهو عدله على مد ابراهيم
ابن عبد الرحمان الحايشى
وهو عدله على مد الشيخ ابى
على منصور بن يوسف القوامى
وهو عدله على مد الفقيه ابى
جعفر احمد بن على بن غزلون
وهو عدله على مد القاضى

5

احمد بن
الاخطل وهو
عدله على مد الفقيه
خالد بن اسماعيل وهو عدله
على مد امام المذهب ابى بكر
احمد بن حنبل وهو عدله على مد
ابى اسحاق ابراهيم بن الشنظر وابى جعفر
[illegible] وهما عدلا مديهما على مد
[illegible] بن ثابت صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعدل هذ [ا]
الصاع المبارك على يد المعلم عبد السلام

6

ابن ابى
سعيد الزيات
الفاسى دارا ومنشئا
فى الخامس والعشرين
من محرم الحرام فاتح عام
124 جعله الله من
الاعمال المدخرة فى الدنيا
والاخرة انه على ما يشاء
قدير وبالاجابة جدير
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

ISNAD

محمد الهاشمي
العلوي
↑
ابو الحسن المريني
↑
يعقوب المنصور
↑
السكري
↑
الحايشي
↑
القوامي
↑
غزلون
↑
الاخطل
↑
خالد
↑
حنبل احمد
↑
الشنظر وميمون
↑
زيد بن ثابت

شكل 184 ب

النص التاريخي المحفور على الصاع المؤرخ 1124هـ

ثامنا : النسيج

يتوفر المغرب على المواد الأولية لصناعة النسيج من الكتان والقطن والصوف والحرير، وكانت صناعة الكتان تستغل بفنادق خاصة بفاس حفظت السجلات القديمة أسماءها، كما عرفت مدينة فاس سوق القطانين درب القطان وسوق الورقة التي تبيع ورقة التوت لتربية دودة الحرير.

وهكذا تنوعت بفاس الملابس الكتاني والقطني والصوفي والحريري، منها التشمير والقميص والبدعة والصدرية والقفطان والمنصوريه والشرابية والسروال والجلابية والسلهام والرزة والشاشية والحايك وغيرها من ملابس الرجال والنساء والأنواع المشتركة بينهما[1].

وتشير المصادر إلى تأسيس معمل للقطن بمدينة مراكش أوائل عهد الملك محمد الرابع تتحدث عنه رسالة مؤرخة 1288هـ وتفيد وثيقة أخرى أن محمد الرابع أوحى بانشاء معمل آخر للقطن بمدينة الرباط[2].

يروي المؤرخون قصة خروج السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الصويرة سنة 1198 هجرية وأنه ضرب قبابه بظاهر مراكش ثم ضرب عليها السياج المحيط بها المسمى افراك. وقد كان في وسط تلك القباب قبة عظمى أهداها إليه طاغية الفرنجة، وقد كانت هذه القبة بمثابة التحفة. فقد كانت مبطنة بالديباج ومحاريبها من الموبر الحر المختلف الألوان وسفائفها من الكالون الابريز وأطنابها من الحرير الصافي، وقد زعموا أن مبلغ ما صيره عليها الطاغية نحو خمس وعشرين ألف دينار. ومصداق ذلك أن تفاحتها التي تتكون في أعلى العمود وتسميها العامة بالجمور كانت من الذهب الخالص وزنها أربعة آلاف مثقال ذهباً، وكان السلطان قد أخرجه في هذه المناسبة ابتهاجاً بها والقصة مفصلة بالاستقصا (54/8).

ولا شك أن المغرب بلد عريق في فن النسيج بأصالته المشرقية وعلاقاته وجهوده الحضارية مع اسبانيا المسلمة[3] (شكل 185) بحيث يعتبر دار المخزن اليوم مصدر الوحي لهذه

---

(1) فاس وصناعاتها التقليدية، مفصلة مجلة كلية الآداب فاس 81/1980 عدد 564 ص 472/471.

(2) محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب الحديث ص 78.

(3) عن فن النسيج والطراز بالأندلس في عصر الخلافة أنظر المقتبس لابن حيان ص 63 ــ 66 ــ 77 ــ 119 وعن دار البرد ص 197 وعن أنواع النسيج الديباج والخز والمطارف والعمائم ص 108.

الأصالة المغربية بحفاظه على أنواع الانتاج الخاصة بالمراسيم السلطانية والأعياد الدينية (شكل 186) وشتى المناسبات الوطنية التي يتميز كل منها بلباس عربي خاص يذكر بنظام الخلافة الاسلامية الأولى بالمشرق العربي والأندلس في أوج عظمته الحضارية.

ولا زال أمير المؤمنين الحسن الثاني ملك المغرب يحافظ على جميع تلك التقاليد ابتداء من لبس العمامات المختلفة في المناسبات الخاصة بها (شكل 187) مذكرا بقول الامام علي بن أبي طالب تمام الرجل في كمته[1] (قلنسوته) وقول عمر بن الخطاب العمائم تيجان العرب[2] كما يتخذ أمير المؤمنين لكل مناسبة زيها، ويتخذ رجال دولته زياً خاصا بكل طائفة منهم، فلأصحاب القضاء زيهم وللكتاب زيهم وللجند زيهم وللحرس زيهم، ولكل العاملين داخل القصور السلطانية زيهم حسب مراتبهم على نحو ما كان سائدا في عصور الخلافة الأولى حيث كان منهم من يلبس الدراعة ومنهم من يلبس القباء إلى غير ذلك[3]. ولعل من بين ما يلفت النظر في منتجات النسيج المغربي الرايات والأعلام المتنوعة الشكل والمادة التي تصنع بدار المخزن لمختلف الأغراض في السلم وفي الحرب استمرارا لتقاليد الحرب يجعل اللواء علامة للعقد، والعلم في الحرب مرجعا لصاحب الجولة، فانه على حد تعبير الجاحظ (أهيب في القلوب وأهول في الصدور وأعظم في العيون[4]).

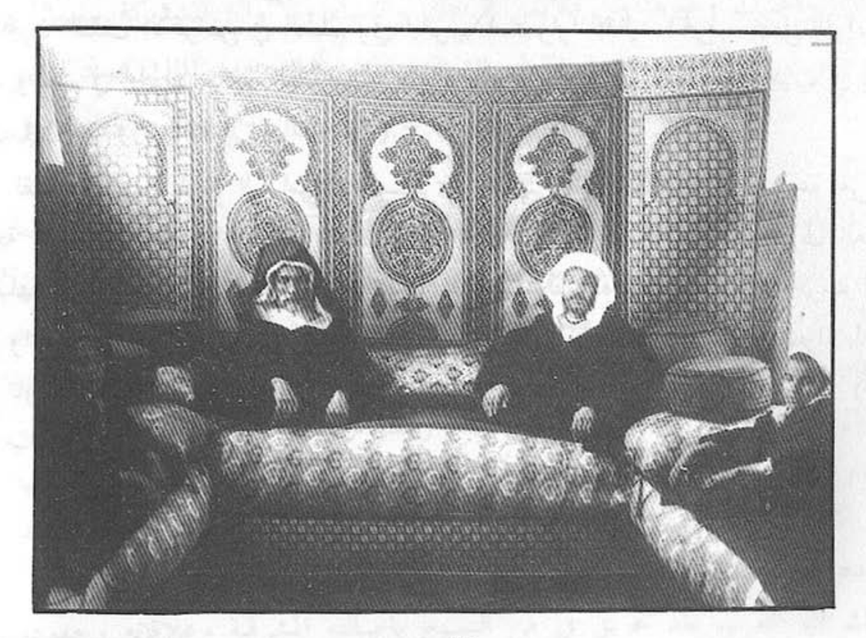
لقد دخلت التاريخ السياسي والعسكري والديني تلك الرايات المصنوعة من الموبر والمدبجة بخيوط الذهب والحرير وآيات القرآن الكريم ورموز الكتائب[5] والفرق العسكرية التي قبَّلَها ملك المغرب في احتفال رهيب قبل تسليمها لقواده المتوجهين إلى الحرب المقدسة بسيناء والجولان (شكل 188 أ) كما عادت أعلام المناطق المغربية من المسيرة الخضراء باعتبارها نماذج تاريخية لفن النسيج المعاصر لتحيط بضريح محمد الخامس بطل الاستقلال (أشكال 188 ب).

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ نشر دار الفكر للجميع 1968 ج 3 ص 96.
(2) نفس المصدر ص 97 وعن أنواع العمائم العربية ولابسيها نفس المصدر ص 106.
(3) أنظر أسماء أنواع الباس العربية المتنوعة في البيان والتبيين ج 3 ص 107 وما بعدها.
(4) البيان والتبيين ج 3 ص 109.
(5) عن الصور والأشكال الحيوانية على الرايات الأندلسية انظر المقتبس لابن حيان ص 49 — 197.
والموبر في كلام أهل المغرب نسيج فاخر ملون رطب الأديم لعله يعرف في المشرق بالمخمل، عبد الوهاب بن منصور مع وفد المملكة المغربية في مؤتمر القمة الاسلامي بالكويت، ونضيف أنه يعرف في المشرق باسم (التطينة).

الطرز

ومعلوم أن من أهم مراكز الطرز شهرة بالمغرب مدن تطوان (شكل 189) وفاس (شكل 190 و191) ومكناس (شكل 192) وسلا (شكل 193) والرباط وآزمور. ولطرز تطوان، وهو أشهرها إلى اليوم، أسلوبان متميزان احدهما بتأثير جزائري ربما بفعل الأسر المهاجرة من الجزائر إلى المغرب بعد أحداث 1830م بالجزائر وقد تابعت نفس أسلوبها الجزائري في ستان الحرير (Satin de Soie) أصفر اللون غالبا، أما أسلوب تطوان الثاني فهو أسلوبها الأصلي المحلي المعروف في مدينة شيشاون القريبة من تطوان (CHECHAOUENE) بعناصره الهندسية وتضفيراته متعددة الزوايا وعقده الضيقة والمساحة الفسيحة بلون واحد ونسيجه السميك، وبالجملة سماة الطراز المغربي الأندلسي (شكل 189)[1]. ولا غرو، فتطوان كانت من أهم مراكز استقبال المسلمين المهاجرين من الأندلس (بفنهم) بعد محاكم التفتيش الاسبانية أيام ملوك الكاثوليك وخروج الاسلام من غرناطة آخر معاقل المسلمين.



شكل 185

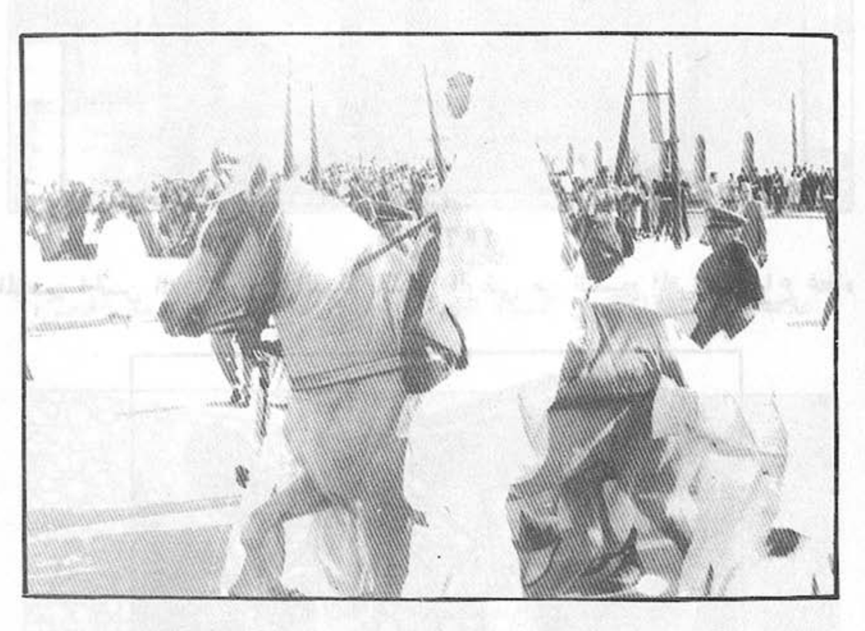
نسيج الحائطي والفراش التقليدي العلوي المعروض بمتحف البطحاء بفاس منذ 1934م

P. RICARD : Pour Comp. P 285/289 (1)

عبد القادر زمامة : فاس وصناعاتها التقليدية : مفصلة مجلة كلية الآداب بفاس 1980/1981 عدد 4 ــ 5 ص 475.

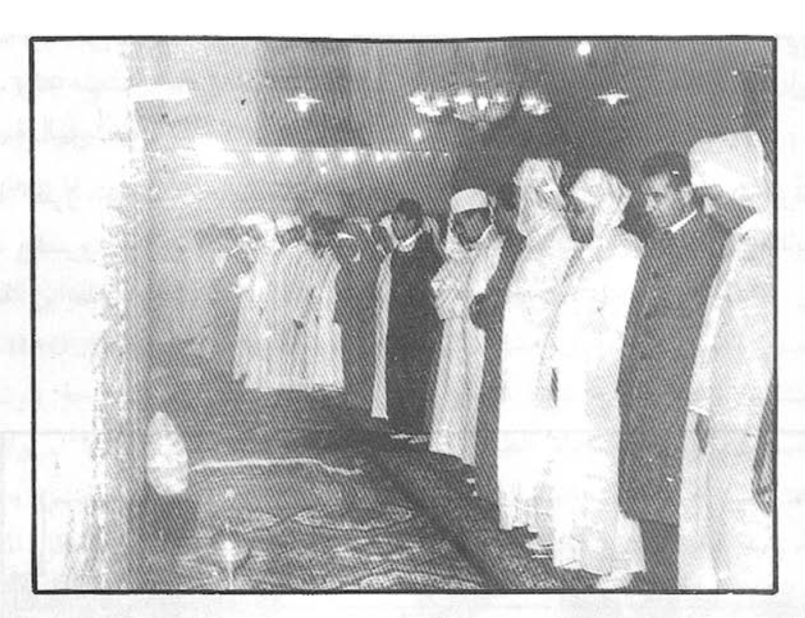
هذا وتستغل فنون المرأة المغربية إلى اليوم بالطرز واستعمال الإبرة وخيوط الحرير المسماة (الصقلي)، وقد عنيت النساء والفتيات بفن الطرز بخيوط الحرير لعمل الوسائد والمناديل والستور لترقيم وزينة البيوت.

أما الطرز بخيوط الذهب فيعرف باسم (طرز النطاع) وهو من فنون المرأة لصناعة الملبوسات والسروج والوسائد الثمينة ولا تزال دار (المعلمة الطرازة) بمدينة فاس بمثابة المدرسة المتخ مة في تعليم البنات فنون الطرز المختلفة.



شكل 186

لباس ونسيج المراسيم السلطانية الدينية لأمير المؤمنين الحسن الثاني المعاصر



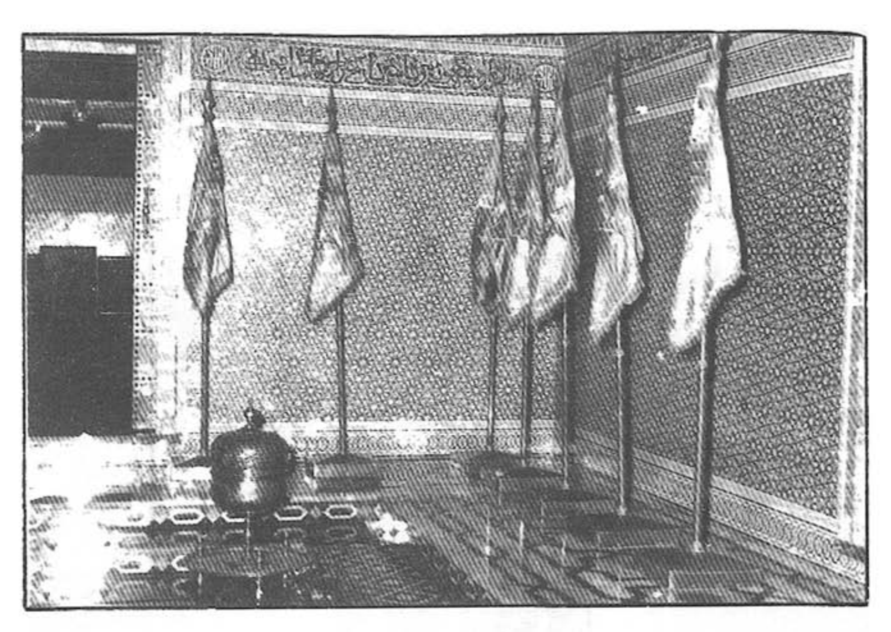
شكل 187

أمير المؤمنين الحسن الثاني ورجال الدولة باللباس الوطني من النسيج المغربي وأنواع غطاء الرأس



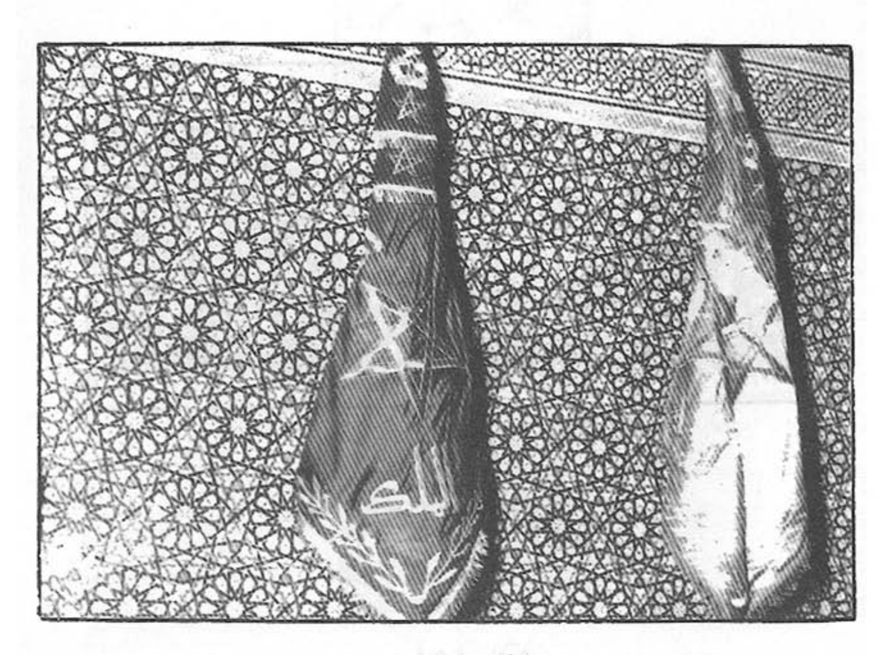
شكل 188 أ

نسيج راية مغربية من الموبر مدبجة بخيوط الذهب والحرير وآيات القرآن الكريم موجهة إلى الحرب المقدسة بالجولان 1973 م



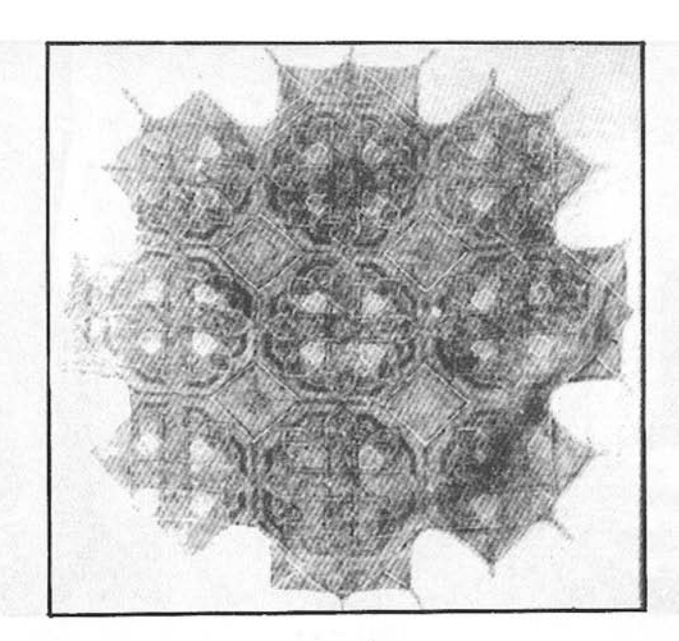
شكل 188 ب

أعلام الجهاد المشاركة في المسيرة الخضراء محفوظة داخل ضريح محمد الخامس

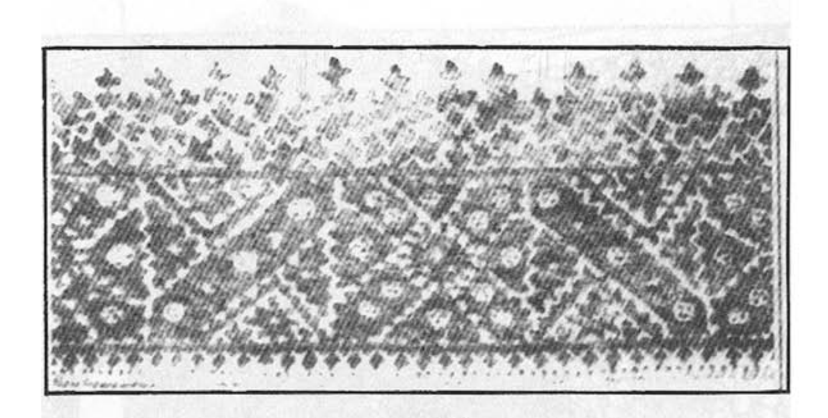


شكل 188 ب

تفصيل الزخرفة والكتابة



شكل 189
طرز تطوان، من شيشاون

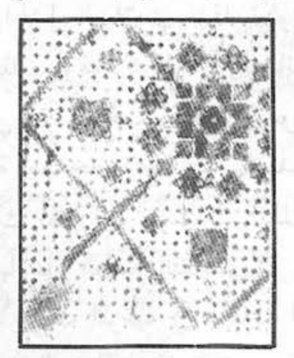


شكل 190
طرز علوي من فاس (ق 18 م)



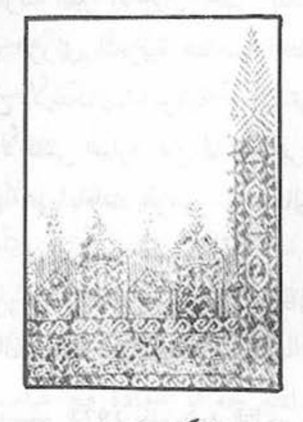
شكل 191

طرز مدينة فاس بعقد صغيرة



شكل 192

طرز مدينة مكناس



شكل 193

طرز مدينة سلا بعقد مجدولة وعقد مصلبة

تاسعا : الســـجـــاد

وكان السجاد من أشهر وأهم فنون الصناعات التطبيقية في تاريخ المغرب الفني. ولهذا تعنى الدولة حاليا بحمايته من الغزو الميكانيكي الجديد. ذلك لأن الزربية المغربية قد احتلت مكانة بارزة في الحياة المغربية بالقصور عند الملوك والأمراء، وفي الخيام عند العامة بالجبال، وفي بيوت الخاصة بالمدن والقرى، حتى أصبح عاملا مشتركا في الأثاث المغربي ونالت شهرة عالمية بين الزرابي المبثوثة التي تصنع في الصين وايران وتركيا، وذلك نظرا لدقة صنعها باستعمال الصوف في النسيج رغم خشونته. وقد تكون الزربية المغربية اليوم منسوجة فتعرف بالحنبل، ومعظم هذا الانتاج من الحنبل السلاوي. وقد تكون معقودة فتحل هذه العقدة محل خيط النسيج. وهذه الطريقة تتطلب وقتا كبيرا لأن الصانعة تحتاج إلى عمل ملايين العقد في زربية مساحتها خمسة وعشرين مترا. وتلعب الصباغة دوراً أساسيا في هذه الصناعة، لأنها تضفي عليها حلة غنية من الروعة بعد خضوعها لهندسة مدروسة. ولهذا تسهر إدارة الضاعة التقليدية على مراقبة استمرار تلك المميزات فأنشأت لذلك مصلحة خاصة لمراقبة الزرابي المطروحة في الأسواق حفاظا منها على الطابع التقليدي للزربية المغربية وصيانتها، ولهذا فإنه يمنع منعا كليا مخالفة التقاليد والأعراف المرعية في صناعة الزربية المغربية بحيث يمنع انتاجها بطريقة ميكانيكية تسيء إلى تقاليد الفن الموروثة. وتتميز الزربية المغربية بطابع خاص متميز في كل منطقة من المناطق الجبلية أو الصحراوية أو السهلية أو الساحلية، حيث تحتفظ كل منطقة بطابعها الخاص الذي توارثته عبر الأجيال حتى بلغت هذه الأنواع خمسة وعشرين صنفاً. وجل أشكال الزخرفة في الزرابي المغربية هندسية بحتة من مثلثات ومربعات وخطوط منكسرة ودوائر. أما الاقتباس من الأشكال الحيوانية أو النباتية فإنه قليل وقد يشار إليه برموز مجردة بحيث تكاد تكون زربية الأطلس عبارة عن لوحة تجريدية كاملة. وتعكس زرابي المدن أشكال الحضارة والتمدن فنعثر فيها على باقات الزهور وأشكال شتى للحيوان والنبات بالاضافة إلى الحواشي التي لابد منها في كل زربية حضرية[1].

واستجابة لروح التطور ورغبة الفنان المغربي في إدخال تعديلات على اشكال والرسوم دون النسيج، أنشأت مديرية الصناعة التقليدية[2] مكتبا للأبحاث تنحصر مهمته في نقل

---

(1) الزربية المغربية، مجلة الفنون الرباط ديسمبر 1973 بقلم محمد التازي.

(2) عن نشاط الصناعة التقليدية وأهميته أنظر: A.SEFRIOUI :L'artisanat Marocain, Annuaire de l'Afrique du Nord XII 1973 extrait 1975, P.181/191

تصاميم نماذج الزرابي الموجودة للحفاظ على التراث وخلق تصميمات جديدة تلائم تطور العصر وتجافي التحجر والجمود.

وفي دراسة تقنية مفصلة عرضها الأستاذ أحمد الصفريوي بمتحف ميونخ استعرض جميع نواحي الدراسات المتعلقة بالزربية المغربية من حيث قيمتها وهدفها ومادتها وطريقة الصنع وخصائص الزربية المغربية بكل منطقة من المناطق.

وتعتبر الزربية[1] المغربية سجادة ذات خمل يتكون نسيج الزربية من ربط عقد صغيرة من الخيوط الصوف على خيوط أفقية وعمودية مثبتة على آلة النسيج. وينتج عن ربط هذه العقد أهداب تقص حسب الطول ومنها يتكون وبر الزربية ناعم الملمس المعروف بالخمل (أشكال 194، 195).

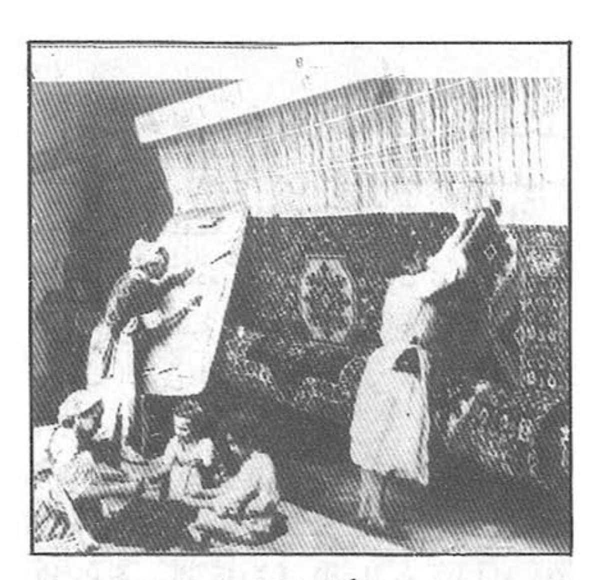
وتتحدد جودة الزربية في انتقاء المواد المستعملة ورقة صنع السدي واللحمة الذي يتطلب خامات ووقتا أكثر. وتقدر عقد الديسمتر المربع في الزربية العادية بالأطلس المتوسط 225 عقدة أي 22 ألف وخمسمائة عقدة في المتر المربع بينما تبلغ عقد المتر المربع في الزربية الممتازة خمسين ألف عقدة كما هو الشأن في زربية شيشاوة.

ويتكون المنسج التقليدي من خشبتين عموديتين وأخرتين أفقيتين تمثل الأولى قمة المنسج والثانية قاعدته ويشد بينهما خيط السداء. وتستعمل الناسجة خشبة متحركة تسمى (النيرة) لتصفيف النسيج، وتعقد العقدة وتمشطها بسكين وتدكها بالمدك وهو آلة حديدية كأسنان المشط، كما تستخدم أدوات اضافية أخرى كالمغزل والمبرم.

وتتميز زرابي الأطلس المتوسط بالخشونة لأن السدى المكون لهيكل الزربية بتركيب من خيوط غليظة ومتينة واللحمة دقيقة وطيعة الأمر الذي يكسبها قوة وصلابة واحتمالا. وتنفرد قبيلة بني مكيلد (السحنا) المستعملة في السجاد التركي والصيني والفارسي والهندي، كما يعرف الأطلس المتوسط عقدة (السموك). أما العقدة البربرية التي تستعمل النساجات لصنعها سلسلة ذات أربع خيوط فانها لا تعرف بالسجاد الشرقي أو حواضر شمال افريقيا الأخرى.

وتنحصر الزخرفة في زربية الأطلس المتوسط في الأشكال الهندسية البدائية كالمعين والمثلث والمستطيل ورقعة الضامة مركبة حول محور أساسي أو أكثر من محور أفقي أو مائل. أما العناصر الزخرفية فتعكس حياة البيئة المحلية من أدوات منزلية وحيوان ونبات كالمرآة والنخيل والطيور وآثار أرجل الطيور على الرمال وتكثر رؤية شفاه الابل ومخالب الأسود وأرجل ابن آوى وعيون الحجل المستقيمة أو المنعرجة أو الحادة مع غياب الخطوط المنحنية التي لا تظهر

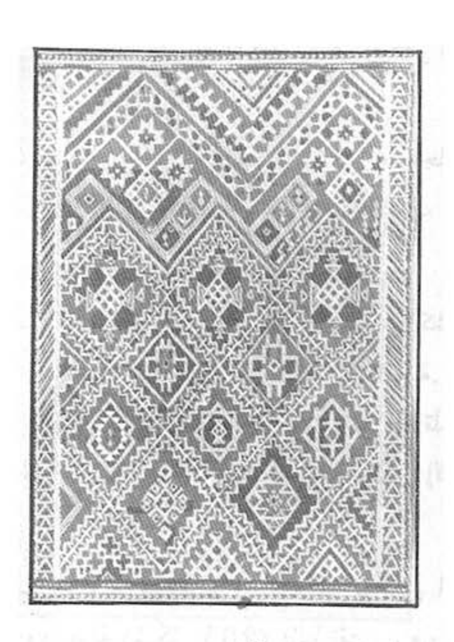
(1) الزربية وجمعها زرابي ورد بالقرآن الكريم ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾



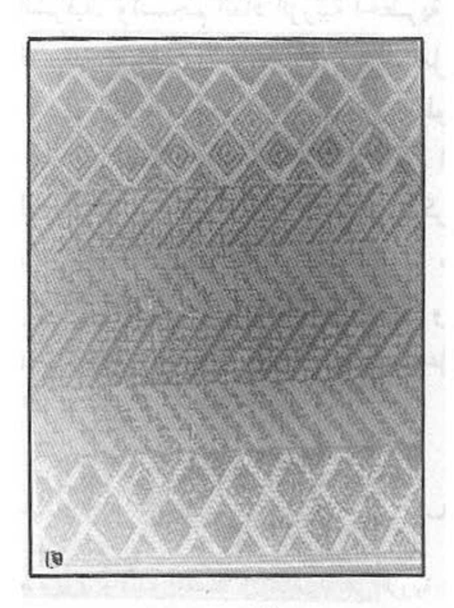
شكل 194
أساليب وصناعة فن السجاد بمصانع الرباط



شكل 195
أساليت وصناعة فن السجاد بزيان الأطلس المتوسط



شكل 196
مثال من سجاد زمور بالأطلس المتوسط



شكل 197
مثال من سجاد مرموشة بالأطلس المتوسط

في الفنون البدائية. وتنحصر أهم ألوان الزربية الأطلسية في الأحمر والأزرق والأخضر الداكن والأسود (أشكال 196 ــ 197 ــ 198).

وتتميز زربية المغرب الشرقي باللون الأحمر الداكن ممزوجا بالأزرق أو الأخضر مع كبر مساحة الزربية واتخاذ خيوط السلسلة من خليط من الصوف وشعر الماعز أو الابل بلون أحمر يميل إلى السمرة.

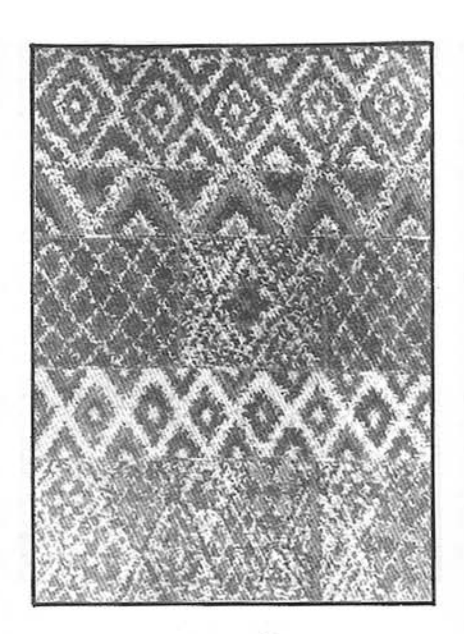
وتعرف زربية الأطلس الكبير بالنواحي الجبلية جنوب مراكش بصغر حجمها ونسجها الرقيق ولمعان مادتها وألوان حاشيتها مما يجعل منها لوحة زخرفية. وغالبا ما تصبغ السلسلة بألوان منها الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر والأسود غير أن تلك الألوان لا تؤثر في لون الزربية لأن النسيج يغطيها كلها فلا يكون لها أثر إلا في الحاشية (أشكال 199 ــ 200 ــ 201).

فإذا انتقلنا من الزربية القروية بمختلف مناطق المغرب إلى الزربية الحضرية التي تمثلها زرابي الرباط (شكل 202) ومديونة (شكل 203) فاننا نقترب من انتاج آسيا الصغرى حيث الدقة وكثافة النسيج حيث يشتمل المتر المربع في زربية الرباط الممتازة على مائتي ألف عقدة من النوع المعروف بالعقدة الشرقية. وتنسجم أبعاد الزربية الحضرية مع هندسة البيوت المغربية التقليدية المعروفة بزيادة طولها وقلة اتساعها في نطاق أطوال الحوامل الخشبية التي يرتفع فوقها سقف الحجرات[1]، ولهذا كانت الزربية الحضرية مفرطة في الطول قليلة العرض بحيث لا يتعدى اتساعها المترين عادة لتغطية المساحة الأرضية المحصورة بين الأرائك الخشبية التي تدور بالمكان. وتتكون العناصر الزخرفية هنا من زهور تتجمع أو تتكرر أفقياً وعمودياً. وتشتهر زربية الرباط بزهرة (العطرسة) ورسم العريش الذي يمثل كوخاً من ورق الشجر ثم النخل وإبريق الشاي وكوب الماء والطيور والحيات والقوقعة والسلحفاة. وتكون الأركان ذات شكل متماثل في لون أصفر أوأزرق أو أخضر داكن أو أبيض وتشتمل على نفس الأشكال الهندسية التي تحتل المساحة الوسطى[2].

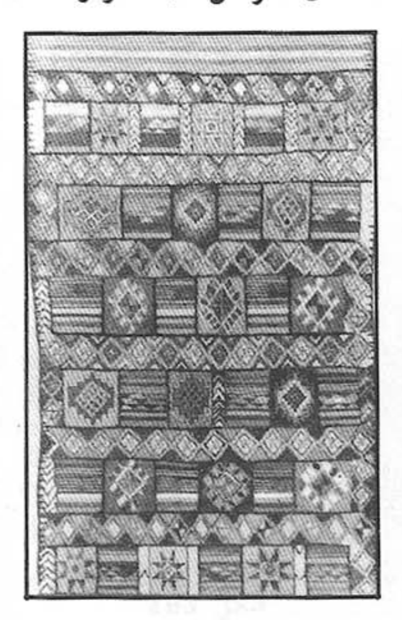
---

(1) وهذا التفسير قد غاب عن المرحوم الدكتور زكي محمد حسن في كتابه فنون الاسلام الذي فسر ضيق الزربية المغربية بصغر المكان المشتمل على آلة النسيج.

(2) عرضنا ملخصا لبحث أحمد الصفريوي والأصل مفصلا في محاضرته عن الزربية المغربية بمتحف مدينة ميونخ خلال شهر يونيو 1974.



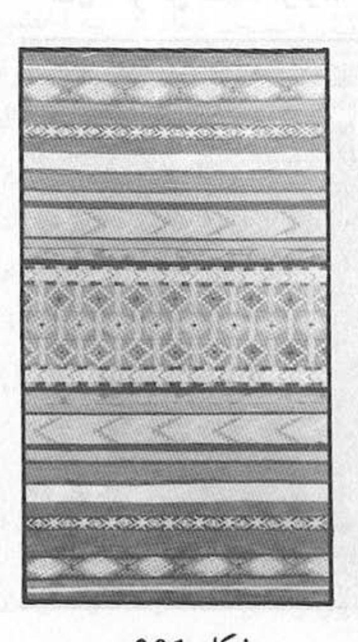
شكل 198
مثال آخر من سجاد مرموشة



شكل 199
مثال من سجاد آيت أوزكيت بالأطلس الكبير



شكل 200
حنبل جلاوة من الأطلس الكبير جنوب مراكش



شكل 201
مثال آخر من سجاد آيت اوزكيت بالأطلس الكبير جنوب مراكش



شكل 202

التصميم والزخرفة التقليدية الشهيرة لزرابي الرباط



شكل 203

زربية مديونة بأحواز الدار البيضاء ذات صبغة مدنية كزربية الرباط

عاشرا : فن الكتاب والنقوش العربية

فن الكتاب (الوراقة) :

يعرف فن الكتاب الاسلامي بمصطلح خاص في المغرب يشتمل على جميع فنون الكتاب وهو فن الوراقة المغربية الذي يستوعب فن النساخة أو الخطاطة ثم التصحيح والزخرفة واخراج المؤلفات.

عرف المغرب مع الدولة العلوية حياة الاستقرار فانتعشت المراكز العلمية وتبعتها الحاجة الملحة إلى الكتب ولم تكن الكتب قد وصلت بلدان العالم الاسلامي فبرز دور النساخة كأساس للحركة العلمية والثقافية[1].

وهكذا (وقع في العصر العلوي تفنن كبير في تحسين الخط المغربي وما يرجع إليه من الزخرفة الكتابية وجدولة الكتب الملونة والتنسيق في وضع التراجم المذهبة. وتقررت الأصول الفنية لأنواع الخطوط حتى وضعت لها الأسماء الاعلام التي تميز بعضها عن بعض كالمبسوط الذي تكتب به المصاحف القرآنية، والمجوهر الذي يستعمل في كتابة المراسيم السلطانية ونسخ كتب الحديث الشريف والمسند الذي تنسخ به الكتب العلمية.

ويلحق بالخط المغربي الأرقام الحسابية المعروفة بالغبارى وبحرف الغبار وهي التي تسميها الكتب الافرنجية الأرقام العربية ولا تستعمل الا في بلاد المغرب من الوطن العربي على أنها منتشرة في جميع أقطار العالم ويقال أن من أدخلها إلى أوربا هو البابا سلفستر الثاني الذي تعلم بفاس، وهي أرقام عربية الأصل من اختراع عرب المغرب. ولعل الغبارى هو اسم مخترعها وقد ورد اسمها في نص لابن الياسمين من العصر الموحدي.

وإذا كان الغبارى هو الشائع في عموم الأعمال فإن القلم الفاسي كان خاصا ببعض الأعمال لبعض الطبقات وهو اختراع مغربي لأهل فاس ويشبه الخط المغربي في أشكاله الهندسية ويسايره في جمال الوضع وحسن الهندام.

---

(1) محمد المنوني : الرواقة في العصر العلوي الأول بدعوة الحق الرباط مارس 1975 ص 80 وعن مراحل وأصول الطباعة للعالم الاسلامي راجع لنفس المؤلف : مظاهر يقظة المغرب الحديث ج 1 ص 202. والورق في كلام المشارقة هو الكاغيط والكاغيط في كلام المغاربة، عبد الوهاب بن منصور (مع وفد المملكة المغربية في الكويت 1987 ص 45).

(وغير خاف بان الخط المغربي في كتابته والقلم الغبارى في الاعداد يمثلان الخصائص الذاتية للثقافة المغربية)[1].

وبالاضافة إلى تفنن الخطاطين في نماذج الخطوط المغربية، فقد اتجهوا أيضا إلى استخدام الخطوط الأندلسية والمشرقية بعد أن طبعوها بالطابع المغربي المحلي[2].

وبعد مهمة الكتابة أو الخطاطين تأتي مهمة التصحيح للمنتسخات لتحظى بأهمية كبيرة حيث يقول المسناوي (أكتب وقابل أو اطرح في المزابل)[3] وبعد ذلك تبدأ مهمة إخراج المؤلف وزخرفته وتجليده.

عناية ملوك الأشراف العلويين بفن الكتاب :

لقد كان فن الكتاب موضع رعاية ملوك العلويين فقد أصدر السلطان محمد الثالث أمرا إلى الوراق على الوافلاوي نقرأ فيه بعد الافتتاح :

(نأمر الناسخ الزواق، الفقيه السيد على الفلاوي أن يقدم كل يوم إلى بيت مال المسلمين ويقعد مع تلك الصبيان ويعلمهم الكتابة والتزويق والتجدويل. واذنا السيد محمد الشامي ناظر الأحباس أن يدفع لك كل شهر خمسة عشر مثقال من مال الأحباس، ولا تغفل عنهم في التعليم...

ومما نأمرك به أن تقف مع الأمناء والنظار في أمر الخزانة وترميم كتبها وتنظر في الكتب الذين هم تمزقوا، من غيرهم، وتجتهد في تفريقهم على الطلبة لكي ينسخونهم، وتجعل ذلك كله في كناش وتبعث لنا...)

كما بعث نفس السلطان برسالة إلى كبير الزاوية الناصرية بتمكروت في شأن كتابة نسخة من البيان والتحصيل لابن رشد برسم خزانة الزاوية المذكورة نذكر منها ما نصه :

(... وبعد فقد وافانا كتابكم... واستروحنا كأنكم تستنجزون ما وعدناكم به من البيان والتحصيل، اعلم أن ذلك منا على بال... وها نحن أمرنا علماء فاس وقاضيها بنسخة من نسخة عتيقة حبسها بنو مرين على جامع القرويين، ليس بها تصحيف، ولا نسخ ولا تحريف فكونوا على تشوف اليه عن قريب ان شاء الله... وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة عام 1177هـ[4]).

---

(1) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج 1 ص 279 — 280.
(2) محمد المنوني : الوراقة المغربية دعوة الحق مارس 1975 ص 80.
(3) نفس المصدر ص 80.
(4) محمد المنوني : الوراقة المغربية في عهد السلطان العلوي محمد الثالث، مجلة دعوة الحق، الرباط مارس 1977 ص 56

ولعل في تلك الرسالتين ما يلقي ضوءا على ازدهار فن الكتاب والوراقة في عصر الدولة العلوية وعلى الخصوص في عصر السلطان محمد الثالث حيث عرفت تلك الفنون على عدة مستويات منها الوراقة الرسمية التي تميزت بوفرة المنتسخات وخضوعها لمنهجية محددة واعتماد النقل عن الأصول الجيدة والعناية بالمقابلة والتصحيح وهي ظاهرة لا تزال آثارها باقية على هوامش الكتب مع التنصيص على ذلك بالافتتاحية أو الخاتمة مع السرعة في العمل[1]. كما تخصص بعض الوراقين للمنتسخات السلطانية وبقيت أسماؤهم في أوائل أو خواتم المؤلفات المكتوبة بأمر أو برسم السلطان محمد الثالث[2] ومنهم وراقون ناسخون أو مشرفون ومنهم من اختص بالزخرفة أو تنويع الكتابة مثل علي عبد القادر بن محمد الوافلاوي الوراق المجيد في الكتابة والزخرفة الذي رشحه السلطان محمد الثالث سنة 1202هـ لنشر هذه المهمة وعينه لتعليم الكتابة والزخرفة والجدولة بفاس، ويصف أبو الفيض حمدون بن الحاج السلمى خطه بقوله[3] :

بدوت للخط أنت مقلته[4]   ما لابنها رقم خطك الحسن
يقول كل لبيب أبصره   لله درك يا أبا الحسن

كما كانت هناك دراسة خاصة بالأمراء كتلك التي اختص بها الأمير على ابن السلطان محمد الثالث[5] وذلك بالاضافة إلى الوراقين غير الرسميين.

إن دراسة تلك النماذج العديدة من المخطوطات التي خلفها العصر العلوي وذكرها تفصيلا الأستاذ محمد المنوني في أبحاثه المستفيضة الدقيقة، بالاضافة إلى دراسة الحوالات العلوية التي ذكرها الدكتور عبد الهادي التازي بكتابه جامع القرويين[6] لتمكن يقينا من وضع دراسة منظمة لعلم النقوش العربية وفن الكتاب في عصر الأشراف العلويين الذي عرف ازدهار ورواج ذلك الفن.

---

(1) نفس المصدر ص 46.

(2) نفس المصدر ص 46 ــ 47 للوقوف على أسماء 134 سفر ومجلد كتب بأمر أو رسم السلطان محمد الثالث بالاضافة إلى مؤلفات السلطان نفسه. وقد أشار الأستاذ المنوني إلى كل سفر وتاريخ كتابته ومكان حفظه اليوم. وعن أسماء وأخبار الوراقين في العصر العلوي راجع بحث الأستاذ المنوني بمجلة دعوة الحق مارس 1975 ص 81 ــ 83 وراقون معروفون من خلال تراجمهم ص 83 ــ 86، وراقون معروفون من خلال منتسخاتهم ص 86، وراقات من النساء ص 86، وراقون بخطوط منوعة أو بزخرفة الكتابة ص 87، المصححون للمنتسخات ص 87 ــ 89، المخرجون للمؤلفات ص 90 ــ 92 وراقون لجهات معينة برسم الأمراء أو الزوايا. راجع بحثه المنشور بدعوة الحق مارس 1977 ابتداء من ص 48.

(3) نفس المصدر ص 50.

(4) لا شك أنها اشارة بليغة إلى ابن مقلة الخطاط الشهير.

(5) راجع نفس البحث للأستاذ المنوني ص 55 ــ 56.

(6) دكتور عبد الهادي التازي : جامع القرويين ج 3 ص 668 ــ 670 ص 677، وهامش 73 لدراسة خزانة القروين في العصر العلوي ثم 705 ــ 708 للوقوف على الحوالات العلوية.

ففي دار الكتب المصرية مثال مغربي عبارة عن مصحف مكتوب في القرن الحادي عشر يعطينا صورة واضحة عن جلال وعظمة الانتاج المغربي للمصاحف سواء من حيث الزخرفة أو أسلوب الخط.

كما نقف على أخبار المصحف العقباني من روايات المؤرخين حول هدية السلطان المولى عبد الله العلوي إلى الحرم النبوي سنة 1155هـ، حيث سافر الركب المغربي إلى الحرمين الشريفين محملا بهدية نفيسة من ثلاثة وعشرين مصحفا بين كبير وصغير محلاة بالذهب مرصعة بالدر والياقوت وقد كان من جملتها المصحف الكبير العقباني الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني. ويرجع أصل المصحف العقباني إلى سيدي عقبة بن نافع الصحابي الجليل فاتح المغرب الذي كان قد نسخه بالقيروان من المصحف العثماني على ما قيل، وظل متداولا بين أهل المغرب إلى أن وصل إلى أيدي الأشراف السعديين ويتحفظ الشيخ أبو عبد الله المسناوي الذي شهد اخراج السلطان المولى عبد الله المصحف المذكور وبعثه إلى الحجرة الشريفة، بالنسبة لتاريخ كتب المصحف المذكور بالقيروان. وقد أرسل السلطان المذكور مع المصحف والهدية سالفة الذكر الفين وسبعمائة حصاة من الياقوت مختلفة الألوان إلى الحجرة النبوية[1].

كما أرسل السلطان محمد الثالث بهدية إلى الخاقان العثماني عبد الحميد الأول كان من بينها مصحف شريف محلى بالذهب ومرصع بالماس يساوي حسب المصادر مائة ألف دينار[2].

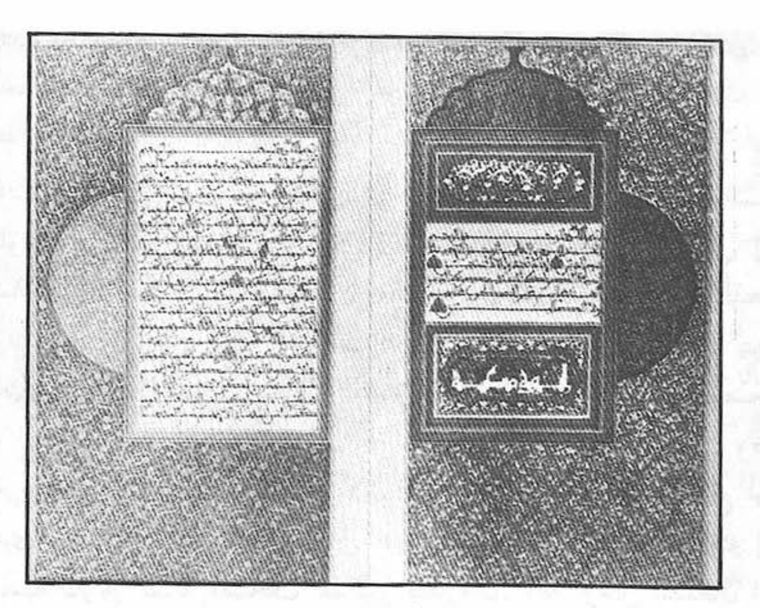
وقد وقف الدكتور عبد الهادي التازي بمعرض دار الكاتب بالقاهرة على مصحف علوي كتب سنة 1182هـ (1768م) برسم الأمير مولاي علي نجل أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله وخليفته على فاس. وجميع أوراق المصحف محلاة بالذهب واللازوارد والياقوت بخط مغربي مع كتابة اسم الجلالة بالذهب الخالص في جميع الصفحات وعدد ورقاته 263 بتجليد مغربي ونقرأ بآخره : (سعد الزمان) (ودنا المنا) وأسفلها (وساعد الاقبال) (وأجابت الآمال).

وعندما وصل المصحف المذكور إلى يد محمد أبو الذهب حاكم مصر 1188 (1173م) حبسه على خزانة مسجد بناه أمام الجامع الأزهر، وبعد الحملة الفرنسية نقل المصحف إلى متحف اللوفر إلى أن استرجعته مصر وأودعته دار الكتب. ويعتقد الدكتور عبد الهادي التازي أن المصحف المغربي كان في الأصل محبساً على أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال قبل أن يقع لسبب من الأسباب في يد أبو الذهب[3] (أشكال 204، 205).

(1) الاستقصا ج 7 ص 159.

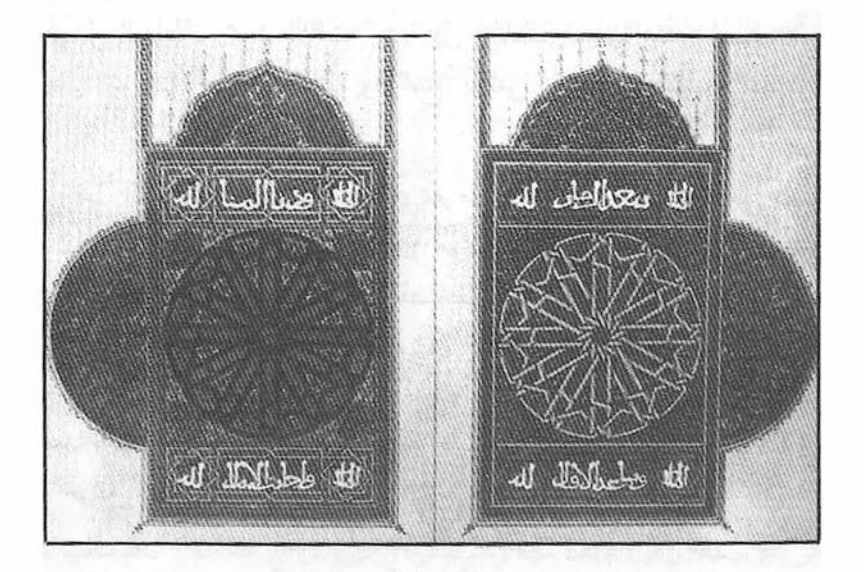
(2) محمد المنوني : الوراقة المغربية، دعوة الحق مارس 1977 ص 50 — 51.

(3) د. عبد الهادي التازي : مصحف الأمير علي ، مجلة دعوة الحق الرباط مارس 1984 ص 43.



شكل 204

مصحف الأمير مولاي علي ابن سيدي محمد بن عبد الله



شكل 205

مصحف الأمير مولاي علي المكتوب 1182 هـ

إشارات إلى عناية ملوك الأشراف العلويين بالكتب والمكتبات :

ذكر الأستاذ عبد الرحمن الفاسي في مقدمة كتابه (منتخبات من نوادر المخطوطات من منشورات الخزانة الملكية بالرباط أن المولى إسماعيل تعلقت همته بانقاذ الثغور وافتداء الأسارى بتحرير كتب الاسلام التي خلفها أهل الجزيرة الأندلسية عند الجلاء وقد كانت انتهت إلى الأديرة وخزائن الملوك الاسبان، وجاء (بالاتحاف للشريف ابن زيدان ج 2 ص 63) ضمن الوثائق الدالة على محاولة التطلع إلى استرداد كتب المسلمين بالجزيرة كتاب مؤرخ 16 ذي الحجة خاتم عام واحد ومائة وألف موجه إلى ضون كارلوس الثاني ملك اسبانيا في شأن مائة من الأسارى الاسبان كانوا بين من وقع في قبضة مولاي اسماعيل أثناء تحرير ثغر العرائش...

وكان مما جاء بالكتاب... وإلا فالمائة المذكورة أرقاء أسارى من جملة اخوانهم، وذلك أن تعطونا في الخمسين نصرانياً... خمسة آلاف كتاب، مائة كتاب عن كل نصراني من كتب الاسلام المثقفة باشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها... وتعطونا خمسمائة أسير من المسلمين في الخمسين الأخرى... وان لم توجد الكتب التي هي مرادنا، فاجعلوا عوضها من أسارى المسلمين...

وفي (رحلة الوزير في افتكاك الأسير) التي دونها الوزير السفير الغساني باشارة السلطان وبدأت المحرم سنة 1102هـ، بعد الحديث عن كارلوس الثاني (... ولما رأى ما فيه وما أشار به عليه أمير المؤمنين... من إعطاء خمسة آلاف كتاب وخمسمائة أسير ثقلت عليه الوطأة العلوية... ووقعت المشورة في ذلك مع أهل ديوانه...)

ويذكر الأستاذ عبد الرحمن الفاسي أن سيدي محمد بن عبد الله وزع خزانة كتب القصر المعروفة بدويرة مكناس على مساجد المملكة في المدن والقرى وكانت تحتوي على اثنى عشر ألف سفر وما زالت خزانة مسجد الشيخ أبي يعزى تحتوي على مخطوطات ممهورة بختام تحبيسه حتى اليوم.

وفي الرحلة المسماة (نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد) التي شرع في تحريرها السفير الغزال رئيس كتبة المولى محمد بن عبد الرحمن منتصف ذي الحجة 1179هـ، أن البعثة توجهت لملاقاة الملك في قلعة لكرانخا... واجرت المفاوضات مع الملك على أهم بنود المعاهدة وأخذت وعدا منه بمسألة الكتب...، ويقول السفير أنهم انتظروا شهرا إلى أن حصلوا على جملة منها كانت في مدريد،... وأخرى من غرناطة، وبعثت لهم أخرى لدى وصولهم إلى قالص في طريق العودة[1].

---

(1) نشرت المقدمة كاملة بمجلة المنهل، الرباط عدد 14 مارس 1979م ص 52/9.

وذكر مولاي زيدان في الدرر الفاخرة[1] أن المولى إسماعيل بن الشريف كان ينتقي من أقطار إيالته الخطاطين المتقنين لنسخ الكتب القيمة ويجري عليهم الجرايات الضافية ولهم محل خاص بنسخ الكتب بأفنية القصر يغاديهم ويراوحهم فيه كل يوم ويفيض عليهم سجال العطايا... واقتفى أثره في ذلك الملوك بنوه وحفدته ولاسيما المولى الحسن فإنه كان له نساخون بارعون ملازمون لأبوابه ظغناً وإقامة ما فارقوه...

وعند ذكر مولاي زيدان لمنشآت المولى الرشيد قال : ومنها تأسيس الخزانة العلمية بالجانب الجنوبي من الجامع الأعظم بفاس الجديد وتحبيس نفائس الكتب عليها، يدل لذلك ما قرأته في نقش خشب بأحرف بارزة بأعلى المحامل التي توضع بها الكتب ولفظه : الحمد لله حق حمده، هذه خزانة أمر بصنعها وانشائها الامام الأوحد الهمام أمير المؤمنين. المتوكل على رب العالمين. مولانا الرشيد بن مولانا الشريف بن مولانا علي الشريف الحسني أيد الله أمره وأعزه بعزه بتاريخ فاتح شهر الله الحرام عام تسعة وسبعين وألف.

كما سجل مولاي زيدان نص تحبيس مجلد (التلخيص في تفسير القرآن العزيز) على الخزانة العلمية التي أنشأها بالجامع الكبير من حضرته العلية بفاس الجديدة... عام 1082هـ، والنص الكامل بالدرر الفاخرة[2] ودرس الدكتور عبد الهادي التازي أخبار خزانة القرويين في العصر العلوي[3] بكتابه جامع القرويين.

وهذه بعض نماذج في منتسخات أو مخطوطات ونقوش العصر الحديث :

أ ــ نماذج من المخطوطات :

ضمن الدراسة الدقيقة التي نشرها الأستاذ محمد المنوني[4] أمثلة من العصر العلوي نوجز أهم خصائصها في الأمثلة التالية :

الربع الأول من القرآن الكريم (صدر العصر العلوي) :

استنسخه عبد الواحد بن أحمد العمراني الحسني وقع الفراغ منه آخر جمادى الأولى عام 1090هـ... مكتوب على الورق بخط مغربي مبسوط جميل مجدول، رقم فيه اسم الجلالة بالذهب المصور بالمداد، الشدات والسكون بلون أزرق، الهمزات بمداد أصفر، ونقط الفات الوصل بالخضرة، وباقي الشكل بالحمرة... فواتح السور بخط كوفي مكتوب بالذهب المصور بالمداد على صفحة زرقاء وداخل إطار مستطيل مذهب وملون بالحمرة... هوامش المصحف زينت بتراجم للأحزاب مستديرة مزخرفة مكتوب فيها بالكوفي على أرض زرقاء بينما كتبت أجزاء الأحزاب بالكوفي دون زخرفة.

---

(1) الدرر الفاخرة ص 40.

(2) الدرر الفاخرة ص 14.

(3) جامع القرويين ج 3 ص 668 ــ 670.

(4) محمد المنوني : تاريخ المصحف الشريف بالمغرب، دعوة الحق الرباط يوليوز 1981 ص 29/9.

وباول الجزء لوحتان غاية في الزخرفة والتذهيب والتلوين وبآخره كتب تاريخ الفراغ منه بالذهب المرسوم بالسواد والحمرة بخط شرقي ثلثي : كمل الربع الأول والحمد لله تعالى وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه آخر جمادى الأولى تسعين وألف، يلي ذلك لوحتان ختاميتان بآخر الثانية بخط ثلثي شرقي بالذهب :... استنسخه... أبو محمد سيدي عبد الواحد بن أحمد العمراني الحسني غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين.

مصحف الأمير على العلوي :

كتب برسم الأمير العلوي : علي بن محمد بن السلطان ابى الفداء بخط مغربي عام 1142 منقوش بالذهب والألوان ومحفوظ بدار الكتب المصرية ورقمه 25.

ربعة القندوسي :

بخط محمد ابن ابى القاسم القندوسي برسم السفير المغربي الحاج ادريس بن الوزير محمد بن ادريس العمروى الفاسي فرغ منها آخر شوال عام 1266هـ تقع في 12 جزءا تتميز بحجمها وفخامة خطها، كتبت بخط عريض وحروف بارزة مبسوطة، وقد ذهبت بكاملها إلى المكتبة الزيدانية بمكناس برقم 3595.

ب ــ وهذه نماذج لبعض النقوش العربية من العصر العلوي :

نقش التأسيس في الرخام بالسقاية التي شيدها المولى اسماعيل بالضريح الادريسي :

(... أسس هذه السقاية البديعة... بعد استنباط مائها الجاري... بطرق غريبة وأعمال هندسية... وكان القائم عليه خديم دولته... القائد أبو علي ابن القائد عبد الخالق... الروسي... وكان البدء لما ذكر والتمام في النصف الأول من عام (شوقك 1126) والسلام[1].

نقش تابوت ضريح السلطان عبد الله بن اسماعيل بقبور الأشراف بفاس الجديد بخط مشرقي قرأه مولاي زيدان :

الحمـــد لله هــــذا ضريح من طاب أصله
سليـــل خير البرايـــا سبط الرسول ونجلــه
عبـد الالـه ابــن اسما عيل الذي شاع فضله[2]

نقش ضريح السلطان اليزيد بن محمد بن عبد الله على رخامة ما لفظه :

(هذا قبر السلطان مولاي اليزيد الذي حرك من الغرب بخمسة الآف ونصف وهزم اخاه مولاي هشام بأربعة وأربعين الفا)[3].

---

(1) الدرر الفاخرة ص 44/43.

(2) والنص الكامل بنفس المصدر ص 53.

(3) الدرر الفاخرة ص 65 ويذكر أن جل النقش قد أزيل قصدا.

ومن عصر محمد بن يوسف (محمد الخامس) يسجل مؤرخ دولته مولاي زيدان في الدرر الفاخرة زيادته في خزانة جامع القروين والتحبيس عليها وتحبيس الكتب على النساء ويعطينا نص طابعه الشريف :

نقش داخله (محمد بن يوسف بن الحسن الله وليه).

وبزواياه (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي) وبدائرته (ومن تكن برسول الله نصرته، البيتين...)[1].

وهذا نص قياس قاله (ذراع) من عصر السلطان العلوي مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله :

الحمد لله هاذا قياس قالة القيسارية بالحضرة الادريسية حققها محتسب أمير المؤمنين مولاي سليمان نصره الله وأيده وخلد في الأنام وجوده وذلك عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف[2]

الطابع السلطاني والخاتم والعلامة في العصر العلوي :

يمكننا التعرف على صفة وخصوصية واستعمال الطابع السلطاني والخاتم والعلامة في العصر العلوي من دراسة مفصلة لمؤرخ المملكة المغربية الأستاذ عبد الوهاب بن منصور[3] تتناول أيام السلطان مولاي يوسف [4] وخلفه سيدي محمد بن يوسف[5] والد أمير المؤمنين الحسن الثاني ملك المغرب المعاصر.

يقول مؤرخ المملكة أن السلطان سيدي محمد بن يوسف يعد بيعته بفاس (1927م) انتقل إلى الرباط العاصمة وصحب معه أشعرة الملك وأدواته التي كان حملها والده السلطان مولاي يوسف عندما انتقل إلى فاس مريضا كالمظل والعربة والمزراق وخيل القادة والصنيدق الذي تحفظ فيه الطوابع السلطانية ومحبرتها.

ويستطرد الأستاذ بن منصور موضحا (ويعتبر **الطابع من** أهم أشعرة الملك وأدواته منذ عُرِفت النظم الحكومية والادارية... وكان يسمى أيضا **الخاتم**، إما لأنه كان ينقش من

---

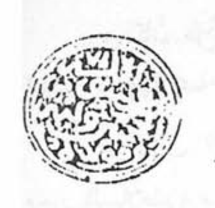
(1) الدرر 169/166.

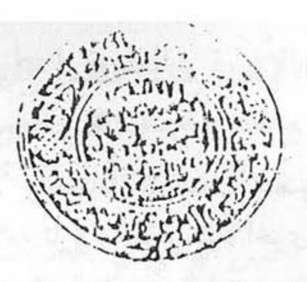
(2) مولاي سليمان بويع 1206هـ وتوفي 1238هـ ودفن بضريح جده بباب آيلان بمراكش ودراسة القالة ونقشها بالجريدة الآسيوية مارس/أبريل 1917م ص 311 وشكل 3 ونعطي وصفها مع دراسة التحف من الرخام.

(3) عبد الوهاب بن منصور : محمد الخامس والظهير البربري، مقال بدعوة الحق مارس 91 ص 61/54.

(4) دفن السلطان مولاي يوسف بعد وفاته بضريح جده السلطان مولاي عبد الله صباح الجمعة 23 جمادى الأولى (1927/11/18).

(5) استقبل تهاني البيعة السبت 24 جمادى الأولى (1927/11/19) بفاس.






صور الطوابع الكبرى والصغرى التي استعملها السلطان
مولاي يوسف في الشهور الأولى من ملكه.





صورَ الطوابع الكبرى والصغرى التي استعملها السلطان
سيدي محمد بن يوسف في الشهور الأولى من ملكه.

شكل 206

الطوابع الكبرى والصغرى التي استعملها مولاي يوسف ثم السلطان سيدي محمد بن يوسف

معدن مربع أو مستدير ويلصق بالخاتم الذي يحتفظ به صاحبه بيده دون غيره، وإما لأن الرسائل والقوانين كانت تختم به لتكون نافذة المفعول... وكان رسول الله ﷺ يضع خاتمه على رسائله إلى الملوك يدعوهم إلى الاسلام...)

(وكان من ملوك المغرب من يوقع رسائله بتوقيع يسمى **العلامة** ويسمى أمين السر الذي يرسمها **صاحب العلامة**[1]، ومنهم من كان يستعمل الطابع بعد العلامة...)

(وكانت الطوابع تختلف أشكالاً وأحجاماً كما تختلف النصوص المنقوشة بدوائرها... ومن السلاطين من كان يستعمل العلامة تارة والطابع تارة أخرى كالسلطان أحمد المنصور الذهبي في العصر السعدي ومولاي سليمان في العصر العلوي، وقد استعملهما معا السلطان مولاي الحسن الأول ووضع امضاءه بجانب طابعه...)[2].

ويدلنا الأستاذ عبد الوهاب بن منصور على موضع الطابع ويقول : (ويكون الطابع الملكي في أعلى النص المكتوب كرسالة تسمى **براءة سلطانية** أو كان له حكم التشريع وقوة التنفيذ ويسمى **ظهيراً**، أما غير الملك فيكون طابعه في أسفل الرسالة، وشاع استعمال الطابع في أعلى الهوامش اليمنى لرسائل الوزراء والسفراء المغاربة الموجهة لممثلي الدول الأجنبية أهل الذمة من اليهود[3]...)

(1) عرف اسماعيل بن الأحمر بعدد ممن اختصوا برسم العلامة بكتابه (مستودع العلامة) نفس المقال ص 56.

(2) باتفاقية المؤتمر الدولي بمدريد 1880م، نفس المصدر ص 56.

(3) مقال مؤرخ المملكة : محمد الخامس والظهير البربري، دعوة الحق مارس 1991 ص 57.

العمارة الأثرية والفنون التطبيقية لعصرالعلويين في الشعر العربي

نقل السلاوي عن الحسن اليوسي في المحاضرات أن المولى الرشيد بن الشريف العلوي أمر في الرابع عشر من ذي القعدة سنة تسع وسبعين وألف ببناء قنطرة نهر سبو فأخذوا في تهيئة الأساسات وحفر الأساس وفي منتصف جمادى الثانية سنة ثمانية وألف شرعوا في البناء بالآجر والجير فكملت على أحسن حال وصنع القاضي أبو عبد الله المجاصي أبياتا (الاستقصا 39/7 – 40) أولها :

صاغ الخليفة ذا المجاز ملك الحقيقة لا المجاز

ومما سجله الشعر العربي في وصف مدرسة الشراطين التي بدأها المولى رشيد وأكملها مولاي إسماعيل العلوي منقوشا في لوحة يحتفظ بها حاليا الجامع الكبير بفاس الجديد ما يلي :

أنظر لبهجة بيت الله يا رائي	وسرح الجفن فيها بين أرجاء
تخالها جنـة تزهـى مزخرفـة	بطيب الزهر من أنفاس قرَّاء
تهدى حلى قارئيها من شمائلها	فتحسب الزهر ناجت ذات أنداء
بيت الصلاة وايواء الطلاب وما	يغشى من البر أو يرى من اهداء
وقـد تأنـق واشيها وطرزهـا	حسن الزرابي من تحبير وشاء
ونمنمت بردها بسطاً مـدبجة	مثل العرائس في حلى واحلاء
كأنما احتفلت للوفـد زاهيـة	كالروض في أرج يذكو وازهاء
توريقها كالعذارى ضفرها نشرت	على شقائـق وجنـات كادمـاء
أنوارها تخطف الأبصار مشرقة	من أجل ذا (خطفت) تاريخ انشائي

وعندما توفي المولى سليمان رحمه الله سنة 1238هـ ودفن بضريح جده المولى على الشريف بباب آيلان من مراكش رثاه الشعراء وانشد الأديب أبو عبد الله محمد بن ادريس الفاسي في ذكر مآثره التي خلفها بقوله[1] :

---

(1) الاستقصا ج 8 ص 166 ــ 167.

فقد الامام أبي الربيع المرتضى | جزعت لعظم مصابه الثقلان
ان غاب عنا شخصه فلقد ثوى | فينا الثناء له بكل لسان
ومناقب ومفاخر ومآثر[1] | شاعت له في سائر الأوطان

وقد جاء في الاستقصا نقلا عن أكنسوس صاحب كتاب الجيش أن المولى عبد الرحمن شرع في غرس أجدال غرب مراكش، وهو بستان عظيم يشتمل على جنات كثيرة معروفة بحدودها وأسمائها بوسطه برك عظام تسير فيها القوارب والفلك وتصب فيه العيون كأمثال الأنهار لسقي تلك الجنات وعليه من الأرحاء شيء كثير، وتلك البرك منها ما ضلعها الواحد يكون مائتين خطوة وفي داخله من المنتزهات الكسروية والقباب القيصرية والمقاعد المروانية ما يستوقف الطرف ويستغرق الوصف مثل دار الهنا والدار البيضاء والصالحة والزاهرة وغير ذلك. ويتصل به جنان رضوان الفائق بحسنه ومقاعده البهية... ولما شرع السلطان في غرس هذا البستان جلب له العين الآتية من بلاد مسفيوة المسماة بتاسلطانت[2] وهي من أغرب العيون... وجاء بها تشق الوهاد والربى حتى ألقت جرانها بأجدال السعيد وعم نفعها وريها القريب منه والبعيد.

وفي ذلك أنشد الوزير أبو عبد الله محمد بن ادريس ما نقتبس منه[3] :

وردت وكان السعود مواجها | والحسن مقصورا على مواجها
هبطت اليك من الجبال وطالما | تعبت ملوك الأرض في اخراجها
وافتك واحدة وقد صبغ الحيا | وجناتها وجرى على أدراجها
فكأنها بلقيس جاءت صرحها | لكنه صرح بغير زجاجها

وجاء في وصف أبي عبد الله أكنسوس سنة 1271هـ لبستان الوزير ابن ادريس داخل باب الرب من مراكش وهو من وزراء السلطان المولى عبد الرحمن قوله[4] :

ألمم بمغنى اليمن من ذا المجلس | وأدر بساحته نجوم الأكوس
واصرف عن الزهراء ذكرك ساليا | وعن الخورنق والرسوم الدرس
أرسل مهام اللفظ في أكنافه | ان الحنايا الحدب فيه كالقسي
يا منزلا قد خصصته سعادته | واستبدلته أنعما من أبؤس
يهنيك ذا القصر الذي أنشأته | بالسعد في عام انشراح الأنفس

---

(1) عن مآثر المولى سليمان راجع ما سبق بهذا الفصل وعن حصر جميع آثاره الباقية راجع الاستقصا ج 8 ص 172 ــ 174.
(2) عن تاريخ استغلال تلك العيون والسيطرة عليها راجع الاستقصا ج 9 ص 14.
(3) الاستقصا ج 9 ص 14 ــ 15.
(4) راجع القصيدة بأكملها في الاستقصا ج 9 ص 69.

وبسبب الأحداث التي عرفتها المنطقة الشمالية أواخر دولة السلطان المولى عبد الرحمن[1] انتقض الصلح مع الاسبان وهاجموا تطوان سنة 1276هـ في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن ودخل كراء عسكرهم المدينة بورقات مكتوب فيها أسماء الدور التي ينزلون بها كدار الرزيني ودار اللبادي ودار ابن المفتي وهي دور كبار أهل تطوان التي رثاها الأديب الشريف أفيلال بقصيد طويل ننقل منه :

فالدين يبكي بدمع	يحكيه صوب الغمامة
على مساجد أضحت	تباع فيها المدامة
كم من ضريح ولى	تلوح منه الكرامة
علق فيه رهيب	صليبه ولجامه
ومنزل لشريف	وعالم ذي استقامه
صار كيف لعلج	ولم يراع احترامه
تطوان كما كنت الا	بين البلاد حمامه
أو كخطيب تردى	من بعد لبس العمامه
ياأهل تطوان صبرا	فما الخطب أدامه
ما فاز الا ذكى	قدم خيرا أمامه
حيث أقامه يرضى	ولو بقصر كتامه[2]

أما الخصة الوسطى بصحن جامع القرويين التي أرجع الدكتور عبد الهادي التازي تأسيسها إلى المولى إسماعيل العلوي سنة 1093 هجرية فقد نقش عليها[3] :

مولاي اسماعيل ألبسني البها	فسحبت ذيلي فوق كل نفيس
زهوى ببيت الله حسبي مفخرا	في عام (يجمل شاهد) تأسيسي

كما قال فيها الأديب أبو العباس أحمد الصبيحي السلاوي ملغزا[4] :

وجارية بضة غضة	ملازمة الرقص في الجامع
يراها الأفاضل جارية	ولا اثم في الكل يا سامعي

وبصحن جامع القرويين ساعتان شمسيتان من عصر السلطان الحسن الأول بقي منقوشا[5] على احداها :

(1) التفاصيل بالاستقصا ج 9 ص 84 — 92.
(2) القصيدة مفصلة بالاستقصا ج 9 ص 92 — 94.
(3) جامع القروين ج 3 ص 674 تعليق رقم 19 نقلا عن الفرد بل فيما نشره عن نقوش فاس العربية.
(4) نفس المصدر ج 3 ص 660 وتعليق رقم 22 ص 674 نقلا عن رسالة بعثها الشاعر إلى المؤرخ عبد السلام بن سودة.
(5) جامع القرويين ج 3 ص 661.

ياداخلا بيت الالاه تؤمه لاتنس رفع الطرف نحو سناء
حقق جديد الوقت من ساعتنا عندي المراد وعزة الأمراء
إن الأمير أدام ربي ملكه من أمره الأسمى بلغت سنائي

وكان المراد مما أنشده الفقيه الوزير محمد معمري الزواوي مهنئا المغفور له سيدي محمد الخامس ذاكرا اهتمامه باصلاح وتأسيس المدارس والمساجد قوله :

أما رأيت علوم الدين رائجة بمعهد ينهض الطلاب زاهين[1]
أما رأيت بيوتا للعبادة قد لاحت تفاخر هنداما وتمتينا
تناولتها يد الاصلاح عاتقة فجددت روتقا زادته تحسينا
وكم بنى من جديد يزهى مرحا بنسبة لاسمه السامي يباهينا
شاد الصروح لعدل ساد منبلجا وملتجى لضعيف راد تحصينا
تلوح شاهقة البنيان رائقة وأكسبتها يد الاتقان ترصينا

ومن إنشاد الوزير المعمري كذلك مهنئا المغفور له جلالة الملك محمد الخامس بعيد العرش المجيد قصيدة طويلة يذكر فيها بناء القصور الجديدة واصلاح القصور الأثرية وإحياء الصناعات وتأسيس المساجد نقتبس منها :

بنيت بكل عاصمة قصورا تقيم بها بديع المهرجان
فالبيضا أعدت لنا بديعا يقيه الله بالسبع المثاني
يذكرنا بأندلس رياضا يحار بوصفها رب البيان
تلوح به القباب مزخرفات بهندسة وأشكال حسان
وزينت الرباط بشاهقات الـ بناء به يتيه المشوران
كذا روض السعادة في أساطيـ ـن حسن تنجلي كالأفعوان
وقبته تلوح كتاج فخر لإيواء الوفود لدى التهاني
وأصلحت العتيق من القصور بمكناس وفاس يشهدان
وأتقنت البساتين انتظاما مزينة بأغصان لدان
بنيت لنا المساجد في صنيع تبختر في بدائعه الحسان
تدل منارة الآذان قوما برفعتها على خير المعاني

ويحتفظ حصن مسجد الدارالبيضاء الذي أسسه المرحوم سيدي محمد الخامس برخامة تأسيسية نقشت عليها قصيدة من شعر الفقيه الوزير المعمري نذكر منها[2] :

---

(1) ديوان حسن الوفاء المطبعة الملكية بالرباط 1964 والقصيدة طويلة انظرها ص 63 ــ 65.
(2) ديوان حسن الوفاء ص 168 ــ 170.

ولقد بنيت بفضل ربك مسجدا	لمنير هداك قد بدا تمثالا
أسسته في حسن صنع منبئا	ان اهتمامك يستزيـــد كمالا
ودعوت أهل الفن من كل البلا	ـدليتقنـــوه بنيـــة وجمالا
هذا يزخرف بالنجارة مـنبرا	يزهو الخطيب اذا رقاه وقال
هذا بمحراب القنوت يخرم الـ	ـشكل البديع ويبدع المنـوال
هذا باتقـان البسـاط مفاخـر	أمثالـه وينـوع الأشكـــال
وتفننـوا في صنـع ثرياتـــه	لتنير عبـاد الهدى الأمثـال
ولكـي يجاريك المنـار محلقـا	بسما المعالي قد بدا يتعـالى
في صحنه اجتمعت محاسن روضة	جمعت مياهـا عذبـة وظـلالا
فلئن بنيت لدين ربك مسجدا	سينيلك المرغـوب والآمـال
لكمال سؤل الدين أرخ منشدا	حـط بالهدايـة رفعـة اقبـالا

وكان من عادة المرحوم الوزير المعمري اختتام قصائده بالتاريخ على هيئة الخط الفلكي كما نرى في الشطر الثاني من البيت الأخير (حط بالهداية رفعة اقبالا) وهي تساوي على التوالي (17 ـــ 453 ـــ 750 ـــ 135) أي سنة 1355 هجرية. غير أنه كانت من عادته اعطاء الحروف القيمة العددية المتبعة بالمشرق وقد نبه على ذلك مؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور[1] مدير المطبعة الملكية ومدير الوثائق الملكية المشرف على المنشورات الصادرة عن المؤسستين.

وقد نقش في الزليج بجدران الدويرة التي أسسها سيدي محمد الخامس بعرصة قصره بالدارالبيضاء من إنشاد الفقيه الوزير المعمري ما نذكر بعضه :

ان ترم شاهدا على الاتقـان	زر قصورا لمزهـر الأوطـان
زان كل الفنون حسن اعتناء	منـه تـزداد رونـق الاتقـان[2]
كم بنى من أصول زهو لعصر	تـاه بين الـعصور بالعرفـان
وخصوصا بديع قصر بيضا الـ	ـدور يـبدو بحسنـه النـوراني
تجد الصنـع بالغـا مـنتهاه	قـد تـرق مـدارج البنيـان
وتخاريم مـن صناعـة جـبص	تاه حسنا على عقود الجمان
وتعجب من لطف هندسة الزلـ	ـيـج يـزرى بلامـع العقيـان
رصع المدح في علاه وأرخ	زدت قدرا جلالة السلطـان

(1) نفس المصدر، انظر تعليق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ص 10 حيث يوضح الفارق بين الاصطلاح المشرقي والاصطلاح المغربي.

(2) ديوان حسن الوفاء ص 192.

وقد اختتم البيت الأخير بشطر التاريخ على نحو ما شرحنا سابقا (زدت قدرا جلالة السلطان) تساوي (411 ــ 305 ــ 464 ــ 181) وهو عام 1361 هجرية.

ومن شعر الفقيه الوزير المعمري بمناسبة اصلاح سيدي محمد الخامس للمسجد اليوسفي بدور السلطان بالدارالبيضاء[1] :

نزه اللحظ في محاسن هندا　　　مي تر الحسن بالجلال كساني
سامني الدهر بالتلاشي مريدا　　　هدم أسى مقـوضا أركاني
كل يوم يفت مني جزءا　　　ويهد القوى من عمـداني
فأبت همة الأمير أبى الاحـ　　　سان الا انجلاء شر رماني
كلف الماهرين في كل فن　　　فتبـاروا بحليـة الاتقـان
زينـوني بما تـرى مشيـدا　　　ذكره الطيب العلى المكان
ردد المدح في علاه وأرخ　　　حرد رشد جلالة السلطان

ومما أنشده الوزير المعمري ليكتب فوق المدرسة المولودية بالرباط :

فلا تعجبن أن الامام محمدا　　　تعهد علما يستساغ شرابه
وشاد بنائي كي يهذب أنفسا　　　بعلم يزين الواردين طلابه
فارخ مزاياه العديدة منشدا　　　طما مورد العرفان طابت رحابه[2]

ومن إنشائه ليكتب فوق باب الرياض بالقصر الملكي بالرباط :

أيا داخلا باب السعادة من ريا　　　ض عزبه زهو النفوس يجدد
لئن لحت تاجا للبناء مبهجا　　　فما شادني الا الأمير محمد
فصن مجده ربي وزده سلامة　　　يؤرخه العرفان فخر مؤبد[3]

---

(1) نفس المصدر ص 193 والشطر الثاني من البيت الأخير (حرد رشد جلالة السلطان) يساوي (212 ــ 504 ــ 464 ــ 181) وهو عام 1361 هجرية الموافق لسنة 1942م.

(2) نفس المصدر ص 198 والشطر الأخير عام 1360 هجرية.

(3) نفس المصدر ص 198 ــ 199 والشطر الأخير يمثل عام 1361 هجرية.

دليل المصادر والمراجع الرئيسية

المراجع العربية

1 القرآن الكريم : كتاب الله العزيز

2 ابراهيم حركات (د.) : المغرب عبر التاريخ ج أول 1965، ج ثان 1978 الدارالبيضاء

3 احمد موسى (د.) : الفن الاسلامي، تعريب كتاب ارنست كونل الألماني، بيروت 1966

4 ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، طبع القاهرة 1967

5 ابن جبير : رحلة ابن جبير، نشر بيروت 1964

6 ابن حيان القرطبي : المقتبس في اخبار بلد الأندلس، دار الثقافة بيروت 1965

7 احمد الصفريوي : الزربية المغربية، محاضرة القيت بالفرنسية بمتحف ميونخ يونيو 1974

8 المقري (ت 1041هـ) : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، القاهرة 1949

9 ـــــ : روضة الآس العاطرة الأنفاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور الرباط 1983

10 احمد فكري (د.) : مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل، دار المعارف مصر 1961

11 الجاحظ : البيان والتبيين، دار الفكر للجميع 1968 ج 3

12 الزياني : الترجمانة الكبرى، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، مطبعة فضالة المحمدية 1967

13 السلاوي : (احمد بن خالد الناصري) : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدارالبيضاء 1955

14 العجلاوي الموساوي : عرض كتاب (مسألة النقود) تأليف عمر آفا، جريدة الاتحاد الاشتراكي عدد أسبوعي 88/8/21 و 88/8/28 الرباط

15 القشتالي : مناهل الصفا في أخبار ملوك الشرفا، تحقيق عبد الله كنون، تطوان 1964

16 القرطبي (ت 671هـ/1272م) : الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي

17 الوزاني : الخزف الآسفي، جريدة الأنباء الرباط 1976/1/2

18 اليفرني : نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق محمد حجي، مكتبة الطالب الرباط

19 جوميث مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا، تعريب لطفي عبد البديع والدكتور السيد سالم مصر 1968

20 دنييل أوسطاش : جامع الدراهم الادريسية والدراهم المعاصرة لها، بنك المغرب الرباط 1971

21 ـــــ : الجامع في المسكوكات العلوية، بنك المغرب الرباط 1988

22 زكي محمد حسن (د.) : فنون الاسلام، القاهرة 1948
23 صلاح العقاد (د.) : المغرب العربي، طبعة ثالثة 1969
24 عبد الجواد السقاط : الزاوية المغربية في العصر السعدي، دعوة الحق الرباط أبريل 1981 ص 78
25 عبد الرحمن الفاسي : منتخبات من نوادر المخطوطات، الخزانة العامة بالرباط، نشر بدعوة الحق مارس 1979 ومجلة المنهل الرباط مارس 1979
26 عبد الرحمن بن زيدان : الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس، الرباط 1937
27 عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية جزآن، الدارالبيضاء 1957
28 ـــــ : كيف بدأ التصنيع في المغرب، دعوة الحق سبتمبر/أكتوبر 1987 ص 91
29 ـــــ : القصبات والقلاع الاسماعيلية، دعوة الحق مارس 1988 ص 268
30 عبد القادر زمامة : فاس وصناعاتها التقليدية، فصله مجلة كلية الآداب فاس عددي 4 و5 لسنة 1981/80
31 عبد الكريم كريم (د.) : المغرب في عهد الدولة السعدية 1978
32 عبد الله كنون : النبوغ المغربي، بيروت 1961
33 عبد الهادي التازي (د.) : جامع القرويين، بيروت 1972 3 أجزاء
34 ـــــ : قصر البديع، الرباط 1977
35 ـــــ : مصحف الأمير مولاي علي، دعوة الحق الرباط مارس 1984
36 عبد الوهاب بن منصور : الحسن الثاني، حياته وجهاده ومنجزاته، الرباط 1969
37 ـــــ : مع جلالة الحسن الثاني في نواذيبو
38 ـــــ : انبعاث أمة، خطب وتصريحات وقرارات وندوات الحسن الثاني، المطبعة الملكية الرباط
39 ـــــ : قبائل المغرب ج 1 الرباط 1968
40 ـــــ : مع وفد المملكة المغربية في الكويت (المؤتمر الاسلامي) 1987
41 عثمان عثمان اسماعيل (د.) : تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ج 1 منذ ما قبل الاسلام إلى بداية ظهور المرابطين
42 ـــــ : ج 2 عصر المرابطين
43 ـــــ : ج 3 عصر الموحدين
44 ـــــ : ج 4 عصر المرينيين
45 ـــــ : الحياة الثقافية بالمغرب، نشر وزارة الاعلام الرباط 1979، الفصل المتعلق بالتنقيب عن آثار سجلماسة الموطن الأول للأشراف العلويين
46 ـــــ : فن الخزف المغربي في التراث الاسلامي، جريدة الأنباء 1975/12/22

47 ـــــ :الآثار الاسلامية في المغرب العربي وحرب المستشرقين، سلسلة نشرت تباعا بدعوة الحق الرباط من 1976
48 ـــــ : من تاريخ العمارة الدينية للأشراف السعديين، دعوة الحق مايو 1978 ص 70
49 ـــــ : من تاريخ العمارة الدينية للأشراف السعديين، أضرحة السعديين بمراكش دعوة الحق الرباط يونيو/يوليوز 1978 ص 79
50 ـــــ : مسجد ملينة والدراسة المقارنة مع مساجد العلويين بالرباط، مجلة الفنون الرباط أبريل/ مايو 1975 ص 38 + 14 لوحة وتصميم
51 ـــــ : أصحاب الميمنة أبطال الاسلام في المغرب، دار الكتاب الدارالبيضاء 1979
52 ـــــ : انتصار العمارة الاسلامية في عهد الحسن الثاني، الأنباء الرباط عدد خاص 3مارس 1975
53 ـــــ : النقوش العربية بضريح سيدي ابن صالح بمراكش، الأنباء الرباط عدد أسبوعي 1975/8/25
54 ـــــ : دفاعا عن الاسلام والمغرب والمنصور، دعوة الحق الرباط أبريل 1977
55 ـــــ : سلسلة (مشرق الحضارة بالمغرب) 20 حلقة بالميثاق الوطني الرباط 1982/81 السعديون والعلويون ابتداء من 10 يوليوز 1982
56 ـــــ : الزخرفة المعمارية بضريح محمد الخامس بالرباط سلسلة بدعوة الحق بالرباط
عدد 245 فبراير 1985 ص 100
عدد 247 أبريل 1985 ص 72
عدد 248 مايو 1985
عدد 249 يونيو 1985 ص 114
57 ـــــ : ضريح محمد الخامس المعلمة الحضارية لعصر الأشراف العلويين، دعوة الحق عدد 258 اغسطس 1986 ص 50
58 ـــــ : ضريح محمد الخامس بين المادة والروح، مجلة الفنون الرباط أكتوبر 74 ص 50
59 ـــــ : علم مولاي الحسن الأول، دعوة الحق يوليوز 1985 ص 18
60 ـــــ : تاريخ العمارة والفنون بالمغرب الأقصى، مجلة المنهل السعودية يوليو/اغسطس 85
61 ـــــ : الصناعات المعدنية في العصر العلوي (المد النبوي) مجلة المتحف العربي)، الكويت 1989
62 عزيز سلام : ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية، وزارة الأنباء الرباط
63 علال الفاسي : الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، القاهرة 1948
64 محمد آفا : مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، رسالة جامعية، جامعة اكادير 1988
65 مجلة الفنون الرباط : فن الخشب، يناير 1975
66 محسن المريني : تعريب مقال (الحلي المغربية)، مجلة الفنون الرباط نوفمبر 1973
67 محمد التازي : الزربية المغربية، مجلة الفنون الرباط ديسمبر 1973
68 محمد الفاسي (الأستاذ الرئيس) : الطراز الحسني، مقدمته بكتاب ضريح محمد الخامس تأليف فوطوان، 1976

69 ـــ : فلسفة سياسة الملوك العلويين، دعوة الحق أبريل 1982

واحصاء الأبحاث المنشورة بدعوة الحق مايو 1982 ص 114 لانتاجه بين 1952/39

70 محمد المعمري : حسن الوفا، المطبعة الملكية الرباط 1964

71 محمد المنوني : دليل القصبة الاسماعيلية، دعوة الحق فبراير/مارس،1967

72 ـــ : مظاهر يقظة المغرب الحديث 1973

73 ـــ : فاس معلمة، مجلة الفنون الرباط نوفمبر 1973

74 ـــ : فنون الخط على الورق، مجلة البحث العلمي الرباط أكتوبر 1971

75 ـــ : تاريخ المصحف الشريف بالمغرب، دعوة الحق يونيو/يوليوز 1981

76 ـــ : الوراقة المغربية، الدولة السعدية، مجلة البحث العلمي الرباط عدد 16 ص 37

الوراقة المغربية، العصر العلوي، دعوة الحق مارس 1975

تاريخ الخزائن الملكية، دعوة الحق ابريل 1983

الوراقة العلوية، اليزيد بن محمد، دعوة الحق يونيو 1982

الوراقة المغربية في عهد السلطان العلوي محمد الثالث، دعوة الحق مارس 1971

الوراقة المغربية من المائة الهجرية الثالثة عشرة، دعوة الحق مارس 1985

77 محمد بن عبد الله : النشاط المعماري للدولة المغربية في وقف وتشييد القناطر والجسور دعوة الحق مارس 1988 ص 174، السعديون والعلويون ص 184

78 محمد حجي : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ج 1 1976

79 ـــ : المؤسسة الدينية بالمغرب في القرنين السادس عشر والسابع شر، مجلة المنهل الرباط يوليوز 1980

80 محمد حصيف : مدرسة ابن يوسف بمراكش، مجلة المتحف العربي الكويت مارس 1988

81 محمد رزوق (د.) : الجهاد الحربي في عهد سيدي محمد بن عبد الله، دعوة الحق أبريل 1989

82 محمد رشيد ملين : نضال ملك جزءان

83 مفدى زكريا (شاعر الثورة الجزائرية الملقب ابن تومرت) : اللهب المقدس

84 وزارة الأشغال العمومية المملكة المغربية : السدود الكبرى بالمغرب ديسمبر 1973

وسلسلة السدود لنفس الوزارة

85 وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بالمملكة المغربية : عشر سنوات من المنجزات الثقافية في عهد الحسن الثاني من 1961 إلى 1971

المراجع الأجنبية

86 BARRUCAND (M.) : Structures et décors des charpentes Alaouides à partir d'exemples de Meknès, B.A.M. TXI 1978 P. 115-149+21 fig.

87 Bel (Alfred) : Note sur un modd En-Nbi de tlemcen, dans la revue Africaine, Alger 1905 n 257 pp. 231-235

88 ------ : Note sur trois anciens vases de cuivre gravés trouvés à Fès, Bull. Archéol. Paris 1917, pp. 359

89 ------ : Coudée Royale, Journal Asiatique, Mars/Avril 1917 T.X

90 BERTHIER (P.) : Les anciennes Sucreries au Maroc, Rabat 1960

91 BRETHES(J.D.) : Contribution du Maroc par les recherches Numismatiques

92 CAILLE (J.) : La ville de Rabat jusqu'au Protectorat Français 3V, Paris 1949

93 COMPARDOU et H. TERRASSE : Le Bastion de Taza, Archive Bèrbères 1918, p. 109

94 CRESWELL (K.A.C.) : A Short account of Early Muslim architecture (Penguin books) first published 1958

95 DEVERDUN (G.) : Les inscriptions Arabes de Marrakech Rabat 1956

96 ------ : Nouvelle Inscriptions Arabes à Marrakech, Hesp.T XXXIV 1947, 3et4 tri.P.455-59

97 EUSTACHES (Daniel) : Corpus des dirhams Idrisites et contemporains, Rabat 1971

98 ------ : Corpus des monnaies Alawites Rabats 1988

99 GABRIELL ROUSSEAU : Le Mausolée des Princes Saadiens à Marrakech 2 Vol. Paris 1925

100 JOLY (A.) : Tetouan, Archives Marocaines, IV, 1905 P.241

101 KUHNEL (Ernest) : Mawrische Kunst, Berlin 1924

102 KUHNEL (Ernest) : Vom Maurischen Ornament 1924

103 MARCAIS (G.) : L'architecture Musulmane d'Occidents Paris 1955

104 ------ : L'Art de l'Islam, Paris 1946

105 Maslow (B.) : les Mosquées de Fès et du Nord du Maroc Publ. de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines T. XXX, 1934

106 Revue France-Maroc : Une Ambassade Portugaise à la Cour de Marrakech, n 97 Decembre 1924

107 RICARD (P.) : Pour comprendre l'Art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne, Paris 1924

108 PAUL PASCON : Description des Mudd et SÃe Maghrébins, Hesperis Tamuda 1975 T. XVI, p. 25

109 SEFRIOUI (A.) : L'Artisanat Marocain, Annuaire de l'Afrique du Nord T XII 1973 Extrait 1975, p.181/191

110 TERRASSE (H.) et Jean HAINANT : Les Arts décoratifs au Maroc Paris 1925

111 TERRASSE (H.) : La Mosquée des Andalous à Fès, Paris 1942

112 ------ : L'Art Hispano-Mauresque, Paris 1932

113 VO TOAN : Le Mausolée Mohammed V Casablanca Janvier 1976

114 WIET (G.) : Catalogue Générale de Musée Arabe du Caire (objet en cuivre), le Caire, p.22/86 1932

معالم وتطور العمارة الإسلامية بإمارات ودول المغرب العربي وإسبانيا المسلمة

المغرب الأدنى إفريقية تونس	المغرب الأوسط (الشرقي) قسنطينة	المغرب الأوسط (الغربي) الجزائر وهران تلمسان	المغرب الأقصى	إسبانيا المسلمة
تأسيس المسجد الجامع بالقيروان تأسيس ضريح سيدي عقبة بن نافع جامع الزيتونة بتونس	**الفتح الإسلامي عصر القادة الفاتحين وعصر الولاة التابعين للخليفة الأموي بدمشق ثم العباسي ببغداد**			
بنو الأغلب عمران القيروان وتوسعة مسجدها الجامع وتأسيس العباسية ورقادة ومدينة سوسة	**الخوارج الرستميون (أباضية)** تأسيس تاهرت، بناء سدراتة	**بنو مدرار** خوارج بناء سجلماسة	**دولة الأشراف الأدارسة** تأسيس مدينة فاس بعدوتيها وجامعيها القرويين والأندلس. تأسيس مسجد شالة العتيق بعد تقسيم المملكة في عهد الإمام محمد بن المولى إدريس الثاني (1).	**الأمويون الغربيون** إمارة عبد الرحمن الداخل ثم خلافة قرطبة ثم دولة تابعهم الحاجب المنصور بن أبي عامر، قرطبة وجامعها ومدينة الزهراء.
العبيديون الفواطم بناء المهدية وجامعها والأسوار المسيلة		**زناتة** بناء افكان	**الزناتيون : المغراويون والمكاسيون وبنو يفرن** تأسيس مدينة وجدة، عمارة مسجد شالة العتيق وبناء صومعته (2)	**عصر ملوك الطوائف** قصر الجعفرية بسرقسطة وعمارة بني هود بطليطلة وآثار بني عباد بإشبيلية
بنو زيري (صنهاجة) تأسيس مدينة أشير	**بنو حماد (صنهاجة)** بناء القلعة ودار البحر الحمادي ومسجد القلعة ومنارها تأسيس مدينة بجاية	**المرابطون (صنهاجة)** مسجد جزائر بني مزغنة مسجدا ندرومة وتلمسان الأعظم	توسعة جامع القرويين وعمارته العامة النهائية	
النورماند عمارة وفنون صقلية	**الموحدون (امبراطورية تضم دول المغرب العربي والأندلس)**		تأسيس جامع تينمل، جامع الكتبية بمراكش ومناره، قصبة مراكش وجامعها ومناره، تأسيس قصبة المهدية نواة رباط الفتح، مسجد حسان ومناره، تأسيس مدينة رباط الفتح، أسوار وأبواب تاريخية شهيرة بالعمارة الإسلامية : كباب أجناو بمراكش وأبواب الرواح والوداية وباب العلو وباب الأحد برباط الفتح.	جامع قصبة اشبيلية ومناره (الجيرالدا) أبراج وأسوار وحصون
الحفصيون قصور ومساجد ومدارس ودور لسك العملة	**بنو زيان (بنو عبد الواد ملوك تلمسان)**	مسجد بلحسن بتلمسان وصومعة المسجد المرابطي الأعظم بتلمسان	**بنو مرين الزناتيون ورثة الموحدين** مدارس فاس ومكناس وسلا ومراكش، تأسيس فاس الجديد أسوار وقباب شالة وتوسيع مسجد الأدارسة بها وبناء زاوية أبي سعيد وزاوية المدخل بشالة (3) تأسيس مدن وصوامع وإقرار معالم الطراز المغربي الأندلسي بالمملكة المغربية إلى اليوم.	**بنو نصر (بنو الأحمر)** قصر الحمراء بجميع مرافقه بغرناطة
نيابات (ولايات) العصر العثماني عهد البيلربكوات الدايات الباشوات مساجد وقصور	مساجد وقصور قسنطينة	مساجد وقصور الجزائر	**الوطاسيون أتباع المرينيين** **الأشراف السعديون** قبور الأشراف السعديين بمراكش وقصر البديع بمجزاته العلمية بها، مساجد كثيرة (بمراكش وفاس) وقصور ومصانع للسكر	نهاية عصر إمارات ودول المسلمين وبداية حكم النصارى (نهاية نشاط الطراز المغربي الأندلسي) وبداية ظهور طراز المدجنين
الاستعمار الفرنسي منشآت عصرية			**الأشراف العلويون** قصور ومساجد ومؤسسات وأسوار مكناس (الإسماعيلية) قصبة مهدية سبو، فنادق فاس ومساجدها العلوية ومساجد مراكش ورباط الفتح كجامع السنة وجامع مولاي سليمان والجامع الكبير، قصر الباهية بمراكش. **الحماية الفرنسية (لم تشيد ما شيدته بقية شمال إفريقيا)**	
الجمهورية التونسية منشآت عصرية	**الجمهورية الجزائرية** منشآت عصرية		**المملكة المغربية** عصر الاستقلال والانبعاث (دولة محمد الخامس والحسن الثاني) شيدت المملكة مجموعة سدود تاريخية وفريدة، دار السلام وقصور الرباط، تأسيس مساجد ومدن وموانئ جديدة ومؤسسات عصرية وجامعات، تشييد الحسن الثاني لضريح محمد الخامس بالرباط العمل الفني النموذجي لعصر الأشراف العلويين. مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء.	

خريطة تطور أشهر معالم العمارة الإسلامية بالغرب الإسلامي دون التقيد بمقياس رسم معين لمدد سنوات الحكم المعاصرة فيما بينها

(1) بعد اكتشافاتنا الأثرية، كتابنا تاريخ شالة الإسلامية وكتابنا حفائر شالة الإسلامية وكتاب الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى

(2) بعد اكتشافاتنا الأثرية، كتابنا تاريخ شالة الإسلامية وكتابنا حفائر شالة الإسلامية وكتاب الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى

(3) بعد اكتشافاتنا الأثرية، كتابنا تاريخ شالة الإسلامية وكتابنا حفائر شالة الإسلامية وكتاب الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى

دليل مقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1	16 يوليوز 622	35	11 يوليوز 655	69	6 يونيو 688	103	1 يوليوز 721
2	5 يوليوز 623	36	30 يونيو 656	70	25 يونيو 689	104	21 يونيو 722
3	24 يونيو 624	37	19 يونيو 657	71	15 يونيو 690	105	10 يونيو 723
4	13 يونيو 625	38	9 يونيو 658	72	4 يونيو 691	106	29 مايو 724
5	2 يونيو 626	39	29 مايو 659	73	23 مايو 692	107	19 مايو 725
6	23 مايو 627	40	17 مايو 660	74	13 مايو 693	108	8 مايو 726
7	11 مايو 628	41	7 مايو 661	75	2 مايو 694	109	27 أبريل 727
8	1 مايو 629	42	26 أبريل 662	76	21 أبريل 695	110	16 أبريل 728
9	20 أبريل 630	43	15 أبريل 663	77	10 أبريل 696	111	5 أبريل 729
10	9 أبريل 631	44	4 أبريل 664	78	30 مارس 697	112	26 مارس 730
11	29 مارس 632	45	24 مارس 665	79	20 مارس 698	113	15 مارس 731
12	18 مارس 633	46	13 مارس 666	80	9 مارس 699	114	3 مارس 732
13	7 مارس 634	47	3 مارس 667	81	26 فبراير 700	115	21 فبراير 733
14	25 فبراير 635	48	20 فبراير 668	82	15 فبراير 701	116	10 فبراير 734
15	14 فبراير 636	49	9 فبراير 669	83	4 فبراير 702	117	31 يناير 735
16	2 فبراير 637	50	29 فبراير 670	84	24 يناير 703	118	20 يناير 736
17	23 يناير 638	51	18 يناير 671	85	14 يناير 704	119	8 يناير 737
18	12 يناير 639	52	8 يناير 672	86	2 يناير 705	120	29 ديسمبر 737
19	2 يناير 640	53	27 يناير 672	87	13 ديسمبر 706	121	18 ديسمبر 738
20	21 ديسمبر 640	54	16 ديسمبر 673	88	12 ديسمبر 707	122	7 ديسمبر 739
21	10 ديسمبر 641	55	6 ديسمبر 674	89	1 ديسمبر 708	123	26 نوفمبر 740
22	30 نوفمبر 642	56	25 نوفمبر 675	90	20 نوفمبر 709	124	15 نوفمبر 741
23	1 نوفمبر 643	57	14 نوفمبر 676	91	9 نوفمبر 709	125	4 نوفمبر 742
24	7 نوفمبر 644	58	3 نوفمبر 677	92	29 أكتوبر 710	126	25 أكتوبر 743
25	28 أكتوبر 645	59	23 أكتوبر 678	93	19 أكتوبر 711	127	13 أكتوبر 744
26	17 أكتوبر 646	60	13 أكتوبر 679	94	7 أكتوبر 712	128	3 أكتوبر 745
27	7 أكتوبر 647	61	1 أكتوبر 680	95	26 سبتمبر 713	129	22 سبتمبر 746
28	25 سبتمبر 648	62	20 سبتمبر 681	96	16 سبتمبر 714	130	11 سبتمبر 747
29	14 سبتمبر 649	63	10 سبتمبر 682	97	5 سبتمبر 715	131	31 سبتمبر 748
30	4 سبتمبر 650	64	30 اغسطس 683	98	25 اغسطس 716	132	20 اغسطس 749
31	24 اغسطس 651	65	18 اغسطس 684	99	14 اغسطس 717	133	9 أغسطس 750
32	2 اغسطس 652	66	8 اغسطس 685	100	3 اغسطس 718	134	30 أغسطس 751
33	2 اغسطس 653	67	28 يونيو 686	101	24 يوليوز 719	135	18 يوليو 752
34	22 يوليوز 654	68	18 يونيو 687	102	12 يوليوز 720	136	7 يوليو 753

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
137	27 يوليو 754	174	20 مايو 790	212	2 أبريل 827	249	24 فبراير 863
138	16 يونيو 755	175	10 مايو 791	213	22 مارس 828	250	13 فبراير 864
139	5 يونيو 756	176	28 مايو 792	214	11 مارس 829	251	2 فبراير 865
140	25 مايو 757	177	18 أبريل 793	215	25 فبراير 830	252	22 يناير 866
141	14 مايو 758	178	7 أبريل 794	216	18 فبراير 831	253	11 يناير 867
142	4 مايو 759	179	27 مارس 795	217	7 فبراير 832	254	1 يناير 868
143	22 أبريل 760	180	16 مارس 796	218	27 يناير 833	255	20 ديسمبر 868
144	11 أبريل 761	181	5 مارس 797	219	16 يناير 834	256	9 ديسمبر 869
145	1 أبريل 762	182	22 فبراير 798	220	5 يناير 835	257	29 نوفمبر 870
146	21 مارس 763	183	12 فبراير 799	221	26 ديسمبر 836	258	18 نوفمبر 871
147	10 مارس 764	184	1 فبراير 800	222	14 ديسمبر 836	259	7 نوفمبر 872
148	27 فبراير 765	185	20 يناير 801	223	3 ديسمبر 837	260	27 أكتوبر 873
149	16 فبراير 766	186	10 يناير 802	224	23 نوفمبر 838	261	16 أكتوبر 874
150	6 يناير 767	187	30 ديسمبر 802	225	12 نوفمبر 839	262	6 أكتوبر 875
151	26 يناير 768	188	20 ديسمبر 803	226	31 أكتوبر 840	263	24 سبتمبر 876
152	14 يناير 769	189	8 ديسمبر 804	227	20 أكتوبر 841	264	13 سبتمبر 877
153	4 يناير 770	190	27 نوفمبر 805	228	10 أكتوبر 842	265	3 سبتمبر 878
154	24 ديسمبر 770	191 192	17 نوفمبر 806 6 نوفمبر 807	229	30 سبتمبر 843	266	23 أغسطس 879
155	13 ديسمبر 771	193	25 أكتوبر 808	230	18 سبتمبر 844	267	12 أغسطس 880
156	2 ديسمبر 772	194	15 أكتوبر 809	231	7 سبتمبر 845	268	1 أغسطس 881
157	21 نوفمبر 773	195	4 أكتوبر 810	232	28 أغسطس 846	269	21 يوليو 882
158	11 نوفمبر 774	196	23 سبتمبر 811	233	17 أغسطس 847	270	11 يونيو 883
159	31 أكتوبر 775	197	12 سبتمبر 812	234	5 أغسطس 848	271	29 يونيو 884
160	19 أكتوبر 776	198	1 سبتمبر 813	235	26 يوليوز 849	272	18 يونيو 885
161	9 أكتوبر 777	199	22 أغسطس 814	236	15 يوليوز 850	273	8 يونيو 886
162	28 سبتمبر 778	200	11 أغسطس 815	237	5 يوليوز 851	274	28 ماي 887
163	17 سبتمبر 779	201	30 يوليوز 816	238	23 يونيو 852	275	16 ماي 888
164	6 سبتمبر 780	202	20 يوليوز 817	239	12 يونيو 853	276	6 ماي 889
165	26 أغسطس 781	203	9 يوليوز 818	240	2 يونيو 854	277	25 أبريل 890
166	15 أغسطس 782	204	28 يونيو 819	241	22 ماي 855	278	15 أبريل 891
167	5 أغسطس 783	205	17 يونيو 820	242	10 ماي 856	279	3 أبريل 892
168	24 يوليو 784	206	6 يونيو 821	243	30 أبريل 857	280	23 مارس 893
169	14 يوليو 785	207	27 مايو 822	244	19 أبريل 858	281	13 مارس 894
170	3 يوليو 786	208	16 مايو 823	245	8 أبريل 859	282	2 مارس 895
171	22 يونيو 787	209	4 مايو 824	246	28 مارس 860	283	19 فبراير 896
172	11 يونيو 788	210	24 أبريل 825	247	17 مارس 861	284	8 فبراير 897
173	11 مايو 789	211	13 أبريل 826	248	7 مارس 862	285	28 يناير 898

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
286	17 يناير 899	324	30 نوفمبر 935	362	12 أكتوبر 972	400	25 أغسطس 1009
287	7 يناير 900	325	19 نوفمبر 936	363	2 أكتوبر 973	401	15 أغسطس 1010
288	26 ديسمبر 900	326	8 نوفمبر 937	364	21 سبتمبر 974	402	4 أغسطس 1011
289	16 ديسمبر 901	327	29 أكتوبر 938	365	10 سبتمبر 975	403	23 يوليوز 1012
290	5 ديسمبر 902	328	18 أكتوبر 939	366	30 أغسطس 976	404	13 يوليو 1013
291	24 نوفمبر 903	329	6 أكتوبر 940	367	19 أغسطس 977	405	3 يوليو 1014
292	13 نوفمبر 904	330	26 سبتمبر 941	368	9 أغسطس 978	406	21 يونيو 1015
293	2 نوفمبر 905	331	15 سبتمبر 942	369	29 يوليو 979	407	10 يونيو 1016
294	22 أكتوبر 906	332	4 سبتمبر 943	370	17 يوليو 980	408	30 ماي 1017
295	12 أكتوبر 907	333	24 أغسطس 944	371	7 يوليو 981	409	20 ماي 1018
296	30 سبتمبر 908	234	13 أغسطس 945	372	26 يونيو 982	410	9 ماي 1019
297	20 سبتمبر 909	335	2 أغسطس 946	373	15 يونيو 983	411	27 أبريل 1020
298	9 سبتمبر 910	336	23 يوليوز 947	374	4 يونيو 984	412	17 أبريل 1021
299	29 أغسطس 911	337	11 يوليو 948	375	24 ماي 985	413	6 أبريل 1022
300	18 أغسطس 912	338	1 يوليو 949	376	13 ماي 986	414	26 مارس 1023
301	7 أغسطس 913	339	20 يونيو 950	377	3 ماي 987	415	15 مارس 1024
302	27 يوليوز 914	340	9 يونيو 951	378	21 أبريل 988	416	4 مارس 1025
303	17 يوليوز 915	341	29 مايو 952	379	11 أبريل 989	417	22 فبراير 1026
304	5 يوليوز 916	342	18 مايو 953	380	31 أبريل 990	418	11 فبراير 1027
305	24 يونيو 917	343	7 مايو 954	381	20 مارس 991	419	31 يناير 1028
306	14 يونيو 918	344	27 أبريل 955	382	9 مارس 992	420	20 يناير 1029
307	3 يونيو 919	345	15 أبريل 956	383	26 فبراير 993	421	9 يناير 1030
308	23 مايو 920	346	4 أبريل 957	384	15 فبراير 994	422	29 ديسمبر 1030
309	12 مايو 921	347	25 مارس 958	385	5 فبراير 995	423	19 ديسمبر 1031
310	1 مايو 922	348	14 مارس 959	386	25 فبراير 996	424	7 ديسمبر 1032
311	21 أبريل 923	349	3 مارس 960	387	14 يناير 997	425	26 نوفمبر 1033
312	9 أبريل 924	350	20 فبراير 961	388	3 يناير 998	426	16 نوفمبر 1034
313	29 مارس 925	351	9 فبراير 962	389	23 ديسمبر 998	427	5 نوفمبر 1035
314	19 مارس 926	352	30 يناير 963	390	13 ديسمبر 999	428	25 أكتوبر 1036
315	8 مارس 927	353	19 يناير 964	391	1 ديسمبر 1000	429	14 أكتوبر 1037
316	25 فبراير 928	354	7 يناير 965	392	20 نوفمبر 1001	430	3 أكتوبر 1038
317	14 فبراير 929	355	28 ديسمبر 965	393	10 نوفمبر 1002	431	23 سبتمبر 1039
318	3 فبراير 930	356	17 ديسمبر 966	394	30 أكتوبر 1003	432	11 سبتمبر 1040
319	24 يناير 931	357	7 ديسمبر 967	395	18 أكتوبر 1004	433	31 أغسطس 1041
320	13 يناير 932	358	25 نوفمبر 968	396	8 أكتوبر 1005	434	21 أغسطس 1042
321	1 يناير 933	359	14 نوفمبر 969	397	27 سبتمبر 1006	435	10 أغسطس 1043
322	22 ديسمبر 933	360	2 نوفمبر 970	298	17 سبتمبر 1007	436	29 يوليو 1044
323	11 ديسمبر 934	361	24 أكتوبر 971	399	5 سبتمبر 1008	437	19 يوليو 1045

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
438	8 يوليو 1046	478	29 أبريل 1085	518	19 فبراير 1124	558	10 ديسمبر 1162
439	28 يونيو 1047	479	18 أبريل 1086	519	7 فبراير 1125	559	30 نوفمبر 1163
440	16 يونيو 1048	480	8 أبريل 1087	520	27 يناير 1126	560	18 نوفمبر 1164
441	5 يونيو 1049	481	27 مارس 1088	521	17 يناير 1127	561	7 نوفمبر 1165
442	26 مايو 1050	482	16 مارس 1089	522	6 يناير 1128	562	28 أكتوبر 1166
443	15 مايو 1051	483	6 مارس 1090	523	25 ديسمبر 1128	563	17 أكتوبر 1167
444	3 مايو 1052	484	23 فبراير 1091	524	15 ديسمبر 1129	564	5 أكتوبر 1168
445	23 أبريل 1053	485	12 فبراير 1092	525	4 ديسمبر 1130	565	25 سبتمبر 1169
446	12 أبريل 1054	486	1 فبراير 1093	526	23 نوفمبر 1131	566	14 سبتمبر 1170
447	2 أبريل 1055	487	21 يناير 1094	527	12 نوفمبر 1132	567	4 سبتمبر 1171
448	21 مارس 1056	488	11 يناير 1095	528	1 نوفمبر 1133	568	23 أغسطس 1172
449	10 مارس 1057	489	31 ديسمبر 1095	529	22 أكتوبر 1134	569	12 أغسطس 1173
450	28 فبراير 1058	490	19 ديسمبر 1096	530	11 أكتوبر 1135	570	2 أغسطس 1174
451	17 فبراير 1059	491	9 ديسمبر 1097	531	29 سبتمبر 1136	571	22 يوليو 1175
452	6 فبراير 1060	492	28 نوفمبر 1098	532	19 سبتمبر 1137	572	10 يوليو 1176
453	26 يناير 1061	493	17 نوفمبر 1099	533	8 سبتمبر 1138	573	30 يوليو 1177
454	15 يناير 1062	494	6 نوفمبر 1100	534	28 أغسطس 1139	574	19 يونيو 1178
455	4 يناير 1063	495	26 أكتوبر 1101	535	17 أغسطس 1140	575	8 يونيو 1179
456	25 ديسمبر 1063	496	15 أكتوبر 1102	536	6 أغسطس 1141	576	28 مايو 1180
457	13 ديسمبر 1064	497	5 أكتوبر 1103	537	27 يوليو 1142	577	17 مايو 1181
458	3 ديسمبر 1065	498	23 سبتمبر 1104	538	16 يوليو 1143	578	7 مايو 1182
459	22 نوفمبر 1066	499	13 سبتمبر 1105	539	4 يوليو 1144	579	26 أبريل 1183
460	11 نوفمبر 1067	500	2 سبتمبر 1106	540	24 يونيو 1145	580	14 أبريل 1184
461	31 أكتوبر 1068	501	22 اغسطس 1107	541	13 يونيو 1146	581	4 أبريل 1185
462	20 أكتوبر 1069	502	11 أغسطس 1108	542	2 يونيو 1147	582	24 مارس 1186
463	9 أكتوبر 1070	503	31 يوليو 1109	543	22 مايو 1148	583	13 مارس 1187
464	29 سبتمبر 1071	504	20 يوليو 1110	544	11 مايو 1149	584	2 مارس 1188
465	17 سبتمبر 1072	505	10 يوليو 1111	545	30 أبريل 1150	585	19 فبراير 1189
466	6 سبتمبر 1073	506	28 يونيو 1112	546	20 أبريل 1151	586	8 فبراير 1190
467	27 أغسطس 1074	507	18 يونيو 1113	547	8 أبريل 1152	587	29 يناير 1191
468	16 أغسطس 1075	508	7 يونيو 1114	548	27 مارس 1153	588	18 يناير 1192
469	5 أغسطس 1076	509	27 مايو 1115	549	18 مارس 1154	589	7 يناير 1193
470	25 يوليو 1077	510	16 مايو 1116	550	7 مارس 1155	590	27 ديسمبر 1193
471	14 يوليو 1078	511	5 مايو 1117	551	25 فبراير 1156	591	16 ديسمبر 1194
472	4 يوليو 1079	512	24 أبريل 1118	552	13 فبراير 1157	592	6 ديسمبر 1195
473	22 يونيو 1080	513	14 أبريل 1119	553	2 فبراير 1158	593	24 نوفمبر 1196
474	11 يونيو 1081	514	2 أبريل 1120	554	23 يناير 1159	594	13 نوفمبر 1197
475	1 يونيو 1082	515	22 مارس 1121	555	12 يناير 1160	595	3 نوفمبر 1198
476	21 مايو 1083	516	12 مارس 1122	556	31 ديسمبر 1160	596	23 أكتوبر 1199
477	10 مايو 1084	517	1 مارس 1123	557	21 ديسمبر 1161	597	12 أكتوبر 1200

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
598	1 أكتوبر 1201	636	14 أغسطس 1238	674	27 يونيو 1275	712	9 مايو 1312
599	20 سبتمبر 1202	637	3 أغسطس 1239	675	15 يونيو 1276	713	28 أبريل 1313
600	10 سبتمبر 1203	638	23 يوليو 1240	676	4 يونيو 1277	714	17 أبريل 1314
601	29 أغسطس 1204	639	12 يوليو 1241	677	25 مايو 1278	715	7 أبريل 1315
602	18 أغسطس 1205	640	1 يوليو 1242	678	14 مايو 1279	716	26 مارس 1316
603	8 أغسطس 1206	641	21 يونيو 1243	679	3 مايو 1280	717	16 مارس 1317
604	28 يوليو 1207	642	9 يونيو 1244	680	22 أبريل 1281	718	5 مارس 1318
605	16 يوليو 1208	643	29 مايو 1245	681	11 أبريل 1282	719	22 فبراير 1319
606	6 يوليو 1209	644	19 مايو 1246	682	1 أبريل 1283	720	12 فبراير 1320
607	25 يونيو 1210	645	8 مايو 1247	683	20 مارس 1284	721	31 يناير 1321
608	15 يونيو 1211	646	26 أبريل 1248	684	9 مارس 1285	722	20 يناير 1322
609	3 يونيو 1212	647	16 أبريل 1249	685	27 فبراير 1286	723	10 يناير 1323
610	23 مايو 1213	648	5 أبريل 1250	686	16 فبراير 1287	724	30 ديسمبر 1323
611	13 مايو 1214	649	26 مارس 1251	687	6 فبراير 1288	725	8 ديسمبر 1324
612	2 مايو 1215	650	14 مارس 1252	688	25 يناير 1289	726	8 ديسمبر 1325
613	20 أبريل 1216	651	3 مارس 1253	689	14 يناير 1290	727	27 نوفمبر 1326
614	10 أبريل 1217	652	21 فبراير 1254	690	4 يناير 1291	728	17 نوفمبر 1327
615	30 مارس 1218	653	10 فبراير 1255	691	24 يناير 1291	729	5 نوفمبر 1328
616	19 مارس 1219	654	30 يناير 1256	692	12 سبتمبر 1292	730	25 أكتوبر 1329
617	8 مارس 1220	655	19 يناير 1257	693	2 ديسمبر 1293	731	15 أكتوبر 1330
618	25 فبراير 1221	656	8 يناير 1258	694	21 نوفمبر 1294	732	4 أكتوبر 1331
619	15 فبراير 1222	657	29 ديسمبر 1258	695	10 نوفمبر 1295	733	22 سبتمبر 1332
620	4 فبراير 1223	658	18 ديسمبر 1259	696	30 أكتوبر 1296	734	12 سبتمبر 1333
621	24 يناير 1224	659	6 ديسمبر 1260	697	19 أكتوبر 1297	735	1 سبتمبر 1334
622	13 يناير 1225	660	26 نوفمبر 1261	698	9 أكتوبر 1298	736	21 أغسطس 1335
623	2 يناير 1226	661	15 نوفمبر 1262	699	28 سبتمبر 1299	737	10 أغسطس 1336
624	22 ديسمبر 1226	662	4 نوفمبر 1263	700	16 سبتمبر 1300	738	30 يوليو 1337
625	12 ديسمبر 1227	663	24 أكتوبر 1264	701	5 سبتمبر 1301	739	20 يوليو 1338
626	30 نوفمبر 1228	664	13 أكتوبر 1265	702	26 أغسطس 1302	740	9 يوليو 1339
627	20 نوفمبر 1229	665	2 أكتوبر 1266	703	15 أغسطس 1303	741	27 يونيو 1340
628	9 نوفمبر 1230	666	22 سبتمبر 1267	704	4 أغسطس 1304	742	17 يونيو 1341
629	29 أكتوبر 1231	667	10 سبتمبر 1268	705	24 يوليو 1305	743	6 يونيو 1342
630	18 أكتوبر 1232	668	31 أغسطس 1269	706	13 يوليو 1306	744	26 مايو 1343
631	7 أكتوبر 1233	669	20 أغسطس 1270	707	3 يوليو 1307	745	15 مايو 1344
632	26 سبتمبر 1234	670	9 أغسطس 1271	708	21 يونيو 1308	746	4 مايو 1345
633	16 سبتمبر 1235	671	29 يوليو 1272	709	11 يونيو 1309	747	24 أبريل 1346
634	4 سبتمبر 1236	672	18 يوليو 1273	710	31 مايو 1310	748	13 أبريل 1347
635	24 أغسطس 1237	673	7 يوليو 1274	711	20 مايو 1311	749	1 أبريل 1348

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
750	22 مارس 1349	788	2 فبراير 1386	826	15 ديسيمبر 1422	864	28 أكتوبر 1459
751	11 مارس 1350	789	22 يناير 1387	827	5 ديسمبر 1423	865	17 أكتوبر 1460
752	28 فبراير 1351	790	11 يناير 1388	828	23 نوفمبر 1424	866	6 أكتوبر 1461
753	18 فبراير 1352	791	31 ديسمبر 1388	829	13 نوفمبر 1425	867	2 سبتمبر 1462
754	6 فبراير 1353	792	20 ديسمبر 1389	830	2 نوفمبر 1426	868	5 سبتمبر 1463
755	26 يناير 1354	793	9 ديسمبر 1390	831	22 أكتوبر 1427	869	3 سبتمبر 1464
756	16 يناير 1355	794	29 نوفمبر 1391	832	11 أكتوبر 1428	870	24 أغسطس 1465
757	5 يناير 1356	795	17 نوفمبر 1392	833	30 سبتمبر 1429	871	13 أغسطس 1466
758	25 ديسمبر 1356	796	6 نوفمبر 1393	834	19 سبتمبر 1430	872	2 أغسطس 1467
759	15 ديسمبر 1357	797	27 أكتوبر 1394	835	9 سبتمبر 1431	873	22 يوليو 1468
760	3 ديسمبر 1358	798	16 أكتوبر 1395	836	28 أغسطس 1432	874	11 يوليو 1469
761	23 نوفمبر 1359	799	5 أكتوبر 1396	837	18 أغسطس 1433	875	30 يونيو 1470
762	11 نوفمبر 1360	800	24 سبتمبر 1397	838	7 أغسطس 1434	876	20 يونيو 1471
763	31 أكتوبر 1361	801	13 سبتمبر 1398	839	27 يوليو 1435	877	8 يونيو 1472
764	21 أكتوبر 1362	802	3 سبتمبر 1399	840	16 يوليو 1436	878	29 مايو 1473
765	10 أكتوبر 1363	803	22 أغسطس 1400	841	5 يوليو 1437	879	18 مايو 1474
766	28 سبتمبر 1364	804	11 أغسطس 1401	842	24 يونيو 1438	880	7 مايو 1475
767	18 سبتمبر 1365	805	1 أغسطس 1402	843	14 يونيو 1439	881	26 أبريل 1476
768	7 سبتمبر 1366	806	21 يوليو 1403	844	2 يونيو 1440	882	15 أبريل 1477
769	28 أغسطس 1367	807	10 يوليو 1404	845	22 مايو 1441	883	4 أبريل 1478
770	16 أغسطس 1368	808	29 يونيو 1405	846	12 مايو 1442	884	25 مارس 1479
771	5 أغسطس 1369	809	18 يونيو 1406	847	1 مايو 1443	885	13 مارس 1480
772	26 يوليو 1370	810	8 يونيو 1407	848	20 أبريل 1444	886	2 مارس 1481
773	15 يوليو 1371	811	27 مايو 1408	849	9 أبريل 1445	887	20 فبراير 1482
774	3 يوليو 1372	812	16 مايو 1409	850	29 مارس 1446	888	9 فبراير 1483
775	23 يونيو 1373	813	6 مايو 1410	851	19 مارس 1447	889	30 يناير 1484
776	12 يونيو 1374	814	25 أبريل 1411	852	7 مارس 1447	890	18 يناير 1485
777	2 يونيو 1375	815	13 أبريل 1412	853	24 فبراير 1449	891	7 يناير 1486
778	21 مايو 1376	816	3 أبريل 1413	854	14 فبراير 1450	892	28 ديسمبر 1486
779	10 مايو 1377	817	23 مارس 1414	855	3 فبراير 1451	893	17 ديسمبر 1487
780	30 أبريل 1378	818	13 مارس 1415	856	23 يناير 1452	894	5 ديسمبر 1488
781	19 أبريل 1379	819	1 مارس 1416	857	12 يناير 1453	895	25 نوفمبر 1489
782	7 أبريل 1380	820	18 فبراير 1417	858	1 يناير 1454	896	14 نوفمبر 1490
783	28 مارس 1381	821	8 فبراير 1418	859	22 ديسمبر 1454	897	4 نوفمبر 1491
784	17 مارس 1382	822	28 يناير 1419	860	11 ديسمبر 1455	898	23 أكتوبر 1492
785	6 مارس 1383	823	17 يناير 1420	861	29 نوفمبر 1456	899	12 أكتوبر 1493
786	24 فبراير 1384	824	6 يناير 1421	862	19 نوفمبر 1457	900	2 أكتوبر 1494
787	12 فبراير 1385	825	26 ديسمبر 1421	863	8 نوفمبر 1458	901	21 سبتمبر 1495

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
902	9 سبتمبر 1496	940	23 يوليو 1533	978	5 يونيو 1570	1016	28 أبريل 1607
903	30 أغسطس 1497	941	13 يوليو 1534	979	26 مايو 1571	1017	17 أبريل 1608
904	19 أغسطس 1498	942	2 يوليو 1535	980	14 مايو 1572	1018	16 أبريل 1609
905	8 أغسطس 1499	943	20 يونيو 1536	981	3 مايو 1573	1019	26 مارس 1610
906	28 يوليو 1500	944	10 يونيو 1537	982	23 أبريل 1574	1020	16 مارس 1611
907	17 يوليو 1501	945	30 مايو 1538	983	12 أبريل 1575	1021	4 مارس 1612
908	7 يوليو 1502	946	19 مايو 1539	984	31 مارس 1576	1022	21 فبراير 1613
909	26 يونيو 1503	947	8 مايو 1540	985	21 مارس 1577	1023	11 فبراير 1614
910	14 يونيو 1504	948	27 أبريل 1541	986	10 مارس 1578	1024	31 يناير 1615
911	4 يونيو 1505	949	17 أبريل 1542	987	28 فبراير 1579	1025	20 يناير 1616
912	24 مايو 1506	950	6 أبريل 1543	988	17 فبراير 1580	1026	9 يناير 1617
913	13 مايو 1507	951	25 مارس 1544	989	5 فبراير 1581	1027	29 ديسمبر 1617
914	2 مايو 1508	952	15 مارس 1545	990	26 يناير 1582	1028	19 ديسمبر 1618
915	21 أبريل 1509	953	4 مارس 1546	991	25 يناير 1583	1029	8 ديسمبر 1619
916	10 أبريل 1510	954	21 فبراير 1547	992	14 يناير 1584	1030	26 نوفمبر 1620
917	31 مارس 1511	955	11 فبراير 1548	993	3 يناير 1585	1031	16 نوفمبر 1621
918	19 مارس 1512	956	30 يناير 1549	994	23 ديسمبر 1585	1032	5 نوفمبر 1622
919	9 مارس 1513	957	20 يناير 1550	995	12 ديسمبر 1586	1033	25 أكتوبر 1623
920	26 فبراير 1514	958	9 يناير 1551	996	2 ديسمبر 1587	1034	14 أكتوبر 1624
921	15 فبراير 1515	959	29 ديسمبر 1551	997	20 نوفمبر 1588	1035	3 أكتوبر 1625
922	5 فبراير 1516	960	18 ديسمبر 1552	998	10 نوفمبر 1589	1036	22 سبتمبر 1626
923	24 يناير 1517	961	7 ديسمبر 1553	999	30 أكتوبر 1590	1037	12 سبتمبر 1627
924	13 يناير 1518	962	26 نوفمبر 1554	1000	19 أكتوبر 1591	1038	31 سبتمبر 1628
925	3 يناير 1519	963	16 نوفمبر 1555	1001	8 أكتوبر 1592	1039	21 أغسطس 1629
926	23 ديسمبر 1519	964	4 نوفمبر 1556	1002	27 سبتمبر 1593	1040	10 أغسطس 1630
927	12 ديسمبر 1520	965	24 أكتوبر 1557	1003	26 سبتمبر 1594	1041	30 يوليو 1631
928	1 ديسمبر 1521	966	14 أكتوبر 1558	1004	6 سبتمبر 1595	1042	19 يوليو 1632
929	20 نوفمبر 1522	967	3 أكتوبر 1559	1005	28 أغسطس 1596	1043	8 يوليو 1633
930	10 نوفمبر 1523	968	22 سبتمبر 1560	1006	14 أغسطس 1597	1044	20 يونيو 1634
931	29 أكتوبر 1524	969	11 سبتمبر 1561	1007	4 أغسطس 1598	1045	17 يونيو 1635
932	18 أكتوبر 1525	970	31 أغسطس 1562	1008	24 يوليو 1599	1046	5 يونيو 1636
933	8 سبتمبر 1526	971	21 أغسطس 1563	1009	13 يوليو 1600	1047	26 مايو 1637
934	27 سبتمبر 1527	972	9 أغسطس 1564	1010	2 يونيو 1601	1048	15 مايو 1638
935	15 سبتمبر 1528	973	29 يوليو 1565	1011	21 يونيو 1602	1049	4 مايو 1639
936	5 سبتمبر 1529	974	19 يوليو 1566	1012	11 يونيو 1603	1050	23 أبريل 1640
937	25 أغسطس 1530	975	8 يوليو 1567	1013	30 مايو 1604	1051	12 أبريل 1641
938	15 أغسطس 1531	976	26 يوليو 1568	1014	19 مايو 1605	1052	1 أبريل 1642
939	3 أغسطس 1532	977	16 يونيو 1569	1015	9 مايو 1606	1053	22 مارس 1643

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1054	10 مارس 1644	1093	10 يناير 1682	1132	14 نوفمبر 1719	1171	15 سبتمبر 1757
1055	27 فبراير 1645	1094	31 ديسمبر 1682	1133	2 نوفمبر 1720	1172	4 سبتمبر 1758
1056	17 فبراير 1646	1095	20 ديسمبر 1683	1134	22 أكتوبر 1721	1173	25 أغسطس 1759
1057	6 فبراير 1647	1096	8 ديسمبر 1684	1135	12 أكتوبر 1722	1174	13 أغسطس 1760
1058	27 يناير 1648	1097	28 نوفمبر 1685	1136	1 أكتوبر 1723	1175	2 أغسطس 1761
1059	15 يناير 1649	1098	17 نوفمبر 1686	1137	20 سبتمبر 1724	1176	23 يوليو 1762
1060	4 يناير 1650	1099	7 نوفمبر 1687	1138	9 سبتمبر 1725	1177	12 يوليو 1763
1061	25 ديسمبر 1650	1100	26 أكتوبر 1688	1139	29 أغسطس 1726	1178	1 يوليو 1764
1062	14 ديسمبر 1651	1101	15 أكتوبر 1689	1140	19 أغسطس 1727	1179	20 يونيو 1765
1063	2 ديسمبر 1652	1102	5 أكتوبر 1690	1141	7 أغسطس 1728	1180	9 يونيو 1766
1064	22 ديسمبر 1653	1103	24 سبتمبر 1691	1142	27 يوليو 1729	1181	30 مايو 1767
1065	11 نوفمبر 1654	1104	12 سبتمبر 1692	1143	17 يوليو 1730	1182	18 مايو 1768
1066	31 أكتوبر 1655	1105	2 سبتمبر 1693	1144	6 يوليو 1731	1183	7 مايو 1769
1067	20 أكتوبر 1656	1106	22 أغسطس 1694	1145	24 يونيو 1732	1184	27 أبريل 1770
1068	9 أكتوبر 1657	1107	12 أغسطس 1695	1146	14 يونيو 1733	1185	16 أبريل 1771
1069	29 سبتمبر 1658	1108	31 يوليو 1696	1147	3 يونيو 1734	1186	4 أبريل 1772
1070	18 سبتمبر 1659	1109	20 يوليو 1697	1148	24 مايو 1735	1187	25 مارس 1773
1071	6 سبتمبر 1660	1110	10 يوليو 1698	1149	12 مايو 1736	1188	14 مارس 1774
1072	27 أغسطس 1661	1111	29 يونيو 1699	1150	1 مايو 1737	1189	4 مارس 1775
1073	16 أغسطس 1662	1112	18 يونيو 1700	1151	21 أبريل 1738	1190	21 فبراير 1776
1074	5 أغسطس 1663	1113	8 يونيو 1701	1152	10 أبريل 1739	1191	19 فبراير 1777
1075	25 يوليو 1664	1114	28 مايو 1702	1153	29 مارس 1740	1192	30 يناير 1778
1076	14 يوليو 1665	1115	17 مايو 1703	1154	19 مارس 1741	1193	19 يناير 1779
1077	4 يوليو 1666	1116	6 مايو 1704	1155	8 مارس 1742	1194	8 يناير 1780
1078	23 يونيو 1667	1117	25 أبريل 1705	1156	25 فبراير 1743	1195	28 ديسمبر 1780
1079	11 يونيو 1668	1118	15 أبريل 1706	1157	15 فبراير 1744	1196	17 ديسمبر 1781
1080	1 يونيو 1669	1119	4 أبريل 1707	1158	3 فبراير 1745	1197	7 ديسمبر 1782
1081	21 مايو 1670	1120	23 مارس 1708	1159	24 يناير 1746	1198	26 نوفمبر 1783
1082	10 مايو 1671	1121	13 مارس 1709	1160	13 يناير 1747	1199	14 نوفمبر 1784
1083	29 أبريل 1672	1122	2 مارس 1710	1161	2 يناير 1748	1200	4 نوفمبر 1785
1084	18 أبريل 1673	1123	19 فبراير 1711	1162	22 ديسمبر 1748	1201	34 أكتوبر 1786
1085	7 أبريل 1674	1124	9 فبراير 1712	1163	11 ديسمبر 1749	1202	13 أكتوبر 1787
1086	28 مارس 1675	1125	28 يناير 1713	1164	30 نوفمبر 1750	1203	2 أكتوبر 1788
1087	16 مارس 1676	1126	17 يناير 1714	1165	20 نوفمبر 1751	1204	21 سبتمبر 1789
1088	6 مارس 1677	1127	7 يناير 1715	1166	8 نوفمبر 1752	1205	10 سبتمبر 1790
1089	23 فبراير 1678	1128	27 ديسمبر 1715	1167	29 أكتوبر 1753	1206	31 أغسطس 1791
1090	12 فبراير 1679	1129	16 ديسمبر 1716	1168	18 أكتوبر 1754	1207	19 أغسطس 1792
1091	2 فبراير 1680	1130	5 ديسمبر 1717	1169	7 أكتوبر 1755	1208	9 أغسطس 1793
1092	21 يناير 1681	1131	24 نوفمبر 1718	1170	26 سبتمبر 1756	1209	29 يوليو 1794

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1210	18 يوليو 1795	1248	31 مايو 1832	1286	13 أبريل 1869	1324	25 فبراير 1906
1211	7 يوليو 1796	1249	21 مايو 1833	1287	3 أبريل 1870	1325	14 فبراير 1907
1212	26 يونيو 1797	1250	10 مايو 1834	1288	23 مارس 1871	1326	4 فبراير 1908
1213	15 يونيو 1798	1251	29 أبريل 1835	1289	11 مارس 1872	1327	23 يناير 1909
1214	5 يونيو 1799	1252	18 أبريل 1836	1290	1 مارس 1873	1328	13 يناير 1910
1215	25 مايو 1800	1253	7 أبريل 1837	1291	18 فبراير 1874	1329	2 يناير 1911
1216	14 مايو 1801	1254	27 مارس 1838	1292	7 فبراير 1875	1330	22 ديسمبر 1911
1217	4 مايو 1802	1255	17 مارس 1839	1293	28 يناير 1876	1331	11 ديسمبر 1912
1218	23 أبريل 1803	1256	5 مارس 1840	1294	16 يناير 1877	1332	30 نوفمبر 1913
1219	12 أبريل 1804	1257	23 فبراير 1841	1295	5 يناير 1878	1333	19 نوفمبر 1914
1220	1 أبريل 1805	1258	12 فبراير 1842	1296	26 ديسمبر 1878	1334	9 نوفمبر 1915
1221	21 مارس 1806	1259	1 فبراير 1843	1297	15 ديسمبر 1879	1335	28 أكتوبر 1916
1222	11 مارس 1807	1260	22 يناير 1844	1298	4 ديسمبر 1880	1336	17 أكتوبر 1917
1223	28 فبراير 1808	1261	10 يناير 1845	1299	23 نوفمبر 1881	1337	7 أكتوبر 1918
1224	16 فبراير 1809	1262	30 ديسمبر 1845	1300	12 نوفمبر 1882	1338	26 سبتمبر 1919
1225	6 فبراير 1810	1263	20 ديسمبر 1846	1301	2 نوفمبر 1883	1339	15 سبتمبر 1920
1226	26 يناير 1811	1264	9 ديسمبر 1847	1302	21 أكتوبر 1884	1340	4 سبتمبر 1921
1227	16 يناير 1812	1265	27 نوفمبر 1848	1303	10 أكتوبر 1885	1341	24 أغسطس 1922
1228	4 يناير 1813	1266	17 نوفمبر 1849	1304	30 سبتمبر 1886	1342	14 أغسطس 1923
1229	24 ديسمبر 1813	1267	6 نوفمبر 1850	1305	19 سبتمبر 1887	1343	2 أغسطس 1924
1230	14 ديسمبر 1814	1268	27 أكتوبر 1851	1306	9 سبتمبر 1888	1344	22 يوليو 1925
1231	3 ديسمبر 1815	1269	15 أكتوبر 1852	1307	27 أغسطس 1889	1345	12 يوليو 1926
1232	21 نوفمبر 1816	1270	4 أكتوبر 1853	1308	17 أغسطس 1890	1346	1 يوليو 1927
1233	11 نوفمبر 1817	1271	24 سبتمبر 1854	1309	7 أغسطس 1891	1347	20 يونيو 1928
1234	31 أكتوبر 1818	1272	13 سبتمبر 1855	1310	26 يوليو 1892	1348	9 يونيو 1929
1235	20 أكتوبر 1819	1273	1 سبتمبر 1856	1311	15 يوليو 1893	1349	29 مايو 1930
1236	9 أكتوبر 1820	1274	22 أغسطس 1857	1312	5 يوليو 1894	1350	19 مايو 1931
1237	28 سبتمبر 1821	1275	11 أغسطس 1858	1313	24 يونيو 1895	1351	7 مايو 1932
1238	18 سبتمبر 1822	1276	31 يوليو 1859	1314	12 يونيو 1896	1352	26 أبريل 1933
1239	7 سبتمبر 1823	1277	20 يوليو 1860	1315	2 يونيو 1897	1353	16 أبريل 1934
1240	26 أغسطس 1824	1278	9 يوليو 1861	1316	22 مايو 1898	1354	5 أبريل 1935
1241	16 أغسطس 1825	1279	29 يونيو 1862	1317	12 مايو 1899	1355	24 مارس 1936
1242	5 أغسطس 1826	1280	18 يونيو 1863	1318	1 مايو 1900	1356	14 مارس 1937
1243	25 يوليو 1827	1281	6 يونيو 1864	1319	20 أبريل 1901	1357	3 مارس 1938
1244	14 يوليو 1828	1282	27 مايو 1865	1320	10 أبريل 1902	1358	21 فبراير 1939
1245	3 يوليو 1829	1283	16 مايو 1866	1321	30 مارس 1903	1359	10 فبراير 1940
1246	22 يونيو 1830	1284	5 مايو 1867	1322	18 مارس 1904	1360	29 يناير 1941
1247	12 يونيو 1831	1285	24 أبريل 1868	1323	8 مارس 1905	1361	19 يناير 1942

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1362	8 يناير 1943	1377	29 يوليو 1957	1392	16 فبراير 1972	1407	6 سبتمبر 1986
1363	28 ديسمبر 1943	1378	18 يوليو 1958	1393	4 فبراير 1973	1408	26 أغسطس 1987
1364	17 ديسمبر 1944	1379	7 يوليوز 1959	1394	25 يناير 1974	1409	14 أغسطس 1988
1365	6 ديسمبر 1945	1380	26 يونيو 1960	1395	14 يناير 1975	1410	4 أغسطس 1989
1366	25 نوفمبر 1946	1381	15 يونيو 1961	1396	3 يناير 1976	1411	24 يوليو 1990
1367	15 نوفمبر 1947	1382	4 يونيو 1962	1397	23 ديسمبر 1976	1412	13 يوليوز 1991
1368	3 نوفمبر 1948	1383	25 مايو 1963	1398	12 ديسمبر 1977	1413	2 يوليو 1992
1369	24 أكتوبر 1949	1384	13 مايو 1964	1399	2 ديسمبر 1978	1414	21 يونيو 1993
1370	13 أكتوبر 1950	1385	2 مايو 1965	1400	21 نوفمبر 1979	1415	10 يونيو 1994
1371	2 أكتوبر 1951	1386	22 أبريل 1966	1401	9 نوفمبر 1980	1416	31 مايو 1995
1372	21 سبتمبر 1952	1387	11 أبريل 1967	1402	30 أكتوبر 1981	1417	19 مايو 1996
1373	10 سبتمبر 1953	1388	31 مارس 1968	1403	19 أكتوبر 1982	1418	9 مايو 1997
1374	30 أغسطس 1954	1389	20 مارس 1969	1404	8 أكتوبر 1983	1419	28 أبريل 1998
1375	20 أغسطس 1955	13[illegible]	9 مارس 1970	1405	27 سبتمبر 1984	1420	17 أبريل 1999
1376	٨ أغسطس 1956	1391	27 فبراير 1971	1406	16 سبتمبر 1985	1421	6 أبريل 2000

TEXTE

BANDEAU

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله الحمد لله امر بتعديل هذا المد

1

المبارك
مولاى امير المسلمين
ابو الحسن بن مولانا
امير المسلمين ابي سعيد
بن مولانا امير المسلمين
يوسف بن عبد الحق ايده

2

الله
ونصره على المد
الذي امر بتعديله
مولانا ابو يعقوب رحمه
الله تعالى على المد الذي
عدل الحسين بن يحيى البسكري
بمد ابراهيم بن عبد الرحمن
الخابشي (1) الذي عدله بمد الشيخ
ابى على منصور بن يوسف

3

القوام
وكان ابى على عدل
مده بمد الفقيه احمد بن على
غزلون وعدل ابو جعفر مده بمد
الفقيه القاضي ابي جعفر احمد بن الاخطل
وعدل ابو جعفر مده بمد خالد بن اسماعيل
وعدل خالد مده بمد ابى بكر احمد بن حنبل (3)
وعدل ابو بكر مده بمد اسحاق ابراهيم بن
الشمنظر (4) وبمد ابى جعفر بن ميمون و
كانا عدلا مديهما بمد زيد بن ثابت (5)

4

صاحب
رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعدل
الان هذا المد المبارك تبركا
بالنبي صلى الله عليه وسلم و
احياء السنته (6) وكان الفراغ منه
يوم ثمانية عشر من حماد (7) الثانية
عام سبع وستين ومابة ولف (8)
صانعه الحاج على بن الحاج احمد بن جلون

(1) mis pour الجايشي .
(2) lire القوامي .
(3) mis pour حمد .
(4) mis pour الشمنظير .
(5) lire زيد بن ثابت .
(6) soit لسنته soit السنة .
(7) mis pour جمادى .
(8) mis pour الف .

ISNĀD

1167
↑
ابو الحسن المريني
↑
ابو يعقوب المريني
↑
البسكري
↑
الخابشي (1)
↑
القواص (2)
↑
غزلون
↑
الاخطل
↑
خالد بن اسماعيل
↑
ابو بكر احمد بن حنبل (3)
↑
الشمنظر (4) و ميمون
↑
زيد بن ثابت (5)

شكل 181 ب

النص العربي بالإسناد المحفور على بدن المد المؤرخ 1167هـ



شكل 183 أ

المد النبوي المؤرخ 1209 هـ

ISNĀD

المرابط العربي بن عبد الوهاب الدعاوني
↑
مولانا الشريف احمد الادريسي
↑
ابو الحسن المريني
↑
ابو يعقوب المنصور
↑
الحسن (1) البسكري
↑
الجايشي
↑
القواس (2)
↑
غزلون
↑
الاخطل
↑
خالد بن اسماعيل
↑
حنبل (3)
↑
الشنظير
ميمون
↑
زيد بن ثابت

TEXTE

بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله

1

بسم الله
ما شاء الله لا
قوة الا بالله العلي
المتيم الحمد لله
وحده صنع هذا المد
المبارك ابتغاء
وجه الله ومحبت
في سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم تسليم
عبد لربه سبحانه [illegible]
المرابط العربي بن
عبد الوهاب الدعاوني

2

اللهم
تغمده برحمتك
وارحمه بفضلك
واجعل عمله فيها طهر
وما يطلب لوجهك وارحم
جميع المسلمين
امين [illegible] ناقلا له على
مد مولانا الشريف
احمد بن مولانا على
الادريسي ناقلا على مد
امير المومنين ابي الحسن
بن امير المومنين ابي
سعيد بن امير المومنين
ابي يوسف بن عبد

3

الحق
المريني ناقلا على
مد ابي يعقوب [illegible]
المنصور ناقلا على مد
الحسن (1) بن يحيى البسكري
ناقلا على مد ابراهيم
ابن عبد الرحمان
الجايشي [illegible]
ناقلا على مد الشيخ
ابي على منصور بن يوسف
القواس (2) ناقلا على مد
الفقيه ابي جعفر احمد
بن على ابن غزلون ناقلا

4

على
الفقيه العاصي
ابي جعفر احمد بن
الاخطل ناقلا على مد
ابي خالد اسماعيل
ناقلا على مد ابي بكر
احمد ابن حنبل (3) ناقلا
على مد ابي اسحاق
ابراهيم بن [illegible]
الشنظير ناقلا على مد (4)
ابي جعفر بن ميمون
كلاهما ناقلا على مد
سعيدنا وبركتنا
ووسيلتنا الى الله

5

زيد بن
ثابت رضى الله عنه
صاحب رسول
الله صلى الله عليه
وسلم تسليم وشرف
وكرم ومجد وعظم
وبرك والعم اجلا لا
وتعظيما لسنة
للنبي عليه السلام
واتباع ماكان يفعله
صلى الله عليه وسلم
تسليم مثل
الوضوء والطهارة

6

وصدقة
الفطر وغير من
المدرات الشرعية
وذلك [illegible] صنعه عبد
ربه سبحانه الذي من
الله عليه بالسلام
مبارك الزيات
غفر الله ذنوبه وستر [illegible]
عيوبه امين في موفى (5)
عشرين من جماد الاخير
عام 1209 تسعة ومائتين
والف نقل لحمد لله وحسب
عونه

(1) mis pour الحسين .
(2) mis pour القوامي .
(3) mis pour حمد .
(4) lire وعلى au lieu de ناقلا .
(5) lire في يوم .

شكل 183 ب

نص النقش التأسيسي التاريخي على بدن المد المؤرخ 1209 هـ

استدراك وتصويب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
3	11	التآسي	للتأسي
20	22	القروبي	القرويين
27	10	برتبيه	برتيبه
27	13	برتبيه	برتيبه
27	15	برتبيه	برتيبه
30	1	حلبة	حليه
30	4	ملينة	السُنَّة
30	30	أه	أن
31	7	لمغرب	المغرب
31	17	منزب	منزل
32	19	بفصيل	تفصيل
32	20	بفصيل	تفصيل
32	25	352	351
32	29	وجاني	وجانبي
33	9	وبرلبن	وبرلين
34	6	إعلام	أعلام
34	13	أساليت	أساليب
40	14	إفريقا	إفريقيا
45	6	الامام عليه	الامام علي
49	12	ما	نراه
63	هامش	المتشرقين	المستشرقين
64	4	الآخرى	الأخرى
64	13	المتكروتية	التمكروتية
65	4	ومسّيد	ومسْيد
65	22	وتسعمائة	وتسعمائة)
70	13	لله	الله
72	1	ولد	ولده
73	3	التجبيس	التحبيس
73	7	أن	إن
80	6	986	896
81	9	الظ	الظن
81	12	والده	ولدها
84	17	مجراب	محراب
89	12	جيوية	حيوية
92	2	البفرني	اليفرني
92	2	دراسة	درسه
92	هامش	لليفرنسي	لليفرني
95	15	جيويتها	حيويتها
97	18	ينضح	يتضح
97	هامش	خطيف	خصيف
100	13	تحبط	تحيط
103	شكل	برتبيه	برتيبه
104	شكل	برتبيه	برتيبه
106	4	أهرم	أهرام
110	24	من قلم	فلم
113	15	المربة	المرية
114	1	عاى	على
123	هامش	مقريص	مقربص
149	1	دراستها	دراستنا
154	14	الأندلس	الأندلسي
165	11	أفراط	إفراط
182	6	وبدور	ويدور
182	9	لمغربي	المغربي
185	9	الزخرفيه	الزخرفية
229	أخير	حلبة	حلية
232	أخير	ملينة	السُنَّة
269	18	قلة عدم	قلة
293	أخير	العضيم	العظيم
326	أخير	ترفاه	توفاه
353	7	زجاج	زجاج شكل 159أ
357	وسط	وجاني	وجانبي
359	25	162 مكرر	شكل 109
362	أسفل	رقم الشكل	162 ج
263	8	162 ب	162 ج
363	22	162 ب	162 ج

تم بحمد الله تعالى وعونه

الجزء الخامس مسك الختام

في

تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية

بالمغرب الأقصى

وحسبي أنني عملت ما وسعني الجهد لوضع موسوعة شاملة أرست الخطوط الرئيسية لتاريخ العمارة والفنون بالمغرب السعيد...

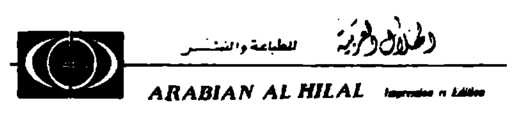
وقد يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق

نسأل الله تعالى تيسير النفع به ونسأل المنتفع حسن الدعاء لكاتبه الفقير إلى فضل الله

رقم الإيداع القانوني

1992/893

مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 947-08/09/15/38



الرباط، 21 زنقة ديكارت حي الليمون تلفون : 99-60-70 فاكس : 707751

الطبعة الأولى

1993

الإنتاج العلمي للمؤلف

كتب مطبوعة

- تاريخ شالة الإسلامية دار الثقافة بيروت 1975
- حفائر شالة الإسلامية دار الثقافة بيروت 1975
- دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى، دار الثقافة بيروت 1975
- قضية الصحراء المغربية ومصطلح البيعة، وزارة الأنباء الرباط 1975
- سيرة أبطال الإسلام في المغرب من الأصول والمصادر، دار الكتاب الدار البيضاء 1978
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، دار الهلال العربية الرباط 1992 الجزء الأول (عصر دولة الأدارسة وعصر أمراء زناتة).
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ج 2 عصر دولة المرابطين.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 3 عصر دولة الموحدين.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 4 عصر دولتي المرينيين وبني وطاس.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 5 عصر دولتي الأشراف السعديين والعلويين.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة، الآثار والعمارة والفنون، دار الهلال العربية الرباط.

كتب نشرت حلقات بالصحف والمجلات :

- مظاهر الحضارة المعمارية والفنون في شعر ابن زيدون، مجلة المنهل السعودية جدة.
- الهجرة النبوية الكبرى بيننا وبين فيلسوف الغرب المعاصر توينبي، جريدة الأنباء الرباط.
- عروبة القدس وعمارة قبة الصخرة، جريدة الأنباء الرباط.
- موجز تاريخ العمارة والفنون بالمغرب (روائع المغرب)، جريدة الميثاق الوطني الرباط
- الآثار الإسلامية بالمغرب العربي وحرب المستشرقين، مجلة دعوة الحق الرباط.

كتب تحت الطبع :

ضريح محمد الخامس وتأسيس مدينة الرباط وعمارة جامع حسان، الوثائق الملكية الرباط.

كتب معدة للطبع :

- دفاعا عن حضارة الإسلام في المغرب.
- ثلاثون شمعة في عرس المسيرة الخضراء.

كتب ودراسات تعد للطبع :

- ثلاثة معالم مغربية : المرابطون وفاس وجامع القرويين.
- ثلاثة منابر مغربية بجوامع الأندلسيين وبوعنانية فاس وجامع تازة.
- حضارة الرستمين وغيبتها عن كتاب (أعمال الأعلام) لابن الخطيب.
- صومعة الكتبية في دراسات المستشرقين.



تعريف بالمؤلف

– الدكتور عثمان عثمان إسماعيل من مواليد 1925 م بالإسكندرية باب المغرب.

– حصل على درجة الليسانس مع مرتبة الشرف بأول فوج لقسم الآثار الإسلامية بالجامعات العربية، جامعة الاسكندرية سنة 1950.

– حصل على الدبلوم العالي في التربية وعلم النفس، الإسكندرية 1951.

– انفرد بين خريجي أقسام الآثار بالحصول على دبلوم الدراسات العليا المعادل للماجستير في الآثار الإسلامية من معهد الآثار العالي بجامعة القاهرة 1956.

– حصل على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في الحضارة والآثار الإسلامية المغربية من جامعة الإسكندرية 1965.

– تبنت رئاسة جامعة محمد الخامس بين عامي 1958 و1963 أبحاثه ودراساته واكتشافاته لعمل أول حفائر أثرية علمية لمتخصص عربي داخل تراب المملكة المغربية.

– شارك بحكم الوظيفة والتخصص بين عامي 1958 و1963 في جميع مؤتمرات الآثار الدورية بالمغرب التي أقرت جميعها نتائج أبحاثه واكتشافاته.

– شارك بعدة أبحاث تخصصية في آثار وفنون المغرب العربي بعدد من مؤتمرات جامعة الدول العربية والجامعات العربية.

– ظهر له ثلاثة عشر كتابا مطبوعا وأكثر من أربع مائة بحث ومقال وبرنامج متلفز ومذاع حول حضارة وآثار الإسلام بالمغرب.

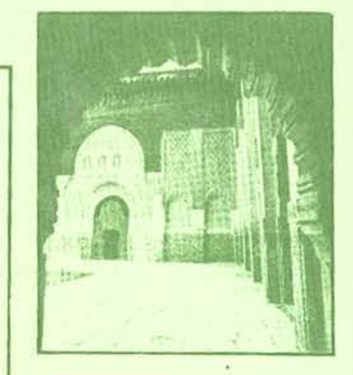
– أستاذ التاريخ والآثار بجامعة محمد الخامس بالرباط منذ العام الدراسي 58/57.

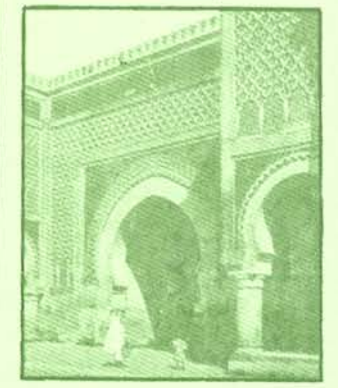
– أستاذ الحضارة والفن الإسلامي بجامعة وهران بالجمهورية الجزائرية 73/70.

– أستاذ بالتعليم العالي المغربي مفتش عام مساعد للمباني التاريخية والآثار 1973.

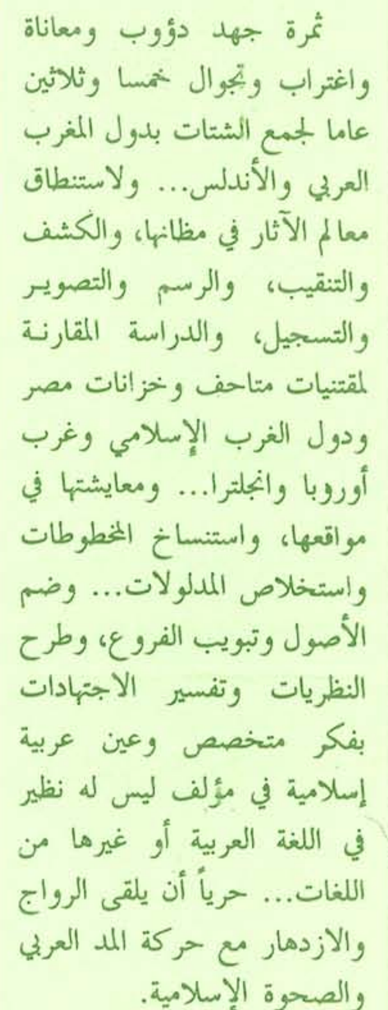
– أستاذ جامعي رئيس مشرف على الأبحاث بالمملكة المغربية 1982.

– عضو اتحاد المؤرخين العرب.









هذا الكتاب

ثمرة جهد دؤوب ومعاناة واغتراب وتجوال خمسا وثلاثين عاما لجمع الشتات بدول المغرب العربي والأندلس... ولاستنطاق معالم الآثار في مظانها، والكشف والتنقيب، والرسم والتصوير والتسجيل، والدراسة المقارنة لمقتنيات متاحف وخزانات مصر ودول الغرب الإسلامي وغرب أوروبا وانجلترا... ومعايشتها في مواقعها، واستنساخ المخطوطات واستخلاص المدلولات... وضم الأصول وتبويب الفروع، وطرح النظريات وتفسير الاجتهادات بفكر متخصص وعين عربية إسلامية في مؤلف ليس له نظير في اللغة العربية أو غيرها من اللغات... حرياً أن يلقى الرواج والازدهار مع حركة المد العربي والصحوة الإسلامية.







